إسلامنا الجميل
والمجتمع

إسلامنا الجميل والمجتمع

المؤلف: سامي سعيد إسماعيل

الطبعة الأولى: نوفمبر2022

دار العلوم للنشر والتوزيع

: .1144764.../01061160988 هاتف : www.dareloloom.com الموقع الإلكتروني
: daralaloom@hotmail.comالبريد الإلكتروني Facebook.com/dareloloom

Twiter : @dareloloomجميع الحقوق محفوظة

رقـم الإيداع: 2022/16508 الترقيم الدولى: 978-977-380-743-6

إى الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأى دار العلوم للنشر

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيها التسجيل الفوتوغرافى والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو بأية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات،واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر

إسلامنا الجميل والمجتمع

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره, ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له, ومن يضلل فلا هادي له, وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له, وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين, أما بعد:

المجتمع في إسلامنا الجميل مجتمع متكامل يكمل بعضه بعضا، ويتكافل بعضه مع بعض، ويحمي بعضه بعضا، مجتمع متآخ ومتآلف يحب بعضهم بعضا، يشعر بعضهم بآلام بعض، ويسارع بعضهم لنجدة بعض، ويساعد بعضهم بعضا، مجتمع متناسق متماسك كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، تصديقا لقول الحبيب ﷺ { مَثَلُ المُؤْمِنِينَ في تَوادِّهِمْ، وتَراحُمِهِمْ، وتَعاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إذا اشْتَكَى منه عُضْوٌ تَداعَى له سائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والْحُمَّى }.[1]

ويحض إسلامنا الجميل المجتمع المسلم على المؤاخاة والمواساة بين المسلمين، وتكوين مجتمع متكامل، يطبق قواعد إسلامهم الجميل، كما ذُكِر في قرآنهم الكريم وسنة نبيهم الحبيب ﷺ .

ولأن إسلامنا الجميل هو الدين الخاتم ونبيه ﷺ خاتم المرسلين، فقد وضح وبين فيه كل شيء، وعلمنا وأرشدنا كيف نبني مجتمعا إسلاميا يسعد به كل من كان بداخله ويعيش بين أركانه، سواء كان مسلما أو غير مسلم، بل تسعد معه كل من يدب على أرضه من الحيوانات والطيور والنباتات وغيرها.

ويقول ربنا سبحانه ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾.[2]

ويقول الحبيب ﷺ { ما تَرَكتُ شيئًا ممَّا أمَرَكمُ اللهُ به، إلَّا أمَرتُكم به، وما تَرَكتُ شيئًا ممَّا نَهاكمُ اللهُ عنه إلَّا وقد نَهَيتُكم عنه }.[3]

إسلامنا الجميل دلنا على كيفية التعامل مع المجتمع الذي حولك سواء كانوا أفرادا أو جماعات أو دولا أو أمما، وعلمنا كيفية التعايش المشترك بين الناس سواء كانوا مسلمين أو أصحاب كتاب أو غير مسلمين،

---

[1] عن النعمان بن البشير، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6011، ومسلم في صحيحه برقم2586 واللفظ له.

[2] سورة المائدة الآية3.

[3] عن المطلب بن عبدالله بن حنطب، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة إسناده مرسل حسن برقم4/417، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج شرح السنة رجاله ثقات لكنه مرسل، وله شاهد برقم4110، ورواه الشافعي في الأم برقم9/70، والبيهقي في الشعب برقم1185.

ففي كتاب الله العزيز وسنة حبيبه ﷺ السبيل إلى كيفية هذا التعامل، فقد قال الله عز وجل ﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ﴾.[1]

وفي هذا الجزء من سلسلة إسلامنا الجميل سنتحدث عن أركان المجتمع الإسلامي، ومكوناته والعلاقة بين أفراده من أقارب البيت الواحد، وصلة الرحم القريبة والبعيدة.

وتحدثت عن اليتيم، فله حقه الكامل في المجتمع المسلم، فهو ليس بمهمل ولا مهضوم حقه، وكذلك الفقير والمسكين، والذي لا يخلو مجتمع منهم، وكيف حافظ إسلامنا الجميل على حقهم كاملا غير منقوص، كما دافع إسلامنا الجميل عن ضعفاء المجتمع من عمال وخدم، فلم يتركهم فريسة للطغاة والمتجبرين والمتنمرين عليه، بل حماهم وحفظ كرامتهم، فلهم حقوق محفوظة في مجتمع إسلامنا الجميل.

وبيَّنت في إسلامنا الجميل حق الجار، وماله من حقوق كثيرة، سواء كان هذا الجار ذا رحم أم جارا قريبا أم جارا بعيدا.

وتحدثت عن المجتمع ككل صفاته وخصائصه في إسلامنا الجميل، وكيف عالج إسلامنا أمراض المجتمع، لكي يتكامل ويتكافل ويتحاب، ويعيش كل أفراده بسعادة وراحة.

كما بيَّنت أهمية إقامة الحدود في المجتمع الإسلامي، للحفاظ عليه من مرض بعض أفراده، وخاصة حد القتل والقصاص، وحد السرقة وقطع اليد، وحد الزِّنَا والرجم والجلد، وحد شرب الخمر والجلد والإهانة، وحد قذف المحصنات الغافلات البريئات والجلد.

وأفردت جزءا هاما في علاقة المسلم بأخيه المسلم، وما أهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها أفراد المجتمع المسلم من الحب في الله والإيثار والمساواة وعدم التفرقة بينهم وغيرها، وبيَّنت حقوق المسلم على أخيه المسلم بشيء من التوضيح مع الاختصار، وكذلك حقوق غير المسلمين في مجتمعنا الإسلامي الجميل، وكيف حافظ عليهم وساوى بينهم وبين المسلمين داخل المجتمع، كبشر وإنسان له حقوق المسلم ويطبق على الجميع قانون المجتمع، كما لم يكرهه في دينه، وحافظ على أماكن عبادته، محمية من قبل المجتمع المسلم سواء من أفراده أو حكومته، ويسر له سبل الحياة السعيدة والعيش الكريمة وسط أهله وأحبابه المسلمين.

والله الموفق.

المؤلف/ سامي سعيد إسماعيل البرعي

[1] سورة الأنعام الآية 38.

الباب الأول

إسلامنا الجميل
والأقارب

إسلامنا الجميل والأقارب

إسلامنا الجميل كما اهتم وقدر وأعلى من قدر الأبوين، فقد أوصى بالاهتمام بالأقارب فهم بعد الأم والأب، الأخ والأخت والجد والجدة والعم والعمة والخال والخالة، وأبنائهم جميعا.

وأوصانا إسلامنا الجميل أن نتواصل معهم ونرتبط بهم، فهم الأقرب لنا والأكثر تواصلا معنا، ويربطهم معنا بروابط كثيرة، رابطة الدم والرحم ورابطة الجوار ورابطة الإسلام.

وإسلامنا الجميل ملئ بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي توصي بالرحم، وأهمية وصلها وتواصلها، وضرورة الاهتمام بها وعنايتها وصيانتها من أي حدث يؤثر عليها أو يقطعها، ويركز على ما يربط الناس بعضهم ببعض، فهو دين سلام ورحمة وترابط وتعاطف.

وتتواصل الرابطة بين البشر بالرحم، فكلنا أبناء رحم واحد وهو رحم أمنا حواء.

والرحم مشتق من الرحمة، فقد اشتقت هذه الكلمة من الرحمن الرحيم سبحانه.

ومعناها القرابة، وكلما اقتربت القرابة زادت الرحمة، واتسع الرزق وتعمق الإيمان وغفر الذنب العظيم.

واهتم إسلامنا الجميل بالقرابة الأولى وهي الأم والأب ثم الأقرب فالأقرب، مهما تباعدت المسافات وتطاولت الأزمنة.

ويذكرنا إسلامنا الجميل أن القرابة والرحمة والأخوة بدأت بقرابة الرحم الأولى فيقول ربنا الرحيم ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾.[1]

ويقول ربنا سبحانه ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾.[2]

وآية آخرى كريمة في ترتيب وتعميم صلة القرابة والرحم فيقول الرحمن الرحيم سبحانه ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾.[1]

---

[1] سورة النساء الآية 1.
[2] سورة الحجرات الآية 13.

وقد بيَّنا سابقا أهمية القرابة الأولى وهي الأم والأب، ومنها قوله سبحانه ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴾.[2]

إنها من صفات النبوة

ونبى الرحمة ﷺ كان يصل رحمه، وكانت من صفاته الجميلة قبل البعثة، وطوال حياته ﷺ ، فعندما جاءه أول الوحي خاف الحبيب ﷺ على نفسه من هول الموقف ورؤية جبريل عليه السلام في صورته الحقيقة، وقد كان في غار حراء وحده وليلا، فخاف ونزل من الغار إلى بيته خائفا، فلاقته زوجته الحبيبة أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها محتضنة أياه مطمئنة له ليذهب عنه الروع، وتقول ما شاهدته من زوجها طوال عشرتها له من صفاته الحميدة أنه يصل رحمه دائما ولن يخزيه الله أبدا، وتقول له كما ذكرت عائشة رضي الله عنها وعن أبيها { كَلّا واللَّهِ ما يُخْزِيكَ اللَّهُ أبَدًا، إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وتَقْرِي الضَّيْفَ، وتُعِينُ علَى نَوائِبِ الحَقِّ }. [3]

وفي حديث آخر تقول له { فَوَاللَّهِ لا يُخْزِيكَ اللَّهُ أبَدًا، إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتَقْرِي الضَّيْفَ، وتُعِينُ علَى نَوَائِبِ الحَقِّ }.[4]

من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته

من أهميتها في ترابط الأسر والأمم، يخبرنا ربنا الرحمن الرحيم أن من وصل رحمه الخاصة والعامة وصله الله الكريم بكرمه وجوده ورحمته، ومن قطعها قطعه الله وتركه لنفسه وأبعده عن رحمته سبحانه.

فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن الحبيب ﷺ قال { خَلَقَ اللَّهُ الخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَغَ منه قامَتِ الرَّحِمُ، فأخَذَتْ بحَقْوِ الرَّحْمَنِ، فقال له: مَهْ، قالتْ: هذا مَقامُ العائِذِ بكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قال ألا تَرْضَيْنَ أنْ أصِلَ مَن وصَلَكِ، وأَقْطَعَ مَن قَطَعَكِ، قالتْ: بَلَى يا رَبِّ، قال فَذاكِ قال أبو هُرَيْرَةَ: اقْرَؤُوا إنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إنْ تَوَلَّيْتُمْ أنْ تُفْسِدُوا في الأرْضِ وتُقَطِّعُوا أرْحامَكُمْ﴾ [محمد: 22] }.[5]

---

[1] سورة النساء الآية 36.
[2] سورة الإسراء الآية 23.
[3] عن عائشة، الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم3، ومسلم في صحيحه برقم160.
[4] عن عائشة، الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6982، ومسلم في صحيحه برقم160.
[5] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم4830 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم2554.

الرحم معلقة بالعرش

والرحم من أهميتها في إسلامنا الجميل دين الرحمة، قال لنا الحبيب ﷺ { الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بالعَرْشِ تَقُولُ مَن وصَلَنِي وصَلَهُ اللَّهُ، ومَن قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ }.[1]

الرحم موسعة للرزق

من وصل رحمه أعطاه الله الكريم بسطة وسعة وبركة في الرزق، فبصلتك لرحمك يبارك الله في رزقك ولو كان قليلا، وستجد فيه سعة ووفرة.

فقال الحبيب ﷺ { مَن سَرَّهُ أنْ يُبْسَطَ له في رِزْقِهِ، أوْ يُنْسَأَ له في أثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ }.[2]

الرحم تطيل العمر

فقد قال الحبيب ﷺ أن صلة الرحم تطيل العمر ويؤخر الله في أجل من يصلها، ومعناه زيادة البركة فيه والتوفيق للطاعات وعدم إهدار الأوقات في ما لا فائدة منه، فلكل أجل كتاب لا يؤخر ولا يقدم لا يعلمه إلا الله العليم الحكيم، ولكنها البركة.

فقال الحبيب ﷺ { مَنْ أحبَّ أنْ يُبْسَطَ لهُ في رِزْقِهِ، و أنْ يُنْسَأَ لهُ في أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رحمَهُ }.[3]

الرحم تقي مصارع السوء

من فوائد صلة الرحم وأهميتها جعل الله الرحمن من وصلها حماه الله ووقاه من مصارع السوء، وهي أن تلقى الله على معصية أو يختم لك بسوء عمل أو تؤخذ على غفلة منك بلا استعداد ولا عمل، فالموت يأتي فجأة، ولكن من وصل رحمه ختم له بحسن عمل ولقى الله على طاعة وعمل صالح يختم به أعماله.

فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه { عنِ النَّبيِّ ﷺ قال مَن سرَّه أنْ يُمَدَّ له في عُمُرِه، ويُوَسَّعَ له في رِزقِه، ويُدفَعَ عنه مِيتةُ السُّوءِ، فلْيَتَّقِ اللهَ ولْيَصِلْ رَحِمَه }.[4]

---

[1] عن عائشة وأخرجه مسلم في صحيحه برقم2555، وقال الألباني صحيح في غاية المرام برقم406.
[2] عن أنس بن مالك الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2067 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم2557.
[3] عن أنس بن مالك الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم5986، ومسلم في صحيحه برقم2557.
[4] قال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده قوي برقم1213، ورواه البزار في مسنده برقم693، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجال البزار رجال الصحيح غير عاصم بن حمزة وهو ثقة برقم 8/155، كما رواه الطبراني في الأوسط برقم3014.

الرحم تدخل الجنة

فهي من أجلّ الأعمال الصالحة بعد التوحيد وعدم الشرك بالله، فقال تعالى ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴾.[1]

روى أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه { أنَّ رَجُلًا قال للنبيِّ ﷺ : أخْبِرْنِي بعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّة وقال النبيُّ ﷺ : تَعْبُدُ اللَّهَ ولَا تُشْرِكُ به شيئًا، وتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وتُؤْتي الزَّكَاةَ، وتَصِلُ الرَّحِمَ }.[2]

الرحم علامة الإيمان

من علامات إيمان المسلم أن يصل رحمه ولا يقطعها، فهي من أسس الإيمان بالله كما ذكرنا في الآية السابقة، فقد شملت صلة الرحم وعُطِفت على عبادة الله وحده.

وقال الحبيب ﷺ { مَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخر فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخر فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخر فَلْيَقُلْ خَيْرًا أوْ لِيَصْمُتْ }.[3]

الرحم تغفر الذنب العظيم

الرحم تغفر الذنب العظيم الذي ليس له توبة إلا بصلة الرحم، وهذا من تكريم إسلامنا الجميل لها.

فقد روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حديث جميل قال { أنَّ رجلًا أتَى النَّبيَّ ﷺ فقال يا رسولَ اللَّهِ إنِّي أصَبتُ ذنبًا عظيمًا فَهَل لي مِن تَوبةٍ قال هل لَكَ مِن أمٍّ ؟ قال : لا، قال : هل لَكَ من خالةٍ ؟ قال : نعَم، قال : فبِرَّها }.[4]

الرحم من وصلها له عقبى الدار

---

[1] سورة النساء الآية 36.

[2] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم1396، ومسلم في صحيحه برقم13.

[3] عن أبي هريرة، الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6138 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم47.

[4] قال الألباني صحيح في صحيح الترمذي برقم1904، وقال في تخريج مشكاة المصابيح إسناد الموصول صحيح ورجاله كلهم ثقات رجال الشيخين برقم4863، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج شرح السنة روى مرسلا ومسند وسند المتصل حسن برقم12/13.

يقول تعالى في قرآنه الكريم ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ٢٠ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ٢١ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٢ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤﴾.[1]

الرحم أن تصل من قطعك

الواصل هو من وصل من قطع رحمه رغم قطيعتهم له، فإذا قطع الأقارب هذا الرحم ولم يصلوه، فإن الواصل هو من وصلهم وأصر على وصلهم ولم يقطع لهم وصلا ولا حبلا ولا ودا، وزاد في ودهم، فإنه لا يزال معه ظهير وتأييد من ربه سبحانه الرحمن الرحيم.

فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه { أنَّ رَجُلًا قال يا رَسُولَ اللهِ، إنَّ لي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إليهِم وَيُسِيؤُونَ إلَيَّ، وَأَحْلُمُ عنْهمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقال لَئِنْ كُنْتَ كما قُلْتَ، فَكَأنَّما تُسِفُّهُمُ المَلَّ وَلَا يَزَالُ معكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عليهم ما دُمْتَ علَى ذلكَ }.[2]

ومعنى تُسِفُّهُمُ المَلَّ أي تطعمهم التراب الحار.

البر من وصل الرحم المقطوعة

كثيرا ما يتخاصم الأقارب ويحصل بينهم قطيعة رحم، وقد تطول المدة، وقد يتعمق الجرح، ولا تُوصل بعد ذلك، وقد يموت أحد الأطراف دون وصل رحمه أو يتصالح، وهذا من مصائب المسلم، فيتسبب في غضب الله عليه، فيضيق عليه رزقه وتقل بركة عمره وقد يموت موتة السوء.

وإذا حدث ذلك فخيرهما من يبدأ بالصلح والعفو، ويسرع بوصل هذه القطيعة، فقد بشره الحبيب ﷺ فقال { ليسَ الواصِلُ بالمُكافِئِ، ولَكِنِ الواصِلُ الذي إذا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وصَلَها }.[3]

لن تدخل الجنة يا قاطع الأرحام

[1] سورة الرعد الأية 21 – 24.
[2] أخرجه مسلم في صحيحه برقم2558، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده صحيح على شرط مسلم برقم451.
[3] عن عبد الله بن عمر، وأخرجه البخاري في صحيحه برقم5991، وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم1697.

يحذرك إسلامنا الجميل من قطع الأرحام وتخاصم الأهل والأقارب، فصلة الرحم طريقك إلى الجنة، فإن قطعتها فلن تدخلها.

فقد قال الحبيب ﷺ { لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ. قال ابنُ أَبِي عُمَرَ: قال سُفْيَانُ: يَعْنِي قَاطِعَ رَحِمٍ }.[1]

الرحم كالشجرة فروعها متشابكة

الرحم مثلها كالشجرة التي فروعها وأغصانها متشابكة ومتصلة بين أفرادها، فإذا قُطِعت، قُطِعت الشجرة أو غصن منها تأذت وتألمت، فالرحم كذلك، وهي من الرحمن سبحانه.

ولذا يقول الحبيب ﷺ { إنَّ الرَّحِمَ شِجنَةٌ مِن الرَّحمنِ، تَقولُ: يا رَبِّ إنِّي قُطِعتُ، يا رَبِّ إنِّي ظُلِمتُ، يا رَبِّ إنِّي أُسيءَ إليَّ، يا رَبِّ، يا رَبِّ، فيُجيبُها رَبُّها عزَّ وجلَّ، فيَقولُ: أمَا تَرضَيْنَ أنْ أصِلَ مَن وصَلَكِ، وأقطَعَ مَن قطَعَكِ؟ }.[2]

صل رحمك وإن كان غير مسلم

صلة الرحم من أفضل الأعمال في إسلامنا الجميل، وجعل من وصل رحمه من أفضل المسلمين، وأمرنا بصلة الرحم مهما كانت، مسلمة أو كافرة، عابدة أو فاسقة، فلها على الواصل حق وثواب عظيم، فقد تكون سببا في إسلام المشرك والكافر، وقد تكون سببا في هداية الفاسق ورجوع الآبق.

فقد ورت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها وعن أبيها { قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وهي مُشْرِكَةٌ في عَهْدِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسولَ اللَّهِ ﷺ ، قُلتُ: وهي رَاغِبَةٌ، أفَأَصِلُ أُمِّي؟ قال نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ }[3].

صلة الرحم أفضل أخلاق الدنيا والآخرة

دعا إسلامنا الجميل إلى صلة الرحم وأمر ربنا سبحانه وتعالى المسلمين بصلة الرحم، ولذلك أبلغنا الحبيب ﷺ أن صلة الرحم هي من أفضل أخلاق أهل الدنيا وأهل الآخرة، لتعظيم صلة الرحم بين المسلمين،

[1] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم5984، ومسلم في صحيحه برقم2556 واللفظ له.
[2] عن أبي هريرة وأخرجه البخاري في صحيحه مختصرا برقم5988، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند صحيح برقم9871.
[3] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2620 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم1003.

وإن قطعوك فصلهم، وإن حرموك فأعطهم، وإن ظلموك فسامحهم، ألا تحب أن تنال أفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة؟.

فقد روى عقبة بن عامر رضي الله عنه قال { لَقِيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يومًا، فبدَرْتُهُ، فأخذتُ بيدِهِ، أو بدَرَني، فأخَذَ بيدِي، فقال يا عُقبةُ، أَلَا أُخبِرُكَ بأفضلِ أخلاقِ أهلِ الدُّنْيا وأهلِ الآخرةِ؟ تَصِلْ مَن قطَعَكَ، وتُعْطي مَن حرَمَكَ، وتَعْفو عمَّنْ ظلَمَكَ، أَلَا مَن أرادَ أنْ يُمَدَّ لهُ في عُمُرِهِ، ويُبْسَطَ في رِزقِهِ، فَلْيتَّقِ اللَّهَ، وَلْيصِلْ ذا رحِمِهِ }.[1]

وفي حديث ثاني { ألا أدلُّكُم علَى خيرِ أخلاقِ أَهلِ الدُّنيا والآخرةِ ؟ : أن تصِلَ مَن قطعَك، وتُعطِيَ من حرمَكَ، وتعفوَ عمَّن ظلمَكَ }.[2]

وفي حديث ثالث { ألَا أدلُّكَ على أكرمِ أخلاقِ الدُّنيا والآخرةِ أنْ تصِلَ مَنْ قطَعَكَ وتُعْطِيَ من حرمَكَ وأنْ تَعْفُوَ عمن ظلَمَكَ }.[3]

صلة الرحم صدقة وصلة

عندما تعطي أرحامك فإن عطاءك لهم ليس كمثل من تصدقت على أي مسكين أو فقير، فلك فيه أجر وثواب كبير عند الله الكريم، وعندما تتصدق على أرحامك تكون لهم صدقة وصلة، أي ضعف ثوابك على الفقير والمسكين غير الرحم أو الغريب عنك، فهي دعوة من إسلامنا الجميل للتصدق على أولي الأرحام فهم أولى بصدقتك.

فيقول الحبيب ﷺ { الصَّدقةُ على المسْكينِ صدقةٌ، وعلى ذي القرابةِ اثنتان: صدقةٌ وصلةٌ }.[4]

صلة الرحم لك فيها أجران

---

[1] قال شعيب بن الأرناؤوط في تخريج شرح السنة في إسناده ضعف برقم3443.

[2] عن ابن أبي حسين، وقال البيهقي في شعب الإيمان مرسل حسن برقم6/281.

[3] عن على بن أبي طالب، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد فيه الحارث وهو ضعيف برقم8/191، ورواه الطبراني في الأوسط برقم5/364، والبيهقي في الكبرى برقم10/235، وقال الألباني ضعيف في ضعيف الترغيب برقم1467.

[4] عن سلمان بن عامر الضبى، وقال الألباني صحيح في صحيح ابن ماجه برقم1506، وقال صحيح في صحيح النسائي برقم2581، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند صحيح برقم16234.

جاءت زينب امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قالت { سَلْ لنا رسولَ اللهِ ﷺ : أتُجزِئُ عنَّا مِن الصَّدقةِ النَّفقةُ على أزواجِنا وأيتامٍ في حجورِنا ؟ قالت: فدخَل بلالٌ فقال يا رسولَ اللهِ على البابِ زينبُ فقال رسولُ اللهِ ﷺ : { أيُّ الزَّيانِبِ ؟ } قال زينبُ امرأةُ عبدِ اللهِ وزينبُ امرأةٌ مِن الأنصارِ تسألانِ عن النَّفقةِ على أزواجِهما وأيتامٍ في حجورِهما: أيُجزِئُ ذلك عنهما مِن الصَّدقةِ ؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ : { نَعم، لهما أجرانِ: أجرُ القرابةِ وأجرُ الصَّدقةِ }}.[1]

صلهم واعف عنهم

إسلامنا الجميل يدعوك إن قطعت أرحامك وظلموك أن تعفو عنهم ولا تقطع وصلهم، فلك من الله أجر صبرك عليهم وعفوك عنهم كما أخبرنا الحبيب ﷺ فقد { سأل رجلٌ رسولَ اللهِ ﷺ عن حُسنِ الخُلقِ فتلا قولَه تعالَى خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ [الأعراف : 199] ثمَّ قال ﷺ : هو أن تصِلَ من قطعك وتُعطيَ من حرمك وتعفوَ عمَّن ظلمك }.[2]

صلهم ولو أضمروا لك العداوة

إسلامنا الجميل يدعونا للصفح والصلح، وإصلاح النفوس الضعيفة والتي قد تضمر لك العداوة والحقد عليك، لتمتعك بنعم ليست فيهم ولم يتحصلوها، فمن معالجة إسلامنا الجميل لهذه النفوس المريضة أمرنا بالصدقة عليهم وصلتهم وعدم قطعهم وتركهم تأكل العداوة قلوبهم، ولكن قد يكون التصدق عليهم وإهداؤهم جزءا من علاجهم لعل الله يشف صدورهم، فقد كان الحبيب ﷺ يستخدم هذا العلاج مع قرابته من كفار قريش، ومن كان في قلبه مرض من عداوة أو جشع وطمع وغيرها من أمراض القلوب فقد أعطى صفوان بن أمية رضي الله عنه قبل إسلامه غنم كانت بين جبلين، وكان يعطيه النبي ويطلب المزيد حتى طابت نفسه ورضيت بعد ذلك، وشفاها الله من هذه الأمراض، وأصبح مسلما صادقا عاملا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

[1] أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم4248، والطبراني في الأوسط برقم2/345، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد فيه الحجاج بن نصر وثقه ابن حبان وغيره وفيه كلام برقم3/120.

[2] عن جابر بن عبد الله وأنس بن مالك وقيس بن سعد بن عباده وقال العراقي في تخريج الإحياء أسانيده حسان برقم3/61، وقال ابن حجر في الكافي الشاف روى منقطع وموصولا برقم 114 عن أبي بن كعب.

فقد روى صفوان بن أمية رضي الله عنه قال { أَعْطَى رَسولُ اللهِ ﷺ يَومَئذٍ صَفْوَانَ بنَ أُمَيَّةَ مِئَةً مِنَ النَّعَمِ، ثُمَّ مِئَةً، ثُمَّ مِئَةً. قال ابنُ شِهَابٍ: حدَّثَني سَعِيدُ بنُ المُسَيّبِ، أنَّ صَفْوَانَ قال وَاللَّهِ لقَدْ أَعْطَانِي رَسولُ اللهِ ﷺ ما أَعْطَانِي، وإنَّه لأَبْغَضُ النَّاسِ إلَيَّ، فَما بَرِحَ يُعْطِينِي حتَّى إنَّه لأَحَبُّ النَّاسِ إلَيَّ }.[1]

وأعطى حكيم بن حزام رضي الله عنه كذلك عطاءا كثيرا حتى طابت نفسه، فعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال { سَأَلْتُ رَسولَ اللَّهِ ﷺ ، فأعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ، فأعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ، فأعْطَانِي ثُمَّ قال يا حَكِيمُ، إنَّ هذا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فمَن أَخَذَهُ بسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ له فِيهِ، ومَن أَخَذَهُ بإشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ له فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ ولَا يَشْبَعُ، اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، قال حَكِيمٌ: فَقُلْتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، والذي بَعَثَكَ بالحَقِّ لا أَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شيئًا حتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عنْه، يَدْعُو حَكِيمًا إلى العَطَاءِ، فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَهُ منه، ثُمَّ إنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عنْه دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فأبَى أَنْ يَقْبَلَ منه شيئًا، فَقال عُمَرُ: إنِّي أُشْهِدُكُمْ يا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ علَى حَكِيمٍ، أَنِّي أَعْرِضُ عليه حَقَّهُ مِن هذا الفَيْءِ فَيَأْبَى أَنْ يَأْخُذَهُ، فَلَمْ يَرْزَأْ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ رَسولِ اللَّهِ ﷺ حتَّى تُوُفِّيَ }[2].

وطلب منا الحبيب ﷺ تطبيق هذا العلاج الناجع النافع مع الأقارب وذوي الرحم الذين أصابهم هذا المرض العضال الذي يفرق ويمزق الأرحام ويزيد من العداوة والحقد في نفوس ذوي الرحم.

فقد قال الحبيب ﷺ { أفضلُ الصدقةِ الصدقةُ على ذي الرَّحِمِ الكاشِحِ }.[3]

ومعنى الكاشح هو من يضمر العداوة لذوي القرابة والرحم.

فرحمك وذوو قرابتك إن جاءوك فاقبلهم وإن خاصموك فصالحهم، وإن صغروك فكبرهم، وإن اعتذروا فاعذرهم، وإن نصحوك فاقبلهم، وإن أهملوك فصلهم، وإن خذلوك فانصرهم، وإن احتاجوا فأعنهم، وإن افتقروا فأغنهم، وإن مرضوا فداوهم وزرهم، وإن حزنوا فأفرحهم.

وشاركهم أفراحهم وأتراحهم، وتكفل بيتيمهم، فإنها من أقرب القربات لله رب العالمين.

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه برقم2313، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج ابن حبان صحيح برقم4828،.

[2] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم1472 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم1035 مختصرا.

[3] عن أبي أيوب وحكيم بن حزام وأبي سعيد الخدري وأم كلثوم بنت عقبة وأبي هريرة، وقال الألباني صحيح في صحيح الترغيب عن رواية أم كلثوم برقم894، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد عن رواية أم كلثوم رجاله رجال الصحيح برقم3/119، وقد رواه أحمد برقم23530، والطبراني في الأوسط برقم3279 من حديث أبي أيوب، ورواه ابن خزيمة في صحيحه برقم2386 من حديث أم كلثوم، ورواه أحمد في مسنده برقم15320 عن حكيم، وأبو داود نحوه برقم1677، وأحمد برقم8687 عن أبي هريرة.

الباب الثاني

إسلامنا الجميل

و

اليتيم

إسلامنا الجميل واليتيم

في مجتمعنا الإسلامي يكون فينا يتيم قد يكون قريبا أو بعيدا، فكثير من الأسر فيها يتيم أو أكثر وهي من سنن الحياة.

فجاء إسلامنا الجميل ليدافع عن اليتيم ويعطيه حقه كاملا، ويدمجه في المجتمع المسلم ولا يعزله ويجعله عضوا فعالا مشاركا في مجتمعه.

واليتيم هو من فقد أبوه صغيرا، ويظل يطلق عليه اليتيم حتى يبلغ الحلم ويكبر.

واليتيم يحس بفقدان حنان ورعاية وحماية أبيه من صغره، وقد يتولد لديه إحساس بالخوف وعدم الأمان والإحساس بالدونية بين الناس، كما يكون منطويا غير متفاعل، لديه شعور بالخوف غالبا إذا أهُملت رعايته، فإنه ينشأ وكأنه خارج هذا المجتمع، غريب عنه، فلا يتعاون مع الآخرين، ويكون جبانا في مواجهة الشدائد ولا يقوي على المحن، ويكون عالة على المجتمع لا منتجا بل يكون مستهلكا، وهذا أقل الأضرار، وقد ينشأ ناقما على مجتمعه وأقاربه، فيتعامل معهم بعنف زائد وحقد دفين، ولا يكون متعاونا بل جشعا طماعا فيما في أيدي الآخرين، يريد أن يأخذ ما يعتقد أنه حقه المسلوب ونصيبه المنقوص.

وفي الحالتين السالبتين يكون الأقرب إليه من رحمه وأقاربه وجيرانه وباقي مجتمعه، ثم دولته التي قصرت في حقه ، فكلنا مسؤولون عن هذا التقصير، حيث أنتج هذه الشخصية الغير متعاونة والغير منتجة والغير بناءة في هذا المجتمع، والذي يولد لديه إحساس بالغربة وأنه غريب عنه.

ولذا في إسلامنا الجميل عناية فائقة واهتمام بالغ بهذا اليتيم، ففي إسلامنا الجميل الجميع مشاركون في تربية هذا اليتيم ورعايته، والكل يتسابق في كفالته، فينشأ سليم النفس والروح ويكون عضوا عاملا نافعا فعالا منتجا في مجتمعه.

وقرآننا الجميل ملئ بالآيات التي تحدثت عن اليتيم، وقد ورد ذكر اليتيم في القرآن الكريم ثلاثاً وعشرين مرةً في مواضع مختلفة.

حقه في الكفالة

فقد اهتم إسلامنا الجميل بكفالته، فهي أول ما يقابل اليتيم من مشاكل بعد وفاة والده، فإذا تكفل به أولياؤه وأحسنوا إليه يكون لهم خيرا كثيرا، فكثير من البيوت التي تأوي يتيم يتكفلون به على غير رضاهم ورغبتهم بل فقط لأنهم الأقرب إليه من غيرهم وتحميل كفالة اليتيم عليهم، فيسيئون إليه ويعاملونه كالخادم المنبوذ في وسطهم.

فاليتيم الحبيب ﷺ مات أبوه قبل أن يولد، فكفله جده عبد المطلب بعد سن السادسة من عمره ﷺ بعد موت أمه، ثم كفله عمه أبو طالب بعد موت جده، وهو في سن الثمانى سنوات ودافع عنه طوال حياته حتى مات، ولحكمة من الله لم يدخل الإسلام.

ولما مات جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ابن عم الحبيب ﷺ تعهد ﷺ بأولاده، وضمهم إلى بيته، وروى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب { فجاءت أمُّنا فذكرت يُتمَنا فقال العَيلةَ تخافينَ عليهم وأنا وليُّهم في الدنيا والآخرةِ }.[1]

والكفالة من كفل ومعناها ضم اليتيم إلى من يقوم على رعايته كما ضم جد النبي وعمه إليه وشمله بالرعاية الكاملة، ومن معانيها ضمان اليتيم في الطعام والشراب والمأوى والتعليم والإنفاق عليه، وكل ما يشمل حياة كريمة له حتى يكبر.

فالله سبحانه وتعالى تكفل برسوله ﷺ وحفظه من شر النفس وأمراضها فقال الله له ﴿ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ١١﴾.[2]

ويحث الله الكريم رسوله الحبيب ﷺ ونحن معه ويذكره، فكما آواك وهداك وأغناك فلا تقهر اليتيم، أي لا تهنه ولا تذله ولا تنهره، وكذلك السائل، وكن لليتيم كالأب الحنون الرحيم الذي يحنو على ولده ويرعاه ويخاف عليه.

فقام الحبيب ﷺ بدعوة العالمين لإكرام اليتيم ورعايته وكفالته، والحفاظ على حقوقه كاملة.

وجاء ديننا الجميل ليدافع عن الضعفاء :المرأة واليتيم والمسكين في كل مكان وزمان.

---

[1] قال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح على شرط مسلم برقم1750، وقال الألباني في أحكام الجنائز إسناده صحيح على شرط مسلم برقم209، ورواه النسائي في السنن الكبرى برقم8604.

[2] سورة الضحى الآية 6 – 11.

وأحاديث الحبيب ﷺ عن كفالة اليتيم متعددة ومنها:-

قوله ﷺ { كافِلُ اليَتِيمِ له، أوْ لِغَيْرِهِ أنا وهو كَهاتَيْنِ في الجَنَّةِ وأَشارَ مالِكٌ بالسَّبَّابَةِ والْوُسْطَى }[1].

قوله ﷺ { أنا وَكافلُ اليتيمِ في الجنَّةِ كَهاتين، وأشارَ بأصبُعَيْهِ يعني : السَّبَّابةَ والوسطى }.[2]

قوله ﷺ في رواية آخرى { أنا وكافِلُ اليَتِيمِ في الجَنَّةِ هَكَذا وقال بإصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ والوُسْطَى }.[3]

وهذا الحديث الشريف الجميل { أنا وكافل اليتيم في الجنة } روى عن أكثر من صحابي منهم أم المؤمنين عائشة، وأبو هريرة وسهل بن سعد وزيد بن أسلم وأبو أمامة الباهلى، رضي الله عنهم أجمعين، وكلها روايات صحيحة.

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يكفلون اليتامى والأرامل في مجتمع المدينة، فما من زوجة مات زوجها وعندها أولاد يتامى إلا وسارع الصحابة من الزواج منها لكفالتها وكفالة الأيتامها، كما فعل سيد الخَلق وأحسنهم خُلقا ﷺ عندما تزوج بأم سلمة رضي الله عنها وكفل أيتامها الأربعة بعد استشهاد زوجها.

حقه في الإحسان

دعا إسلامنا الجميل إلى الإحسان إلى اليتيم كي لا يشعر بالغربة والوحشة بين أقربائه والمجتمع، فقال تعالى في كتابه الكريم ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾.[4]

كما وصى ربنا بني إسرائل ألا يشركوا بالله، وعطف بالإحسان على اليتامى والمساكين، وأن ويحسنوا إلى الناس، فلم ينفذوا أوامر الله، فوصانا ربنا ـ ونحن أولى بالوصية وبأوامر الله الكريم أن نقوم عليها ـ،

[1] عن أبي هريرة وأخرجه مسلم في صحيحه برقم2983، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم4448.
[2] عن مرة الهمدانى وأخرجه البخاري في الأدب المفرد وقال الألباني صحيح في الأدب المفرد برقم100، وقال صحيح في صحيح الترمذي برقم1918.
[3] عن سهل بن سعد وأخرجه البخاري في صحيحه برقم6005 واللفظ له، وابن حبان في صحيحه برقم460.
[4] سورة النساء الآية 36.

فقال سبحانه ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾.[1]

ويشمل الإحسان، البر إلى اليتيم والقيام بكل أعمال الخير له والذي شملته الآية الكريمة ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾.[2]

وقول أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه { أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال مَن مَسَحَ رَأسَ يَتيمٍ لم يَمسَحْه إلَّا للهِ، كان له بكلِّ شَعرةٍ مَرَّتْ عليها يدُه حَسناتٌ، ومَن أحسَنَ إلى يَتيمةٍ أو يَتيمٍ عندَه، كنتُ أنا وهو في الجنَّةِ كهاتَينِ، وقَرَنَ بيْنَ إصبَعَيه: السَّبَّابةِ والوُسطى }.[3]

وحديث الحبيب الجميل ﷺ قال { خَيْرُ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُحْسَنُ إِلَيْهِ، وَشَرُّ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُسَاءُ إِلَيْهِ" ثُمَّ قال بِأُصْبُعِهِ: "أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا }.[4]

حقه في الإكرام

يقول ربنا الكريم محذرا ﴿ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ١٧ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾.[5]

فهو أمر من الله بإكرام اليتيم الذي يحتاج إليه ممن حوله، سواء كانوا من أقاربه أو جيرانه أو مجتمعه.

ويربط ربنا الرحمن الإيمان به بالذي يحسن إلى اليتيم، فالذي ينكر الجزاء والحساب يوم القيامة، هو من يقهر اليتيم ويظلمه حقه، فلو خاف الله واتقاه في اليتيم ما ظلمه ودفعه وأذاه.

فقال تعالى محذرا المسلمين ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ٢ ﴾.[1]

---

[1] سورة البقرة الآية 83.
[2] سورة البقرة الآية 177.
[3] قال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند صحيح لغيره دون الشطر الأول منه بقصة المسح على رأس اليتيم برقم22153، وقال الألباني ضعيف في ضعيف الترغيب برقم1513، ورواه الطبراني برقم7821 ورقم8/239، ورواه ابن المبارك في الزهد برقم655.
[4] عن أبي هريرة وقال الألباني ضعيف إلا جملة كافل اليتيم فهي صحيحة في ضعيف الأدب المفرد برقم26، وقال ضعيف في ضعيف الجامع برقم2905، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج شرح السنة فيه يحى بن أبي سليم لين الحديث برقم3455.
[5] سورة الفجر الآية 17 – 18.

وآية آخرى يخبرنا الله بصفة يحبها الله في المؤمنين وهي صفة الكرم، الذين يبذلون الطعام حبا ويتصدقون كرما على المسكين واليتيم والأسير، طاعا لله وطلبا لرضاه فيقول سبحانه في حقهم ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾.[2]

ومن إكرام الله لليتيم أرسل سبحانه من يحفظ مال اليتيمين من الضياع والسرقة، وكان منهما رسول من أولى العزم من الرسل وهو موسى عليه وعلى رسولنا الصلاة والسلام والآخر عبد صالح أعطاه الله العلم والحكمة، قاما ببناء السور الذي تحته كنز الغلامين اليتيمين، وذلك لأن والدهما كان صالحا، وأن أهل قريتهم ليسوا أمناء وبخلاء، وتكريما لليتيمين وعظم حقهما على الله العليم، فيقول لنا ربنا سبحانه العليم ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾.[3]

ومن إكرام الله لليتامى أن إذا لم يكن لهم حق في الميراث، وحضروا قسمة ميراث أقاربهم، أكرمهم الله أن جعل لهم من هذا الميراث إما صدقة يخرجها أهل الميراث لهم تطييبا لخاطرهم جبرا لكسرهم، أو يكون لهم وصية واجبة يوصي بها المورث قبل مماته أو إذا ارتضى الورثة في إخراج ثلث التركة أو أقل من الثلث لهؤلاء اليتامى المساكين، وقد يكونون من أقرب الأقرباء مثل أولاد إخوتهم أو أخواتهم المتوفين الذين ليس لهم ميراث يغنيهم، جبرا لخاطرهم وترضيتهم وإسعادهم وإدخال السرور عليهم.

فيقول ربنا الرحيم ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ٨ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ١١٠ ﴾.[4]

حقه في ماله

إسلامنا الجميل حافظ على مال اليتيم، فرغم ضعفه وعدم وجود نصير له يحميه ويحافظ على ماله، فإن إسلامنا الجميل هو من دافع عنه وحمى ماله من السرقة والنهب والضياع.

---

[1] سورة الماعون الآية 1 – 2.
[2] سورة الإنسان الآية 8.
[3] سورة الكهف الآية 82.
[4] سورة النساء الآية 8 – 10.

ويحذرنا ربنا الحكيم العليم من أموال اليتامى ألا نسرقها وننهبها ونبددها فيما لا ينفع اليتيم، فقال سبحانه في قرآنه الكريم ﴿ وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ﴾.[1]

فكثيرا ما تضيع أموال اليتيم نتيجة اختلاط أمواله مع أموال من يكفله، فيجير عليه ويسرقه، ويبدل أمواله أو حقوقه الخبيثة من أموال اليتيم، كمثل الذى يقسم ويأخذ أطايب ثمار الحديقة ويبقى لليتيم أخبثها وأفسدها، أو عندما يتاجر في أموال اليتيم مع أمواله فإذا خسر يعتبرها من مال اليتيم وهكذا من صور سرقة أموال اليتيم وأكل حقوقه.

وفي آية آخرى يأمرنا الله الحسيب الجليل أن نرد أموال اليتامى عندما يبلغون سن الرشد ولا نأكلها عليهم أو ننفقها بسفه حتى تفنى، فيقول سبحانه وتعالى ﴿ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴾.[2]

وآية ثالثة يحذرنا الله من أكل أموال اليتامى ظلما فيقول سبحانه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ﴾.[3]

صورة بشعة يحذرنا منها ربنا سبحانه وتعالى، أن مال اليتيم نار تأكلها في بطنك، فاتق الله واحذر مال اليتيم.

وأية رابعة يحذرنا مرة آخرى من أكل أموال اليتيم ولا نأخذ منها إلا بالحق، فيقول ربنا سبحانه ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾.[4]

[1] سورة النساء الآية 2.
[2] سورة النساء الآية 6.
[3] سورة النساء الآية 10.
[4] سورة الأنعام الآية 152.

وآية خامسة يحذرنا ربنا العليم من سرقة مال اليتيم، وخاصة الوصي عليه وعلى ماله، فلينفق بالمعروف، حتى إذا بلغ رشده رد إليه أمواله، فمن الوفاء بالعهد حفظ مال اليتيم، فيقول سبحانه ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾.[1]

فهي وصية من الله إلى أوصياء اليتيم ألا يقرب مال اليتيم ولا يأكل منه أو يأخذ منه إلا بالمعروف والعدل، ولا يبدده بالباطل، فإذا بلغ اليتيم رشده وأراد أخذ ماله لا يجده، وقد فنيَ من إهمال وسرقة ماله.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه { عن رسولِ اللهِ ﷺ أنَّه كان يقولُ على المِنبرِ: { أُحرِّجُ مالَ الضَّعيفَيْنِ: اليتيمِ والمرأةِ }}.[2]

ومعنى أُحرّجُ أي أضيق على الناس وأشدد عليهم وأحذرهم من الوقوع في ظلم أكل مال اليتيم وحرمان المرأة من حقها المالى.

ويقول الحبيب ﷺ { اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقاتِ، قالوا: يا رَسولَ اللهِ وما هُنَّ؟ قال الشِّرْكُ باللهِ، والسِّحْرُ، وقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ اللهُ إلَّا بالحَقِّ، وأَكْلُ الرِّبا، وأَكْلُ مالِ اليَتِيمِ، والتَّوَلِّي يَومَ الزَّحْفِ، وقَذْفُ المُحْصَناتِ المُؤْمِناتِ الغافِلاتِ }.[3]

وفي رواية آخرى يقول الحبيب ﷺ { الكبائِرُ تِسْعٌ، أعظمُهُنَّ الإشراكُ بِاللهِ، وقتلُ النفسِ بِغيرِ حقٍّ، وأكلُ الرِّبا، وأكلُ مالِ اليتيمِ، وقذْفُ المحصَنَةِ، والفِرارُ يومَ الزَّحْفِ، وعُقوقُ الوالِدَيْنِ، واسْتحلالُ البيتِ الحرامِ، قِبلتِكمْ أحياءً وأمْواتًا }.[4]

يقول الحبيب ﷺ محذرا { اتقوا اللهَ في الصلاةِ، اتقوا اللهَ في الصلاةِ، اتقوا اللهَ في الصلاةِ، اتقوا اللهَ فيما ملَكَتْ أيمانُكُمْ، اتقوا اللهَ في الضَّعِيفَيْنِ : المرأةِ الأرملةِ، والصبيِّ اليتيمِ }.[5]

وكان الصحابة رضوان الله عليهم وقافين عند حدود الله مسارعين في تطبيق أوامره وسنة رسوله، فعنِ ابنِ عبَّاسٍ قال : لمَّا أنزلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ وَ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ

---

[1] سورة الإسراء الآية 34.

[2] أخرجه ابن حبان في صحيحه وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده حسن برقم5565.

[3] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2766، ومسلم في صحيحه برقم89.

[4] عن عمير بن قتاده الليثي وقال الألباني حسن في صحيح أبي داود برقم2875، وقال حسن في صحيح الجامع برقم4605، كما رواه النسائي في سننه برقم4012 باختلاف يسير.

[5] عن أنس بن مالك وقال الألباني ضعيف في ضعيف الجامع برقم118.

يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا ﴾ الآيةَ انطلقَ مَن كانَ عندَهُ يَتيمٌ فعزلَ طعامَهُ مِن طعامِهِ وشرابَهُ مِن شرابِهِ فجعلَ يَفضُلُ مِن طعامِهِ فَيحبِسُ لَه حتَّى يأكلَهُ أو يفسدَ فاشتدَّ ذلِكَ علَيهِم فذَكروا ذلِكَ لرَسولِ اللَّهِ ﷺ فأنزلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ﴾ فخلَطوا طعامَهم بطعامِهِ وشرابَهم بشرابِه }.[1]

وحافظ إسلامنا الجميل على أموال اليتيم، فأمر الوصي عليه أن يستثمر أمواله وينميها له حتى يكبر، ولا يتركها مخزنة وتبقى تحت نصاب الزكاة ويخرج منها الزكاة حتى تصغر فتتآكل ولا يبقى لليتيم إلا الفتات .

فقال الحبيب ﷺ { ابتغوا في مالِ اليتيمِ أو في مالِ اليَتَامَى لا تُذهبُها أو لا تَستأصلُها الصدقةُ }.[2]

وفي رواية آخرى { ابتغُوا في مالِ اليتيمِ أو في أموالِ اليتامَى لا تُذهِبُها أو لا تُهلِكُها الصدقةُ }.[3]

{ إنَّ عمرَ بنَ الخطابِ رضيَ اللهُ عنه قال : ابتغُوا في أموالِ اليتامَى لا تَأكلُها الصدقةُ }.[4]

ولعظم مسؤولية مال اليتيم حذر منها الحبيب ﷺ أبى ذر رضي الله عنه وكل من لا يستطيع تحمل مسؤولية مال اليتيم، فخاف عليه الحبيب ﷺ أن يتولى هذه المسؤولية الصعبة فلا يستطيع أداءها فتكون خطرا عليه أمام الله عز وجل وقال له { يا أبا ذَرٍّ، إنِّي أراكَ ضَعِيفًا، وإنِّي أُحِبُّ لكَ ما أُحِبُّ لِنَفْسِي، لا تَأَمَّرَنَّ علَى اثْنَيْنِ، ولا تَوَلَّيَنَّ مالَ يَتِيمٍ }.[5]

حقه في الإنفاق عليه

أفضل سبل الإنفاق في إسلامنا الجميل هي الإنفاق على الوالدين والأقارب واليتامى والمساكين والمسافر المحتاج أو الضيف الذي يدخل بيتك فتكرمه.

فالإنفاق على اليتيم يدخل في أفضل طرق الإنفاق، فقد يكون والداك وأقرباؤك أغنياء فلا يحتاجون للإنفاق عليهم، فابحث عن يتيم محتاج، تدخل في هذه الأفضلية وهذه الخيرية من الله العليم الخبير.

---

[1] قال الألباني حسن في صحيح أبي داود برقم2871 واللفظ له، وقال حسن في صحيح النسائي برقم3671.
[2] عن يوسف بن ماهك المكي وقال الألباني مرسل ورجاله ثقات في إرواء الغليل برقم3/259.
[3] عن يوسف بن ماهك المكي وقال البيهقي مرسل وروى مرفوعا في السنن الكبرى برقم4/107، وبرقم6/2.
[4] رواه البيهقي في السنن الكبرى وقال إسناده صحيح وله شواهد برقم 4/107.
[5] عن أبي ذر، أخرجه مسلم في صحيحه برقم1826، وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم2868.

فقال الله سبحانه وتعالى ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴾.[1]

ويحدثنا ربنا الكريم في الإنفاق على اليتيم وإطعامه، ويدلنا على أنها باب من أبواب العتق من النار فيقول سبحانه ﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ١١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ١٤ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ١٥ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ١٦ ﴾.[2]

وآية آخرى يخبرنا الله بصفة يحبها الله في المؤمنين الذين يبذلون الطعام حبا ويتصدقون به على المسكين واليتيم والأسير طاعة لله وطلبا لرضاه فيقول في حقهم ﴿ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ﴾.[3]

وقال الحبيب ﷺ لأبي الدرداء رضي الله عنه { أَدْنِ اليَتيمَ مِنكَ، وأَلطِفْهُ، وَامسحْ برأسِهِ، وَأطعِمْه مِن طَعامِك؛ فإنَّ ذلكَ يُلِيِّنُ قلبَكَ، ويُدرِكُ حاجَتَك }.[4]

ويدعو الحبيب ﷺ للإنفاق على اليتيم فيقول { وإنَّ هذا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَنِعْمَ صَاحِبُ المُسْلِمِ ما أعْطَى منه المِسْكِينَ واليَتِيمَ وابْنَ السَّبِيلِ }.[5]

ويكون الإنفاق على اليتيم في كل شيء : إيوائه وطعامه وشرابه وكسوته وعلاجه وتعليمه.

فيقول الحبيب ﷺ { مَن آوى يتيمًا أو يتيمَينِ، ثمَّ صبرَ واحتسَبَ، كنتُ أَنا وَهوَ في الجنَّةِ كَهاتَين، وحوَّلَ إصبُعَيْهِ : السَّبَّابةَ والوُسطى }.[6]

حقه في الفيئ

إسلامنا الجميل ضامن حق اليتيم وإن ظلمه أولياؤه والمجتمع، فقد أوجب على الدولة كفالته، كما كفل رسولنا الحبيب ﷺ الأيتام في مجتمع المدينة.

---

[1] سورة البقرة الآية 215.
[2] سورة البلدالآية11- 15.
[3] سورة الإنسان الآية 8.
[4] عن أبي الدرداء وقال الألباني حسن في صحيح الجامع برقم250، ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق برقم661.
[5] عن أبي سعيد الخدري، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم1465، ومسلم في صحيحه برقم1052.
[6] عن عبد الله بن عباس وقال الألباني ضعيف في السلسلة الضعيفة برقم2809، وضعيف في ضعيف الجامع برقم5317، ورواه الطبراني في الأوسط برقم8477.

فقد أفاء الله على رسوله أرضا ومالا، وأعطاه الله الكريم نصيبه من الغنائم، أنفق منها حبيبنا ﷺ على الأيتام، والأرامل اللاتي لم يتزوجن بعد وفاة أزواجهن، وكن فقراء، فكفاهن الحبيب ﷺ ، وكما أمره الله الرحمن الرحيم.

(فالفيء: كلّ مَالٍ أُخِذَ مِنَ الْكُفَّارِ بِغَيْرِ قِتَالٍ وَلَا إِيجَافِ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ).[1]

فقد قال الله سبحانه وتعالى أعطوا اليتامى من غنائم النصر الذي فتحه الله عليكم ولا تنسوهم فيقول سبحانه ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾.[2]

كما قال لرسوله ﷺ في الفيئ ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾.[3]

ولذلك في أيامنا الحالية، فالدولة في المجتمع إسلامنا الجميل ملزمة بكفالة الأيتام ورعايتهم، هم وأمهاتهم الأرامل، حفظا للمجتمع وكيانه القوي .

حق اليتيمة

لليتيمة حق مميز في إسلامنا الجميل، فمع حقوق اليتيم الكثيرة المذكورة سابقا، فإن لليتيمة حقوق آخرى زيادة، فقد اهتم بها أكثر، فهي أكثر ضعفا من اليتيم وأكثر يتما منه، وأكثر احتياجا للرعاية والعناية عنه حتى تكبر وتتزوج.

فقد قال الحبيب ﷺ في حفظ حقها وكرامتها، فهي يتيمة وأنثى { اللَّهمَّ إنِّي أحرِّجُ حقَّ الضَّعيفينِ: اليتيمِ، والمرأةِ }.[4]

---

[1] تفسير ابن كثير، تفسير سورة الحشر الآية 7.
[2] سورة الأنفال الآية 41.
[3] سورة الحشر 7.
[4] عن أبي هريرة وقال الألباني حسن في صحيح ابن ماجه برقم2982، وحسن في صحيح الجامع برقم2447، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج مسند أحمد إسناده قوي برقم9666.

فكرم من يكفلها سواء كانت أمها التي لم تتزوج من أجلها، أو أخواتها الكبار، أم كان وليها الذي أحسن إليها، ففي إسلامنا الجميل لا تضيع أجر الأعمال الصالحة في الدنيا والآخرة.

فقد قال الحبيب ﷺ في حق الأم التي لديها يتيمة أو أيتام { أنا وامرأةٌ سَفْعاءُ الخَدَّيْنِ كهاتَيْنِ يومَ القيامةِ (وأومأ يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ بالوُسْطَى والسَّبَّابةِ) : امرأةٌ آمَتْ من زوجِها ذاتُ مَنْصِبٍ وجَمالٍ، حَبَسَتْ نفسَها على يتاماها، حتى بانوا أو ماتوا }.[1]

لها حق في اختيار الزوج

إسلامنا الجميل حمى اليتيمة وأعطاها حقها، فلم يسمح بزواجها إلا بموافقتها، فكثيرا ما يحاول وليها إجبارها على الزواج منه ليمنعها من استلام حقها في مالها، فيتزوجها ويضم مالها المنهوب إلى ماله غصبا واغتصابا، فحمى إسلامنا الجميل اليتيمة من جشع وليها.

فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وعن أبيها { أنَّ رَجُلًا كَانَتْ له يَتِيمَةٌ فَنَكَحَهَا، وكانَ لَهَا عَذْقٌ، وكانَ يُمْسِكُهَا عليه، ولَمْ يَكُنْ لَهَا مِن نَفْسِهِ شيءٌ فَنَزَلَتْ فِيهِ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أنْ لا تُقْسِطُوا في اليَتَامَى﴾ أحْسِبُهُ قال كَانَتْ شَرِيكَتَهُ في ذلكَ العَذْقِ وفي مَالِهِ }.[2]

وروى التابعي الحسن البصري رحمه الله { أنَّ رجلًا قال يا رسولَ اللهِ إنَّ عندي يتيمةً أفأَتَزَوَّجُها ؟ قال أرأيتَ لو كانت قبيحةً لا مالَ لها أكنتَ تَزوَّجتَها ؟ قال لا، قال فخِرْ لها }.[3]

وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال في اليتيمةِ لا تُنكحُ إلَّا بإذنِها وفي الحديثِ قصَّة، وقصتها { تُوفِّيَ عثمانُ بنُ مظعونٍ وترك ابنةً له من خويلةَ بنتِ حكيمِ بنِ أميةَ بنِ حارثةَ بنِ الأوقصِ قال وأوصى إلى أخيهِ قدامةَ بنِ مظعونٍ قال عبدُ اللهِ وهما خالايَ قال فخطبتُ إلى قُدامةَ بنِ مظعونٍ ابنةَ عثمانَ بنِ مظعونٍ فزوَّجنيها ودخل المغيرةُ بنُ شعبةَ يعني إلى أمِّها فأرغبها في المالِ فحطَّت إليه وحطَّت الجاريةُ إلى هوى أمِّها فأبَيا حتى ارتفعَ أمرُهما إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال قدامةُ بنُ مظعونٍ: يا رسولَ اللهِ ابنةُ أخي أوصى بها إليَّ فزوَّجتها ابنَ عمَّتِها عبدَ اللهِ بنَ عمرَ فلم أقصرْ بها في الصلاحِ ولا في الكفاءةِ ولكنها

[1] عن عوف بن مالك الأشجعي وقال الألباني ضعيف في السلسلة الضعيفة برقم1122، وضعيف في الأدب المفرد برقم28، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج أبي داود حسن لغيره برقم5149، وقال في تخريج المسند حسن لغيره إن شاء الله برقم24006.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه برقم4573.

[3] عن الحسن البصري وأورده أبو داود في المراسيل برقم209 ص 183

امرأةٌ وإنما حطَّت إلى هوى أمِّها قال : فقال رسولُ اللهِ ﷺ : هي يتيمةٌ ولا تُنكحُ إلا بإذنِها قال فانتُزِعَت واللهِ مني بعدَ أن ملكتُها فزوَّجوها المغيرةَ بنَ شعبةَ }.[1]

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال { جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله عندنا يتيمة خطبها رجلان موسر ومعسر، وهي تهوى المعسر ونحن نهوى الموسر، فقال رسول الله ﷺ: لم ير للمتحابين مثل النكاح }.[2]

ويحذرنا ربنا الرحيم من قهر اليتامى في الزواج من أوليائهم والقائمين على رعايتهم فيقول ربنا سبحانه ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾.[3]

ويستفتي المسلمون رسول الله ﷺ في يتامى النساء الذين يريدون زواجهن ولا يعطينهن أموالهن حتى لا يشارك وليها ووارثها أموالها مع أحد غريب عنها وليس قريبا لها، فيقول ربنا سبحانه محذرا أولياء اليتيمة والورثة لها ﴿ وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا ﴾.[4]

{ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ إلى قَوْلِهِ ﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ قالتْ عَائِشَةُ: هو الرَّجُلُ تَكُونُ عِنْدَهُ اليَتِيمَةُ هو وَلِيُّهَا ووَارِثُهَا، فأَشْرَكَتْهُ في مَالِهِ حتَّى في العَذْقِ، فَيَرْغَبُ أَنْ يَنْكِحَهَا ويَكْرَهُ أَنْ يُزَوِّجَهَا رَجُلًا، فَيَشْرَكُهُ في مَالِهِ بما شَرِكَتْهُ فَيَعْضُلُهَا، فَنَزَلَتْ هذِه الآيَةُ }.[5]

وحديث آخر يفسر هذه الآية الكريمة { عن عروةُ بنُ الزُّبير أنَّهُ سألَ عائشةَ زوجَ النَّبيِّ ﷺ عن قولِ اللَّهِ تعالى وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ قالت يا ابنَ أختي هيَ اليتيمةُ تَكونُ في حجرِ وليِّها فتشارِكُه في مالِه فيعجبُه مالُها وجمالُها فيريدُ وليُّها أن يتزوَّجَها بغيرِ أن يقسطَ في صداقِها فيعطيَها مثلَ ما يعطيها غيرُه فنُهوا أن ينكحوهنَّ إلَّا أن يقسطوا لَهنَّ ويبلغوا بِهنَّ أعلى سنَّتِهنَّ منَ

---

[1] قال أحمد شاكر في مسند أحمد إسناده صحيح برقم9/7، وقال الألباني في إرواء الغليل إسناده حسن برقم6/233.

[2] رواه المتقي الهندي في كنز العمال برقم45597 عن ابن النجار في تاريخ بغداد، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم5200، وصحيح في صحيح ابن ماجه برقم1509.

[3] سورة النساء الآية 3.

[4] سورة النساء الآية 127.

[5] عن عروة بن الزبير والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم4600، ومسلم في صحيحه برقم3018.

الصَّداقِ وأمروا أن ينكحوا ما طابَ لَهم منَ النِّساءِ سواهنَّ قال عروةُ قالت عائشةُ ثمَّ إنَّ النَّاسَ استفتوا رسولَ اللَّهِ ﷺ بعدَ هذِه الآيةِ فيهنَّ فأنزلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ ويستفتونَك في النِّساءِ قلِ اللَّهُ يفتيكم فيهنَّ وما يتلى عليكم في الكتابِ في يتامى النِّساءِ اللَّاتي لا تؤتونَهنَّ ما كتبَ لَهنَّ وترغبونَ أن تَنكحوهنَّ قالت والَّذي ذَكرَ اللَّهُ أنَّهُ يتلى عليهم في الكتابِ الآيةُ الأولى الَّتي قال اللَّهُ سبحانَه فيها وإن خفتُم ألَّا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طابَ لَكم منَ النِّساء قالت عائشةُ وقولُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ في الآيةِ الآخرةِ وترغبونَ أن تَنكحوهنَّ هيَ رغبةُ أحدِكم عن يتيمتِه الَّتي تَكونُ في حجرِه حينَ تَكونُ قليلةَ المالِ والجمالِ فنُهوا أن ينكحوا ما رغبوا في مالِها وجمالِها من يتامى النِّساءِ إلَّا بالقسطِ من أجلِ رغبتِهم عنهنَّ قال يونسُ وقال ربيعةُ في قولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ وإن خفتُم ألَّا تقسطوا في اليتامى قال يقولُ اترُكوهنَّ إن خفتُم فقد أحللتُ لَكم أربعًا }.[1]

اتق الله في اليتيم

إسلامنا الجميل يحذرنا من قسوة قلوبنا على اليتامى الضعفاء الذين ينتظرون منا كلمة طيبة أو نظرة إحسان، فقد فقدوا الأنيس والجدار الحصين والقلب الرحيم، فيخبرنا ربنا كيفية التعامل مع هؤلاء المساكين فيقول ربنا الرحيم ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.[2]

فخالطوا أيتامكم وعاملوهم كإخوانكم وأحسنوا معاملتهم، فالله الخبير بكم يعلم المفسد منكم من المصلح، ويعلم المفسد الذي في نيته الإفساد والظلم لليتيم، ويعلم سبحانه العليم المصلح الذي يريد لليتيم الخير والبركة كما يعامل أولاده.

فعنِ عبد الله بنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال : لمَّا أنزلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وَ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾ الآيةَ انطلقَ مَن كانَ عندَهُ يَتيمٌ فعزلَ طعامَهُ مِن طعامِهِ وشرابَهُ مِن شرابِهِ فجعلَ يَفضُلُ مِن طعامِهِ فَيحبِسُ لَه حتَّى يأكلَهُ أو يفسدَ فاشتدَّ ذلِكَ علَيهِم فذَكروا ذلِكَ لرَسولِ اللَّهِ ﷺ فأنزلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ فخلَطوا طعامَهم بطعامِهِ وشرابَهم بشرابِه }.[3]

---

[1] والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2494، ومسلم في صحيحه برقم3018.

[2] سورة البقرة الآية 220.

[3] قال الألباني حسن في صحيح أبي داود برقم2871، وأحمد شاكر في عمدة التفاسير وقال في المقدمة إلى صحته برقم1/264، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده ضعيف برقم3000 مختصرا.

اليتيم علاج لقسوة القلب

وإكرام اليتيم علاج ناجح لقسوة القلب فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه { أنَّ رجلًا شكا إلى رسولِ اللهِ ﷺ قسوةَ قلبِه فقال امسَحْ رأسَ اليتيمِ وأطعِمِ المسكينَ }.[1]

وفي رواية ثانية تثبت الأولى { إنْ أردْتَ تَلْيينَ قلبِكَ، فَأَطْعِمْ المِسْكِينَ، وامْسَحْ رَأْسَ اليَتِيمِ }.[2]

وفي رواية ثالثة { أتحبُّ أن يلينَ قلبُك، وتُدْرِكَ حاجتَكَ ؟ ارحَمِ اليتيمَ، وامسَح رأسَه، وأطْعِمْه من طَعامِك، يَلِنْ قلبُك، وتُدْرِكْ حاجتَكَ }.[3]

وهو حل جميل لقسوة القلب فشارك اليتيم طعامك وشرابك وامسح رأسه بحنان وارحم يتمه وفقده أباه، هنا ستدرك نعمة ربك عليك وعلى أولادك، وأنك لم تفقد أباك ولم تتيتم ولم يتيتم أولادك، فيلين قلبك ويرق حالك، وتدرك حاجتك التي تتعطل وتتآخر، لعله بقسوة قلبك وعدم إحساسك باليتيم.

اليتيم سبيل للنجاة من النار

آية جليلة في قرآننا العظيم يحدثنا ربنا الرحيم عن من ينجيهم الله من عقبات نار جهنم، وهم الذين يتكرمون بعتق الرقاب والإنفاق في سبيل الله، وإطعام اليتيم ذو القرابة والرحم، والمسكين ذو الحاجة الشديدة الذي ليس له مأوى يؤويه أو طعام يكفيه، فيقول ربنا الرحيم ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾.[4]

ويقول الحبيب ﷺ { أنا وكافِلُ اليَتِيمِ في الجَنَّةِ هَكَذا وقال بإصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ والوُسْطَى }.[5]

احفظ أولادك من محنة اليتم

---

[1] قال الألباني في تخريج مشكاة المصابيح روى بإسنادين أحدهما رجاله رجال الصحيح والآخر فيه رجل لم يسم برقم4930، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح برقم8/163، ورواه أحمد باختلاف يسير برقم7576

[2] قال الألباني في السلسلة الصحيحة رجاله ثقات برقم854، وقال في صحيح الجامع حسن برقم1410، وقال أحمد شاكر في مسند أحمد إسناده ضعيف برقم14/11.

[3] عن أبي الدرداء، قال الألباني في صحيح الجامع صحيح برقم80، وقال في السلسلة الصحيحة فيه صاحب معمر مع جهالته ما أظن أنه أدرك أبا الدرداء برقم2/508، وقال في صحيح الترغيب حسن لغيره برقم2544.

[4] سورة البلد الآية 11- 16.

[5] عن سهل بن سعد وأخرجه البخاري في صحيحه برقم6005 واللفظ له، وابن حبان في صحيحه برقم460.

في إسلامنا الجميل طريق قويم وجميل لحفظ الأولاد من محنة اليتم، ومن ألمه وظلمه، فإن خفت عليهم من بعدك فاتق الله سبحانه وتعالى ﴿ وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا ٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرًا ١٠﴾.[1]

وأوص لورثتك، الأيتام من بعدك، بالعدل والإحسان، كما لو كنت تقسم لأيتام آخرين ليسوا بأولادك، ولا توص بوصية جائرة تحرم فيها أيتامك أو تظلم منهم أحد.

وإن خفت عليهم من بعدك فكن في الدنيا على طريق التقوى والخشية، حتى يبارك لك الله الكريم في أولادك في حياتك وآخرتك.

[1] سورة النساء الآية 9 – 10.

الباب الثالث

إسلامنا الجميل

والفقير والمسكين

إسلامنا الجميل والفقير والمسكين

عالج إسلامنا الجميل الفروق الطبيعية بين طبقات المجتمع سواء كان المسلم أو الغير مسلم، والغني والفقير، والقوي والضعيف، ودافع عن الجانب الضعيف في المجتمعات، فقد جاء ليدافع عن المرأة والضعفاء والفقراء والمساكين والخدم والأجُراء والعمال وكل مستضعف في الأرض.

فقال الحبيب ﷺ { اللَّهمَّ إنِّي أحرِّجُ حقَّ الضَّعيفينِ: اليتيمِ، والمرأةِ }.[1]

وجاء إسلامنا الجميل ليمنع تغول الأغنياء على الفقراء، وجور أصحاب المال مترفي الحال على معدمي المال وقليلي الحال، فعدل بين طبقات المجتمع المختلفة، لينعم المتجمع بالتكامل والتكافل والتسامح والهدوء والسكينة بين طبقاته.

ولم يجيء إسلامنا الجميل ليقضي على طبقة أصحاب المال الأغنياء، ولكن ليكون هناك توازن بين طبقات المجتمع فقيره وغنيه، وليدرك أصحاب المال أن عليهم مسؤولية ملزمة وغير ملزمة لمجتمعهم، فأما الملزمة فهي الزكاة الواجبة والمفروضة عليهم، وأما الغير ملزمة فهي الصدقات والهبات والوصيات والأوقاف والكفارات.

لقول الحبيب ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه عندما أرسله إلى أهل اليمن { فأخْبِرْهُمْ أنَّ اللَّهَ فَرَضَ عليهم زَكَاةً مِن أمْوَالِهِمْ وتُرَدُّ علَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أطَاعُوا بهَا، فَخُذْ منهمْ وتَوَقَّ كَرَائِمَ أمْوَالِ النَّاسِ }.[2]

وعطف الله سبحانه المسكين على الفقير وقدم الفقير قبله لأنه الأكثر احتياجا من المسكين في الصدقة والزكاة فقال تعالى في قرآنه الكريم ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾.[3]

والفرق بينهما هو أن الفقير من لا مال له ولا كسب، وقد لا يملك قوت يومه، والمسكين أحسن حالاً من الفقير، فالمسكين هو من لا يستطيع أن يسد كفايته من مطعمه ومشربه وملبسه فهو يملك مال ولكن لايكفيه، والفقير أكثر حاجة وعوزاً من المسكين، ولذا يقول ربنا سبحانه وتعالى ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ

[1] عن أبي هريرة وقال الألباني حسن في صحيح ابن ماجه برقم2982، وحسن في صحيح الجامع برقم2447، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج مسند أحمد إسناده قوي برقم9666.

[2] عن عبد الله بن عباس والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم1458، ومسلم في صحيحه برقم19.

[3] سورة التوبة الآية 60.

يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٖ غَصۡبٗا ﴾،[1] فكان لهم سفينة ويعملون عليها ولها ثمن ويرتزقون منها ولكن لاتكفيهم.

وعرف الحبيب ﷺ المسكين فقال { ليسَ المِسْكِينُ الذي يَطُوفُ علَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ واللُّقْمَتَانِ، والتَّمْرَةُ والتَّمْرَتَانِ، ولَكِنِ المِسْكِينُ الذي لا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ، ولَا يُفْطَنُ به، فيُتَصَدَّقُ عليه ولَا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ }[2].

وكان النبي الحبيب ﷺ يتعوذ من الفقر، فيقول { اللَّهمَّ إنِّي أَعوذُ بكَ منَ الكُفرِ والفَقرِ، اللَّهمَّ إنِّي أَعوذُ بِكَ مِن عَذابِ القَبرِ، لا إلهَ إلَّا أنتَ }.[3]

ولكنه ﷺ كان يدعو الله أن يكون مع المساكين، وروي عنه أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال { اللهُمَّ أحْيني مِسكينًا، وأمِتْنِي مِسكينًا، واحْشُرنِي في زُمْرَةِ المساكينِ يومَ القِيامةِ فقالتْ عائشةُ : لِمَ يا رسولَ اللهِ ؟ قال إنَّهمْ يَدخلونَ الجنةَ قبْلَ أغنيائِهمْ بِأربعينَ خرِيفًا يا عائشةُ لا تَرُدِّي مِسكينًا ولَوْ بِشِقِّ تَمْرةٍ يا عائشةُ أحبِّي المساكينَ وقرِّبِيهِمْ، فإنَّ اللهَ يُقَرِّبُكِ يومَ القِيامَةِ }.[4]

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه { أحِبُّوا المساكينَ فإنِّي سمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ في دعائِه اللَّهمَّ أحيني مِسكينًا وأمِتني مِسكينًا واحشُرني في زُمرةِ المساكينِ }.[5]

1- من أجلك أيها الفقير

وخوفا من ضياع حقهم، تكفل الله العليم الخبير بتوزيع الصدقات والزكاة بنفسه سبحانه، ولم يتركها لأهواء البشر، بل هو سبحانه من قسمها وبين حكمها، فجزأها لهؤلاء الثمانية المذكورين في آية واحدة وأولهم الفقراء ثم المساكين.

---

[1] سورة الكهف الآية 79.

[2] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم1479، ومسلم في صحيحه برقم1039.

[3] عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، وقال الألباني إسناده حسن برقم5090، وقال في إرواء الغليل إسناده لا بأس به في الشواهد برقم3/356، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده حسن في المتابعات والشواهد برقم20430.

[4] قال الألباني صحيح في صحيح الترمذي برقم2352، وقال حسن لغيره في صحيح الترغيب برقم3192، وقال في تخريج مشكاة المصابيح إسناده حسن وله شواهد برقم5173، ورواه البيهقي برقم13530 باختلاف يسير.

[5] رواه ابن ماجه في سننه برقم4126، وقال الألباني صحيح في صحيح ابن ماجه برقم3345، وقال في السلسلة الصحيحه حسن لشواهده برقم308، وقال عن أنس وأبو سعيد وعبادة بن الصامت وابن عباس صحيح في إرواء الغليل برقم861.

فقال تعالى في قرآنه الكريم ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.[1]

عَنْ زِيَادِ بْنِ الْحَارِثِ الصُدَائي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال { أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَبَايَعْتُهُ، فَأَتَى رَجُلٌ فَقال أَعْطِنِي مِنَ الصَّدَقَةِ فَقال لَهُ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَرْضَ بِحُكْمِ نَبِيٍّ وَلَا غَيْرِهِ فِي الصَّدَقَاتِ حَتَّى حَكَمَ فِيهَا هُوَ، فَجَزَّأَهَا ثَمَانِيَةَ أَصْنَافٍ، فَإِنْ كُنْتَ مِنْ تِلْكَ الْأَجْزَاءِ أَعْطَيْتُكَ حقَّكَ }.[2]

2- من أجلك أيها الفقير

أمر الله سبحانه الكريم بإعطاء الفقراء والمساكين حقهم من أموال الزكاة والصدقات، لأنهم أشد أفراد المجتمع احتياجا من غيرهم وكفايتهم مسؤولية المجتمع.

ومن أجلهم فرض الله سبحانه الكريم الزكاة والصدقة حماية لهم من ذل المسألة، فأمر الله سبحانه وتعالى من كان قادرا من الأمة كلها أن يخرج الزكاة، وهي الركن الثالث في الإسلام بعد الشهادة والصلاة، وهي مرتبطة برباط وثيق مع الصلاة، وعطفها على الصلاة في ستة مواضع في القرآن الكريم منها قوله سبحانه ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾.[3]

3- من أجلك أيها الفقير

جعل تارك الزكاة كافرا، فالأمر كله موكول لله سبحانه وتعالى، فهو سبحانه من أمر، وهو سبحانه من جعل الزكاة من قواعد الإسلام الخمس، وهو من أمر بإخراجها وهو من أمر الحبيب ﷺ أن يعلم أمته أن من ترك الزكاة عامدا وغير مؤمن بها فقد كفر.

فهي من أركان العباده لله سبحانه وتعالى، فمن أداها عبادة فقد عبد الله مسلما له مؤمنا به، ومن ترك الزكاة جحودا بها منكرا لها فقد كفر لأنها من أركان الإسلام الخمسة، أما إن تركها بخلا وتكاسلا فهو على خطر شديد في دينه، والله قاض فيه بعد الانتهاء من الحكم بين العباد يوم القيامة فإما إلى النار أم إلى الجنة،

---

[1] سورة التوبة الآية 60.

[2] قال الألباني ضعيف في ضعيف أبي داود برقم1630، وقال ضعيف في تخريج مشكاة المصابيح برقم1774، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج شرح السنة فيه عبد الرحمن بن زياد الأفريقي وهو ضعيف برقم6/90.

[3] سورة المزمل الآية 20.

لحديث الحبيب ﷺ في حديثه الجميل الطويل عن الزكاة وأنواعها فقال { ما مِن صاحِبِ ذَهَبٍ ولا فِضَّةٍ، لا يُؤَدِّي مِنْها حَقَّها، إلَّا إذا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ، صُفِّحَتْ له صَفائِحُ مِن نارٍ، فَأُحْمِيَ عليها في نارِ جَهَنَّمَ، فيُكْوَى بها جَنْبُهُ وجَبِينُهُ وظَهْرُهُ، كُلَّما بَرَدَتْ أُعِيدَتْ له، في يَومٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ ألْفَ سَنَةٍ، حتَّى يُقْضَى بيْنَ العِبادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ، إمَّا إلى الجَنَّةِ، وإمَّا إلى النَّارِ قيلَ: يا رَسولَ اللهِ، فالإبِلُ؟ قال ولا صاحِبُ إبِلٍ لا يُؤَدِّي مِنْها حَقَّها، ومِنْ حَقِّها حَلَبُها يومَ وِرْدِها، إلَّا إذا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ، بُطِحَ لها بقاعٍ قَرْقَرٍ، أوْفَرَ ما كانَتْ، لا يَفْقِدُ مِنْها فَصِيلًا واحِدًا، تَطَؤُهُ بأَخْفافِها وتَعَضُّهُ بأَفْواهِها، كُلَّما مَرَّ عليه أُولاها رُدَّ عليه آخراها، في يَومٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ ألْفَ سَنَةٍ، حتَّى يُقْضَى بيْنَ العِبادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إمَّا إلى الجَنَّةِ، وإمَّا إلى النَّارِ قِيلَ: يا رَسولَ اللهِ، فالْبَقَرُ والْغَنَمُ؟ قال ولا صاحِبُ بَقَرٍ، ولا غَنَمٍ، لا يُؤَدِّي مِنْها حَقَّها، إلَّا إذا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ بُطِحَ لها بقاعٍ قَرْقَرٍ، لا يَفْقِدُ مِنْها شيئًا، ليسَ فيها عَقْصاءُ، ولا جَلْحاءُ، ولا عَضْباءُ تَنْطَحُهُ بقُرُونِها وتَطَؤُهُ بأَظْلافِها، كُلَّما مَرَّ عليه أُولاها رُدَّ عليه آخراها، في يَومٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ ألْفَ سَنَةٍ، حتَّى يُقْضَى بيْنَ العِبادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إمَّا إلى الجَنَّةِ، وإمَّا إلى النَّارِ قيلَ: يا رَسولَ اللهِ، فالْخَيْلُ؟ قال الخَيْلُ ثَلاثَةٌ: هي لِرَجُلٍ وِزْرٌ، وهي لِرَجُلٍ سِتْرٌ، وهي لِرَجُلٍ أجْرٌ، فأمَّا الَّتي هي له وِزْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَها رِياءً وفَخْرًا ونِواءً علَى أهْلِ الإسْلامِ، فَهي له وِزْرٌ، وأَمَّا الَّتي هي له سِتْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَها في سَبيلِ اللهِ، ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللهِ في ظُهُورِها ولا رِقابِها، فَهي له سِتْرٌ وأَمَّا الَّتي هي له أجْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَها في سَبيلِ اللهِ لأَهْلِ الإسْلامِ، في مَرْجٍ ورَوْضَةٍ، فَما أكَلَتْ مِن ذلكَ المَرْجِ، أوِ الرَّوْضَةِ مِن شيءٍ، إلَّا كُتِبَ له، عَدَدَ ما أكَلَتْ حَسَناتٌ، وكُتِبَ له، عَدَدَ أرْواثِها وأَبْوالِها، حَسَناتٌ، ولا تَقْطَعُ طِوَلَها فاسْتَنَّتْ شَرَفًا، أوْ شَرَفَيْنِ، إلَّا كَتَبَ اللَّهُ له عَدَدَ آثارِها وأَرْواثِها حَسَناتٍ، ولا مَرَّ بها صاحِبُها علَى نَهْرٍ، فَشَرِبَتْ منه ولا يُرِيدُ أنْ يَسْقِيَها، إلَّا كَتَبَ اللَّهُ له، عَدَدَ ما شَرِبَتْ، حَسَناتٍ قيلَ: يا رَسولَ اللهِ، فالْحُمُرُ؟ قال ما أُنْزِلَ عَلَيَّ في الحُمُرِ شيءٌ، إلَّا هذِه الآيَةَ الفاذَّةُ الجامِعَةُ: ﴿فمَن يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، ومَن يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة:7-8] }.[1]

4- من أجلك أيها الفقير

خوف وحذر إسلامنا الجميل من البخل، فأنت تبخل على نفسك قبل البخل على الفقير، وتصديقا لقول ربنا سبحانه في قرآنه الكريم ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[2]

[1] عن أبي هريرة وأخرجه مسلم في صحيحه برقم987 واللفظ له وقال الألباني في صحيح الجامع صحيح برقم5729، وقال صحيح في صحيح أبي داود برقم1658باختلاف يسير.

[2] سورة آل عمران الآية 180.

ولقوله سبحانه ﴿ هَـٰٓأَنتُمۡ هَـٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَـٰلَكُم ٣٨﴾.[1]

5- من أجلك أيها الفقير

خَّوف وحَّذر إسلامنا الجميل من كنز الذهب والفضة ومجوهراته ولم يعط الفقير والمسكين حقه، لقوله سبحانه ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾.[2]

6- من أجلك أيها الفقير

منع إسلامنا الجميل غير الفقير والمسكين من أموال الزكاة، حماية لحقهما، فهما من يستحقان الزكاة دون غيرهما، كما في آية أصحاب الزكاة الثمانية، ولا تجوز للكسول القادر على الكسب أو الذي معه مال يكفيه أن يأخذ منها شيء.

فعن عبيد الله بن عدي بن الخيار رضي الله عنه قال { أخبرَني رجلانِ أنَّهُما أتَيا النَّبيَّ ﷺ في حَجَّةِ الوَداعِ وَهوَ يُقسِّمُ الصَّدَقةَ فسألاهُ مِنها فرفَعَ فينا البصَرَ وخفَضَه فرآنا جَلدَينِ فقال إنَّ شئتُما أعطيتُكما ولا حظَّ فيها لغنيٍّ ولا لقويٍّ مُكتسِبٍ }.[3]

ولقول الحبيب ﷺ { لا تحلُّ الصَّدقةُ لغنيٍّ ولا لذي مِرَّةٍ سَوِيٍّ }.[4]

وذو مرة هو القوي صحيح البدن القادر على العمل وبذل الجهد لكسب ما يكفيه من المال والقوت.

ومن جمال إسلامنا وعلو خلق حبيبنا ﷺ، مع أنه هو نبى الأمة ورسولها إلا أنه ترفع وارتقى في الخلق العالي الرفيع وحرم عليه وعلى آل محمد إلى يوم الدين أن يأخذ من مال المسلمين شيئا ولو قليلا من زكاتهم وصدقاتهم، فعندما طلب أحد من آله وأقاربه من أبناء عمومته أولاد عبد المطلب منعها منهم.

---

[1] سورة محمد الآية 38.

[2] سورة التوبة الآية 34 – 35.

[3] عن عبيد الله بن عدي بن الخيار وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم1633، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح برقم23063.

[4] عن عبد الله بن عمرو وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم1634، وقال صحيح في صحيح الترمذي برقم652، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده قوي برقم6798

فقد روى أبناء عمومته ربيعة بن الحارث وعباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما قالا: { اجْتَمع رَبِيعَةُ بنُ الحَارِثِ، وَالْعَبَّاسُ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ، فَقالا: وَاللَّهِ، لو بَعَثْنَا هَذَيْنِ الغُلَامَيْنِ، قالا لي وَلِلْفَضْلِ بنِ عَبَّاسٍ، إلى رَسولِ اللهِ ﷺ فَكَلَّمَاهُ، فأمَّرَهُما علَى هذِه الصَّدَقَاتِ، فأدَّيَا ما يُؤَدِّي النَّاسُ، وَأَصَابَا ممَّا يُصِيبُ النَّاسُ، قال فَبيْنَما هُما في ذلكَ جَاءَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ، فَوَقَفَ عليهمَا، فَذَكَرَا له ذلكَ، فَقال عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ: لا تَفْعَلَا، فَوَاللَّهِ، ما هو بفَاعِلٍ، فَانْتَحَاهُ رَبِيعَةُ بنُ الحَارِثِ فَقال وَاللَّهِ، ما تَصْنَعُ هذا إلَّا نَفَاسَةً مِنْكَ عَلَيْنَا، فَوَاللَّهِ، لقَدْ نِلْتَ صِهْرَ رَسولِ اللهِ ﷺ فَما نَفِسْنَاهُ عَلَيْكَ، قال عَلِيٌّ: أَرْسِلُوهُمَا، فَانْطَلَقَا، وَاضْطَجَعَ عَلِيٌّ، قال فَلَمَّا صَلَّى رَسولُ اللهِ ﷺ الظُّهْرَ سَبَقْنَاهُ إلى الحُجْرَةِ، فَقُمْنَا عِنْدَهَا، حتَّى جَاءَ فأخَذَ بآذَانِنَا، ثُمَّ قال آخرجَا ما تُصَرِّرَانِ ثُمَّ دَخَلَ وَدَخَلْنَا عليه، وَهو يَومَئِذٍ عِنْدَ زَيْنَبَ بنْتِ جَحْشٍ، قال فَتَوَاكَلْنَا الكَلَامَ، ثُمَّ تَكَلَّمَ أَحَدُنَا فَقال يا رَسولَ اللهِ، أَنْتَ أَبَرُّ النَّاسِ وَأَوْصَلُ النَّاسِ، وَقَدْ بَلَغْنَا النِّكَاحَ، فَجِئْنَا لِتُؤَمِّرَنَا علَى بَعْضِ هذِه الصَّدَقَاتِ، فَنُؤَدِّيَ إلَيْكَ كما يُؤَدِّي النَّاسُ، وَنُصِيبَ كما يُصِيبُونَ، قال فَسَكَتَ طَوِيلًا حتَّى أَرَدْنَا أَنْ نُكَلِّمَهُ، قال وَجَعَلَتْ زَيْنَبُ تُلْمِعُ عَلَيْنَا مِن وَرَاءِ الحِجَابِ أَنْ لا تُكَلِّمَاهُ، قال ثُمَّ قال إنَّ الصَّدَقَةَ لا تَنْبَغِي لِآلِ مُحَمَّدٍ إنَّما هي أَوْسَاخُ النَّاسِ، ادْعُوَا لي مَحْمِيَةَ، وَكانَ علَى الخُمُسِ، وَنَوْفَلَ بنَ الحَارِثِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ قال فَجَاءَاهُ، فَقال لِمَحْمِيَةَ: أَنْكِحْ هذا الغُلَامَ ابْنَتَكَ، لِلْفَضْلِ بنِ عَبَّاسٍ فأنْكَحَهُ، وَقال لِنَوْفَلِ بنِ الحَارِثِ: أَنْكِحْ هذا الغُلَامَ ابْنَتَكَ، لِي، فأنْكَحَنِي وَقال لِمَحْمِيَةَ: أَصْدِقْ عنْهما مِنَ الخُمُسِ كَذَا، وَكَذَا.}.[1]

ومعنى إنَّما هي أَوْسَاخُ النَّاسِ أي: إنَّها تطهيرٌ لأموالِهم وأنفُسِهم.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال { أَخَذَ الحَسَنُ بنُ عَلِيٍّ تَمْرَةً مِن تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا في فِيهِ، فَقال رَسولُ اللهِ ﷺ : كِخْ كِخْ، ارْمِ بهَا، أَما عَلِمْتَ أنَّا لا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ؟ [وفي رواية]: وَقال أنَّا لا تَحِلُّ لَنَا الصَّدَقَةُ؟ [وفي رواية]: أنَّا لا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ؟ }.[2]

وحرم رسولنا الحبيب ﷺ الزكاة والصدقة على آل هاشم كلهم.

فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ﷺ ، فكل من تفرع من آل هاشم منه ﷺ ومن أعمامه وعماته وأولادهم إلى يوم الدين محرم عليهم الأخذ من الصدقة أو الزكاة، ولكن كان الحبيب ﷺ يأخذ الهدية ويقبلها مهما صغرت أو قلت تكريما لصاحبها وجبرا لخاطره، ويكافئ عليها بأكثر منها.

[1] عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم1072، وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم2985.
[2] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم1491، ومسلم في صحيحه برقم1069 واللفظ له.

فقد قالت عائشة رضي الله عنها وعن أبيها { كانَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ يَقْبَلُ الهَدِيَّةَ ويُثِيبُ عَلَيْهَا }.[1]

وكان يعطي على الهدية بأكثرمنها، فقد روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال { أنَّ أعرابيًّا وهَبَ للنبيِّ ﷺ هِبَةً فأثَابَهُ عليهَا قال رَضِيتَ قال لا قال فزادَهُ قال رضيتَ قال لا قال فزادَهُ قال رضيتَ قال نعم }.[2]

7- من أجلك أيها الفقير

حث إسلامنا الجميل حتى الفقرء والمساكين على أن ينزعوا من قلوبهم البخل وعدم العطاء والبذل، فحثهم على التبرع بالقليل والتهادي ولو بأقل القليل، حتى تترفع نفوسهم وتحب العطاء وحب المشاركة، ويدرك الفقير بعطائه القليل أنه جزء من المجتمع وليس عالة عليه فتطمئن نفسه ولا تشعر بالذل والهوان.

وكان من كرمه ﷺ يقول جبرا لخاطر من يهديه من الفقراء ولو قليلا { لَوْ دُعِيتُ إلى ذِراعٍ أوْ كُراعٍ لَأَجَبْتُ، ولو أُهْدِيَ إلَيَّ ذِراعٌ أوْ كُراعٌ لَقَبِلْتُ }.[3]

والذراع هي ذراع الشاة القليلة اللحم، والكراع هو ما دونَ الكَعْبِ وما استَدَقَّ من ساقِ الحيوان وهو ماليس فيه لحم.

وسبحان الكريم الذي يقول ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً۬ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾.[4]

من أجل ذلك أمر الله أن يخرج ما زاد عن قوت يومه زكاة الفطر، لتكون له تطهيرا لقلبه من البخل، وهي مطهرة لصومه مما أصابه من رفث ولغو وتطهيرا لنفسه وبدنه، وطعمة للمساكين الذي هو أحدهم، ولكنه يخرج ويخرج غيره، وترد إليه أضعاف ما أخرج، من كرم الله عليه، ويدرك أنه جزء من المجتمع المشارك في الخير.

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه برقم2585، وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم3536، وقال صحيح في صحيح الترمذي برقم1953.
[2] قال الألباني في إرواء الغليل إسناده صحيح على شرط الشيخين برقم6/448، وقال أحمد شاكر في مسند أحمد إسناده صحيح برقم4/240، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده صحيح برقم6384.
[3] أخرجه البخاري في صحيحه برقم2568، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم5268.
[4] سورة البقرة الآية 245.

عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال { فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنْ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ مَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلاةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلاةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنْ الصَّدَقَاتِ }.[1]

ولذا رغَّب إسلامنا الجميل الفقير بالصدقة والإنفاق ليتعود العطاء وينفي عن نفسه البخل ويعالج روحه من الذل وقبول الانكسار وتعود المسألة.

فقد سأل أبو هريرة رضي الله عنه الحبيب ﷺ فقال { يا رسولَ اللَّهِ أيُّ الصَّدَقةِ أفضلُ ؟ قال جُهْدُ المقلِّ، وابدَأْ بمَنْ تعولُ }.[2]

ويشجُّع إسلامنا الجميل الفقير والمسكين بالتصدق ولو بالقليل، فيروي أبو هريرة رضي الله عنه عن الحبيب ﷺ أنه قال { سبقَ دِرهمٌ مائةَ ألفِ درهمٍ قالوا وَكَيفَ ؟ قال كانَ لرجلٍ درهمانِ تصدَّقَ بأحدِهِما وانطلقَ رجلٌ إلى عُرضِ مالِهِ، فأخذَ منهُ مائةَ ألفِ درهمٍ فتصدَّقَ بِها }.[3]

8- من أجلك أيها الفقير

يربى إسلامنا الجميل في الأمة العزة والترفع عن الطلب وذل المسألة ويصبر ويجتهد ولا يسأل الناس.

فقد قال ربنا سبحانه عن الفقراء المتعففين ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾.[4]

وقال الحبيب ﷺ { ليسَ المِسْكِينُ الذي يَطُوفُ علَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ واللُّقْمَتَانِ، والتَّمْرَةُ والتَّمْرَتَانِ، ولَكِنِ المِسْكِينُ الذي لا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ، ولَا يُفْطَنُ به، فيُتَصَدَّقُ عليه ولَا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ }.[5]

---

[1] قال الألباني حسن في صحيح أبي داود برقم1609، وقال حسن في صحيح ابن ماجه برقم1492، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج شرح السنة إسناده قوي برقم6/76.

[2] قال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم1677، وقال شعيب الأرناؤوط إسناده صحيح في تخريج المسند برقم8702، وقال إسناده صحيح في تخريج صحيح ابن حبان برقم3346.

[3] قال الألباني حسن في صحيح النسائي برقم2526، وقال إسناده حسن في صحيح ابن خزيمة برقم2443، وقال شعيب الأرناؤوط إسناده حسن في تخريج المسند برقم8929.

[4] سورة البقرة الآية 273.

[5] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم1479، ومسلم في صحيحه برقم1039.

عن أبي هريرة رضى الله عنه { أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ قال والذي نَفْسِي بيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَحْتَطِبَ علَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ له مِن أنْ يَأْتِيَ رَجُلًا، فَيَسْأَلَهُ أعْطَاهُ أوْ مَنَعَهُ }.[1]

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن الحبيب ﷺ أنه قال { ما يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ، حتَّى يَأْتِيَ يَومَ القِيَامَةِ ليسَ في وجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ }.[2]

ومعنى مُزْعَةُ لَحْمٍ أي قطعة لحم.

وقال الحبيب ﷺ { مَن سَأَلَ النَّاسَ أمْوالَهُمْ تَكَثُّرًا، فإنَّما يَسْأَلُ جَمْرًا فَلْيَسْتَقِلَّ، أوْ لِيَسْتَكْثِرْ}.[3]

وقال الحبيب ﷺ { مَنِ استَغْنى أغْناه اللهُ، ومَنِ استَعفَّ أعفَّه اللهُ، ومَنِ استَكْفي كَفاه اللهُ، ومَن سأَل وله قِيمةُ أوقِيَّةٍ فقد أَلحَف }.[4]

والأوقية في عهد الحبيب ﷺ تعدل أربعين درهما، والدرهم مايعادل ثلاثة جرامات من الفضة.

وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال { سَأَلْتُ رَسولَ اللَّهِ ﷺ ، فأعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ، فأعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ، فأعْطَانِي ثُمَّ قال يا حَكِيمُ، إنَّ هذا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فمَن أَخَذَهُ بسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ له فِيهِ، ومَن أَخَذَهُ بإشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ له فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ ولَا يَشْبَعُ، اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، قال حَكِيمٌ: فَقُلْتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، والذي بَعَثَكَ بالحَقِّ لا أَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شيئًا حتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عنْه، يَدْعُو حَكِيمًا إلى العَطَاءِ، فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَهُ منه، ثُمَّ إنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عنْه دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فأبَى أَنْ يَقْبَلَ منه شيئًا، فَقال عُمَرُ: إنِّي أُشْهِدُكُمْ يا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ علَى حَكِيمٍ، أَنِّي أَعْرِضُ عليه حَقَّهُ مِن هذا الفَيْءِ فَيَأْبَى أَنْ يَأْخُذَهُ، فَلَمْ يَرْزَأْ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ رَسولِ اللَّهِ ﷺ حتَّى تُوُفِّيَ }.[5]

---

[1] والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم1470، ومسلم في صحيحه برقم1042.

[2] والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم1474، ومسلم في صحيحه برقم1040.

[3] عن أبي هريرة، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم1041، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح على شرط الشيخين برقم7163، وقال في تخريج صحيح ابن حبان إسناده صحيح على شرطهما برقم3393.

[4] عن أبي سعيد الخدري وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده قوي برقم11060، وقال الألباني في صحيح النسائي حسن صحيح برقم2594، وقال في صحيح الجامع صحيح برقم6022.

[5] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم1472 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم1035 مختصرا.

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال { أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال وهو علَى المِنْبَرِ، وذَكَرَ الصَّدَقَةَ، والتَّعَفُّفَ، والمَسْأَلَةَ: اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، فَاليَدُ العُلْيَا: هي المُنْفِقَةُ، والسُّفْلَى: هي السَّائِلَةُ }.[1]

9- من أجلك أيها الفقير

من أجلك أيها الفقير، أمر إسلامنا الجميل المسلمين بالكرم والبذل في العطاء، وحثهم على الصدقات لضمان حق الفقراء واستقامة المجتمع وتكامله.

فيقول ربنا الكريم ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴾.[2]

ويقول سبحانه ذو الجود والكرم ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾.[3]

ويقول سبحانه الجواد الكريم ﴿ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ﴾.[4]

ويقول سبحانه صاحب المنّ الكريم ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾.[5]

وسبحان الكريم الذي يقول ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾.[6]

ويقول سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾.[7]

---

[1] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم1429، ومسلم في صحيحه برقم1033.
[22] سورة البقرة الآية 272.
[3] سورة البقرة الآية 274.
[4] سورة البقرة الآية 277.
[5] سورة البقرة الآية 215.
[6] سورة البقرة الآية 245.
[7] سورة البقرة الآية 254.

ويقول سبحانه ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾.[1]

ويحدثنا ربنا الكريم في سورة البقرة لعشرين آية متواصلة من الآية 261 حتى الآية 280 عن الإنفاق في سبيل الله وفضله ـ سبحانه ـ على الفقراء والضعفاء والمحتاجين.

10-من أجلك أيها الفقير

إسلامنا الجميل من أجل الفقير، أمرنا أن نتصدق بأفضل ما لدينا ولا نتفضل على الفقير والمسكين بفضل أموالنا وأردئها، أو بالفاسد والغير صالح من زكواتنا وصدقاتنا، فكثير من الأغنياء من بخلهم وحرصهم يتفضل بفائض طعامه، ويتصدق ما تبقى منه من بعد أن أكل أطيبه، وقد لا يتبرع به ويتصدق على الفقير إلا قبل فساده، فيقول رب الفقير رب العالمين لهؤلاء البخلاء ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴾.[2]

ويقول ربنا العليم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾.[3]

وعَرَف الصحابة الكرام هذا المعنى فكانوا يتصدقون بأفضل ما لديهم، فروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال { أَنْ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ أصابَ أرْضًا بخَيْبَرَ، فأتَى النبيَّ ﷺ يَسْتَأْمِرُهُ فيها، فقال يا رَسولَ اللَّهِ، إنِّي أصَبْتُ أرْضًا بخَيْبَرَ لَمْ أُصِبْ مالًا قَطُّ أنْفَسَ عِندِي منه، فَما تَأْمُرُ بهِ؟ قال إنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أصْلَها، وتَصَدَّقْتَ بها قال فَتَصَدَّقَ بها عُمَرُ، أنَّه لا يُباعُ ولا يُوهَبُ ولا يُورَثُ، وتَصَدَّقَ بها في الفُقَراءِ، وفي القُرْبَى وفي الرِّقابِ، وفي سَبيلِ اللَّهِ، وابْنِ السَّبِيلِ، والضَّيْفِ لا جُناحَ علَى مَن ولِيَها أنْ يَأْكُلَ مِنْها بالمَعروفِ، ويُطْعِمَ غيرَ مُتَمَوِّلٍ قال فَحَدَّثْتُ به ابْنَ سِيرِينَ، فقال غيرَ مُتَأَثِّلٍ مالًا }.[4]

وروى أنس بن مالك رضي الله عنه قال { كانَ أبو طَلْحَةَ أكْثَرَ الأنْصَارِ بالمَدِينَةِ مَالًا مِن نَخْلٍ، وكانَ أحَبُّ أمْوَالِهِ إلَيْهِ بَيْرُحَاءَ، وكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ المَسْجِدِ، وكانَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُهَا ويَشْرَبُ مِن مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ،

[1] سورة البقرة الآية 262.
[2] سورة آل عمران الآية 92.
[3] سورة البقرة الآية 267.
[4] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2737، ومسلم في صحيحه برقم1632.

قال أنَسٌ: فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هذِه الآيَةُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حتَّى تُنْفِقُوا ممَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: 92] قَامَ أبو طَلْحَةَ إلى رَسولِ اللَّهِ ﷺ فَقال يا رَسولَ اللَّهِ، إنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وتَعَالَى يقولُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حتَّى تُنْفِقُوا ممَّا تُحِبُّونَ﴾ وإنَّ أحَبَّ أمْوَالِي إلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وإنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ، أرْجُو برَّهَا وذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعْهَا يا رَسولَ اللَّهِ حَيْثُ أرَاكَ اللَّهُ، قال فَقال رَسولُ اللَّهِ ﷺ : بَخٍ، ذلكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذلكَ مَالٌ رَابِحٌ، وقدْ سَمِعْتُ ما قُلْتَ، وإنِّي أرَى أنْ تَجْعَلَهَا في الأقْرَبِينَ فَقال أبو طَلْحَةَ: أفْعَلُ يا رَسولَ اللَّهِ، فَقَسَمَهَا أبو طَلْحَةَ في أقَارِبِهِ وبَنِي عَمِّهِ }.[1]

روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسولنا الحبيب ﷺ قال { ولا يكسِبُ عبدٌ مالًا مِن حرامٍ، فيُنفِقَ منه فيُبارَكَ له فيه، ولا يَتصدَّقُ به فيُقبَلَ منه، ولا يترُكُ خَلفَ ظَهرِه إلَّا كان زادَه إلى النَّارِ، إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لا يَمحو السَّيِّئَ بالسَّيِّئِ، ولكنْ يَمحو السَّيِّئَ بالحَسنِ، إنَّ الخَبيثَ لا يَمحو الخَبيثَ }.[2]

وروى البراء بن عازب رضي الله عنه قال { وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ قال نزلَت فينا مَعشرَ الأنصارِ كنَّا أصحابَ نخلٍ فَكانَ الرَّجلُ يأتي من نخلِه علَى قدرِ كثرتِه وقلَّتِه وَكانَ الرَّجلُ يأتي بالقِنوِ والقِنوينِ فيعلِّقُه في المسجدِ وَكانَ أهلُ الصُّفَّةِ ليسَ لَهم طعامٌ فَكانَ أحدُهم إذا جاعَ أتَى القِنوَ فضربَه بعصاهُ فيسقطُ البُسرُ والتَّمرُ فيأكلُ وَكانَ ناسٌ ممَّن لا يرغبُ في الخيرِ يأتي الرَّجلُ بالقِنوِ فيهِ الشِّيصُ والحَشفُ وبالقِنوِ قد انكسرَ فيعلِّقُه فأنزلَ اللَّهُ تبارَك وتعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا آخرجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ قال لَو أنَّ أحدَكم أُهديَ إليهِ مثلُ ما أعطَى لم يأخذهُ إلَّا علَى إغماضٍ أو حياءٍ }.[3]

والبسر هو البلَحُ قبل أن يتَحوَّلَ رُطَبًا، والشِّيصُ: التَّمرُ الَّذي لا يَشتَدُّ نَواه، والحشَفُ: أردَأُ أنواعِ التَّمرِ وهو الَّذي يَبِس على النَّخلِ قبل أن يَتِمَّ نُضجُه.

وكان الحبيب ﷺ يحافظ على حق الفقير، يقول ابْنَ شِهَابٍ الزهري: حَدَّثَنِي أَبُو أُمَامَةَ بْنُ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ في الآية لا تؤخذ في الصدقةِ هرِمةٌ ولا عجفاءُ، ولا ذاتُ عَوارٍ، ولا تَيسُ الغنمِ، ولا يُجمعُ بين مُتفرّقٍ ولا يُفرَّقُ بين مُجتمِعٍ خشيةَ الصدقةِ، وما أُخذ من الخليطَين فإنهما يتراجعان بينهما بالسَّويَّةِ }.[4]

---

[1] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم1461 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم998.

[2] قال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده ضعيف برقم3672، وقال الألباني ضعيف في ضعيف الترغيب برقم1519، وضعيف الجامع برقم1625.

[3] قال الألباني صحيح في صحيح الترمذي برقم2987، وقال صحيح في صحيح ابن ماجه برقم1487.

[4] عن أنس بن مالك، قال أحمد شاكر في مسند أحمد إسناده صحيح برقم1/51، وقال الألباني صحيح في صحيح النسائي برقم2454.

وقال أَبُو أُمَامَةَ بْنُ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ في الآية الَّتي قال اللَّهُ عزَّ وجلَّ: وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ. قال (هوَ الجُعرورُ ولونُ حُبَيْقٍ فنَهي رسولُ اللَّهِ: أن تؤخذَ في الصَّدقةِ الرُّذالةُ).[1]

الجُعْرورُ" وهو نوعٌ من التَّمرِ، صُغيرُ الحجمِ لا خيرَ فيه لردائتِه، "ولَونُ حُبَيقٍ"، تمرٌ صغيرٌ، رديءٌ، أغبرُ اللونِ، فيه طولٌ، فهُما إذن مِن أنواعِ التَّمرِ الرَّديءِ.

وحرص الحبيب ﷺ أن يأكل الفقير والمسكين طعام طيب، ولا يُتصدق بالسيئ من الطعام أو الفاسد بل أطيبه، كما يأكل المتصدق به وليس الفضلة منه.

فقد روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها أن الحبيب ﷺ قال لها { لَا تُطْعِمُوهُمْ مِمَّا لَا تَأْكُلُونَ }.[2]

11-من أجلك أيها الفقير

إسلامنا الجميل حرم على المسلم الغني أن يمُنّ على أخيه الفقير والمسكين بعطائه وصدقته، فالله هو الغني الكريم والمال الذي رزقه وأعطاه للغنى ليس ملكا له بل هو مستخلف فيه، وسيتركه لغيره، فلا يتكبر بصدقته ولا يستعل بجوده.

فكلمة طيبة من الغني ودعاء للمسلم بالخير سواء كان من الفقير أو الغني خير من الصدقة التي يتبعها مَنّ وأذى بالقول أو بالفعل.

فيقول ربنا صاحب المال الغني الحميد ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٦٢ ۝ قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ٢٦٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤ ﴾.[3]

[1] عن أبي أمامة سهل بن حنيف، وقال الألبانى صحيح في صحيح النسائي برقم2491.
[2] قال الألباني إسناده حسن في السلسلة الصحيحة برقم5/552، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح برقم4/40، ورواه أحمد في مسنده برقم24736، وابن أبي شيبه في مصنفه برقم8/79، والبيهقي في الكبرى برقم9/325.
[3] سورة البقرة الآية 263 - 264.

ومن أجل الفقير حرم الله الجنة على كل غني منان بصدقته أو زكاته أو عطائه فقال الحبيب ﷺ : { لا يدخلُ الجنَّةَ منَّانٌ، ولا عاقٌّ، ولا مُدمنُ خمرٍ}.[1]

12- من أجلك أيها الفقير

من أجلك أيها الفقير والمسكين جعل إسلامنا الجميل دخول الجنة عن طريقك أنت، فجعل الله الكريم من يتصدق عليك وينفق من أجلك، ويبتغي به وجه الله طريقا للجنة فقال الله الغني الكريم ﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ١١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٌ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ١٤ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ١٥ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ١٧ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ١٩ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ٢٠﴾.[2]

والعقبة كما قال معظم المفسرون هي عقبة في جهنم أو درجة في جهنم والعياذ بالله، فمن أراد أن يعبرها ويتعداها عليه كما بين الله سبحانه أن يطيعه سبحانه فيعتق رقبة في سبيل الله، وهي أول مطلب وأهمه في حياة البشر، فالقضاء على العبودية كانت من أولويات إسلامنا الجميل بطرق عملية وميسرة، فقد خلق الله الناس أحرارا.

وقال الحبيب ﷺ { مَن أعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً، أعْتَقَ اللَّهُ بكُلِّ عُضْوٍ منه عُضْوًا مِنَ النَّارِ}.[3]

وحديثه الجميل ﷺ { مَن أعتَقَ رَقبةً مؤمنةً، فهي فِداؤه مِن النَّارِ}.[4]

فإذا انتهت العبودية تقريبا حاليا، فهناك طرق آخرى تستطيع بها عبور عقبة جهنم وهي إكرام الفقراء والمساكين بإطعامهم وإسكات جوعهم، فهناك في عالمنا الحالي مجاعات دولية يموت بسببها آلاف البشر، أو إطعام الفقير والمسكين الجائع القريب لك وتربطك به صلة رحم وقربى، أو المجاور لك القريب منك في السكن، ولله الحمد يوجد الآن جمعيات خيرية تهتم بالفقراء وإحصائهم وتقدم العون لهم فلا تبخل بمد يد المساعدة لهم حتى تجتاز عقبة جهنم.

---

[1] عن عبد الله بن عمرو وقال الألباني صحيح في صحيح النسائي برقم5688، وقال صحيح في صحيح الجامع برقم7676، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند حسن لغيره برقم11222 عن أبي سعيد الخدري.

[2] سورة البلد الآية 11 – 16.

[3] عن أبي هريرة، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6715، ومسلم في صحيحه برقم1509 واللفظ له.

[4] عن معاذ بن جبل وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند صحيح لغيره برقم22113، كما وراه عمرو بن عبسة وقال فيه إسناده صحيح على شرط مسلم في تخريج مشكل الآثار برقم732 بلفظ مسلمة بدلا من مؤمنة، وقال فيها الألباني صحيح في صحيح النسائي برقم3142، كما رواه أنس بن مالك، ومالك بن القشيري، وعقبة بن مالك، وأبو هريرة.

والمسغبة هي المجاعة الشديدة، وقد تكون مجاعة عامة أو مجاعة فردية كما ذكرنا، وذو متربة هو الفقر المدقع أو شديد الفقر والحاجة، المُلقى في الطريق، الذي ليس له بيت إلا التراب.

ويقول الحبيب ﷺ { الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ، صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ }.[1]

13-من أجلك أيها الفقير

إسلامنا الجميل حث على الإنفاق على الفقراء والمساكين، وذم الذين يكنزون أموالهم، كما ذم البخلاء لإمساكهم أموالهم خوفا من فنائها أو قلتها، فالمال زينة الحياة الدنيا يسعى من أجله كل الناس، ولكن قد يكون هذا الحب مرضا يصيبهم بالبخل فلا يتصدقون أو ينفقونها في سبل الخير.

فعالج إسلامنا الجميل هذا المرض في نفوس المسلمين وذم الكنز والبخل ودعى إلى الإنفاق وعدم الخشية من قلة المال أو فقده.

فقال تعالى في كتابه الشافي لأمراض القلوب ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾.[2]

ويقول الحبيب ﷺ في هذه الآية الكريمة { مَن آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ له مَالُهُ يَومَ القِيَامَةِ شُجَاعًا أقْرَعَ له زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَومَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بلِهْزِمَتَيْهِ - يَعْنِي بشِدْقَيْهِ - ثُمَّ يقولُ أنَا مَالُكَ أنَا كَنْزُكَ، ثُمَّ تَلَا: ﴿لَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ الآيَةَ }.[3]

ومن ترك كنزا لا ينتفع به أحد بخلا وخوفا، فإنه يعذب به يوم القيامة، فالفقير والمسكين لهما حق في هذا المال، والمجتمع المسلم أحق بهذا الكنز، فلو أنفقه لكان خيرا له، ولو أداره في المجتمع لكان خيرا له.

فيقول العليم لأصحاب القلوب المريضة ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ

[1] عن سلمان بن عامر الضبي وقال الألباني صحيح لغيره في صحيح ابن ماجه برقم1506، وقال صحيح في صحيح النسائي برقم 2581، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان صحيح برقم3344، وقال في تخريج المسند صحيح لغيره برقم16233.

[2] سورة آل عمران الآية 180.

[3] عن أبي هريرة وأخرجه البخاري في صحيحه برقم1403 واللفظ له، وقال الألباني صحيح في صحيح النسائي برقم2481.

ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ٣٥﴾.[1]

ويقول الحبيب ﷺ { مَن ترَك بعده كنزًا مُثِّل له شُجاعًا أقرَعَ يومَ القيامةِ له زَبيبتانِ يتبَعُه فيقولُ: مَن أنت ؟ فيقولُ: أنا كنزُك الَّذي خلَّفْتَ بعدَك فلا يزالُ يتبَعُه حتَّى يُلقِمَه يدَه فيقضِمَها ثمَّ يُتبِعُه سائرَ جسدِه }.[2]

ولكن إسلامنا الجميل الملئ بالرحمة والعدل، والحلول الجميلة لكل المشاكل والمعالج لكل الأمراض يعالج ذلك البخل بإخراج الزكاة، فإن أخرجها صاحب الكنز فقد أدى حق الله فيها، لصالح عباده الفقراء والمساكين، فقد أعطاهم حقهم قهرا من صاحب الكنز البخيل، وبقى حق العباد الفقراء والمساكين والمحتاجين والمجتمع من صاحب الكنز، فله صدقات وهبات وأوقاف يرفع بها نفسه درجات في جنة الخلد عن الرحمن الكريم.

فعن ابنِ عبَّاسٍ، قال { لمَّا نَزَلَتْ ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ [التوبة: 34]، كَبُرَ ذلك على المُسلِمينَ، فقالوا: ما يَستَطيعُ أحدٌ منَّا أنْ يَترُكَ لِولَدِهِ مالًا يَبقى بَعدَه؟ فقال عُمَرُ: أنا أُفرِّجُ عنكم، فانطَلَقوا وانطلَقَ عُمَرُ، واتَّبَعَه ثَوبانُ، فأتى النَّبيَّ ﷺ فقال يا نَبيَّ اللهِ، إنَّه قد كَبُرَ على أصحابِكَ هذه الآيةُ، فقال إنَّ اللهَ لم يَفرِضِ الزَّكاةَ إلَّا ليُطيِّبَ ما بَقِيَ مِن أموالِكم، وإنَّما فرَضَ المَواريثَ في الأموالِ؛ لتَبقى لمَن بَعدَكم، فكبَّرَ عُمَرُ، فقال له النَّبيُّ ﷺ : ألَا أُخبِرُكَ بما يَكنِزُ المَرءُ؟ المَرأةُ الصَّالحةُ؛ إذا نَظَرَ إليها سَرَّتْه، وإذا أمَرَها أطاعَتْه، وإذا غابَ عنها حفِظَتْه }.[3]

ويقول العليم بأمراض القلوب ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴾.[4]

ويقول سبحانه علام الغيوب في آية آخرى ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾.[5]

---

[1] سورة التوبة الآية 34 – 35.

[2] عن ثوبان مولى الرسول، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده صحيح على شرط مسلم برقم3257، وقال الألباني صحيح في صحيح الترغيب برقم759.

[3] قال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند في رواية جعفر بن أياس عن مجاهد كلام برقم37/77، وقال الألباني ضعيف في ضعيف أبي داود برقم1664، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد فيه عثمان بن عمير وهو ضعيف برقم7/33.

[4] سورة النساء الآية 37.

[5] سورة الحديد الآية 24.

ويقول سبحانه في كتابه الحكيم محذرا البخلاء ﴿ هَـٰٓأَنتُمۡ هَـٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَـٰلَكُم ﴾.[1]

ويدل سبحانه البخلاء في قرآنه طريق الفلاح فيقول لهم ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْراً لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾.[2]

وقال الحبيب ﷺ لبلال بن رباح رضي الله عنه وكان قد ادخر بضع تمرات فقال له { أنفِقْ بلالُ ولا تَخشَ من ذي العرشِ إقلالًا }.[3]

14- من أجلك أيها الفقير

عاش الحبيب ﷺ على الكفاف ليكون قدوة يحتذى بها المسلمون من بعده، وترك متاع الدنيا كله، زاهدا فيها راغبا في الآخرة مُقدّما الباقية على الفانية، وظل ينفق ما يأتيه من مال وخير على الفقراء والمحتاجين مؤثرا على نفسه ﷺ ، وما شبع من طعام قط، وما ترك شيء عند وفاته ليورث، وقال ماتركناه فهو صدقة.

فقد روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت { ما شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِن خُبْزِ بُرٍّ مَأْدُومٍ ثَلَاثَةَ أيَّامٍ حتَّى لَحِقَ باللَّهِ }.[4]

وفي كثير من الأوقات لم يكن في بيوت النبي الحبيب ﷺ غير الماء، فروى أبو هريرة رضي الله عنه قال { جَاءَ رَجُلٌ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ ، فَقال إنِّي مَجْهُودٌ، فأرْسَلَ إلى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقالتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بالحَقِّ، ما عِندِي إلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إلى آخرى، فَقالتْ مِثْلَ ذلكَ، حتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذلكَ: لَا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بالحَقِّ، ما عِندِي إلَّا مَاءٌ، فَقال مَن يُضِيفُ هذا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ؟ فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ، فَقال أَنَا، يا رَسولَ اللهِ }.[5]

---

[1] سورة محمد الآية 38.

[2] سورة التغابن الآية 16.

[3] عن عبد الله بن مسعود وقال الألباني في تخريج مشكاة المصابيح صحيح بمجموع طرقه برقم1826، وقال في صحيح الترغيب حسن صحيح برقم922، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد إسناده حسن برقم10/244.

[4] والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم5423، ومسلم في صحيحه برقم2970.

[5] والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم3798، ومسلم في صحيحه برقم2054 واللفظ له.

وكان ﷺ كريما يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، ولا يرد سائلا أبدا، بل كان يتصدق من قوت أهله القليل على من جاءه سائلا، فكان ﷺ إذا لم يجد ما يعطيه كان يستدين ويعطي السائل، أو يأمر أحد أصحابه فيكفيه، حتى يغنيه الله من فضله.

فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال { أنَّ رَجُلًا سَأَلَ النبيَّ ﷺ غَنَمًا بيْنَ جَبَلَيْنِ، فأعْطَاهُ إيَّاهُ، فأتَى قَوْمَهُ فَقال أَيْ قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَوَاللَّهِ إنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً ما يَخَافُ الفَقْرَ}.[1]

{ ضاف النَّبيُّ ﷺ ضيفًا فأرسَل إلى أزواجِه يبتغي عندهنَّ طعامًا فلم يجِدْ عندَ واحدةٍ منهنَّ فقال اللهمَّ إنّي أسألُك مِن فضلِك ورحمتِك فإنَّه لا يملِكُهما إلَّا أنت فأُهْديَتْ إليه شاةٌ مَصْليَّةٌ فقال هذه مِن فضلِ اللهِ ونحن ننتظِرُ الرَّحمةَ }.[2]

ورى عبد الله بن مسعود عن عمرَ رضى الله عنهما (أنَّه حين فُتِحَ عليه الفتوحاتِ قالتْ له ابنتُهُ حفصةُ رضيَ اللهُ عنها : البَسْ ألينَ الثِّيابِ إذا وفدَتَ عليك الوفودُ من الآفاقِ، ومرَّ بصنعةِ طعامٍ تطعمُهُ وتُطعمُ من حضرَ. فقال عمرُ: يا حفصةُ، ألستِ تعلمينَ أنَّ أعلمَ النَّاسِ بحالِ الرَّجلِ أهلُ بيتِهِ، فقالتْ : بلَى . قال : ناشدتُكِ اللهَ، هل تعلمينَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لبِثَ في النُّبوَّةِ كذا وكذا سنةً، لم يشبعْ هو ولا أهلُ بيتِهِ غدوةً إلَّا جاعوا عشِيَّةً، ولا شبِعوا عشيَّةً إلَّا جاعوا غدوةً ؟ وناشدتُكِ اللهَ، هل تعلمينَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ لبِثَ في النُّبوَّةِ كذا وكذا سنةً لم يشبعْ من التَّمرِ هو وأهلُهُ، حتَّى فتح اللهُ عليه خيبرَ ؟ وناشدتُكِ اللهَ، هل تعلمينَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قرَّبتُم إليه يومًا طعامًا على مائدةٍ فيها ارتفاعٌ، فشقَّ ذلك عليه حتَّى تغيَّر لونُهُ، ثمَّ أمر بالمائدةِ فرُفِعتْ، ووضِعَ الطَّعامُ على دون ذلك، أو وُضِعَ على الأرضِ ؟ وناشدتُكِ اللهَ، هل تعلمينَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان ينامُ على عَباءةٍ مثنيَّةٍ، فثُنِيَتْ له ليلةً أربعَ طاقاتٍ، فنام، عليها، فلمَّا استيقظَ قال منعتموني قيامَ اللَّيلةِ بهذه العباءةِ، اثنوها باثنتَينِ، كما كنتُم تثْنونَها، وناشدتُكِ اللهَ، هل تعلمينَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان يضعُ ثيابَهُ لتُغسلَ، فيأتيهِ بلالٌ فيؤذنَهُ بالصَّلاةِ، فما يجدُ ثوبًا يخرجُ به إلى الصَّلاةِ حتَّى تجفَّ ثيابُهُ، فيخرجُ بها إلى الصَّلاةِ ؟ وناشدتُكِ اللهَ، هل تعلمينَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ صنعَتْ له امرأةٌ من بني ظُفرٍ كساءَينِ، إزارًا ورداءً، وبعثَتْ إليه بأحدِهِما

[1] أخرجه مسلم في صحيحه برقم2312 واللفظ له، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده صحيح برقم4502.
[2] عن عبد الله بن مسعود وقال الألباني إسناده صحيح في السلسلة الصحيحة برقم4/57، وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح غير محمد بن زياد البرجمي وهو ثقة في مجمع الزوائد برقم10/162.

قبلَ أنْ يبلغَ الآخر، فخرج إلى الصَّلاةِ وهو مشتملٌ به، ليس عليهِ غيرُهُ، قد عقدَ طرفَيهِ إلى عنقِهِ، فصلَّى كذلك ؟ فما زالَ يقولُ حتَّى أبكاها، وبكَى عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ وانتحبَ، حتَّى ظننَّا أنَّ نفسَهُ ستخرجُ).[1]

وعندما مات ﷺ ما ترك من متاع الدنيا شيئا ليورث، إلا ما كان في حاجته اليومية مثل بغلته وسلاحه، ولم يترك ذهبا ولا فضة.

فقد روى أبو الدرداء عن الحبيب ﷺ قال { إنَّ العُلماءَ ورثةُ الأنبياءِ إنَّ الأنبياءَ لم يورّثوا دينارًا ولا دِرهمًا إنَّما ورَّثوا العِلمَ فمن أخذَ بِهِ فقد أخذَ بحظٍّ وافرٍ}.[2]

وروت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها { إنَّ أَزْوَاجَ النبيِّ ﷺ حِينَ تُوُفِّيَ رَسولُ اللهِ ﷺ أَرَدْنَ أَنْ يَبْعَثْنَ عُثْمَانَ بنَ عَفَّانَ إلى أَبِي بَكْرٍ، فَيَسْأَلْنَهُ مِيرَاثَهُنَّ مِنَ النبيِّ ﷺ ، قالتْ عَائِشَةُ لهنَّ: أَليسَ قدْ قال رَسولُ اللهِ ﷺ : لا نُورَثُ ما تَرَكْنَا فَهو صَدَقَةٌ }.[3]

وقال عمرو بن الحارث رضي الله عنه قال { ما تَرَكَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ دِينَارًا، ولَا دِرْهَمًا، ولَا عَبْدًا، ولَا أمَةً، إلَّا بَغْلَتَهُ البَيْضَاءَ الَّتي كانَ يَرْكَبُهَا، وسِلَاحَهُ، وأَرْضًا جَعَلَهَا لِابْنِ السَّبِيلِ صَدَقَةً }.[4]

وروت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها { ما تَرَكَ رَسولُ اللهِ ﷺ دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا، وَلَا شَاةً، وَلَا بَعِيرًا، وَلَا أَوْصَى بشيءٍ }.[5]

وروى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال { خرجَ النَّبيُّ ﷺ على أصحابِهِ ذاتَ يومٍ وفي يدِهِ قطعةٌ منَ ذهبٍ فقال لعبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ما كانَ محمَّدٌ قائلًا لربِّهِ لو ماتَ وهذهِ عندهُ فقسَّمَها قبلَ أن يقومَ وقال ما يسرُّني أنَّ لأصحابِ محمَّدٍ مثلَ هذا الجبلِ وأشارَ إلى أحدٍ ذهبًا وفضَّةً فينفقُها في سبيلِ اللَّهِ ويتركُ منها دينارًا فقال ابنُ عبَّاسٍ قُبِضَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ قُبِضَ ولم يدَعْ دينارًا ولا درهمًا ولا عبدًا ولا أمةً ولقد تركَ درعَهُ مرهونةً عندَ رجلٍ منَ اليهودِ بثلاثينَ صاعًا من شعيرٍ كانَ يأكلُ منها ويطعمُ عيالَهُ }.[6]

---

[1] عن عمر بن الخطاب وقال العراقي في تخريج الإحياء لم أجده هكذا مجموعا في حديث وهو مفرق في عدة أحاديث برقم4/273.
[2] قال الألباني صحيح في صحيح الترمذي برقم2682، وقال صحيح في صحيح أبي داود برقم3641، وقال صحيح في صحيح الجامع برقم6297، وقال البزار إسناده صالح في البحار الزخار برقم10/18، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند حسن لغيره برقم21715.
[3] أخرجه مسلم في صحيحه برقم1758، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده صحيح على شرط الشيخين برقم6611.
[4] أخرجه البخاري في صحيحه برقم4461، وقال الألباني صحيح في صحيح النسائي برقم3596.
[5] أخرجه مسلم في صحيحه برقم1635، وقال شعيب الأرناؤوط في رواية المسند صحيح دون قولها: ولا أمة ولا عبدا فإسناده حسن برقم25519.
[6] قال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله موثوقون برقم3/126، وقال ابن جرير الطبرى في مسند بن عباس إسناده صحيح برقم1/239 باختلاف يسير.

وكان ميراث النبي ﷺ سَهْمٍ في خَيْبَرَ وفَدَكَ في المدينةِ فكان ينفق منه رسول الله على أهله وكما أمره الله في قرآنه الكريم ﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ٦ ۝ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ٧ ۝﴾.[1]

وكان يأخذ منه ما يكفي أهله لمدة سنة، ويقسم كما أمره الله كما جاءت في الآية، ولا يدخر شيئا لنفسه أو لأهله.

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال { كانَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ يُنْفِقُ علَى أَهْلِهِ نَفَقَةَ سَنَتِهِمْ مِن هذا المَالِ، ثُمَّ يَأْخُذُ ما بَقِيَ، فَيَجْعَلُهُ مَجْعَلَ مَالِ اللَّه }.[2]

وكان الحبيب ﷺ جوادا كريما يحب البذل والعطاء ويكره البخل والشح، وهو الأشد من البخل، ولقد ذمه ربنا سبحانه وتعالى في كتابه الكريم فقال سبحانه ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾.[3]

وكان أجود الناس ويكثر جوده في رمضان كما روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال { كانَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ أجْوَدَ النَّاسِ، وكانَ أجْوَدُ ما يَكونُ في رَمَضانَ حِينَ يَلْقاهُ جِبْرِيلُ، وكانَ يَلْقاهُ في كُلِّ لَيْلَةٍ مِن رَمَضانَ فيُدارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرَسولُ اللَّهِ ﷺ أجْوَدُ بالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ }.[4]

ويروى عنه خادمه أنس بن مالك رضي الله عنه وقد رأي من النبي الكثير، لكثرة معاشرته ومجاورته طوال عشر سنين فقال { كان أحسنَ الناسِ، وأجودَ الناسِ، وأشجعَ الناسِ }.[5]

وروى جبير بن مطعم رضي الله عنه قال { أنَّهُ بيْنَما هو يَسِيرُ مع رَسولِ اللَّهِ ﷺ ومعهُ النَّاسُ مَقْفَلَهُ مِن حُنَيْنٍ، فَعَلِقَهُ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ حتَّى اضْطَرُّوهُ إلى سَمُرَةٍ، فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ، فَوَقَفَ النبيُّ ﷺ ، فَقال أعْطُونِي رِدَائِي، لو كانَ لي عَدَدُ هذِهِ العِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بيْنَكُمْ، ثُمَّ لا تَجِدُونِي بَخِيلًا، ولَا كَذُوبًا، ولَا جَبَانًا }.[1]

---

[1] سورة الحشر الآية 7.
[2] والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم3094، ومسلم في صحيحه برقم1757.
[3] سورة التغابن الآية 16.
[4] والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6، ومسلم في صحيحه برقم2308.
[5] والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2820، ومسلم في صحيحه برقم2307.

والأمثلة كثيرة عن كرم الحبيب وجوده ﷺ .

وكان ﷺ يكره البخل والشح ويحذر أمته منهما، والفرق بينهما هو أن الشح هو شدة حرص على الشيء، والإحفاء في طلبه، والاستقصاء في تحصيله، وجَشَع النفس عليه، أما البخل فهو أقل منه بل هو متفرع من الشح وثمره منه، وهو الحرص على جمع المال وعدم إنفاقه، كما قال علماؤنا.

فقال { اتَّقُوا الظُّلْمَ، فإنَّ الظُّلْمَ ظُلُماتٌ يَومَ القِيامَةِ، واتَّقُوا الشُّحَّ، فإنَّ الشُّحَّ أهْلَكَ مَن كانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ علَى أنْ سَفَكُوا دِماءَهُمْ واسْتَحَلُّوا مَحارِمَهُمْ }.[2]

وفي رواية آخرى قال الحبيب ﷺ { إيَّاكم والشُّحَّ فإنَّما هلَكَ من كانَ قبلَكم بالشُّحِّ أمرَهم بالبُخلِ فبخِلوا وأمرَهم بالقطيعةِ فقَطعوا وأمرَهم بالفُجورِ ففجروا }.[3]

وقال الحبيب ﷺ في ذم الشح فقال { لا يجتمعُ غبارٌ في سبيلِ اللهِ ودُخَانُ جهنَّمَ في جوفِ عبدٍ ولا يجتمِعُ الشُّحُّ والإيمانُ في قلبِ عبدٍ أبدًا }.[4]

وكان يستعيذ ﷺ من البخل فيقول سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه { كانَ النبيُّ ﷺ يُعَلِّمُنَا هَؤُلَاءِ الكَلِمَاتِ، كما تُعَلَّمُ الكِتَابَةُ: اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ مِنَ البُخْلِ، وأَعُوذُ بكَ مِنَ الجُبْنِ، وأَعُوذُ بكَ مِن أنْ نُرَدَّ إلى أرْذَلِ العُمُرِ، وأَعُوذُ بكَ مِن فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وعَذَابِ القَبْرِ}[5].

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه { أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ كانَ يَدْعُو: أعُوذُ بكَ مِنَ البُخْلِ والكَسَلِ، وأَرْذَلِ العُمُرِ، وعَذَابِ القَبْرِ، وفِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وفِتْنَةِ المَحْيَا والمَمَاتِ }.[6]

وروى أبو سعيد الخدري رضى الله عنه عن الحبيب ﷺ أنه قال { قُلْ إذا أصبحتَ وإذا أمسيْتَ اللَّهمَّ إنّي أعوذُ بك من الهمّ والحزنِ وأعوذُ بك من العجزِ والكسلِ وأعوذُ بك من البخلِ والجبنِ وأعوذُ بك من غلبةِ الدَّينِ وقهرِ الرّجالِ }.[1]

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه برقم2821، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند صحيح برقم16778.

[2] عن جابر بن عبد الله والحديث متفق عليه أخرجه مسلم في صحيحه برقم2578، وقال الألباني صحيح في صحيح الأدب المفرد برقم373.

[3] عن عبد الله بن عمرو وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم1698، وقال صحيح في صحيح الجامع برقم2678، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده صحيح برقم5176.

[4] عن أبي هريرة وقال الألباني صحيح في صحيح النسائي برقم 3112، وقال صحيح في صحيح الجامع برقم7616، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان حديث صحيح لغيره وله شاهد برقم3251، وقال في تخريج شرح السنة صحيح برقم2619.

[5] أخرجه البخاري في صحيحه برقم6390، وقال أحمد شاكر في مسند أحمد إسناده صحيح برقم3/103، وقال الألباني صحيح في صحيح النسائي برقم5494.

[6] والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم4707، ومسلم في صحيحه برقم2706.

كل ذلك ليكون الفقير والمسكين والمحتاج معززا مكرما في إسلامنا الجميل، لا يهان ولا يذل، بل يحفظ إسلامنا الجميل له كرامته وعزة نفسه.

15- من أجلك أيها الفقير

لم يجمع الله عليك فقرا في الدنيا وتعبا ومشقة وعذابا في الآخرة، إذا اتقيت الله وعملت صالحا، فالله الكريم جعل أكثر أهل الجنة من فقراء الدنيا.

فقد قال الحبيب ﷺ { اطَّلَعْتُ في الجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الفُقَرَاءَ }.[2]

وروى أسامة بن زيد رضى الله عنهما عن الحبيب ﷺ أنه قال { قُمْتُ علَى بابُ الجَنَّةِ، فَكانَ عامَّةَ مَن دَخَلَها المَساكِينُ، وأَصْحابُ الجَدِّ مَحْبُوسُونَ }.[3]

وكان الحبيب ﷺ فقيرا، ولو شاء أن يكون غنيا لكان أغنى خلق الله، فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال { لَمْ يَأْكُلِ النبيُّ ﷺ علَى خِوَانٍ حتَّى مَاتَ، وما أكَلَ خُبْزًا مُرَقَّقًا حتَّى مَاتَ }.[4]

وقال في رواية آخرى { ما عَلِمْتُ النبيَّ ﷺ أكَلَ علَى سُكْرُجَةٍ قَطُّ، ولَا خُبِزَ له مُرَقَّقٌ قَطُّ، ولَا أكَلَ علَى خِوَانٍ قَطُّ قيلَ لِقَتَادَةَ: فَعَلَامَ كَانُوا يَأْكُلُونَ؟ قال علَى السُّفَرِ}.[5]

أَكَلَ على سُكُرُّجَةٍ قَطُّ، وهي صِحَافٌ أو أَطْبَاقٌ تُوضَع فيها المُخَلَّلاتُ والمُشَهِّياتُ، **ولا خُبِزَ له مُرَقَّقٌ قَط، أي: ولم يُخبَزْ له ﷺ ذلك الخُبْزُ الرَّقِيقُ الفآخر المسمَّى بالرُّقَاقِ. ولا أَكَلَ على خِوَانٍ قَطُّ، أي: ولا أَكَلَ في حياتِه كلِّها على مائدةٍ من تلك الموائِدِ النُّحَاسِيَّةِ المُرتَفِعة عن الأرضِ التي يأكُل عليها العُظماء والمُترَفُون. وكان يأكُل ﷺ وأصحابُه على السُّفَرِ التي تُمَدُّ على الأرضِ تواضُعًا وزُهدًا في الدُّنيا ومظاهِرِها .**

وروى أبو هريرة رضي الله عنه { أَنَّهُ مَرَّ بقَوْمٍ بيْنَ أيْدِيهِمْ شَاةٌ مَصْلِيَّةٌ، فَدَعَوْهُ، فأبَى أنْ يَأْكُلَ، وقال خَرَجَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الدُّنْيَا ولَمْ يَشْبَعْ مِن خُبْزِ الشَّعِيرِ }.[1]

---

[1] قال الألباني ضعيف في ضعيف أبي داود برقم1555، وقال ضعيف في ضعيف الجامع برقم2169.

[2] والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6449عن طريق عمران بن حصين، ومسلم في صحيحه برقم2737عن طريق عبد الله بن عباس.

[3] والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم5196، ومسلم في صحيحه برقم2736.

[4] عن أنس بن مالك وأخرجه البخاري في صحيحه برقم6450، وقال الألباتى صحيح في صحيح الترمذي برقم2363.

[5] عن أنس بن مالك وأخرجه البخاري في صحيحه برقم5415، وقال الألباتى صحيح في صحيح الترمذي برقم1788.

وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه { خرج رسولُ اللهِ ﷺ من الدُّنيا، ولم يشبَعْ هو ولا أهلُه من خبزِ الشَّعير}.[2]

ولو أراد الحبيب أن يكون أغنى الخلق لكان، قال الحبيب ﷺ { عرضَ عليَّ ربِّي لِيَجْعَلَ لي بَطْحَاءَ مكةَ ذهبًا، قلتُ: لا يا ربِّ، ولكنْ أَشْبَعُ يومًا، وأَجُوعُ يومًا. أو قال ثلاثًا [أو نحو هذا] فإذا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إليك، وذَكَرْتُكَ، وإذا شَبِعْتُ شَكَرْتُك، وحمِدْتُك }.[3]

ورى أبو ذر رضي الله عنه قال { كُنْتُ مع النبيِّ ﷺ ، فَلَمَّا أبْصَرَ - يَعْنِي أُحُدًا - قال ما أُحِبُّ أنَّه تَحَوَّلَ لي ذَهَبًا، يَمْكُثُ عِندِي منه دِينَارٌ فَوْقَ ثَلَاثٍ، إلَّا دِينَارًا أُرْصِدُهُ لِدَيْنٍ ثُمَّ قال إنَّ الأكْثَرِينَ هُمُ الأقَلُّونَ، إلَّا مَن قال بالمَالِ هَكَذَا وهَكَذَا، - وأَشَارَ أبو شِهَابٍ بيْنَ يَدَيْهِ وعَنْ يَمِينِهِ وعَنْ شِمَالِهِ - وقَلِيلٌ ما هُمْ }.[4]

الأكْثَرِينَ هُمُ الأقَلُّونَ، أي الذين يجمعون المال في الدنيا هم الأقل في الجنة إلا من صرف من ماله عن يمينه وشماله بنفق في سبيل الله، وقليل ما هم، لذا فأكثر أهل الجنة كما قال الحبيب ﷺ من الفقراء.

---

[1] عن أبي هريرة وتفرد به البخاري في صحيحه برقم5414.

[2] عن عبد الرحمن بن عوف، وقال الألباني صحيح لغيره في صحيح الترغيب برقم3266، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد إسناده حسن برقم10/315.

[3] عن أبي أمامة الباهلي، وقال الألباني ضعيف في ضعيف الترمذي برقم2347، وقال ضعيف في ضعيف الترغيب برقم1902، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند ضعيف جدا برقم22190.

[4] والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2388 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم94.

الباب الرابع

إسلامنا الجميل

والضعفاء

(الخدم والعمال)

إسلامنا الجميل والضعفاء

(الخدم والعمال)

إسلامنا الجميل كما دافع عن المرأة والفقير والمسكين، دافع أيضا عن ركن في المجتمع لا يُستَغنى عنه وهو جزء مهم في المجتمع، وكثير ما يؤكل حقه ويُهضم.

ألا وهم العبيد والخدم والعاملون، وإن كانت العبودية قد انتهت تقريبا من عالمنا المعاصر، ولكن في كتب الفقه مازالت أحكامهم موجودة حتى لا تهضم حقوقهم، فهم إخواننا في العقيدة وفي الإنسانية.

نحن أخوة

لا يختلف الخادم والعامل عن صاحب العمل شيئاً، فله نفس كنفسه، وله أعضاء كأعضاءه، لا يتمايز صاحب العمل والمال عن خادمه أو عامله شيء من ذلك، فله روح كروحه، وتحس وتتأثر أكثر من الألم والظلم الواقع عليها من صاحب الأمر عليها، وإسلامنا الجميل ينصف هؤلاء الضعفاء جميعا، وينبهنا قرآننا الكريم بأن الناس جميعا سواسية وأخوة في البشرية، وساوى إسلامنا الجميل بيننا، ولم يفرق بين الغني والفقير أو الشريف والوضيع أو المسلم وغير المسلم، ولكن التفرقة الوحيدة بين البشر هي تقوى الله سبحانه, فأبونا واحد وأمنا واحدة.

فيقول ربنا سبحانه ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾.[1]

ويقول سبحانه وتعالى الرحيم ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾.[2]

وقال الله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.[3]

---

[1] سورة الحجرات الآية 10.
[2] سورة الحجرات الآية 13.
[3] سورة النحل الآية 97.

ويقول الحبيب ﷺ { يا أيها الناسُ إنَّ ربَّكم واحدٌ، وإنَّ أباكم واحدٌ، ألا لا فضلَ لعربيٍّ على عجميٍّ، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ، ولا لأحمرَ على أسودَ، ولا لأسودَ على أحمرَ إلا بالتقوى إنَّ أكرمَكم عند اللهِ أتقاكُم، ألا هل بلَّغتُ ؟ قالوا : بلى يا رسولَ اللهِ قال : فليُبَلِّغُ الشاهدُ الغائبَ }.[1]

وقال الحبيب ﷺ { إنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إلى صُوَرِكُمْ وأَمْوالِكُمْ، ولَكِنْ يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ وأَعْمالِكُمْ }.[2]

والكل سواء في التكاليف والأحكام وإقامة الحدود، فلا فرق ولا تميز بين الجميع.

فيقول الحبيب ﷺ { إنَّمَا أَهْلَكَ الذينَ قَبْلَكُم أنَّهُم كانُوا إذَا سَرَقَ فيهُم الشَّريفُ تَرَكُوه ، وَإذَا سَرَقَ فيهُم الضَّعيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ }.[3]

جعلنا سبحانه طبقات

فالله سبحانه وتعالى جعل الناس طبقات ليتنوع البشر ويخدم بعضهم بعضا، ولا يستغني بعضهم عن بعض، بل يخدم بعضهم بعضا، لتستقيم الحياة وتعمر الأرض، فالطبيب يخدم المرضى والمهندس يخدم الناس في صناعتهم وبنائهم والعامل يخدم من استأجره في القيام بعمله والخادم يخدم مخدومه بأجر، وهكذا كل ميسر لما خلق له، ويخدم بعضهم بعضا، فليس هذا بعيب ولا عار، فلو تأخر عامل النظافة يوما ولم يرفع القمامة لمات الناس من القذارة والرائحة الكريهة.

ولذا ينبهنا الله سبحانه الخالق لذلك فيقول لنا في كتابه الكريم ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾.[4]

ويقول لنا سبحانه لبيان حقيقة الأمر﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾.[5]

أعط الأجير حقه

[1] عن حابر بن عبد الله، قال الألباني في السلسلة الصحيحة إسناده صحيح برقم2700، وقال في غاية المرام صحيح برقم313 باختلاف يسير، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح برقم23489 عن رجل من الصحابة.
[2] عن أبي هريرة وأخرجه مسلم في صحيحه برقم2564، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده صحيح برقم394.
[3] عن عائشة، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم3475، ومسلم في صحيحه برقم1688.
[4] سورة الزخرف الآية 32.
[5] سورة الأنعام الأية 165.

ويحذرنا الحبيب ﷺ من هضم حق الأجير مهما كان فيقول { أعطوا الأجيرَ أجرَهُ قبلَ أن يجفَّ عرقُهُ }.[1] وفي وراية آخرى حقه بدل أجره.

ويقول الحبيب ﷺ { قال اللَّهُ: ثَلاثَةٌ أنا خَصْمُهُمْ يَومَ القِيامَةِ: رَجُلٌ أعْطَى بي ثُمَّ غَدَرَ، ورَجُلٌ باعَ حُرًّا فأكَلَ ثَمَنَهُ، ورَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أجِيرًا فاسْتَوْفي منه ولَمْ يُعْطِ أجْرَهُ }.[2]

ويحذر الحبيب ﷺ من أكل مال الأجير وهضم حقه، فقال { مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بيَمِينِهِ، فقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ له النَّارَ، وَحَرَّمَ عليه الجَنَّةَ فَقال له رَجُلٌ: وإنْ كانَ شيئًا يَسِيرًا يا رَسُولَ اللهِ؟ قال وإنْ قَضِيبًا مِن أَرَاكٍ }.[3]

أكرمه ولا تهنه

ويضع لنا الحبيب ﷺ دستورا إنسانيا للتعامل مع من استعملته سواء كان خادم أو عامل، فقال المَعرورُ بنُ سُوَيْدٍ رضي الله عنه { لَقِيتُ أبَا ذَرٍّ بالرَّبَذَةِ، وعليه حُلَّةٌ، وعلَى غُلَامِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عن ذلكَ، فَقال إنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بأُمِّهِ، فَقال لي النبيُّ ﷺ : يا أبَا ذَرٍّ أعَيَّرْتَهُ بأُمِّهِ؟ إنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أيْدِيكُمْ، فمَن كانَ أخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ ممَّا يَأْكُلُ، ولْيُلْبِسْهُ ممَّا يَلْبَسُ، ولَا تُكَلِّفُوهُمْ ما يَغْلِبُهُمْ، فإنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فأعِينُوهُمْ }.[4]

وفي حديث آخر { أَكْرِموهم كرامةَ أولادِكُم وأطعِموهم مِمَّا تأكلونَ قالوا فما ينفعُنا في الدُّنيا يا رسولَ اللَّهِ قالَ فرسٌ صالحٌ ترتبطُهُ تقاتلُ عليهِ في سبيلِ اللَّهِ ومَملوكٌ يَكْفيكَ فإذا صلَّى فَهوَ أخوكَ }.[5]

وفي رواية أخرى { مملوكٌ يَكفيكَ، فإذا صلَّى فهو أخوكَ . فأكرِموهم كرامةَ أولادِكم، وأطعِموهم مما تأكُلونَ واكْسُوهم ممَّا تلْبَسون }.[1]

---

[1] عن عبد الله بن عمر، وقال الألباني صحيح في صحيح ابن ماجه برقم1995، وقال في إرواء الغليل عن عبد الله بن عمر وأبو هريرة وجابر بن عبد الله صحيح برقم1498، وقال في صحيح الجامع حسن برقم1055، وقال في صحيح الترغيب صحيح لغيره برقم1877، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج مشكل الآثار إسناده قوي برقم3014 عن أبي هريرة.

[2] عن أبي هريرة وأخرجه البخاري في صحيحه برقم2227، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده حسن برقم7339 باختلاف يسير، وقال الألباني ضعيف في ضعيف ابن ماجه برقم482.

[3] عن أبي أمامة إياس بن ثعلبة، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم137، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح على شرط مسلم برقم57/00

[4] عن أبي ذر الغفاري، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم30، ومسلم في صحيحه برقم1661.

[5] عن أبي بكر، وقال ابن حجر العسقلاني في إتحاف المهرة منقطع برقم8/250.

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال { أتَى النبيَّ ﷺ رجلٌ فقال يا رسولَ اللهِ إني ابتعتُ عبدًا فما أصنعُ به قال أخوك في الإسلامِ أطعِمْه مما تأكلُ وألبِسْه مما تلبسُ فإذا كرهتَه فبِعْه }.[2]

وروى عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال { بَصَرُ عَيْنَيَّ هَاتَيْنِ، وَسَمْعُ أُذُنَيَّ هَاتَيْنِ، وَوَعَاهُ قَلْبِي هذا، وَأَشَارَ إلى مَنَاطِ قَلْبِهِ، رَسولَ اللهِ ﷺ وَهو يقولُ: أَطْعِمُوهُمْ ممَّا تَأْكُلُونَ، وَأَلْبِسُوهُمْ ممَّا تَلْبَسُونَ }.[3]

وفي رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما { أطعِموهم مِمَّا تأْكلونَ واكسوهُم مِمَّا تلبسونَ }.[4]

وفي رواية كعب بن عمرو رضي الله عنه { أَطعِموهم مما تأكلون ، واكسُوهم مما تكتَسونَ }.[5]

وفي رواية أبي ذر رضي الله عنه { من لاءَمَكم مِن مملوكيكم فأطْعِموه مما تأكلون، واكسُوه مما تَلْبَسون ، ومَن لم يلائَمْكم منهم فبِيعوه ولا تعذِّبوا خلقَ اللهِ }.[6]

عامله معاملة حسنة

وأول من طبق هذا الدستور الإنساني مع الخدم والعمال هو الحبيب ﷺ مع خادمه أنس بن مالك رضي الله عنه فقال أنس رضي الله عنه { خَدَمْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، وَاللَّهِ ما قال لِي: أُفًّا قَطُّ، وَلَا قال لي لِشيءٍ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا؟ وَهَلَّا فَعَلْتَ كَذَا؟ }.[7]

وفي رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنهما { كان النَّبيُّ ﷺ يوصي بالمَمْلوكينَ خَيرًا، ويقولُ: أَطْعِموهُم ممَّا تَأكُلونَ، وأَلْبِسوهُم مِن لَبوسِكُم، ولا تُعَذِّبوا خَلْقَ اللهِ }.[8]

أعنه إذا كلفته

---

[1] قال الألباني ضعيف في ضعيف ابن ماجه برقم742، وقال ضعيف في ضعيف الجامع برقم5279، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده ضعيف برقم75، وقال ضعيف في تخريج مسند أبي بكر برقم97.

[2] رواه الطبراني في الأوسط برقم5/161، ورقم3/345، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد فيه سعيد بن محمد بن الوراق وهو متروك برقم4/240.

[3] أخرجه مسلم في صحيحه برقم3007.

[4] قال البزار في البحر الزخار المعروف بمسند البزار لا نعلمه يروي عن ابن عمر إلا بهذا الإسناد برقم12/233، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد فيه كوثر بن حكيم وهو متروك برقم4/241.

[5] قال الألباني صحيح في صحيح الأدب المفرد برقم566.

[6] قال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم5161، وقال صحيح في الجامع برقم6602، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند حسن لغيره بهذه السياقة برقم21515 باختلاف يسير.

[7] والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6038، ومسلم في صحيحه برقم2309 واللفظ له.

[8] قال الألباني في صحيح الأدب المفرد صحيح برقم139، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند[فيه] الفضل بن مبشر ضعيف برقم23/70.

وإن كلفت عاملك أو خادمك شيئا فأعنته، فإن لك فيه أجرا.

فقال الحبيب ﷺ { ما خفَّفْتَ عن خادمِك مِن عملِه كان لك أجرًا في موازينِكَ }.[1]

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال الحبيب ﷺ { هم إخوانكم خوَلُكم جعَلَهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليُطعِمْه ممَّا يأكلُ ويُلبِسْه مما يلبَس ولا تكَلِّفوهم ما يغلِبُهم، فإنْ كلَّفتُموهم فأعينُوهم، ومن لم يلائِمْكم منهم فبيعوهم، ولا تعَذِّبوا خَلقَ الله }.[2]

وعن أبي هريرة قال الحبيب ﷺ { للمملوكِ طعامُه وشرابُه وكِسوتُه ولا يكلَّفُ إلَّا ما يُطيقُ فإن كلَّفتموهم فأعينوهم ولا تعذِّبوا عبادَ اللهِ خلقًا أمثالَكم }.[3]

لا تظلمهم

وإن كانت العبودية قد انتهت في عالمنا الآن، إلا أنه مازالت هناك عبودية معنوية تمارس على الضعفاء في مجتمعنا والمجتمعات الآخرى، ألا وهو استعباد الخدم والعاملين في البيوت، والعاملين في المصانع والمتاجر وغيرها ممن يستخدمهم الناس في أعمالهم.

فيمارس عليهم الظلم والعبودية المعنوية في العمل والشغل، ويُهضم حقهم ليس في حقهم المالي فقط، ولكن في حسن التعامل والسلوك، ولذا جاء إسلامنا الجميل ليمنع عنهم هذا الظلم وهذا التعدي على حقوقهم المهضومة ومالهم المسلوب.

واحذروا من ظلم هؤلاء الضعفاء فالله ناصرهم في الدنيا قبل الآخرة، فيقول ربنا العدل العزيز ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ }.[4]

ويقول الله القوي العزيز ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾.[5]

---

[1] عن عمرو بن حريث وأخرجه ابن حبان في صحيحه وقال شعيب الأرناؤوط إسناده صحيح على شرط مسلم إلى عمرو بن حريث فالحديث مرسل برقم4314، وقال الألباني ضعيف في ضعيف الترغيب برقم1378 وضعيف الجامع برقم5058.

[2] والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم30، ومسلم في صحيحه برقم1661.

[3] أخرجه مسلم في صحيحه برقم1662، وقال الألباني صحيح في صحيح الترغيب برقم2284، وقال شعيب الأرناؤوط تخريج صحيح ابن حبان إسناده حسن برقم4313.

[4] سورة إبراهيم الآية 42.

[5] سورة آل عمران الآية 192.

ويقول ربنا سبحانه ﴿ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾.[1]

ويقول الحبيب ﷺ { اتَّقُوا الظُّلْمَ، فإنَّ الظُّلْمَ ظُلُماتٌ يَومَ القِيامَةِ }.[2]

وروى أبو مسعود عقبة بن عمرو رضي الله عنه قال { كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لي بالسَّوْطِ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِن خَلْفِي، اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، فَلَمْ أَفْهَمِ الصَّوْتَ مِنَ الغَضَبِ، قال فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إذَا هو رَسولُ اللهِ ﷺ ، فَإِذَا هو يقولُ: اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، قال فألْقَيْتُ السَّوْطَ مِن يَدِي، فَقال اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، أنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ علَى هذا الغُلَامِ، قال فَقُلتُ: لا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا }.[3]

وفي وراية آخرى قال { كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي، فَسَمِعْتُ مِن خَلْفِي صَوْتًا: اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، للَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عليه، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هو رَسولُ اللهِ ﷺ ، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، هو حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ، فَقال أَما لو لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ، أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ }.[4]

وما ضرب الحبيب ﷺ خادما أبدا، وما أساء لهم أبدا، فقد روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت { ما ضَرَبَ رَسولُ اللهِ ﷺ شيئًا قَطُّ بيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إلَّا أَنْ يُجَاهِدَ في سَبيلِ اللهِ، وَما نِيلَ منه شيءٌ قَطُّ، فَيَنْتَقِمَ مِن صَاحِبِهِ، إلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شيءٌ مِن مَحَارِمِ اللهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ }.[5]

وإذا أخطأ الخادم، فلا تعاجله بالعقوبة، ولكن تمهل قليلا، فقد لا يكون هو متسبب في هذا الخطأ، أو أخطأ ناسيا أو جاهلا أو غير متعمد، فاعفه عنه وسامحه، واسمع منه مبرراته، وعاتبه برفق ورحمة ومتفهما سبب خطأه.

فقد روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حديث جميل فقال { جاء رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ ، فقال يا رسولَ اللهِ، كم نعفو عن الخادمِ؟ فصمَتَ، ثم أعادَ عليه الكلامَ، فصَمَتَ، فلما كان في الثالثةِ قال اعفُوا عنه في كل يومٍ سبعين مرةً }.[6]

---

[1] سورة الحج الآية 71.

[2] عن جابر بن عبد الله وأخرجه مسلم في صحيحه برقم2578، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم102، وعن عبد الله بن عمر والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2447، ومسلم في صحيحه برقم2579 واللفظ له.

[3] أخرجه مسلم في صحيحه برقم1659، وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم5159.

[4] أخرجه مسلم في صحيحه برقم1659، وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم5159.

[5] أخرجه مسلم في صحيحه برقم2328، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند صحيح برقم24934.

[6] قال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم5164، وقال صحيح في صحيح الترمذي برقم1949، وقال شعيب الأناؤوط في تخريج المسند صحيح برقم5899.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال { خَدَمْتُ النبيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فَما قال لِي: أُفٍّ، ولَا: لِمَ صَنَعْتَ؟ ولَا: ألَّا صَنَعْتَ }.[1]

أحسن إليهم

وإحسانك للأجير والعامل والخادم يكون سببا لفرج الله عليك من الضيق والضنك، ففي قصة الأصحاب الذين علقوا في الكهف، كان مما فرج الله عنهم هذا الهم والغم أن أحدهم أحسن إلى أجيره وأعطاه حقه كاملا، فقد روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن الحبيب ﷺ قال { وقال الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ، فأعْطَيْتُهُمْ أجْرَهُمْ غيرَ رَجُلٍ واحِدٍ تَرَكَ الذي له وذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أجْرَهُ حتَّى كَثُرَتْ منه الأمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقال يا عَبْدَ اللَّهِ أدِّ إلَيَّ أجْرِي، فَقُلْتُ له: كُلُّ ما تَرَى مِن أجْرِكَ مِنَ الإبِلِ والبَقَرِ والغَنَمِ والرَّقِيقِ، فَقال يا عَبْدَ اللَّهِ لا تَسْتَهْزِئْ بي، فَقُلْتُ: إنِّي لا أسْتَهْزِئُ بكَ، فأخَذَهُ كُلَّهُ، فَاسْتَاقَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ منه شيئًا، اللَّهُمَّ فإنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلكَ ابْتِغَاءَ وجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا ما نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ }.[2]

ويدافع إسلامنا الجميل عن كل فقير كان، سواء كان عاملا فقيرا أو خادما معدما، ويطلب من الأغنياء الإنفاق عليهم ، فقد قال الحبيب ﷺ { لا يأتي رجلٌ مَولاهُ، يسألُهُ مِن فضلٍ عندَهُ، فيمنعُهُ إيَّاهُ، إلَّا دُعِيَ لَهُ يومَ القيامةِ شُجاعٌ أقرعُ يتلمَّظُ فضلَهُ الَّذي منعَ }.[3]

ارحمهم

ولا تكلفهم مالا يطيقون من عمل وارحمهم، فالله سبحانه رحمن الدنيا والآخرة ، ولا تتسلط على ضعيف من خدمك والعاملين تحت يدك، فارحمهم عسى الله أن يرحمك في الدنيا قبل الآخرة.

فقد قال الحبيب ﷺ { الرَّاحمونَ يرحمُهُمُ الرَّحمنُ. ارحَموا من في الأرضِ يرحَمْكم من في السَّماءِ }.[4]

وقال الحبيب ﷺ { مَن لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ }.[1]

---

[1] والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6038 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم2306.

[2] والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2272، ومسلم في صحيحه برقم2743.

[3] عن معاوية بن حيدة القشيري، وقال الألباني حسن في صحيح النسائي برقم2565، وقال حسن في صحيح الجامع برقم7575، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده حسن برقم20032.

[4] عن عبد الله بن عمرو، وقال الألباني صحيح في صحيح الترمذي برقم1924، وقال صحيح في صحيح أبي داود برقم4941، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند صحيح لغيره برقم6494.

عن معاوية بن سويد بن مقرن رضي الله عنه قال { لَطَمْتُ مَوْلًى لَنَا فَهَرَبْتُ، ثُمَّ جِئْتُ قُبَيْلَ الظُّهْرِ، فَصَلَّيْتُ خَلْفَ أَبِي، فَدَعَاهُ وَدَعَانِي، ثُمَّ قال امْتَثِلْ منه، فَعَفَا، ثُمَّ قال كُنَّا بَنِي مُقَرِّنٍ علَى عَهْدِ رَسولِ اللهِ ﷺ ليسَ لَنَا إلَّا خَادِمٌ وَاحِدَةٌ، فَلَطَمَهَا أَحَدُنَا، فَبَلَغَ ذلكَ النبيَّ ﷺ ، فَقال أَعْتِقُوهَا، قالوا: ليسَ لهمْ خَادِمٌ غَيْرُهَا، قال فَلْيَسْتَخْدِمُوهَا، فَإِذَا اسْتَغْنَوْا عَنْهَا، فَلْيُخَلُّوا سَبِيلَهَا }.[2]

امتثِلْ منه، أي: عاقِبْه قِصاصًا، وافْعَلْ به مِثلَ ما فَعلَ بكَ، فَعفَا الخادمُ وسامحَه.

عنْ عُبادةَ بنِ الوَليدِ بنِ عُبادةَ بن الصَّامتِ قال خرَجتُ أَنا وأبي، نَطلبُ هذا العِلمَ في هذا الحيِّ منَ الأنصارِ، قبلَ أن يَهْلِكوا فَكانَ أوَّلَ مَن لَقينا، أبو اليَسَرِ صاحبُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ومعَهُ غلامٌ لَهُ، وعَليهِ بُردةُ معافريٍّ، وعلى غلامِهِ بردةُ معافريٍّ . قال فقلتُ لَهُ: يَا عَمِّ لو أنَّكَ أَخَذْتَ بُرْدَةَ غُلَامِكَ، وَأَعْطَيْتَهُ معافِرِيَّكَ، وَأَخَذْتَ معافِرِيَّهُ وَأَعْطَيْتَهُ بُرْدَتَكَ، فَكَانَتْ عَلَيْكَ حُلَّةٌ وَعليه حُلَّةٌ، فَمَسَحَ رَأْسِي، وَقال اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِ، يا ابْنَ أَخِي بَصَرُ عَيْنَيَّ هَاتَيْنِ، وَسَمْعُ أُذُنَيَّ هَاتَيْنِ، وَوَعَاهُ قَلْبِي هذا، وَأَشَارَ إلى مَنَاطِ قَلْبِهِ، رَسولَ اللهِ ﷺ وَهو يقولُ: { أَطْعِمُوهُمْ ممَّا تَأْكُلُونَ، وَأَلْبِسُوهُمْ ممَّا تَلْبَسُونَ وَكانَ أَنْ أَعْطَيْتُهُ مِن مَتَاعِ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِن أَنْ يَأْخُذَ مِن حَسَنَاتي يَومَ القِيَامَةِ }.[3]

البُردَةُ شَمْلَةٌ مُخطَّطةٌ، وقيل: كِساءٌ مُربَّعٌ فيهِ صِغَرٌ يَلبسُه الأَعرابُ، والمعافريُّ نَوعٌ منَ الثِّيابِ يُعمَلُ بقَريةٍ تُسمَّى مَعافِرَ، وقيل: هي نِسبةٌ إلى قَبيلةٍ نَزلتْ تِلكَ القَريَةَ.

وقال الحبيب ﷺ { ما أطعمْتَ زوجتَكَ فهو لَكَ صدَقَةٌ، وما أطعَمْتَ ولدَكَ فهو لَكَ صدَقَةٌ، وما أطعَمْتَ خادِمَكَ فهو لَكَ صدقةٌ، وما أطعمتَ نفْسَكَ فهو لكَ صدَقَةٌ }.[4]

---

[1] عن أبي هريرة، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم5997، ومسلم في صحيحه برقم2318.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه برقم1658، وقال الألباني صحيح في الأدب المفرد برقم132.

[3] عن عبادة بن الصامت، وأبي اليسر والحديث متفق عليه اخرجه مسلم في صحيحه برقم3007، والبخاري في الأدب المفرد برقم187.

[4] عن المقدام بن معدي كرب، وقال الألباني صحيح في صحيح الأدب المفرد برقم60، وقال صحيح في صحيح الجامع برقم5535، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند حسن برقم17179، ورواه النسائي في السنن الكبرى برقم9185.

الباب الخامس

إسلامنا الجميل
والجار

إسلامنا الجميل والجار

إسلامنا الجميل يريد مجتمعا مسلما متكاملا مترابطا يشد بعضه بعضا، يشعر فيه كل فرد أنه جزء لا يتجزأ من المجتمع المتكامل الذي يعيش فيه، ولذا اهتم إسلامنا الجميل بمكونات هذا المجتمع وربط بينهم برباط الأخوة والمحبة.

وكما ذكرنا سابقا كيف اهتم إسلامنا الجميل بالعنصرين الأضعف وهما المرأة واليتيم في المجتمع المسلم أو المجتمع العالمي، سواء كان المجتمع مسلما أو غير مسلم أو مختلطا بنسب مختلفة، فقد جاء الإسلام للعالمين، فيقول ربنا سبحانه ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[1]، ويقول ربنا سبحانه ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾.[2]

ويقول حبيبنا ﷺ { وكانَ النبيُّ يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وبُعِثْتُ إلى النَّاسِ كَافَّةً }.[3]

والجار هو من صميم هذا المجتمع، وما المجتمع إلا مجموعة من الجيران المتجاورين، والذين يختلط بعضهم ببعض، وبهم يتكون المجتمع.

ولأهمية الجار أولاه إسلامنا الجميل أهمية كبيرة، فهذا الجار ما هو إلا جزء مهم من المجتمع، والمجتمع هو جزء من الأمة، يقول ربنا سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾.[4]

ويقول ربنا سبحانه ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾.[5]

---

[1] سورة الفرقان الآية 1.
[2] سورة الأعراف الآية 158.
[3] عن جابر بن عبد الله، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم335، ومسلم في صحيحه برقم521.
[4] سورة الحجرات الآية 13.
[5] سورة النساء الآية 36.

ففي هذه الآية الكريمة شملت أهم أخلاق المجتمع المسلم من عبادة الله الواحد الأحد وهو أساس هذا المجتمع، ثم عطف ربنا العليم بر الوالدين والإحسان إليهما، وعطف الإحسان بعد الوالدين إلى ذي القربى، وهم الأقرب كالجد والجدة والأخوة والأخوات والأبناء، فالأقرب بعدهم من العم والعمات والخال والخالات وأولادهم ثم الأقرب فالأقرب، ويعطف ربنا الرحيم بعد ذي القربى باليتيم ثم المسكين ثم الجار، وحدد ربنا بالجار ذي القربى وهو الذي بينك وبينه قرابة، والجار الجنب وهو المجاور لك وليس بينك وبينه قرابة سواء كان مسلما أو غير مسلم، وقال بعض العلماء والجار الجنب هو جليسك في الحضر ورفيقك في السفر، ثم ابن السبيل وهو المسافر أو هو الضيف الذي يمر عليك، ثم يعطف ربنا الرحيم بما ملكت أيماننا وهم الأرقاء وإذا كان الرق قد انتهي تقريبا من دنيانا ففي دنيانا رِق غير معلن وهم العمال والخدم الضعفاء الذين نتحكم فيهم ونتنمر عليهم.

من السعادة الجار الصالح

ولعظم مكانة الجار وأهميته في المجتمع اهتم إسلامنا الجميل به، فهو الأقرب إليك، فإن كان جارك حسنا سعدت بجواره، وإن كان سيئا شقوت بجواره.

فيقول الحبيب ﷺ { أربعٌ من السعادةِ : المرأةُ الصالحةُ، والمسكنُ الواسعُ، والجارُ الصالحُ، والمركبُ الهنيءُ. أربعٌ من الشَّقاءِ : الجارُ السوءُ، والمرأةُ السوءُ، والمركبُ السوءُ، والمسكنُ الضَّيِّقُ }.[1]

وحسن الجوار من أصول إسلامنا الجميل التي حث عليها وأمر بها، فقد روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها عن الحبيب ﷺ أنه قال { أنَّه مَن أُعطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفقِ، فقد أُعطِيَ حَظَّهُ مِن خَيْرِ الدُّنيا والآخرةِ. وصِلَةُ الرَّحِمِ، وحُسْنُ الخُلُقِ، وحُسْنُ الجِوارِ، يُعَمِّرُ الدِّيارَ، ويَزِيدانِ في الأعمارِ}.[2]

من التعاسة الجار السيئ

ويحذر إسلامنا الجميل من أذية الجار فيقول الحبيب ﷺ { إنَّ اللهَ تعالى يُحبُّ الرجلَ له الجارُ السوءِ يُؤذِيه فيصبر على أذاه، ويحتسِبُه حتى يكفِيَه اللهُ بحياةٍ أو موتٍ }.[1]

[1] عن سعد بن أبي وقاص أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم4032، وقال الألباني إسناده صحيح على شرط الشيخين في السلسلة الصحيحة برقم282، وقال صحيح في صحيح الترغيب برقم2576، وقال صحيح في صحيح الجامع برقم887.

[2] قال الألباني صحيح في السلسلة الصحيحة برقم519، وقال صحيح في صحيح الترغيب برقم2524، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح برقم25259.

وفي رواية آخرى { ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾ [الصف: 4]، ورَجُلٌ له جارٌ يُؤْذيهِ، فيَصبِرُ على أَذاهُ ويَحتَسِبُه حتى يَكفيَه اللهُ إيَّاهُ بموتٍ أو حياةٍ،}.[2]

تعوذ من جار السوء

ولذا أمرنا الحبيب ﷺ أن نتعوذ من جار السوء فهو يؤذيك دائما ولا ترى منه إلا ما تكره، فهو ينغص عليك عيشك ويكدر عليك صفوك.

فيقول حبيبنا ﷺ { تعوَّذوا باللهِ مِن جارِ السُّوءِ في دارِ المقامِ، فإنَّ جارَ الباديةِ يتحوَّلُ عنكَ }.[3]

وفي لفظ آخر يقول حبيبنا ﷺ { اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بك مِن جارِ السَّوءِ في دارِ المُقاومةِ فإنَّ جارَ البادي يتحوَّلُ }.[4]

وكان رسولُ اللهِ ﷺ يقولُ { اللهمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ من يومِ السوءِ ومِنْ لَيْلَةِ السوءِ ومن ساعَةِ السوءِ ومن صاحِبِ السوءِ ومن جارِ السوءِ في دارِ المقامَةِ }.[5]

ويقول الحبيب ﷺ { ثلاثٌ من الفَواقِرِ: إمامٌ إن أَحْسَنْتَ لم يَشْكُرْ، وإن أَسَأْتَ لم يَغْفِرْ، وجارٌ إن رأي خيرًا دفنه، وإن رأي شرًّا أشاعه، وامرأةٌ إن حَضَرَتْكَ آذَتْكَ، وإن غِبْتَ خانَتْكَ }.[6]

ولعلاج الجار السوء وتصرفاته السيئة مع جاره روى أبو هريرة رضي الله عنه قال { جاء رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ يشكو جارَه، فقال: اذهب فاصبرْ فأتاه مرتين أو ثلاثًا فقال: اذهب فاطرحْ متاعَك في الطريق .

---

[1] عن أبي ذر وقال الألباني في ضعيف الجامع ضعيف جدا برقم1699، وقال ضعيف جدا في السلسلة الضعيفة برقم3123.

[2] عن أبي ذر، وقال الألباني في صحيح الترغيب صحيح برقم2569، وقال صحيح في صحيح الجامع برقم3074، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح على شرط مسلم برقم21530، ورواه البزار برقم3908، والطبراني برقم1637/152،2.

[3] عن أبي هريرة قال الألباني حسن صحيح في صحيح النسائي برقم5502 واللفظ له، وقال صحيح في صحيح الجامع برقم2967، ورواه البزار في مسنده برقم8496 باختلاف يسير، ورواه البخاري في الأدب المفرد برقم 117.

[4] عن أبي هريرة قال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده حسن برقم1033، وقال الألباني حسن في صحيح الجامع برقم1290، وقال حسن في صحيح الترغيب برقم2556 بلفظ البادية، كما رواه البزار في مسنده برقم8496.

[5] عن عقبة بن عامر وقال الألباني في صحيح الجامع حسن برقم1299، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله ثقات برقم7/223، ورواه الطبراني برقم17/294، وبرقم810.

[6] عن فضالة بن عبيد وقال الألباني ضعيف في ضعيف الجامع برقم2536، وقال ضعيف في ضعيف الترغيب برقم1526باختلاف يسير، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد فيه محمد بن عصام ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه ولم يوثقه وبقية رجاله وثقوا برقم8/171.

فطرح متاعَه في الطريق، فجعل الناسُ يسألونه فيخبرهم خبره، فجعل الناسُ يلعنونَه: فعل اللهُ به، وفعل، وفعل، فجاء إليه جارُه فقال له: ارجعْ لا ترى مني شيئًا تكرهه }.[1]

جارك يشهد لك يوم القيامة

وجيرانك هم من يشهدون عليك إن كنت محسنا لهم أم مسيئا إليهم، فإن شهدوا لك أنك محسنٌ كنت من أهل الجنة.

فقد روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه { قال رجُلٌ: يا رسولَ اللهِ متى أكونُ مُحسِنًا ؟ قال: إذا قال جيرانُك: أنتَ مُحسِنٌ فأنتَ مُحسِنٌ وإذا قالوا: إنَّك مُسيءٌ فأنتَ مُسيءٌ }.[2]

وفي رواية آخرى { قال النَّبيُّ ﷺ إذا سمِعْتَ جيرانَك يقولونَ قد أحسَنْتَ فقد أحسَنْتَ وإذا سمِعْتَهم يقولونَ قد أسَأْتَ فقد أسَأْتَ }.[3]

ويروى أنس بن مالك رضي الله عنه قال عن الحبيب ﷺ { ما من مسلمٍ يموتُ فَيَشْهَدُ لهُ أربعَةٌ أهلُ أَبْياتٍ من جِيرَانِهِ الأَدْنَيْنَ أنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ إلَّا خيرًا ؛ إلَّا قال اللهُ : قد قَبِلْتُ عِلْمَكُمْ فيهِ، وغَفَرْتُ لهُ ما لا تعلمُونَ }.[4]

علاج لجار السوء

وإسلامنا الجميل جعل سوء معاملة الجار من الفتن التي تؤذي الجار وتنغص عليه حياته، ومن جمال إسلامنا جعل لها سبيلا لتكفيرها ومحوها والتقليل من ضررها في الصلاة والصيام والإكثار من الصدقة لعل الله الكريم أن يمحوها.

فقد قال الحبيب ﷺ { فِتْنَةُ الرَّجُلِ في أهْلِهِ ومالِهِ، ونَفْسِهِ ووَلَدِهِ، وجارِهِ؛ يُكَفِّرُها الصِّيامُ والصَّلاةُ والصَّدَقَةُ، والأمْرُ بالمَعروفِ والنَّهي عَنِ المُنْكَرِ}.[1]

---

[1] قال الألباني حسن صحيح في صحيح أبي داود برقم5153، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده قوي برقم520.

[2] قال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده صحيح على شرط الشيخين غير عبد الله بن فضالة فهو ثقة برقم525، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم277.

[3] قال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده صحيح على شرط مسلم برقم526، وقال أحمد شاكر في مسند أحمد إسناده صحيح برقم5/309، وقال الألباني في صحيح ابن ماجه صحيح برقم3421.

[4] قال الألباني حسن لغيره في صحيح الترغيب برقم3515، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان حديث صحيح بشواهده برقم3026، كما رواه أحمد في مسنده برقم13541.

لا يؤمن من آذى جاره

وينفي إسلامنا الجميل الإيمان عن الجار السوء الذي يؤذي جاره، فيقول الحبيب ﷺ { واللَّهِ لا يُؤْمِنُ، واللَّهِ لا يُؤْمِنُ، واللَّهِ لا يُؤْمِنُ قيلَ: ومَن يا رَسولَ اللَّهِ؟ قال الذي لا يَأْمَنُ جارُهُ بَوايِقَهُ }.[2]

وحديث آخر يؤكد فيه الحبيب ﷺ نفي دخول الجنة من يؤذي جاره فيقسم ويقول { والذي نفسي بيَدِه لا يدخُلُ الجنَّةَ عبدٌ لا يأمَنُ جارُه بوائِقَه }.[3]

وحديث ثالث في تأكيد الحبيب ﷺ في عدم دخول الجنة من يؤذي جاره فيقول { لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَن لا يَأْمَنُ جارُهُ بَوائِقَهُ }[4].

وحديث آخر يقول فيه الحبيب ﷺ { لا يَسْتَقِيمُ إيمانُ عبدٍ حتى يَسْتَقِيمَ قلبُهُ، ولا يَسْتَقِيمُ قلبُهُ حتى يَسْتَقِيمَ لسانُهُ، ولا يَسْتَقِيمُ لسانُهُ ولا يدخلُ رجلٌ الجنةَ من لا يَأْمَنُ جارُهُ بَوَائِقَهُ }.[5]

أحسن إلى جارك

وينصح الحبيب ﷺ أبي هريرة رضي الله عنه بنصائح غالية ليكون مسلما حقا، ومنها أن يحسن إلى جاره، سواء كان جاره في السكن أو السفر أو العمل، فيقول { يا أبا هريرةَ كُنْ وَرِعًا تَكُنْ من أَعْبَدِ الناسِ، وارْضَ بما قسم اللهُ لكَ تَكُن من أَغْنَى الناسِ، وأَحِبَّ للمسلمينَ والمؤمنينَ ما تُحِبُّ لنفسِكَ وأهلِ بيتِكَ، واكْرَهْ لهم ما تَكْرَهُ لنفسِكَ وأهلِ بيتِكَ تَكُنْ مؤمنًا، وجاوِرْ مَن جاوَرْتَ بإحسانٍ تَكُنْ مُسْلِمًا، وإياكَ وكثرةَ الضَّحِكِ ؛ فإنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ فسادُ القلبِ }.[6]

وفي رواية آخرى جميلة يقول الحبيب ﷺ { اتَّقِ المحارمَ تكن أعبدَ الناسِ، وارْضَ بما قسم اللهُ لك تكن أغنى الناسِ وأَحْسِنْ الى جارِك تكن مؤمنًا، وأَحِبَّ للناسِ ما تُحبُّ لنفسِك تكن مسلمًا، ولا تُكثِرِ الضحكَ، فإنَّ

---

[1] عن حذيفة بن اليمان الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم3586، ومسلم في صحيحه برقم144.

[2] عن أبي شريح العدوي وروى عن أبي هريره، وأخرجه البخاري في صحيحه برقم 6016، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح على شرط الشيخين برقم8432.

[3] عن أنس بن مالك، وقال الألباني صحيح في صحيح الترغيب برقم2555، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح على شرط مسلم برقم12562، وقال صحيح في تخريج صحيح ابن حبان برقم510، كما رواه البزار في مسنده برقم7432.

[4] عن أبي هريرة، والحديث متفق عليه،أخرجه مسلم في صحيحه برقم46، وقال الألباني صحيح في صحيح الأدب المفرد برقم89.

[5] عن أنس بن مالك وقال الألباني حسن في صحيح الترغيب برقم2554، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده ضعيف برقم13048.

[6] عن أبي هريرة وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم7833، وقال صحيح لغيره في صحيح الترغيب برقم1741، ورواه الترمذي في سننه برقم2305، وأحمد في مسنده برقم8095، وابن ماجه باختلاف يسير برقم4217.

كثرةَ الضحكِ تُميتُ القلبَ، كن ورعًا تكن أعبدَ الناسِ، وكن قنعًا تكن أشكرَ الناسِ وأَحِبَّ للناسِ ما تُحبُّ لنفسِك تكن مؤمنًا، وأحْسِنْ مجاورةَ من جاورَك تكن مسلمًا }.[1]

وينصح الحبيب ﷺ أبا الدرداء رضي الله عنه فيقوله له { يا أبا الدَّرداءِ أحسِنْ جوارَ مَن جاورَك تكن مؤمنًا وأحبَّ للناسِ ما تحبُّ لنفسِك تكنْ مسلمًا وارضَ بما قسم اللهُ تكُنْ مِن أغنى النَّاسِ }.[2]

أحب لجارك ما تحبه لنفسك

ويدعونا إسلامنا الجميل إلى أن يحب الجار جاره لتدوم بينهم المودة والرحمة والحب ، فيقول الحبيب ﷺ { لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ }[3].

وفي وراية ثانية يؤكد فيها الحبيب ﷺ أن حقيق الإيمان هو أن تحب لجارك ما تحبه لنفسك كأنه جزء منك فيقول { لا يؤْمِنُ أحَدُكم حتى يُحِبَّ لأخيه -أو: لجارِه- ما يُحِبُّ لنفْسِه }.[4]

ورواية ثالثة يقول الحبيب ﷺ { والذي نفْسِي بِيدِهِ، لا يُؤمِنُ عبدٌ حتى يُحِبَّ لِجارِهِ ما يُحِبُّ لِنفسِهِ }.[5]

خير الجيران

وخير الجيران في إسلامنا الجميل خيرهم لجاره تأكيد لقول الحبيب ﷺ { خَيْرُ الأصْحَابِ عِندَ اللهِ خَيْرُهُم لِصَاحِبِهِ، وخَيْرُ الجِيرانِ عِنْدَ اللهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ }.[6]

وقد طبق الصحابة رضي الله عنهم ما سمعوه من الحبيب ﷺ تطبيقا حسنا وكانت العلاقة بينهم تقوم على الأخوة والحب فيما بينهم.

---

[1] عن أبي هريرة وقال الألباني في السلسلة الصحيحة حسن بشواهده برقم930، ورواه الترمذي في سننه برقم2305، وأحمد في مسنده برقم8081، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم7833 من كن ورعا، ورواه الخرائطى في مكارم الأخلاق برقم242.

[2] قال الألباني في السلسلة الصحيحة إسناده ضعيف برقم2/603.

[3] عن أنس بن مالك والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم13، ومسلم في صحيحه برقم45.

[4] أخرجه مسلم في صحيحه برقم45 واللفظ له، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح على شرط الشيخين برقم13874، وقال الألباني صحيح في صحيح ابن ماجه برقم55.

[5] عن أنس بن مالك وأخرجه مسلم في صحيحه برقم45، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم 7086.

[6] عن عبد الله بن عمرو وقال الألباني صحيح في صحيح الترمذي برقم1944، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده قوي على شرط مسلم برقم6566، وقال إسناده صحيح في تخريج صحيح ابن حبان برقم519.

فروى أنس بن مالك رضي الله عنه قال { كنت جالسًا ورجلٌ عندَ النبيِّ ﷺ فقال رسولُ اللهِ ﷺ : لا يؤمنُ عبدٌ حتى يُحبَّ لأخيه المسلمِ ما يحبُّ لنفسِه قال أنسٌ: فخرجت أنا والرجلُ إلى السوقِ فإذا سلعةٌ تُباعُ فساومته فقال: بثلاثينَ فنظر الرجلُ فقال: قد أخذتُها بأربعينَ فقال صاحبُها: ما يحملُك على هذا وأنا أعطيكُها بأقلَّ من هذا ثم نظر أيضًا فقال: قد أخذتُها بخمسينَ فقال صاحبُها: ما يحملك على هذا وأنا أعطيكُها بأقلَّ من هذا قال: إني سمعت رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: لا يؤمنُ عبدٌ حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسِه وأنا أرَى أنه صالحٌ بخمسينَ }.[1]

شارك جارك الخير

فلا تمنع فضلك وخيرك عن جارك، شاركه واقتسم معه، فتعم عليكم البركة والخير من الله الكريم، فقد روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حديث جميل فقال (لقد أتى علينا زمانٌ أو قال : حين وما أحدٌ أحقُّ بدينارِه ودرهمِه من أخيه المسلمِ، ثم الآن الدنيا والدرهمُ أحبُّ إلى أحدِنا من أخيه المسلمِ، سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول : { كم من جارٍ مُتعلِّقٍ بجارِه يقول يا ربِّ سَلْ هذا لمَ أغلقَ عَنِيَ بابَه ومنعَني فضلَه }).[2]

أكرم جارك

ويأمرنا إسلامنا الجميل بأن نكرم جيراننا فقال الحبيب ﷺ { مَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخر فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخر فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخر فَلْيَقُلْ خَيْرًا أوْ لِيَصْمُتْ }.[3]

ويأمرنا أن نحسن إلى جيراننا ولا نؤذيهم، فقال الحبيب ﷺ { مَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ والْيَومِ الآخر فلا يُؤْذِي جارَهُ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ والْيَومِ الآخر فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ والْيَومِ الآخر فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أوْ لِيَسْكُتْ. وفي روايةٍ: فَلْيُحْسِنْ إلى جارِهِ }.[4]

وفي وراية آخرى تؤكد الأولى { مَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ والْيَومِ الآخر فَلْيُحْسِنْ إلى جارِهِ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ والْيَومِ الآخر فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ والْيَومِ الآخر فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أوْ لِيَسْكُتْ }.[1]

---

[1] رواه البزار في البحار الزخار برقم7548، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح برقم1/100.
[2] قال الألباني في السلسلة الصحيحة رجاله ثقات رجال الشيخين غير ليث وهو ابن أبي سليم وهو ضعيف من قبل حفظه فيتقوي حديثه بالذى قبله برقم6/302، وقال حسن في صحيح الترغيب برقم2564، وقال حسن لغيره في صحيح في الأدب المفرد برقم111.
[3] عن أبي هريرة، الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6138 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم47.
[4] عن أبي هريرة، الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6018 ومسلم في صحيحه برقم47 واللفظ له.

وحديث آخر يأمرنا الحبيب ﷺ أن نحسن الجوار والجار وهو السبيل إلى حب الله ورسوله { كنَّا عندَ رسولِ اللهِ ﷺ فدَعَا بطهورٍ فَغَمَسَ يَدَهُ فيه ثم تَوَضَّأَ فَتَتَبَّعْناهُ فحسَوْنَاهُ فقال رسولُ اللهِ ﷺ ما حملَكم على ما صنعتُم قلْنا حبُّ اللهِ ورسولِهِ قال فإنْ أحبَبْتُم أن يُحِبَّكُمُ اللهُ ورسولُهُ فأدُّوا إذا ائْتُمِنْتُمْ واصدُقُوا إذا حدَّثْتُم وأحْسِنُوا جِوَارَ مَنْ جاوَرَكُمْ }.[2]

لا تؤذ جارك

ويحذر الحبيب ﷺ نساء المسلمين من أذية جارتهن فيقول لهن { يا نِساءَ المُسْلِماتِ، لا تَحْقِرَنَّ جارَةٌ لِجارَتِها، ولو فِرْسِنَ شاةٍ }.[3]

ومعنى فرسن شاة وهو لو أهدتها حافر دابة سواء كانت من بعير أو شاة غنم، هو عظم قليل اللحم، فلا تحقري جارتك وتكسري قلبها على هذا الشيء اليسير، فالمطلوب هو مراعاة جارتك وإهدائها من طعامك ولو كان قليلا.

و{ قيلَ للنَّبيِّ ﷺ : يا رَسولَ اللهِ إنَّ فلانةَ تقومُ اللَّيلَ وتَصومُ النَّهارَ وتفعلُ، وتصدَّقُ، وتُؤذي جيرانَها بلِسانِها ؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ لا خَيرَ فيها، هيَ من أهلِ النَّارِ. قالوا: وفُلانةُ تصلِّي المكتوبةَ، وتصدَّقُ بأثوارٍ، ولا تُؤذي أحدًا ؟ فقال رسولُ اللهِ: هيَ من أهلِ الجنَّةِ }.[4]

حقوق الجار الكثيرة

وللجارعلى الجار حقوق كثيرة في إسلامنا الجميل منها قول الحبيب ﷺ { أتدرونَ ما حقُّ الجارِ؟ إنِ استعانَ بِكَ أعنتَهُ وإنِ استنصرَكَ نصرتَهُ وإن استقرضَكَ أقرضتَهُ وإنِ افتقرَ عدتَ عليهِ وإنِ مرضَ عدتَهُ وإن ماتَ اتَّبعتَ جَنازتَهُ وإن أصابَهُ خيرٌ هنَّأتَهُ وإن أصابتهُ مصيبةٌ عزَّيتَهُ ولا تَستعلِ عليهِ بالبناءِ فتحجبَ عنهُ الرِّيحَ إلَّا بإذنِهِ ولا تؤذِهِ وإذا اشتريتَ فاكِهَةً فأَهْدِ لَهُ فإن لم تفعل فأدخلها سرًّا ولا يخرُجْ بِها ولدُكَ ليغيظَ

---

[1] عن أبي شريح، الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6019 باختلاف يسير، ومسلم في صحيحه برقم48 واللفظ له.
[2] عن أبي قراد السلمي، وقال الألباني حسن في صحيح الجامع برقم1409 وحسن لغيره في صحيح الترغيب برقم2928، وقال في السلسلة الصحيحه فيه عبيد الله وهو ضعيف واختلف في إسناده برقم6/1265.وقال الهيثمي في مجمع الزوائد فيه عبيد الله بن واقد وهو ضعيف برقم4/148.
[3] عن أبي هريرة، الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2566، ومسلم في صحيحه برقم1030.
[4] عن أبي هريرة ورواه أحمد في مسنده برقم9675، والبخاري في الأدب المفرد برقم119، والبزار في مسنده برقم9713، وقال الألباني صحيح في صحيح الأدب المفرد برقم88، وقال صحيح في السلسلة الصحيحة برقم1/369.

بِهِ ولدَهُ ولا تؤذِهِ بقتارِ قِدرِكَ إلَّا أن تغرفَ لَهُ منها ثمَّ قال أتدرونَ ما حقُّ الجارِ ؟ والَّذي نفسي بيدِهِ لا يبلغُ حقَّ الجارِ إلَّا مَن رحمَهُ اللَّهُ }.[1]

وفي رواية آخرى { من أغلق بابه دون جاره مخافة على أهله وماله فليس ذاك بمؤمن، وليس بمؤمن من لم يأمن جاره بوائقه، أتدري ما حق الجار؟ إذا استعانك أعنته، وإذا استقرضك أقرضته، وإذا افتقر عدت عليه، وإذا مرض عدته، وإذا أصابه خير هنأته، وإذا أصابته مصيبة عزيته، وإذا مات اتبعت جنازته، ولا تستطل عليه بالثناء تحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها، وإن اشتريت فاكهة فاهد له، فإن لم تفعل فأدخلها سرا، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده، أتدرون ما حق الجار؟ والذي نفسي بيده ما يبلغ حق الجار إلا قليلا ممن رحم الله، فما زال يوصيهم بالجار حتى ظنوا أنه سيورثه، ثم قال رسول الله ﷺ : الجيران ثلاثة: فمنهم من له ثلاثة حقوق، ومنهم من له حقان، ومنهم من له حق، فأما الذي له ثلاثة حقوق: فالجار المسلم القريب له حق الجوار وحق الإسلام وحق القرابة، وأما الذي له حقان: فالجار المسلم له حق الجوار وحق الإسلام، وأما الذي له حق واحد فالجار الكافر له حق الجوار، قلنا: يا رسول الله نطعمهم من نسكنا؟ قال: لا تطعموا المشركين شيئا من النسك }.[2]

وعَنْ جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : { الجِيرانُ ثَلاثَةٌ: جَارٌ لهُ حَقٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ أَدْنَى الجيرانِ حَقًّا، وَجَارٌ لَهُ حقَّان، وجَارٌ لَهُ ثلاثةُ حُقُوقٍ، وَهُوَ أفضلُ الجيرانِ حَقًّا، فَأَمَّا الَّذِي لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ فَجَارٌ مُشْرِكٌ لَا رَحمَ لَهُ، لَهُ حَقُّ الجَوار. وأمَّا الَّذِي لَهُ حقانِ فَجَارٌ مُسْلِمٌ، لَهُ حَقُّ الْإِسْلَامِ وَحَقُّ الْجِوارِ، وأَمَّا الَّذِي لَهُ ثَلاثةُ حُقُوقٍ، فَجَارٌ مُسْلِمٌ ذُو رَحِمٍ لَهُ حَقُّ الْجِوَارِ وَحَقُّ الْإِسْلَامِ وحَقُّ الرحِمِ }.[3]

وللجار حقوق آخرى مهمة منها حق الشفعة، فله الحق في شراء ما يريد جاره بيعه أولا، فهو أولى من أي أحد بعيد، وحفظ إسلامنا الجميل هذا الحق للجار في الشفعة، وهي انتقال حصة شريك إلى شريك قال رسولُ اللَّهِ ﷺ { الجارُ أحَقُّ بشُفعةِ جارِه، يُنتَظَرُ بها وإن كان غائبًا، إذا كان طريقُهما واحدًا }.[4]

---

[1] عن جد عمرو بن شعيب ورواه البيهقي في شعب الإيمان برقم9560، والخرائطي في مكارم الأخلاق برقم250، وابن عدي في الكامل للضعفاء برقم5/171، وقال الألباني ضعيف جدا في ضعيف الترغيب برقم1522.

[2] عن عبد الله بن عمرو، ورواه البيهقي في الشعب برقم7/3136، وقال الألباني ضعيف جدا في ضعيف الترغيب برقم1522، وقال ابن عدي في الكامل للضعفاء فيه عثمان بن عطاء وهو من يكتب حديثه برقم6/292.

[3] رواه البزار في مسنده برقم1896 كما في كشف الأستار، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة ضعيف برقم3493، وضعيف في ضعيف الجامع برقم2674.

[4] عن جابر بن عبد الله وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم3518، وقال صحيح في صحيح ابن ماجه برقم2039، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده قوي برقم14253، وقال في تخريج سير أعلام النبلاء سنده قوي برقم6،108، ورواه النسائي في السنن الكبرى برقم11714، والترمذي في سننه برقم1369، والطبراني في الأوسط برقم5/330.

وقال الحبيب رسولُ اللهِ ﷺ { جارُ الدَّارِ أحَقُّ بدارِ الجارِ أو الأرضِ }.[1]

وقول الحبيب رسولُ اللهِ ﷺ { مَن كانَت له أرضٌ فأرادَ بيعَها فليَعرِضْها على جارِه }.[2]

وقال الحبيب رسولُ اللهِ ﷺ : { الجَارُ أحَقُّ بسَقَبِهِ }.[3] أي: ما قرُبَ مِن دارِه والتصَقَ بها.

وله حقوق آخرى منها أن تراعي حالته وتطمئن عليه وتتزاور معه، بغير تجسس عليه أو تعتدي على خصوصيته هو وأهله.

فمن حقه عليك أن تهدي إليه من طعامك وشرابك، ولا تشبع وأنت تعلم أنه جائع.

فقد قال الحبيب ﷺ { لَا يَشْبَعُ الرَّجُلُ دُونَ جَارِهِ }.[4]

وقال الحبيب ﷺ { ليس المؤمنُ بالذي يشبعُ وجارُه جائعٌ إلى جنبهِ }.[5]

اهد لجارك واقبل منه هديته

وإذا طبخت شيء من طعامك فاهد منها جارك، وخاصة لو كانت رائحة طعامك تصل إليه، ولو كانت مرقة فقط فاهد له منها، وهو يفعل معك كما تفعل معه، فتزيد رابطة الأخوة بينكما وتدوم الألفة والمحبة والعشرة الطيبة.

فقد قال الحبيب ﷺ { يا أبا ذَرٍّ إذا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فأكْثِرْ ماءَها، وتَعاهَدْ جِيرانَكَ }.[6]

وفي رواية آخرى { إذا طبَخ أحَدُكم قِدْرًا فلْيُكثِرْ مَرَقَها ثمَّ لْيُناوِلْ جارَه منها }.[1]

---

[1] عن سمرة بن جندب وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم3517، وقال صحيح في صحيح الجامع برقم3089، كما رواه الترمذي في سننه برقم1368، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند صحيح لغيره برقم20128، وقال في تخريج صحيح ابن حبان صحيح برقم5182.

[2] عن عبد الله بن عباس وقال الألباني صحيح لغيره في صحيح ابن ماجه برقم2038، وقال صحيح في صحيح الجامع برقم6512، وقال في السلسلة الصحيحة صحيح بمجموع طرقه برقم2358، وقال العراقي في تخريج الإحياء رجاله رجال الصحيح برقم2/268.

[3] عن أبي رافع وأخرجه البخاري في صحيحه برقم2258، وأبو داود في سننه برقم3516، وابن حبان في صحيحه برقم5181.

[4]عن عمر بن الخطاب تفرد به أحمد في مسنده برقم1/54، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند رجاله ثقات رجال الشيخين برقم390، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح إلا أن عباية بن رفاعة لم يسمع من عمر برقم8/167.

[5] عن عبد الله بن عباس، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم5382، وقال صحيح بما له من شواهد في السلسلة الصحيحه برقم149، وقال صحيح في صحيح الأدب المفرد برقم82 دون إلى جنبه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله ثقات برقم8/170.

[6] الحديث متفق عليه أخرجه مسلم في صحيحه برقم2625، والبخاري في الأدب المفرد برقم83، وقال الألباني صحيح في صحيح الأدب المفرد برقم83، كما رواه أحمد في مسنده برقم21465، والبزار في مسنده برقم3957.

وعَنْ أم المؤمنين عَائِشَةَ رضي الله عنها وعن أبيها { أَنَّهَا سَأَلَتْ رسولَ اللهِ ﷺ فَقالتْ: إنَّ لِي جَارَيْنِ، فَإلَى أيّهِمَا أُهْدِي؟ قال إلَى أقْرَبِهِمَا مِنْك بَابًا }.[2]

وكان ﷺ يهدى لجيرانه ويقبل الهدية ولو كانت مرقا.

فقد روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت { ابْنَ أُخْتي إنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إلى الهِلَالِ، ثُمَّ الهِلَالِ، ثَلَاثَةَ أهِلَّةٍ في شَهْرَيْنِ، وما أُوقِدَتْ في أبْيَاتِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ نَارٌ، فَقُلتُ يا خَالَةُ: ما كانَ يُعِيشُكُمْ؟ قالتْ: الأسْوَدَانِ: التَّمْرُ والمَاءُ، إلَّا أنَّه قدْ كانَ لِرَسولِ اللَّهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الأنْصَارِ، كَانَتْ لهمْ مَنَائِحُ، وكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسولَ اللَّهِ ﷺ مِن أَلْبَانِهِمْ، فَيَسْقِينَا }.[3]

وروى أنس رضي الله عنه قال { أنَّ جَارًا لِرَسولِ اللهِ ﷺ فَارِسِيًّا كانَ طَيِّبَ المَرَقِ، فَصَنَعَ لِرَسولِ اللهِ ﷺ ، ثُمَّ جَاءَ يَدْعُوهُ، فَقال وَهذِه؟ لِعَائِشَةَ، فَقال لَا، فَقال رَسولُ اللهِ ﷺ : لَا، فَعَادَ يَدْعُوهُ، فَقال رَسولُ اللهِ ﷺ : وَهذِه؟ قال لَا، قال رَسولُ اللهِ ﷺ : لَا، ثُمَّ عَادَ يَدْعُوهُ، فَقال رَسولُ اللهِ ﷺ : وَهذِه؟ قال نَعَمْ في الثَّالِثَةِ، فَقَاما يَتَدَافَعَانِ حتَّى أَتَيَا مَنْزِلَهُ }.[4]

ورواية آخرى عن الصحابي عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وكان بجواره جار يهودي فأهدى له، فالجار له حق ولو كان غير مسلم.

وروى { أنَّ عبدَ اللهِ بنَ عمرٍو رضِي اللهُ عنهما ذُبِحت له شاةٌ في أهلِه فلمَّا جاء قال أهدَيْتم لجارِنا اليهوديَّ أهديتم لجارِنا اليهوديَّ سمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ مازال جبريلُ يُوصيني بالجارِ حتَّى ظننتُ أنَّه سيُورِّثُه }.[5]

للجار حق المنفعة والشفعة

---

[1] عن جابر بن عبد الله ورواه الطبراني في الأوسط برقم3591، وقال الهيثمي في مجمع الزائد فيه عبيد الله بن سعيد وثقه ابن حبان وضعفه غيره وبقية رجاله ثقات برقم8/168.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه برقم2259، وقال الألباني صحيح في صحيح الأدب المفرد برقم79، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح على شرط البخاري برقم26026.

[3] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2463، ومسلم في صحيحه برقم1609.

[4] أخرجه مسلم في صحيحه برقم2037 واللفظ له، والبزار في مسنده برقم13/344.

[5] رواه المنذري في الترغيب والترهيب وقال روى هذا المتن من طرق كثيرة برقم3/326، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج سنن أبي داود إسناده صحيح برقم5152.

وللجار حق المنفعة مع جاره وهو نوع من التعاون والتشارك مع الجار لزيادة المحبة والألفة بينهم، وانتفاع بعضهم ببعض من غير ضرر لأحدهما.

فالله سبحانه وتعالى يأمرنا بالتعاون في البر فيقول سبحانه في كتابه الكريم ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتقوى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾.[1]

ويقول الحبيب ﷺ في أهمية التعاون بين المسلم وجاره، فقال ﷺ { مَن نَفَّسَ عن مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِن كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عنْه كُرْبَةً مِن كُرَبِ يَومِ القِيَامَةِ، وَمَن يَسَّرَ علَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عليه في الدُّنْيَا وَالآخرةِ، وَمَن سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ في الدُّنْيَا وَالآخرةِ، وَاللَّهُ في عَوْنِ العَبْدِ ما كانَ العَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ }.[2]

وفي رواية آخرى { أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ قال المُسْلِمُ أخُو المُسْلِمِ لا يَظْلِمُهُ ولَا يُسْلِمُهُ، ومَن كانَ في حَاجَةِ أخِيهِ كانَ اللَّهُ في حَاجَتِهِ، ومَن فَرَّجَ عن مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عنْه كُرْبَةً مِن كُرُبَاتِ يَومِ القِيَامَةِ، ومَن سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَومَ القِيَامَةِ }[3].

فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال { أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ قال لا يَمْنَعْ جَارٌ جَارَهُ أنْ يَغْرِزَ خَشَبَهُ في جِدَارِهِ، ثُمَّ يقولُ أبو هُرَيْرَةَ: ما لي أرَاكُمْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ، واللَّهِ لَأَرْمِيَنَّ بهَا بيْنَ أكْتَافِكُمْ }.[4]

ومعناه ألَا يمنع جار جاره من وضع خشبة فوق جدارِه، وإن كان الجدار ليس من حقّ واضع الخشبة ولا لَه فيه شرِكة، ولكن من حقّ الجيران أن ينفع بعضهم بعضا، دون إلحاق ضرر بأيّ من الطَّرفين.

وهو أولى من غيره بالشفعة في الأرض والبيت، وهذا من جمال إسلامنا، فأعطى للجار حق الشفعة في أرض وبيت جاره.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال { قَضَى النبيُّ ﷺ بالشُّفْعَةِ في كُلِّ ما لَمْ يُقْسَمْ، فَإِذَا وقَعَتِ الحُدُودُ وصُرِّفَتِ الطُّرُقُ، فلا شُفْعَةَ }.[5]

---

[1] سروة المائدة الآية 2.

[2] عن أبي هريرة وأخرجه مسلم في صحيحه برقم2699، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند صحيح برقم7942، وقال الألباني صحيح في صحيح الترمذي برقم1930، وصحيح في صحيح أبي داود برقم4946

[3] عن عبد الله بن عمر والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2442، ومسلم في صحيحه برقم2580.

[4] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2567، ومسلم في صحيحه برقم2972.

[5] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2496 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم1608.

وفي رواية مسلم رضي الله عنه { قَضَى رَسولُ اللهِ ﷺ بالشُّفْعَةِ في كُلِّ شِرْكَةٍ لَمْ تُقْسَمْ، رَبْعَةٍ، أَوْ حَائِطٍ، لا يَحِلُّ له أَنْ يَبِيعَ حتَّى يُؤْذِنَ شَرِيكَهُ، فإنْ شَاءَ أَخَذَ، وإنْ شَاءَ تَرَكَ، فَإِذَا بَاعَ وَلَمْ يُؤْذِنْهُ فَهو أَحَقُّ بهِ }.[1]

وحديث أبو رافع مولى رسول الله ﷺ { وَقَفْتُ علَى سَعْدِ بنِ أبِي وقَّاصٍ، فَجَاءَ المِسْوَرُ بنُ مَخْرَمَةَ، فَوَضَعَ يَدَهُ علَى إحْدَى مَنْكِبَيَّ، إذْ جَاءَ أبو رَافِعٍ مَوْلَى النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقالَ: يا سَعْدُ، ابْتَعْ مِنِّي بَيْتَيَّ في دَارِكَ؟ فَقالَ سَعْدٌ: واللَّهِ ما أبْتَاعُهُمَا، فَقالَ المِسْوَرُ: واللَّهِ لَتَبْتَاعَنَّهُمَا، فَقالَ سَعْدٌ: واللَّهِ لا أَزِيدُكَ علَى أرْبَعَةِ آلَافٍ مُنَجَّمَةً -أوْ مُقَطَّعَةً- قالَ أبو رَافِعٍ: لقَدْ أُعْطِيتُ بهَا خَمْسَ مِئَةِ دِينَارٍ، ولَوْلَا أنِّي سَمِعْتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: الجَارُ أحَقُّ بسَقَبِهِ، ما أعْطَيْتُكَهَا بأَرْبَعَةِ آلَافٍ وأَنَا أُعْطَى بهَا خَمْسَ مِئَةِ دِينَارٍ، فأعْطَاهَا إيَّاهُ }.[2]

وحديث الشريد بن سويد الثقفي رضي الله عنه قال الحبيب ﷺ { جارُ الدَّارِ أحَقُّ بالدَّارِ من غيرِهِ }.[3]

كاد الجار أن يرث في جاره

من أهمية الجار في إسلامنا الجميل كاد أن يورث في جاره، فإن جبريل عليه السلام ما زال يوصي رسولنا الحبيب ﷺ بالجار حتى ظن الحبيب ﷺ أن الجار سوف يورث مع أهل الميت وهو شريك معهم، ولم لا ؟ وهو الرفيق الشريك القريب من جاره شاركه فرحه وترحه، وهو الأقرب إليه من أقاربه ورحمه، إلا أن يكون الجار من الرحم والأقارب.

فروت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت { ما زالَ يُوصِينِي جِبْرِيلُ بالجارِ، حتَّى ظَنَنْتُ أنَّه سَيُوَرِّثُهُ }.[4]

ورواية آخرى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال { مَا زَالَ جِبرِيل يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتِّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِثُه }.[5]

[1] أخرجه مسلم في صحيحه برقم1608، وقال الألباني صحيح في صحيح النسائي برقم 4715.
[2] أخرجه البخاري في صحيحه برقم2258، والنسائي في سننه برقم4702، وأبو داود في سننه برقم3516.
[3] قال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم3087، وقال صحيح في صحيح أبي داود برقم3517، وقال شعيب الأرناؤوط صحيح في تخريج المسند برقم19459.
[4] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6014 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم2624.
[5] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6015 ، ومسلم في صحيحه برقم2625.

وهذا الحديث الجميل لأهميته رواه كثير من الصحابة منهم عائشة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، وأنس بن مالك، وأبو هريرة، وجابر بن عبد الله، ورجل من الأنصار لم يحدده كُتَّاب الحديث، رضي الله عنهم أجمعين.

لا تؤذ جارك في ممتلكاته

فلا تؤذه في فراخه الداجنة أو ماشيته أو شاته عندما تتعدى عليك وتأكل من طعامك أو في أرضك، فلك أن تطردها من أرضك وفنائك، ولكن لا تؤذ جارك فيها فتقتلها أو تؤذيها، فاهتم إسلامنا الجميل بهذه اللفتة الجميلة، لأنها أحيانا تؤدى إلى النزاع والتخاصم، فقد أدى حادث كهذا إلى حرب استمرت أربعين سنة بين قبائل العرب حتى كاد أن يُفني بعضهم بعضا، وهي حرب البسوس وكان السبب ناقة من قبيلة بكر شربت من مورد ماء قبيلة تغلب، فقتلها فرد من القبيلة، فقتل فرد من قبيلة بكر الذي قتل الناقة، فقامت الحرب بينهم، فلو طردت الناقة وأبعدت بعدما شربت من أرض قبيلة تغلب ما قامت الحرب.

ولذا اهتم إسلامنا بهذه الحادثة الصغيرة لأجل نزع أي فتيل للنزاع والخلاف بين الجيران.

فروت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت { فأقبَلَت شاةٌ لجارِنا داجِنةٌ، فدخلَتْ، ثمَّ عمَدَتْ إلى القُرْصِ فأخذَتْهُ ثمَّ أدبرتْ بهِ، قالت: وقلِقتُ عنهُ، واستيقظ النَّبيُّ فبادرتُها إلى البابِ، فقال النَّبيُّ خُذي ما أدركتِ من قُرْصِكِ، ولا تؤذي جارَكِ في شاتِهِ }.[1]

لا تؤذ جارك في أهله وعرضه

والجار من قربه لجاره تتداخل الأسر وتتعارف ويكون بينهم تواصل وتقارب وزيارات في المناسبات المختلفة، هذا التقارب قد يرى كل طرف من الآخر أحيانا ما ستر أو خَفِيَ على الآخرين، وقد تنبسط العلاقات بينهم فتحدث بعض المخالفات والأخطاء من هذا التقارب.

ولذا حذر إسلامنا الجميل من هذه المخالفات والأخطاء، فهي تهدم هذه العلاقة الجميلة والصلة الوثيقة بين الجيران، وتكون سبب في تدمير الأسر والمجتمع، ويزيد فيه الإحساس بالغربة والوحشة نتيجة هدم العلاقة بين الجار وجاره.

[1] قال الألباني ضعيف في ضعيف الأدب المفرد برقم23، وقال البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة إسناده ضعيف برقم4/79.

ولذا قال الحبيب ﷺ { حُرْمَةُ الجارِ علَى الجارِ كحُرْمَةِ دمِهِ }.[1]

وهذا الحديث جزء من الحديث العام الشامل الكامل من حرمة المسلم على المسلم وفيه يقول الحبيب ﷺ { لا تَحاسَدُوا، ولا تَناجَشُوا، ولا تَباغَضُوا، ولا تَدابَرُوا، ولا يَبِعْ بَعْضُكُمْ علَى بَيْعِ بَعْضٍ، وكُونُوا عِبادَ اللهِ إخْوانًا المُسْلِمُ أخُو المُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ ولا يَخْذُلُهُ، ولا يَحْقِرُهُ التقوى هاهُنا ويُشِيرُ إلى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ بحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أنْ يَحْقِرَ أخاهُ المُسْلِمَ، كُلُّ المُسْلِمِ علَى المُسْلِمِ حَرامٌ، دَمُهُ، ومالُهُ، وعِرْضُهُ }.[2]

ولعظم الخطأ في حق الجار وحرمته لجاره في خصوصيته كماله ونساءه { قال رسولُ اللهِ ﷺ لأصحابِهِ ما تقولون في الزِّنَى قالوا حرامٌ حرَّمَهُ اللهُ ورسولُهُ فهو حرامٌ إلى يومِ القيامَةِ قال فقال رسولُ اللهِ ﷺ لأصحابِهِ لَأَنْ يزْنِيَ الرجلُ بعشرِ نسوةٍ أيسَرُ عليه من أنْ يزْنِيَ بامرأةِ جارِهِ قال فقال ما تقولونَ في السرقَةِ قالوا حرَّمَها اللهُ ورسولُهُ فهيَ حرامٌ قال لَأَنْ يسرِقَ الرجلُ من عشرةِ أبياتٍ أيسرُ عليه من أنْ يسرِقَ من جارِهِ }.[3]

وحَدِيثِ { ابْنِ مَسْعُودٍ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أيُّ الذَّنْب أَعْظَمُ؟ قال "أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وهُوَ خَلَقَكَ". قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قال "أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَن يُطْعَم مَعَكَ". قُلتُ: ثُمَّ أيُّ؟ قال "أَنْ تُزَاني حَليلةَ جَارِكَ }.[4]

الجار أول المتخاصمين معك يوم القيامة

ولذلك أول الخصمين يوم القيامة هم الجاران، يقفان بين يدي الله ليقضي الله بينهما في كل حقوق الجار هل فرطا أم وفيا ؟، هل حافظ كل منهما على حقوق الآخر؟، هل انتهك أحدهما حرمة الآخر؟ هل.. هل ..حتى يقضي بينهما الله العادل الحق.

فقد قال الحبيب ﷺ { أولُ خصمينِ يومَ القيامَةِ جارانِ }.[5]

علم جارك وتعلم منه

---

[1] عن أبي هريرة وقال الألباني ضعيف في ضعيف الجامع برقم2707، وقال ضعيف في السلسلة الضعيفة برقم3484، ورواه الخارئطي في مكارم الخلاق برقم برقم1/101

[2] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6064 مختصرا، ومسلم في صحيحه برقم2625 واللفظ له.

[3] عن المقداد بن عمرو بن الأسود، قال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده جيد برقم23854، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة إسناده جيد رجاله كلهم ثقات برقم1/136، كما رواه البخاري في الأدب المفرد برقم103، والبزار في مسنده برقم2115.

[4] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم4761، ومسلم في صحيحه برقم86.

[5] عن عقبة بن عامر وقال الألباني حسن في صحيح الجامع برقم2563، وقال حسن في صحيح الترغيب برقم2557، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد إسناده حسن برقم10/352/ وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند حسن برقم17372.

وللجار حق آخر قد يغفله كثير من الجيران الآن، وهو حق الجار في تعليم جاره وتثقيفه وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وعظته ونصحه، لأن ذلك يعود عليه وعلى جاره بالخير والسلام بين الطرفين، فلو لم يتعلم الجار دينه، فسوف يؤذى جاره ويضره بغير علم، ولو علم الجار أن جاره قد يحتاج هو أو أهله إلى التعليم والتوضيح والتثقيف والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بغير ضرر، فيجب عليه فعل ذلك كما أمره الحبيب ﷺ وإلا عمهم وعاجلتهم العقوبة من الله العليم الحكيم.

فيقول الحبيب ﷺ { ما بالُ أقوامٍ لا يُفقِّهون جيرانَهم، ولا يُعلِّمونهم، ولا يَعِظونَهم، ولا يأمرونهم، ولا ينهونهم؟ وما بالُ أقوامٍ لا يتعلَّمون من جيرانِهم، ولا يتفقَّهون ولا يتَّعِظون؟ واللهِ لَيُعلِّمَنَّ قومٌ جيرانَهم، ويُفقِّهونهم، ويعِظونهم، ويأمرونهم، وينهونهم، ولَيَتَعَلَّمنَّ قومٌ من جيرانهم، ويتفقَّهون، ويتَّعِظون، أو لأُعاجِلنَّهم العقوبةَ }.[1]

وكان الصحابة حريصين على أن يعلم بعضهم بعضا، وهو من حقوق الجار على جاره، فقد روى الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه { قال وكان لي جار من الأنصار وكنا نتناوب النزول إلى رسولِ اللهِ ﷺ فينزل يوما وأنزل يوما فيأتيني بخبر الوحي وغيره وآتيه بمثل ذلك }.[2]

تعهده واطمئن عليه

ومن حقوق الجارعلى جاره أن يتعهده ويطمئن على أحواله ويسأل عليه دائما ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر، ويصارحه بما يحبه فيه وما يبغضه منه، وخاصة أمور دينه ليكون له الجار الناصح الأمين، بغير تنفير أو إكراه.

فقد كان رجل جار لرجل في زمن النبي ﷺ وكان يتعاهده، فرأى منه ما يبغضه في الله { فقال رسولُ اللهِ ﷺ : فلِمَ تُبْغِضُه؟ قال أنا جارُه وأنا به خابِرٌ، واللهِ ما رَأيتُه يُصلِّي صلاةً قَطُّ إلَّا هذه الصلاةَ المكتوبةَ التي يُصَلِّيها البَرُّ والفاجِرُ، قال الرَّجُلُ: سَلْهُ يا رسولَ اللهِ: هل رَآني قَطُّ آخرتُها عن وَقْتِها، أو أسَأتُ الوُضوءَ لها، أو أسَأتُ الرُّكوعَ والسُّجودَ فيها؟ فسَألَه رسولُ اللهِ ﷺ عن ذلك، فقال لا، ثُمَّ قال واللهِ ما رَأيتُه يَصومُ قَطُّ إلَّا هذا الشَّهرَ الذي يَصومُه البَرُّ والفاجِرُ؟ قال يا رسولَ اللهِ، هل رآني قَطُّ أفطَرْتُ فيه، أو انتَقَصتُ مِن حقِّه شَيئًا؟ فسَألَه رسولُ اللهِ ﷺ فقال لا، ثُمَّ قال واللهِ ما رَأيتُه يُعْطي سائِلًا قَطُّ، ولا رَأيتُه يُنفِقُ مِن مالِه شَيئًا في

[1] عن عبد الرحمن بن أبزي وقال الألباني ضعيف في ضعيف الترغيب برقم97، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد فيه بكر بن معروف قال ابن عدي أرجو أنه لا بأس به ووثقه أحمد في رواية وضعفه في رواية برقم1/169.

[2] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم4913، ومسلم في صحيحه برقم1479.

شَيءٍ مِن سَبيلِ اللهِ بِخَيرٍ، إلَّا هذه الصَّدَقةَ التي يُؤَدِّيها البَرُّ والفاجِرُ، قال فسَلْهُ يا رسولَ اللهِ، هل كَتَمتُ مِن الزكاةِ شَيئًا قَطُّ، أو ماكَسْتُ فيها طالِبَها؟ قال فسَألَه رسولُ اللهِ ﷺ عن ذلك فقال لا، فقال له رسولُ اللهِ ﷺ : قُمْ إنْ أدْري لعَلَّه خَيرٌ منكَ }.[1]

وللجار في إسلامنا الجميل حقوق كثيرة منها حق زيارته ومواساته في مرضه، والتخفيف عنه وإدخال السرور عليه والدعاء له، لأنك الأقرب إليه والأسرع له.

قال الحبيب ﷺ { حَقُّ المُسْلِمِ علَى المُسْلِمِ سِتٌّ قيلَ: ما هُنَّ يا رَسولَ اللهِ؟ قال إذا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عليه، وإذا دَعاكَ فأجِبْهُ، وإذا اسْتَنْصَحَكَ فانْصَحْ له، وإذا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَسَمِّتْهُ، وإذا مَرِضَ فَعُدْهُ وإذا ماتَ فاتَّبِعْهُ }.[2]

جارك عده في مرضه وواسه

وكان الحبيب ﷺ يزور جيرانه المرضى ويدعو لهم سواء كان مسلما أو غير مسلم، وقد قال عثمان بن عفان رضي الله عنه { إنَّا واللهِ قد صَحِبْنا رسولَ اللهِ ﷺ في السفرِ والحَضَرِ، فكان يعُودُ مَرْضانا، ويَتْبَعُ جَنائزَنا، ويَغْزُو معنا، ويُواسينا بالقليلِ والكثيرِ}.[3]

وقال بعض أصحاب النبي ﷺ { أنَّ رسولَ اللَّهِ - صلَّى اللَّهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ - كانَ يعودُ مَرضي مساكينِ المسلمينَ وضُعفائهَم، ويتبعُ جَنائزَهَم، ولا يصلِّي عليهم أحدٌ غيرَهُ }.[4]

ويبشر الحبيب ﷺ من زار جاره المسلم في مرضه بالجنة فيقول { مَن عادَ مَريضًا لَمْ يَزَلْ في خُرْفَةِ الجَنَّةِ، قيلَ يا رَسولَ اللهِ، وما خُرْفَةُ الجَنَّةِ؟ قال جَناها }.[5]

وحديث آخر جميل يقول الحبيب ﷺ { مَنْ أتَى أخاه المسلمَ عائِدًا، مَشَى فِي خِرَافَةِ الجنَّةِ حتى يَجْلِسَ، فإذا جلَس غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ، فإنْ كان غَدْوَةً، صلَّى عليْهِ سبعونَ ألفَ ملَكٍ حتَّى يُمْسِيَ، و إنْ كانَ مساءً، صلَّى عليْهِ سبعونَ ألفَ ملَكٍ حتَّى يُصْبِحَ }.[1]

---

[1] عن عامر بن واثله أبو الطفيل وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح إلا مظفر بن مدرك وهو ثقة ثبت برقم2/263، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند ضعيف لإرساله برقم23803، وقال العراقي في تخريج الإحياء إسناده صحيح برقم3/183.

[2] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم1240 ومسلم في صحيحه برقم2162 واللفظ له.

[3] قال أحمد شاكر في مسند أحمد إسناده حسن برقم1/246، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده حسن برقم504، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله ثقات برقم3/32.

[4] قال الألباني في أحكام الجنائز إسناده صحيح برقم115، وقال الوادعي في الصحيح المسند صحيح برقم1476.

[5] عن ثوبان وأخرجه مسلم في صحيحه برقم2568، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده صحيح على شرط مسلم برقم2957، وقال الألباني صحيح في صحيح الترمذي برقم967.

ويحث على زيارة المريض، وخاصة الجار المريض لما فيه من تخفيف عنه وتطييب خاطره، فيقول الحبيب ﷺ في حديث آخر جميل { مَن عادَ مريضًا، أو زارَ أخًا لَهُ في اللَّهِ ناداهُ مُنادٍ : أن طِبتَ وطابَ مَمشاكَ وتبوَّأتَ مِنَ الجنَّةِ منزلًا }.[2]

وكان الحبيب ﷺ يدعو للمرضي إذا زارهم فقد روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها { أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ ، كانَ إذَا أتَى مَرِيضًا أوْ أُتِيَ به، قال أذْهِبِ البَاسَ رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ وأَنْتَ الشَّافِي، لا شِفَاءَ إلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَمًا }.[3]

وكان يبشرهم ويدخل السرور عليهم، فروت أم العلاء عمة حزام بن حكيم رضي الله عنهما قالت { عادني رسولُ اللهِ ﷺ وأنا مريضةٌ فقال أَبشري يا أمَّ العلاءِ فإنَّ مرضَ المسلمِ يُذهِبُ اللهُ به خطاياه كما تُذهِبُ النارُ خَبَثَ الذَّهبِ والفضةِ }.[4]

وحديث جميل آخر { أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ ، دَخَلَ علَى أُمِّ السَّائِبِ، أَوْ أُمِّ المُسَيَّبِ فَقال ما لَكِ؟ يا أُمَّ السَّائِبِ، أَوْ يا أُمَّ المُسَيَّبِ تُزَفْزِفِينَ؟ قالتْ: الحُمَّى، لا بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا، فَقال لا تَسُبِّي الحُمَّى، فإنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ، كما يُذْهِبُ الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ }.[5]

وكان يزور أصحابه وجيرانه ويدعو لهم كما زار سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه فقال { تَشَكَّيْتُ بمَكَّةَ شَكْوًا شَدِيدًا، فَجاءَنِي النبيُّ ﷺ يَعُودُنِي،.... ثُمَّ وضَعَ يَدَهُ علَى جَبْهَتِهِ، ثُمَّ مَسَحَ يَدَهُ علَى وجْهِي وبَطْنِي، ثُمَّ قال اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، وأَتْمِمْ له هِجْرَتَهُ }.[6]

وزار ﷺ جاره اليهودي وكان يخدمه، وقد روى أنس بن مالك { كانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النبيَّ ﷺ ، فَمَرِضَ، فأتَاهُ النبيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقال له: أسْلِمْ، فَنَظَرَ إلى أبِيهِ وهو عِنْدَهُ فَقال له: أطِعْ أبَا القَاسِمِ ﷺ ، فأسْلَمَ، فَخَرَجَ النبيُّ ﷺ وهو يقولُ: الحَمْدُ لِلَّهِ الذي أنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ }.[1]

---

[1] عن على بن أبي طالب وقال الألباني صحيح في صحيح ابن ماجه برقم1191، وصحيح في صحيح الجامع برقم5934، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند صحيح موقوفا رجاله ثقات رجال الشيخين برقم612.

[2] عن أبي هريرة وقال الألباني حسن في صحيح الترمذي برقم2008 واللفظ له، وقال حسن في صحيح ابن ماجه برقم1192، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده ضعيف برقم8651 باختلاف يسير

[3] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم5675، ومسلم في صحيحه برقم2191.

[4] قال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم3092، وقال صحيح في صحيح الترغيب برقم3427، وصحيح في صحيح الجامع برقم7851، كما رواه الطبراني برقم25/141، ورقم340.

[5] عن جابر بن عبد الله وأخرجه مسلم في صحيحه برقم2575، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده صحيح على شرط الشيخين برقم2938، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم7321.

[6] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم5659 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم1628.

ولما مرض ﷺ زاره أصحابه وجيرانه، فقد روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال { دَخَلْتُ علَى رَسولِ اللَّهِ ﷺ وهو يُوعَكُ وعْكًا شَدِيدًا، فَمَسِسْتُهُ بيَدِي فَقُلْتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنَّكَ لَتُوعَكُ وعْكًا شَدِيدًا؟ فقال رَسولُ اللَّهِ ﷺ : أجَلْ، إنِّي أُوعَكُ كما يُوعَكُ رَجُلانِ مِنكُم فَقُلْتُ: ذلكَ أنَّ لكَ أجْرَيْنِ؟ فقال رَسولُ اللَّهِ ﷺ : أجَلْ ثُمَّ قال رَسولُ اللَّهِ ﷺ : ما مِن مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أذًى، مَرَضٌ فَما سِواهُ، إلَّا حَطَّ اللَّهُ له سَيِّئَاتِهِ، كما تَحُطُّ الشَّجَرَةُ ورَقَها }.[2]

[1] عن أنس بن مالك وأخرجه البخاري في صحيحه برقم1356، وابن حبان في صحيحه برقم2960، وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم3095.

[2] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم5660 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم2571.

الباب السادس

إسلامنا الجميل
وإيمان
المجتمع

إسلامنا الجميل وإيمان المجتمع

إن إسلامنا الجميل يريد بناء مجتمع يبنى على العدل والمساوة والحرية، ويريد مجتمعا متكاملا يربط بعضه بعضا ويشد بعضه بعضا، يبتغي المثالية في الدنيا قبل مثالية الجنة.

فالمجتمع المسلم يقوم على التكامل والتجانس والتعاون والحب بين أفراده، يحكمهم شريعة ربهم العادلة الحكيمة التي بينت لهم أحكام العلاقة بينهم وبين ربهم وبين بعضهم البعض وبينهم وبين غيرهم سواء كانوا مسالمين أو محاربين.

الإيمان بالله

هذه العلاقة الجميلة والتي يبينها إسلامنا الجميل تقوم على توحيد الله سبحانه في الألوهية والربوبية والأسماء والصفات.

فالإيمان بالله هو الأصل فإذا اعتقدت بأن الله هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، ارتاحت نفسك وقبلت أحكام الله وأوامره العادلة ونفذتها عن اقتناع وقبول وتسليم، وبها تقوم علاقة صحيحة وسليمة بين الله سبحانه وبين المجتمع المسلم، وبين كيانات المجتمع المسلم المختلفة سواء كانت المجتمعات المسلمة مع المسلمة أو المجتمعات المسلمة مع غير المسلمة، فهي نابعة من الله الذي آمنا بأنه خالقنا وبارئنا، ولم يخلقنا عبثا، ونحن في عنايته ورعايته وحفظه، وهو من شرع لنا أحكامنا العادلة الحكيمة.

فإذا أسلمنا له سبحانه وتعالى قبلنا شرعه وحكمه، وأنه من كمال الإيمان به ألا نقبل شرع غير شرعه وحكما غير حكمه، فيصبح مجتمعنا مجتمعا مثاليا عادلا يعيش فيه أفراده باختلافهم في وئام ومحبة، وحرص الكل في هذا المجتمع على حفظه وحراسته.

والمثالية التي أتكلم عنها هي أن هذا المجتمع يقوم على الإيمان بالله والعمل بما في كتابه وسنة نبيه ﷺ ، فإذا حدث خلل قُوّم وصُحِح بأحكام الله العادلة.

فكل مجتمع فيه أخطاء وخطايا يقوم بها أفراده، وهي صفة بشرية طبيعية، فلسنا ملائكة لا تعصي الله أبدا، ولكننا بشر نخطئ ونصيب، ولكننا جميعا نؤمن ونقبل ونطيع أمر بنا الرحمن الرحيم الحكيم العادل،

الذي سبحانه ما أنزل علينا الكتب والرسل إلا لهدايتنا وتصحيح مسارنا، وأن دنيانا ماهي إلا طريق للآخرة ليبتلينا الله الرحيم أيُنا أحسن عملا، ويبين لنا من هو المسلم والكافر ومن هو المسلم الصالح والطالح، ثم نؤمن بأن الله سوف يجمعنا يوم القيامة جميعا ليحاسبنا على ما قدمنا في الدنيا، وهذا الاعتقاد هو من يُقوِم البشر ويخوفهم من فعل المنكرات والسيئات، ويجتهدون في أن يكونوا صالحين، فالخير والشر صفتان بشريتان تغلب أحدهما على الآخرى، ومن رحمته بنا أرسل لنا الرسل والأنبياء لينيروا لنا الطريق ويصححوا لنا الأخطاء لتصبح الحياة هينة مرية سهلة، قابلة للحياة بسلام ورحمة، ويعم الخير والسلام على تاريخ البشرية، فالبقاء للخير دائما مهما طال فترات الظلم.

الله الواحد

فالله سبحانه في إسلامنا الجميل سهل إدراكه والتعرف عليه، فهو بدون تعقيدات أو فلسفات هو واحد أحد ليس له شريك ولا صاحب ولا ولد، وهو فرد ليس اثنين أو ثلاثة، وهو الصمد السيد الذي تلجأ إليه الخلائق لحاجتها ترجوه وتسأله، وهو الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا، فقال سبحانه ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ ۝ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ ۝ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤ ۝﴾.[1]

عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه قال { أنَّ المشركينَ قالوا لرسولِ اللَّهِ ﷺ : انسِب لَنا ربَّكَ، فأَنزلَ اللَّهُ تعالى: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ والصَّمَدُ: الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، لأنَّهُ ليسَ شيءٌ يولَدُ إلَّا سيَموتُ، ولا شيءٌ يموتُ إلَّا سيورَثُ، وإنَّ اللَّهَ لا يموتُ ولا يورَثُ: وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ قال: لم يَكُن لَهُ شبيهٌ ولا عدلٌ وليسَ كمثلِهِ شيءٌ }.[2]

والصَّمَدُ: الَّذي لم يَلِدْ ولم يُولَدْ؛ لأنَّه ليس شيءٌ يُولَدُ إلَّا سيَموتُ، ولا شَيءٌ يموتُ إلَّا سيُورَثُ، وإنَّ اللهَ لا يَموتُ ولا يُورَثُ"، وهذا مِن تَفسيرِ الرَّبيعِ بنِ أَنسٍ أحد رواة الحَديثِ.

في هذا الحَديثِ القُدُسيِّ يَروي النَّبيُّ ﷺ عن رَبِّه جلَّ وعلا أنَّه قال { قال اللَّهُ: كَذَّبَنِي ابنُ آدَمَ ولَمْ يَكُنْ له ذلكَ، وشَتَمَنِي ولَمْ يَكُنْ له ذلكَ، أمَّا تَكْذِيبُهُ إيَّايَ أنْ يَقُولَ: إنِّي لَنْ أُعِيدَهُ كما بَدَأْتُهُ، وأَمَّا شَتْمُهُ إيَّايَ أنْ يَقُولَ:

---

[1] سورة الإخلاص الآية 1 – 4.

[2] وقال الألباني في صحيح الترمذي حسن دون وله" والصمد الذى .." برقم3364، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده ضعيف برقم21219.

اتَّخَذَ اللَّهُ ولَدًا، وأنا الصَّمَدُ الذي لَمْ أَلِدْ ولَمْ أُولَدْ، ولَمْ يَكُنْ لي كُفُؤًا أحَدٌ ﴿ لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُولَدْ ولَمْ يَكُنْ له كُفُوًا أحَدٌ﴾}.[1]

فهو واحد أحد لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

ويقول الله تعالى عن ألوهيته سبحانه ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لا إِلَٰهَ إِلا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾.[2]

ويقول سبحانه عن ربوبيته ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.[3]

ويقول سبحانه ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إلا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾.[4]

أسماء الله الحسنى

والله سبحانه له أسماء وصفات، تنزه سبحانه عن الشبه والشكل، وبهذه الصفات والأسماء يعرف سبحانه فهو الرحمن الرحيم الغني الكريم الجبار المتكبر سبحانه.

يقول سبحانه ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.[5]

ويقول سبحانه ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ

[1] عن أبي هريرة وأخرجه البخاري في صحيحه برقم4975، وقال الألباني حسن صحيح في صحيح النسائي برقم2077.
[2] سورة البقرة الآية 163.
[3] سورة الأعراف الأية 54.
[4] سورة هود الآية 6.
[5] سروة الأعراف الأية 180.

٢٣۝ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾.[1]

ليس كمثله شيء سبحانه

وإذا أجهدت نفسك في تصوير هيئة الله وشكله، فإسلامنا الجميل يريح عقلك وفكرك في أن تسرح بعيدا وتجهد عقلك، فالله سبحانه ليس كمثله شيء، ويقول لنا ربنا الرحيم ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٩۝ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ١٠۝ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١۝ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٢۝﴾.[2]

وإسلامنا الجميل يبدأ بتوحيد الله، فقد قال الحبيب ﷺ { بُنِيَ الإسْلامُ علَى خَمْسٍ، شَهادَةِ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسولُهُ، وإقامِ الصَّلاةِ، وإيتاءِ الزَّكاةِ، وحَجِّ البَيْتِ، وصَوْمِ رَمَضانَ }.[3]

لا تشرك بالله

وتوحيد الله سبحانه أساس الإسلام فمن أشرك مع الله شيئا فقد حبط عمله ولو كان أخير الناس وأحسنهم خلقا وأخلاقا، ولو كان أكثر الناس جودا فلن يقبل منه شيء.

يقول ربنا سبحانه ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾.[4]

ويقول سبحانه ﴿ وَلَوۡ أَشۡرَكُوا لَحَبِطَ عَنۡهُمۡ مَا كَانُوا يَعۡمَلُونَ ﴾.[5]

الأخطاء والذنوب

---

[1] سورة الحشر الآية 22- 24.
[2] سورة الشورى الآية 9 – 12.
[3] عن عبد الله بن عمر والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم8، ومسلم في صحيحه برقم16 واللفظ له.
[4] سورة الزمر الآية 65.
[5] سورة الأنعام الآية 88.

في إسلامنا الجميل إن أتيت إلى الله ولست مشركا ومؤمنا بالله الواحد الأحد وارتكبت أخطاء وذنوبا، فأمرك إلى الله إن شاء عذبك بقدر ذنوبك وإن شاء عفا عنك ورحمك، ويروي أبو ذر رضي الله عنه قال { أَتَيْتُ النبيَّ ﷺ وعليه ثَوْبٌ أبْيَضُ، وهو نَائِمٌ، ثُمَّ أتَيْتُهُ وقَدِ اسْتَيْقَظَ، فَقالَ: ما مِن عَبْدٍ قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، ثُمَّ مَاتَ علَى ذلكَ إلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ قُلتُ: وإنْ زَنَى وإنْ سَرَقَ؟ قالَ: وإنْ زَنَى وإنْ سَرَقَ قُلتُ: وإنْ زَنَى وإنْ سَرَقَ؟ قالَ: وإنْ زَنَى وإنْ سَرَقَ قُلتُ: وإنْ زَنَى وإنْ سَرَقَ؟ قالَ: وإنْ زَنَى وإنْ سَرَقَ علَى رَغْمِ أنْفِ أبِي ذَرٍّ وكانَ أبو ذَرٍّ إذَا حَدَّثَ بهذا قالَ: وإنْ رَغِمَ أنْفُ أبِي ذَرٍّ}.[1]

محمد رسول الله ﷺ

فإذا آمنت بالله ربا فاعلم أنه سبحانه أرسل محمدا ﷺ نبيا ورسولا وهو خاتم النبيين، نبي الرحمة والشفيع المشفع.

فالله سبحانه وتعالى هو من أرسله للعالمين فقال ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾.[2]

فالله سبحانه وتعالى أرسل الحبيب ﷺ رحمة للعالمين فقال سبحانه ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾.[3]

وأرسله سبحانه للعالمين جميعا وليس للعرب فقط بل لكل الناس في كل البقاع لكل القوميات واللغات فقال تعالى ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾.[4]

وقال سبحانه ﴿ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾.[5]

وقال تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾.[6]

وهو خاتم النبيين ولا نبى بعده ولا رسول، ختم الله به الرسل والأنبياء، فيقول ربنا سبحانه ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ﴾.[1]

---

[1] عن أبي ذر والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم5872، ومسلم في صحيحه برقم94.
[2] سورة الفتح الآية 28.
[3] سورة الأنبياء الآية 107.
[4] سورة الأعراف الأية 158.
[5] سورة النساء الآية 79.
[6] سورة سبأ الآية 28.

ويقول الحبيب ﷺ { والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ، لا يَسْمَعُ بي أحَدٌ مِن هذِه الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، ولا نَصْرانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ ولَمْ يُؤْمِنْ بالَّذِي أُرْسِلْتُ به، إلَّا كانَ مِن أصْحابِ النَّارِ }.[2]

إن الدين عند الله الإسلام

فإذا آمنت بالله سبحانه وتعالى وبمحمد رسولا، فاعلم أن الدين عند الله هو الإسلام وهو رسالته منذ خلق آدم إلى الحبيب ﷺ .

فيقول الله سبحانه ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾.[3]

وقال جل شأنه سبحانه ﴿ أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ٨٣ قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٨٤ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥ ﴾.[4]

قرآننا الكريم

فإذا آمنت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد عبده ورسوله فاعلم أن الله قد أنزل على عبده ورسوله كتابا مقدسا هو القرآن عرفه ربنا سبحانه في هذه الآيات.

فهو وحى الله على نبيه ﷺ ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ ﴾.[5]

وأنزله الله سبحانه العليم الحكيم على نبيه ﷺ ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٖ ﴾.[6]

---

[1] سورة الأحزاب الآية 40.
[2] عن أبي هريرة وأخرجه مسلم في صحيحه برقم153، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح على شرط الشيخين برقم8203، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح برقم8/265.
[3] سورة آل عمران الآية 19.
[4] سورة آل عمران الآية 83 - 85.
[5] سورة الأنعام الآية 19.
[6] سورة النمل الآية 6.

وأنزله الله سبحانه العليم الحكيم على نبيه ﷺ بواسطة الملك جبريل عليه السلام ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ. مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾.[1]

ويعرف الله سبحانه، جبريل عليه السلام فيقول عنه ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ ﴾.[2]

يقول سبحانه في حق جبريل عليه السلام ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾.[3]

والله سبحانه وتعالى أنزل القرآن الكريم، للناس كافة، وفيه بيان كل شيء ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾.[4]

وقال سبحانه ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾.[5]

وقال سبحانه ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾.[6]

وهو سبحانه الذي أَنْزل الذكر، وهو القرآن، وهو الحافظ له من التغييرِ والتبديل إلى يوم القيامة، فيقول ربنا سبحانه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾.[7]

وهو قرآن معجز في كل شيء سواء كان في اللغة أو الأحكام أو العلوم أو التاريخ أو أي شيء للبشر، فيقول ربنا سبحانه ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾.[8]

وتحدى الله به الخلق كلهم جنهم وإنسهم فقال سبحانه ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾.[1]

---

[1] سورة التكوير الآية 19.
[2] سورة النجم الآية 5 – 6.
[3] سورة التكوير الآية 19 – 21.
[4] سورة الإسراء الآية 89.
[5] سورة الزمر الآية 27.
[6] سورة الإسراء الأية 9.
[7] سورة الحجر الآية 9.
[8] سورة الأنعام الآية 38.

سنتنا النبوية

فإذا اطمأن قلبك بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا، واطمأن قلبك بالقرآن وانشرح صدرك به، فاعلم أن نبيه محمد ﷺ أرسله ربه بالقرآن ومثله معه وهي السنة المحمدية تبيانا لأحكام الله وتفسيرا لكتابه.

فيقول الحبيب ﷺ { ألَا إنّي أُوتيتُ الكِتابَ ومِثلَه معه، ألَا إنّي أُوتيتُ القُرآنَ ومِثلَه معه، ألَا يوشِكُ رجُلٌ يَثْنَي شَبْعانًا على أَريكتِه يقولُ: عليكم بالقُرآنِ، فما وجَدْتُم فيه مِن حلالٍ فأَحِلُّوه، وما وجَدْتُم فيه مِن حرامٍ فحَرِّموه! ألَا لا يَحِلُّ لكم لَحمُ الحِمارِ الأَهْليِّ، ولا كلُّ ذي نابٍ مِنَ السِّباعِ، ألَا ولا لُقَطةٌ مِن مالِ مُعاهَدٍ إلَّا أنْ يَستَغنيَ عنها صاحِبُها، ومَن نزَلَ بقَومٍ فعليهم أنْ يَقْرُوهم، فإنْ لم يَقْرُوهم فلهم أنْ يُعْقِبوهم بمِثلِ قِراهُم }.[2]

وفي رواية آخرى { لا ألفينَّ أحدَكم متَّكئًا على أريكتِهِ يأتيهِ الأمرُ من أمري ممَّا أمرتُ بِهِ أو نَهيتُ عنْهُ فيقولُ: لا أدري ما وجَدنا في كتابِ اللَّهِ اتَّبعناهُ رَواهُ التِّرمِذي وفي روايةٍ لغيرِهِ ما وجَدْنا فيه حرامًا حرَّمناهُ ألا وإنّي أوتيتُ القُرآنَ ومثلَهُ معهُ . وفي آخرى ألا إنَّ ما حرَّمَ رسولُ اللَّهِ مثلُ ما حرَّمَ اللَّهُ }.[3]

فلقد فرض الله علينا الصلاة، وعرفنا عددها وكيفيتها وأحكامها من الحبيب ﷺ ، وفرض الله علينا الزكاة وعرف الحبيب ﷺ مقدارها في الأموال والزروع والركاز ومواقيتها وأحكامها وغيرها ، وفرض الله علينا الصيام وفسر أحكامه الرسول الحبيب ﷺ ، وفرض علينا الحج، والنبي الحبيب ﷺ عرفنا كيفية أدائها وأركانها.

فلنا في رسول الله قدوة حسنة، فقال تعالى ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾.[4]

فإذا اطمأن قلبك بما ذكرنا سابقا، فاعلم أن الله قد فرض فروضا وحد حدودا، وهو أعلم بنا، فيها صلاح للبشر في دنياهم وفي أُخراهم.

---

[1] سورة الإسراء الآية 88.

[2] عن المقدام بن معدى كرب وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح برقم17174، وقال في تخريج سنن أبي داود إسناده صحيح برقم4604، وقال الألباني إسناده صحيح في تخريج مشكاة المصابيح برقم162.

[3] عن أبي رافع وأبي ثعلبة وأبي هريرة، وقال الألباني في منزلة السنة صحيح برقم10، وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى مأثور عن النبي من عدة جهات برقم19/85.

[4] سورة الأحزاب الآية 21.

قال الحبيب ﷺ { إن اللهَ فرض فرائضَ فلا تُضيّعوها ونهي عن أشياءَ فلا تنتهكوها وحدَّ حدودًا فلا تعتدوها وغفل عن أشياءٍ من غير نسيانٍ فلا تبحثوا عنها }.[1]

فإذا اطمأننت بما سبق فاعلم أن الله من حفظه لكتابه حفظ كذلك سنة نبيه ﷺ ، فوهب الله لهذه الأمة من قام بكتابة سنة نبيه، وسخر لها رجالا صالحين صحابة مخلصين قاموا بتسجيل كل كبيرة وصغيرة صدرت عن الحبيب ﷺ سواء كانت أقوالا أو أفعالا، وسخر الله لهذه الأمة رجالا قاموا بتحقيق هذه السنة النبوية وبينوا ما هو صحيح منها وما هو موضوع عليها أو مكذوب عن الحبيب ﷺ ، ومازال التحقيق في كلماته وأفعاله أو الرجال الناقلين عنه قائما حتى الآن، وهذا بحفظ الله لسنة نبيه ﷺ لأنها مكملة لكتاب الله وموضحة لأحكامه مفسرة لبيانه.

وأصح كتب السنة هو كتاب صحيح البخاري رحمه الله ورضي الله عنه وجزاه خيرا عن أمة محمد عما بذل فيه من تحقيق حتى خرج إلينا أصح كتاب بعد كتاب ربنا سبحانه، وهذا بشهادة علماء الأمة كلهم، ثم كتاب صحيح مسلم جزاه الله خيرا ورضي الله عنه، وما اجتمع عليه البخاري ومسلم هو أصح الصحيح ثم باقي أصحاب السنن والمسانيد رضي الله عنهم أجمعين فيما بذلوا من جهد في تحصيل سنة الحبيب ﷺ .

فإذا اطمأن قلبك وأقررت بالله ربنا الواحد الأحد وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا وأمنت بالقرآن وصدقت السنة وعملت بما فيهما ما استطعت، فأنت مسلم حقا ومؤمن يقينا.

[1] عن أبو ثعلبة الخشنى وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح برقم1/176، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج رياض الصالحين حسن بشواهده برقم1832، وقال الألباني في تخريج مشكاة المصابيح منقطع برقم195.

الباب السابع

إسلامنا الجميل
وسلامة المجتمع

إسلامنا الجميل وسلامة المجتمع

إسلامنا الجميل اهتم بإقامة مجتمع مثالي صحيح سليم خال من كل نقص وعيب، وهذه المثالية تبحث عنها البشرية دائما وتسعى لإقامتها، ولذا أرسل الله الرسل والأنبياء لإقامة المجتمع المثالي، ولكن هذا المطلب من المحال تحقيقه على أرض الواقع، لأن هذه المثالية لا توجد إلا في جنة الله في الآخرة، ولذا أمرنا الله أن نؤدي ما استطعنا وعلى قدر قوتنا وجهدنا، ومن رحمة ربنا لا يؤاخذنا إلا بما استطعنا، ويعفو عنا برحمته إن نسينا أو أخطأنا بغير عمد، فقد قال الله الرحيم ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾.[1]

ويقول سبحانه ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ﴾.[2]

ويقول الحبيب ﷺ { فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عن شيءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا منه ما اسْتَطَعْتُمْ }.[3]

ويقول الحبيب ﷺ { إنَّ اللهَ تعالى وضع عن أُمَّتي الخطأَ، والنسيانَ، وما اسْتُكرِهوا عليه }.[4]

وفي لفظ {تجاوز} عن أمتي و{ تجاوز لي } وهذا الحديث الجميل رواه أكثر من صحابي وهم عبد الله بن عباس وأبو هريرة وعبد الله بن عمر وأبو ذر وعقبة بن عامر وأبو الدرداء وثوبان مولى رسول الله ﷺ .

ولذا اهتم إسلامنا الجميل بالفرد المسلم لأنه أهم لبنة بناء في المجتمع المسلم، وإذا صحت لبنته أصبحت لبنات المجتمع قوية متراصة صعبة الاختراق أو الهدم.

وهذا ما يسعى إليه إسلامنا الجميل في إنشاء مجتمع مثالي قوي في وجه فتن الدنيا وصعابها، قادر على نشر الخير والسلام في ربوع الأرض، فينعم به الإنسان والحيوان والجماد، بل الكون كله، فهو مربوط برباط قوي ومتين بالله الخالق الرحيم الذي لم يخلقه ويتركه سدى، بل هو به رحيم وودود وكريم، أرسل له

---

[1] سورة البقرة الآية 286.
[2] سورة الطلاق الآية 7.
[3] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم7288، ومسلم في صحيحه برقم1337.
[4] عن عبد الله بن عباس وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم1836، وقال صحيح في صحيح ابن ماجه برقم1677، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج زاد المعاد رجاله ثقات سنده قوي برقم5/183، وقال أحمد شاكر في عمدة التفاسير الإنقطاع في إسناد ابن ماجه، ولكن إسناد ابن حبان والطبراني متصلان صحيحان برقم1/348.

الرسل والأنبياء وأرسل له الكتب والصحف لهدايته، وختمها بالحبيب ﷺ أحسن الخلق خلقا وأخلاقا سيد الأولين والآخرين سماه ربه بالرؤوف الرحيم فقال تعالى ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.[1]

إذا ارتكب المسلم ذنبا

إسلامنا الجميل دين الرحمة والمغفرة والعفو واليسر، فإذا ارتكب المسلم ذنبا فعليه أن يلجأ إلى الرحمن الرحيم فإنه سبحانه ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ ﴾.[2] ويكمل الله سبحانه الآية بقوله شديد العقاب لكي يدرك من ارتكب ذنبا أو خطيئة ولم يرتدع ولم يلجأ إلى ربه ويستغفره أنه شديد العقاب، وقد اجتمع في هذه الآية الرجاء والخوف، ليبقى العبد بينهما.

وربنا في إسلامنا الجميل غفار الذنوب، سبقت رحمته غضبه سبحانه الرحمن الرحيم، فقال الحبيب ﷺ عن ربنا سبحانه وتعالى { لَمَّا قَضَى اللَّهُ الخَلْقَ، كَتَبَ كِتابًا عِنْدَهُ: غَلَبَتْ، أوْ قال سَبَقَتْ رَحْمَتي غَضَبِي، فَهو عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ }.[3]

فيا من يرتكب الذنب أبشر بعفو الله ومغفرته، فالله في إسلامنا الجميل أرحم الراحمين سبحانه، قال الحبيب ﷺ { جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِئَةَ جُزْءٍ، فأمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وتِسْعِينَ جُزْءًا، وأَنْزَلَ في الأرْضِ جُزْءًا واحِدًا، فَمِنْ ذلكَ الجُزْءِ يَتَراحَمُ الخَلْقُ، حتَّى تَرْفَعَ الفَرَسُ حافِرَها عن ولَدِها، خَشْيَةَ أنْ تُصِيبَهُ }.[4]

أأنت أعظم ذنبا أم من قتل مائة نفس ظلما، وأراد أن يتوب ويرجع عن غيه ويلجأ إلى رحمن السماوات والأرض ورحيمهما، تائبا نادما لا تمل عينيه من الدمع ندما وخوفا من الجبار المنتقم؟ فهل له من توبة؟.

إسلامنا الجميل جعل لهذا ومثله توبة ورجعة، فالله الرحيم لا يغلق باب رحمته أبدا، حتى يغرغر الإنسان وتبلغ النفس الحلقوم فعندها لا ندم ولا توبة.

---

[1] سورة التوبة الآية 128.
[2] سورة غافر الآية 3.
[3] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم7553 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم2751.
[4] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6000، ومسلم في صحيحه برقم2752.

فقال الحبيب ﷺ { كانَ في بَنِي إسْرائِيلَ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وتِسْعِينَ إنْسانًا، ثُمَّ خَرَجَ يَسْأَلُ، فأتَى راهِبًا فَسَألَهُ فقال له: هلْ مِن تَوْبَةٍ؟ قال لا، فَقَتَلَهُ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ، فقال له رَجُلٌ: ائْتِ قَرْيَةَ كَذا وكَذا، فأدْرَكَهُ المَوْتُ، فَناءَ بصَدْرِهِ نَحْوَها، فاخْتَصَمَتْ فيه مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ ومَلائِكَةُ العَذابِ، فأوْحَى اللَّهُ إلى هذِه أنْ تَقَرَّبِي، وأَوْحَى اللَّهُ إلى هذِه أنْ تَباعَدِي، وقال قِيسُوا ما بيْنَهُما، فَوُجِدَ إلى هذِه أقْرَبَ بشِبْرٍ، فَغُفِرَ له }[1].

أأنت أعظم ذنبا أم من فعل كل شيء ولم يترك سيئة إلا فعلها؟، نعم لك رجعة وتوبة في إسلامنا الجميل وصفحة جديدة ناصعة البياض تسطر لك بعد أن محا الله الرحيم الكريم سيئاتك ومنحك سطرا جديدا نظيفا.

فقد جاء رجل كبير السن لرسول الله ﷺ فقال { أرأيتَ مَن عمل الذنوبَ كلَّها ولم يتركْ منها شيءا وهو في ذلك لم يترك حاجةً ولا داجةً إلا أتاها، فهل لذلك من توبةٍ ؟ قال : فهل أسلمتَ ؟ قال : أما أنا فأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ، وأنك رسولُ اللهِ قال: تفعل الخيراتِ، وتترك السيئاتِ، فيجعلهنَّ اللهُ لك خيراتٍ كلِّهنَّ قال وغَدَراتي وفَجَراتي ؟ قال: نعم قال: اللهُ أكبرُ، فما زال يُكبِّرُ حتى تَوارَى }.[2]

أأنت أكبر ذنبا أم من يرتكب الذنوب يوميا ولا تحدثه نفسه بالندم وبالتوبة؟ ألا يعلم أن له ربا رحيما يستر الذنب ويقبل التوبة.

وقد قال المعصوم ﷺ { كلُّ بني آدمَ خطَّاءٌ وخيرُ الخطَّائينَ التوَّابونَ }.[3]

وقال الحبيب ﷺ { إنَّ عَبْدًا أصابَ ذَنْبًا - ورُبَّما قال أذْنَبَ ذَنْبًا - فقال رَبِّ أذْنَبْتُ - ورُبَّما قال أصَبْتُ - فاغْفِرْ لِي، فقال رَبُّهُ: أعَلِمَ عَبْدِي أنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ويَأْخُذُ بهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ ما شاءَ اللَّهُ ثُمَّ أصابَ ذَنْبًا، أوْ أذْنَبَ ذَنْبًا، فقال رَبِّ أذْنَبْتُ - أوْ أصَبْتُ - آخر، فاغْفِرْهُ؟ فقال أعَلِمَ عَبْدِي أنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ويَأْخُذُ بهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ ما شاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أذْنَبَ ذَنْبًا، ورُبَّما قال أصابَ ذَنْبًا، قال قال رَبِّ

[1] عن أبي سعيد الخدري والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم3470، ومسلم في صحيحه برقم2766.
[2] عن شطب الممدود أبو الطويل، وقال الألباني صحيح في صحيح الترغيب برقم3164، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رواه البزار بنحوه ورجال البزار رجال الصحيح غير محمد بن هارون وهو ثقة برقم1/36، ورواه الطبراني برقم7/314، ورقم7235.
[3] عن أنس بن مالك وقال الألباني حسن في صحيح ابن ماجه برقم3447، وقال حسن في صحيح الجامع برقم4515، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج شرح السنة إسناده حسن برقم5/92، ورواه البزار في مسنده برقم13/459، والترمذي في سننه برقم2499.

أصَبْتُ - أوْ قال أذْنَبْتُ - آخر، فاغْفِرْهُ لِي، فقال أعَلِمَ عَبْدِي أنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ويَأْخُذُ بهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلاثًا، فَلْيَعْمَلْ ما شاءَ }.[1]

بل يبدل الله الرحيم في إسلامنا الجميل سيئاتك حسنات، فسبحانه وسعت رحمته كل شيء.

فيقول ربنا الرحيم ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٧٠ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ٧١ ﴾.[2]

ويقول الحبيب ﷺ { ما من عبدٍ يُذنِبُ ذنبًا فيُحسِنَ الطَّهورَ ثمَّ يقومَ فيُصلِّيَ ركعتَيْن ثمَّ يستغفِرُ اللهَ إلَّا غَفَر له ثمَّ قرأ هذهِ الآيةَ ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ }.[3]

وأسرع بالتوبة فالله الكريم يقبل توبة عبده إذا جاءه تائبا مالم يغرغر أو تطلع الشمس من مغربها، فقد قال الحبيب ﷺ { إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ }.[4]

وقال ﷺ { مَن تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مَغْرِبِهَا، تَابَ اللَّهُ عليه }.[5]

والتوبة في إسلامنا الجميل سهلة لمن سهَّل الله عليه، ويسر لمن يسر الله له، وقبل منه، فما عليك إلا أن ترفع يدك بالدعاء خالصا لله، وتدعوه فهو قريب منك يسمع دعاءك ويقبل رجاءك فهو الرحيم رحمن السماوات والأرض، بدون واسطة سواء كنت من الأحياء أو الأموات بلا حائل ولا أبواب، فقط ارفع يديك وادع وأنت موقن بالإجابة.

---

[1] عن أبي هريرة، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم7507، ومسلم في صحيحه برقم2758.

[2] سورة الفرقان الآية 68 – 71.

[3] عن أبي بكر الصديق وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم1521، وقال صحيح في صحيح الترغيب برقم1621، وقال حسن في صحيح الترمذي برقم406، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح برقم47.

[4] عن عبد الله بن عمر، وقال الألباني حسن في صحيح الترمذي برقم3537، وقال أحمد شاكر في مسند أحمد إسناده صحيح برقم9/18، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج شرح السنة إسناده حسن ورجاله ثقات برقم1306.

[5] عن أبي هريرة وأخرجه مسلم في صحيحه برقم2703، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده صحيح على شرط مسلم برقم629، وقال صحيح في تخريج المسند برقم9130.

فقال سبحانه وتعالى ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَآخِرِينَ ﴾.[1]

وقد قال الحبيب ﷺ { القلوبُ أَوعيَةٌ، وبعضُها أَوعَى مِن بعضٍ، فإذا سأَلْتُم اللهَ عزَّ وجلَّ -أيُّها النَّاسُ- فاسْأَلوه وأنتم موقنونَ بالإجابةِ؛ فإنَّ اللهَ لا يَستجيبُ لِعبدٍ دعاه عن ظَهرِ قلبٍ غافلٍ }.[2]

وفي رواية آخرى { ادْعُوا اللهَ وأنتمْ مُوقِنُونَ بالإجابةِ، واعلمُوا أنَّ اللهَ لا يَستجيبُ دُعاءً من قلْبٍ غافِلٍ لَاهٍ }.[3]

فقط ارفع يديك وادع الكريم فقد قال الحبيب ﷺ { إنَّ ربَّكم حييٌّ كريمٌ يستحيي من عبدِه أن يرفعَ إليه يدَيْه فيرُدَّهما صِفرًا أو قال خائبتَيْن }.[4]

وتأكد أن الله سيقبل دعاءك، فقد قال الحبيب ﷺ { يُسْتَجابُ لأحَدِكُمْ ما لَمْ يَعْجَلْ، يقولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي }.[5]

وفي رواية آخرى { لا يَزَالُ يُسْتَجَابُ للعبدِ ما لم يَدْعُ بإثْمٍ أو قَطِيعةِ رَحِمٍ، ما لم يَسْتَعْجِلْ، يقولُ : قد دَعَوْتُ وقد دَعَوْتُ فلم أر يَسْتَجيبُ لي، فيَسْتَحْسِرُ عند ذلك، ويَدَعُ الدعاءَ }.[6]

ورواية ثالثة جميلة { ما من رجُلٍ يَدعُو بِدعاءٍ إلَّا اسْتُجِيبَ لهُ، فإمّا أنْ يُعَجَّلَ لهُ في الدنيا، وإمَا أنْ يُدَّخَرَ لهُ في الآخرةِ، ما لمْ يَدْعُ بإثْمٍ، أوْ قطيعةِ رَحِمٍ، أو يَستعجِلُ، يقولُ : دعوْتُ ربّي فمَا اسْتجابَ لِي }.[7]

فالله كريم يحب العفو، قال الحبيب ﷺ يدعو ربه { اللَّهمَّ إنَّك عفُوٌّ كريمٌ تُحِبُّ العفْوَ، فاعْفُ عنِّي }.[8]

---

[1] سورة غافر الآية 60.

[2] عن عبد الله بن عمرو وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده ضعيف ومعناه صحيح برقم6655، وقال الألباني في صحيح الترغيب حسن لغيره برقم1652.

[3] عن أبي هريرة وقال الألباني حسن في صحيح الترمذي برقم3479، وقال حسن في صحيح الجامع برقم245، وقال حسن في تخريج مشكاة المصابيح برقم2181، ورواه البزار في مسنده برقم10061.

[4] عن سلمان الفارسي وقال الألباني صحيح في صحيح ابن ماجه برقم3131، وقال صحيح في صحيح الجامع برقم1757، وصحيح الترمذي برقم3556، وصحيح الترغيب برقم1635.

[5] عن أبي هريرة، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6340، ومسلم في صحيحه برقم2735.

[6] عن أبي هريرة، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم2735 ، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم7705.

[7] عن أبي هريرة، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم5714 واللفظ له، وقال في صحيح الترمذي صحيح دون قوله وإما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعى برقم3604.

[8] عن عائشة، وقال الألباني صحيح في صحيح الترمذي برقم3513، وقال صحيح في صحيح ابن ماجه برقم3119، وقال صحيح في صحيح الترغيب برقم3391، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح برقم25384.

ويقول الحبيب ﷺ { إنّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ، في اليَومِ مِئَةَ مَرَّةٍ }.[1]

قال الحبيب ﷺ { إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ باللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مَغْرِبِهَا }.[2]

قال الحبيب ﷺ { قال اللهُ تبارَكَ وتعالى يا ابنَ آدمَ إنَّكَ ما دعوتَني ورجوتَني غفَرتُ لَكَ على ما كانَ فيكَ ولا أبالي، يا ابنَ آدمَ لو بلغت ذنوبُكَ عَنانَ السَّماءِ ثمَّ استغفرتَني غفرتُ لَكَ، ولا أبالي، يا ابنَ آدمَ إنَّكَ لو أتيتَني بقرابِ الأرضِ خطايا ثمَّ لقيتَني لا تشرِكُ بي شيءا لأتيتُكَ بقرابِها مغفرةً }.[3]

واطمئن فلست وحدك من يذنب، فالله الكريم يعلم أن عباده خطاؤون ومذنبون، ولكنه سبحانه غفار الذنوب ستار العيوب، ورحيم ودود ويحب من عباده اللجوء إليه سبحانه والدعاء له.

فيقول الحبيب ﷺ { والذي نفسي بيدِه ! لو لم تذنبوا لذهب اللهُ بكم، ولجاء بقومٍ يذنبون، فيستغفرون اللهَ، فيغفرُ لهم }.[4]

ويقول الحبيب ﷺ في حديث جميل آخر { والذي نفْسي بيَدِه -أو: والذي نفْسُ محمَّدٍ بيَدِه- لو خَطِئْتُم حتى تَملأَ خَطاياكم ما بيْن السَّماءِ والأرضِ، ثمَّ استَغفَرْتمُ اللهَ لغَفَرَ لكم، والذي نفْسُ محمَّدٍ بيَدِه -أو: والذي نفْسي بيَدِه- لو لم تُخْطئوا لَجاء اللهُ بقَومٍ يُخْطئونَ ثمَّ يَستَغفِرونَ اللهَ فيَغفِرُ لهم }.[5]

وأبشر بدخولك الجنة ما لم تشرك بالله شيئا، فقد قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه { أَتَى النبيَّ ﷺ رَجُلٌ فقال يا رَسولَ اللهِ، ما المُوجِبَتانِ؟ فقال مَن ماتَ لا يُشْرِكُ باللهِ شيءا دَخَلَ الجَنَّةَ، ومَن ماتَ يُشْرِكُ باللهِ شيءا دَخَلَ النَّارَ }.[6]

تصديقا لقول الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾.[1] [النِّسَاءِ: ٤٨، ١١٦] .

---

[1] الأغر المازنى أبو مالك وأخرجه مسلم في صحيحه برقم2702، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم2415.

[2] عن أبي موسى الأشعري، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم2759، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم1871، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح على شرط الشيخين برقم19619.

[3] عن أنس بن مالك، وقال الألباني صحيح في صحيح الترمذي3540، وقال حسن في صحيح الجامع برقم4338، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند فيه كثير بن فائد قال الحافظ في "التقريب" مقبول.

[4] عن أبي هريرة وأخرجه مسلم في صحيحه برقم2749، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم7074.

[5] قال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند صحيح لغيره برقم13493 واللفظ له، وقال في تخريج شرح السنة صحيح لغيره برقم1295، ورواه أبو يعلى برقم4226، والديلمي برقم7095.

[6] أخرجه مسلم في صحيحه برقم93.

وهذا الحديث الجميل عن الحبيب ﷺ { أتَانِي جِبْرِيلُ عليه السَّلَامُ، فَقال مَن مَاتَ مِن أُمَّتِكَ لا يُشْرِكُ باللَّهِ شيءا دَخَلَ الجَنَّةَ، قُلتُ: وإنْ زَنَى وإنْ سَرَقَ؟ قال وإنْ زَنَى، وإنْ سَرَقَ }.[2]

وحديث جميل مثله { نزَلَ رَجُلٌ على مَسروقٍ فقال سمِعْتُ عبدَ اللهِ بنَ عمرِو بنِ العاصي يقولُ: سمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: مَن لقيَ اللهَ وهو لا يشرِكُ به شيءا؛ دخَلَ الجنَّةَ، ولم تضُرَّه معه خطيئةٌ، كما لو لقيَه وهو مشركٌ به؛ دخَلَ النَّارَ، ولم تنفَعْهُ معه حسنةٌ. قال أبو نُعَيمٍ في حديثِه: جاء رَجُلٌ أو شَيخٌ مِن أهلِ المدينةِ، فنزَلَ على مسروقٍ فقال سمِعْتُ عبدَ اللهِ بنَ عمرٍو يقولُ: قال رسولُ اللهِ ﷺ : مَن لقيَ اللهَ لا يشرِكُ به شيءا؛ لم تضُرَّهُ معه خطيئةٌ، ومَن مات وهو يشرِكُ به؛ لم ينفَعْهُ معه حسنةٌ }.[3]

وعلى المجتمع أن يساعد أصحاب التوبة والرجعة أن يستمروا على التوبة والاستقامة، فلا يُعَيَّر بما عُرف عنه من معاصي أو بعد تطبيق العقوبة عليه، ويسهل له طريق العودة إلى المعاصي والذنوب، وهي مسؤولية مشتركة بين الفرد ومن حوله من المقربين من أهله وأصحابه وجيرانه، ومن المجتمع كله، والدولة التي تضم كل هؤلاء بين جنباتها، وعليها إغلاق أبواب الشر وأدوات المعاصي.

ونسلك منهج الحبيب ﷺ في ألا نُعَيّر من ارتكب جريمة وخاصة بعد إقامة الحد عليه أو تعذيره أو توبته.

فقد روى أبوهريرة رضي الله عنه قال { أُتِيَ النبيُّ ﷺ برَجُلٍ قدْ شَرِبَ، قال اضْرِبُوهُ قال أبو هُرَيْرَةَ: فَمِنَّا الضَّارِبُ بيَدِهِ، والضَّارِبُ بنَعْلِهِ، والضَّارِبُ بثَوْبِهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قال بَعْضُ القَوْمِ: أخْزَاكَ اللَّهُ، قال لا تَقُولوا هَكَذَا، لا تُعِينُوا عليه الشَّيْطَانَ }.[4]

وفي رواية آخرى { إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ برجلٍ قد شرِبَ الخمرَ فقال اضربوه فمنَّا الضَّاربُ بيدِه والضَّاربُ بثوبِه والضَّاربُ بنعلِه ثمَّ قال بَكِّتوه فأقبلوا عليهِ يقولونَ ما اتَّقيتَ اللَّهَ ما خشيتَ اللَّهَ وما استحييتَ

---

[1] سورة النساء الآية 48 والآية 116.
[2] عن أبي ذر والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6444، ومسلم في صحيحه برقم94.
[3] عن عبد الله بن عمرو وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح على شرط الشيخين برقم6586.
[4] أخرجه البخاري في صحيحه برقم6777، وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم4477.

من رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال بعضُ القومِ أخزاكَ اللهُ قال لا تقولوا هَكذا لا تعينوا عليهِ الشَّيطانَ ولَكن قولوا اللَّهمَّ اغفر لَه اللَّهمَّ ارحمْهُ }.[1]

ونحذو حذو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد روى يزيد بن الأصم { أنَّ رجلًا كان ذا لباسٍ وكان يرفو لباسَه وكان من أهلِ الشَّامِ وأنَّ عمرَ فقده فسأل عنه فقيل: تابَع في هذا الشَّرابِ فدعا كاتبَه فقال: اكتُبْ من عمرَ بنِ الخطَّابِ إلى فلانٍ . . . سلامٌ عليك فإنّي أحمدُ إليك اللهَ الَّذي لا إلهَ إلَّا هو ﴿ غافِرِ الذَّنْبِ وَقابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ ثمَّ دعا وأمَّن من عنده فدعَوْا له أن يقبلَ اللهُ تعالَى بقلبِه وأن يتوبَ اللهُ عليه، فلمَّا أتت الصَّحيفةُ الرَّجلَ جعل يقرؤُها ويقولُ: ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ ﴾ قد وعدني اللهُ أن يغفرَ لي و﴿ وَقابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ﴾ قد حذَّرني اللهُ عقابَه ﴿ ذِي الطَّوْلِ ﴾ والطَّوْلُ الخيرُ الكثيرُ ﴿ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ لا يزالُ يُرَدِّدُها على نفسِه ثمَّ بكَى ثمَّ نزع فأحسنَ النَّزعَ، فلمَّا بلغ عمرَ خبرُه قال: هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخًا لكم زلَّ زَلَّةً فسدِّدوه وادعوا اللهَ أن يتوبَ عليه، ولا تكونوا أعوانًا للشَّيطانِ عليه }.[2]

واعلم أن الله من كرمه وجوده يغفر الذنوب جميعا مهما عظمت وكبرت، فهو سبحانه يحب العفو ويغفر الذنب العظيم فيقول سبحانه ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾.[3]

ويقول سبحانه ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾.[4]

الخطأ والتوبة

والخطأ أو المعصية تقع أولا على عاتق من يفعلها، لكن كثيرا منه يصيب المجتمع وأفراده، وإسلامنا الجميل يريد مجتمعا مثاليا خاليا من الأضرار، ولذا وضع إسلامنا الجميل لسلامة المجتمع من خطايا الأفراد حدودا وعقوبات لحماية المجتمع، وتخويفا لمن يريد أن يتجرأ على المعصية، فعند قيام الفرد بالمعصية يكون تحت تأثير نفسه السيئة الأمارة له بالسوء أو تأثير وسوسة الشيطان عليه.

---

[1] قال الألباني في تخريج مشكاة المصابيح إسناده صحيح برقم3548، وقال صحيح في صحيح أبي داود برقم4478 باختلاف يسير، ورواه البزار في مسنده برقم8564.

[2] قال بن كثير في مسند عمر إسناده جيد وفيه انقطاع برقم2/517.

[3] سورة الزمر الآية 53.

[4] سورة النساء الآية 110.

وفي الحالتين وضع إسلامنا الجميل حلولا جميلة لحماية الفرد من نفسه الأمارة بالسوء أو من وسوسة الشيطان، وحماية المجتمع من أن يصيبه ضرر.

وقد ذكرنا أن من الحلول الناجحة للفرد التوبة والاستغفار والعودة إلى الرشد وترك الغي، فطريق التوبة في إسلامنا الجميل لها ثلاث مراحل مهمة لإصلاح الضرر الحادث، وهي الإقلاع عن الذنب والندم على ما فات والعزم على عدم العودة إليه، فإن كان الضرر تعدى إلى الآخرين فعليه أن يجتهد في تصحيح هذا الضرر وطلب العفو والسماح ممن وقع في حقهم الضرر، ورد الحقوق إلى أصحابها سواء كان الضرر في المال أو العرض أو النفس.

فالله الكريم دعا عباده إلى التوبة النصوحة فقال سبحانه ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾.[1]

ويقول التواب الرحيم ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.[2]

وقال الحبيب ﷺ { الندمُ توبةٌ فقال له أبي أنت سمعتَ النبيَّ ﷺ يقولُ الندمُ توبةٌ قال نعم }.[3]

وقال الحبيب ﷺ { التائبُ من الذنبِ كمن لا ذنبَ لهُ }.[4]

وهذا الحديث الجميل رواه أكثر من صحابي، وإن كانت كلها ضعيفة السند، وهم عبد الله بن عباس وأبو سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وأبو سعد بن أبي فضالة الأنصاري.

فالله الكريم العفو العفور يحب العفو، ويتكرم على عباده بالمغفرة وقبول التوبة في حقه، وهو الغني عنا صاحب المن والفضل.

ويقول ربنا الرحيم ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.[5]

---

[1] سورة التحريم الآية 8.
[2] سورة النور الآية 31.
[3] عن عبد الله بن مسعود، وقال الألباني صحيح في صحيح ابن ماجه برقم3448، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح3568.
[4] عن عبد الله بن مسعود، وقال الألباني حسن في صحيح ابن ماجه برقم3446، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح إلا إن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه برقم10/203، ورواه الطبراني في المعجم الكبير برقم10281.
[5] سورة الزمر الآية 53.

ويقول ربنا الرحيم ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾.[1]

ويقول الحبيب ﷺ { إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النهارِ، وَيبْسُطُ يَدَهُ بِالنهارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا }.[2]

التدرج في الأحكام

إسلامنا الجميل لم يأت بالحدود ليرعب المجتمع وينشر الخوف من الدين، ولكنه جاء لإقامة العدل وإنزال الطمأنينة في النفوس، ويقوم المجتمع بمهامه لينهض ويتقدم، في ظل حماية ورعاية ديننا الحنيف الذي جاء لنفي الضرر ورفعه، والحفاظ على الدين والنفس والعقل والنسل والمال.

ومن جمال إسلامنا أنه جاء متدرجا ليأخذ بيد المجتمع الذي كان يعب بالفساد والظلم والفواحش، وينتقل به خطة خطوة ليصبح خير الأمم وأنفع الأمم للناس، وكانت تصديقا لقول الله سبحانه وتعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾.[3]

ويقول ربنا في وصف هذه الأمة المباركة ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾.[4]

ويقول ربنا سبحانه وتعالى ﴿ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾.[5]

وأخذ ديننا الجميل بيد هذه الأمة المباركة وانتقل بها من ترك الفواحش وسوء الأخلاق إلى أمة وسط آمنة مطمئنة يعيش فيها الفرد آمنا مطمئنا لينطلق نافعا لنفسه وللمجتمع وللعالم بأسره.

---

[1] سورة التوبة الآية 104.
[2] عن أبي موسى الأشعري، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم2759، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح على شرط الشيخين برقم19619، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم1871.
[3] سورة آل عمران الأية 110.
[4] سورة البقرة الآية 143.
[5] سورة الحج الآية 78.

وفي أقل من قرن من الزمان بعد بعثة الحبيب ﷺ إلا وانتشر هذا الدين إلى كل ربوع الدنيا المعمورة وبنى حضارة عظيمة أساسها الأخلاق والعمل الصالح.

وانتقل بهذا المجتمع الجاهلي بعد طول مدة واعتياد الفساد في العادات والتقاليد، كشرب الخمر وانتشار الزّنَا والربا والاعتداء على النفس والمال وعبادة الأوثان والأصنام واعتياد الإغارة والترويع والقتل والأسر وانتشار العبودية، إلى مجتمع مثالي في الأخلاق والعادات والمعاملات، وأنهى كل ماهو سيئ وقبيح في هذا المجتع الجاهلي، وفي أقل من 23 عام، وهي مدة بعثة الحبيب ﷺ ، ففي مجتمع مكة لم تنزل أحكام المجتمع وتطبيق الحدود، بل تأجلت إلى إقامة المجتمع الإسلامي والدولة الناهضة في مجتمع المدينة، حيث استطاع الحبيب ﷺ إنشاء دولة قوية، لها كيان مستقل، يستطيع فيها تطبيق قوانين المجتمع وإقامة الحدود، أما مجتمع مكة فكان لتصحيح عقيدة التوحيد وترك الأخلاق الفاسدة والتعود على الخلاق الحميدة، وتجهيز هذه النفوس المؤمنة الصابرة على تحمل مشاق تكوين الدولة بأركانها.

فكانت الدعوة في مكة تدعو إلى عبادة الله الواحد الأحد وعدم الإشراك بالله بعبادة الأوثان والأصنام، وترك العادات السيئة مثل وأد البنات والزّنَا (نكاح الاستبضاع واتخاذ الأخدان) والاعتداء على الضعفاء وأخذ حقوقهم بالسلب والنهب والإغارة وشرب الخمر ولعب الميسر وهو القمار، وغيرها من سوء الأخلاق والعادات، وكانت دعوة للتصديق بأن الحبيب محمدا ﷺ قد أرسل للعالمين نبيا ورسولا ومبشرا ونذيرا.

فقال لهم الله تعالى في قرآنه المنزل ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾.[1]

وهي سمة سور القرآن في الفترة المكية والتي ترسخ العقيدة الصحيحة وتهدم عبادة الأوثان والأصنام.

وظل الحبيب ﷺ يدعوهم إلى التوحيد { قولوا: لا إله إلا اللهُ، تُفلِحوا }.[2]

ويدعوهم إلى مكارم الأخلاق، فقال لهم ربهم ﴿ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ

[1] سورة الأعراف الآية 158.

[2] عن طارق بن عبد الله المحاربي، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج سنن الدار قطني صحيح برقم2976، وقال في تخريج صحيح ابن حبان إسناده صحيح برقم6562، كما روى هذا الحديث نحوه ربيعة بن عباد الديلي و مدرك بن عوف الأحمسي، وأبو أيوب الأزدي.

وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٥١ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾.[1]

ويقول لهم ولنا وللعالمين ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ 90 وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴾.[2]

و معظم الآيات المكية تدعو إلى إخلاص العبودية لله ومكارم الأخلاق والصبر على أذى الكفار والمشركين.

ويقول له ربه في أولى خطوات الدعوة في قرآنه الكريم ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴾.[3]

ثم بعد أن مكن الله لرسوله في المدينة واشتد عود المسلمين وقويت العقيدة في قلوبهم وثبتت، نشأت دولة قوية قادرة على تطبيق شرع الله، وبدأت تنزل أيات الأحكام والحدود، وكثير من الحدود نزل فيها تدرج في الأحكام والتشريع.

وتدرج الحكم في تحريم الخمر، لأن المجتمع كله سواء في مكة أو المدينة أو الجزيرة العربية كلها أو العالم أجمع كان يتناول الخمر ولا يمنعها، فجاء إسلامنا الجميل متدرجا في حكم تحريم الخمر، وذكر أن فيها إثما كبيرا ومنافع، ففهم ذوو الألباب وامتنعوا عن شربها والتجارة فيها، ثم امتنع كثير من المسلمين عن شربها في أوقات الصلاة، حتى لايُصلوا وهم سكارى، ثم جاءت آخر خطوة في التحريم بحد شرب الخمر وهو الجلد ثمانين جلدة، وقد حرمت الخمر نهائيا سنة ثمان من الهجرة بقول الله سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ

[1] سورة الأنعام الآية 151- 152.
[2] سورة النحل الآية 90 - 91.
[3] سورة المزمل الآية 10.

ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾.[1]

وفي حد الزّنَا لم يتدرج الحكم فيه، فلم يكن في يوم من الأيام مباحا منذ خلق البشرية، بل هو محرم في كل الشرائع السابقة، والتدرج فيه جاء بإنزال العقوبة بفاعله، ففي أول الأمر كان بالحبس في البيوت، وبالإيذاء والتوبيخ والتعنيف لقول الله سبحانه وتعالى ﴿ وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةً مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ١٥ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ﴾.[2]

والسبيل الذي جعله الله هو تطبيق حد الزّنَا الناسخ لعقوبة الحبس في البيوت حتى الموت.

وتم تطبيق الحد في جريمة الزّنَا عند إقامة دولة الإسلام والمجتمع المسلم، الذي تم تهيئته بالفضيلة ومنع الرذيلة، فحجب النساء وقلل من الاختلاط، فمنع مسببات الزّنَا وخطواته، من ثم طبق إسلامنا الجميل حد الزّنَا على من وقع فيه، وهو الجلد مائة جلدة والتغريب للأعزب، وللأنثى الجلد فقط، ويحبب من كان لها من يكفلها أن تتغرب، والرجم حتى الموت لمن كان محصنا أو كانت محصنة أي من كانت له زوجة ودخل بها أو من كانت لها زوج ودخل بها.

فقد قال الحبيب ﷺ { خُذُوا عَنِّي، فقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لهنَّ سَبِيلًا، الثَّيِّبُ بالثَّيِّبِ، وَالْبِكْرُ بالبِكْرِ، الثَّيِّبُ جَلْدُ مِئَةٍ، ثُمَّ رَجْمٌ بالحِجَارَةِ، وَالْبِكْرُ جَلْدُ مِئَةٍ، ثُمَّ نَفْيُ سَنَةٍ. وفي رواية: بهذا الإسْنَادِ. غيرَ أنَّ في حَديثِهِما البِكْرُ يُجْلَدُ وَيُنْفَى، وَالثَّيِّبُ يُجْلَدُ وَيُرْجَمُ، لا يَذْكُرَانِ سَنَةً وَلَا مِئَةً }.[3]

ثم استقر الأمر للثيب والثيبة وهو الرجم فقط لا الجلد ثم الرجم، ويقام الحد إما بالبينة وهي شهود أربعة رجال عاقلين عدول بأنهم شاهدون العملية الجنسية كاملة وبدخول العضو الذكري في العضو الأنثوي، ويحلف كل منهم على حدة، أو بالاعتراف والإقرار أربع مرات بالحدث من الفاعل أو الفاعلة.

وهناك حدود لم يتم التدرج فيها بل نزل القرآن بحدها بدون تدرج، وذلك لخطورتها على المجتمع المسلم، وهي حدود لا تقام إلا بإقامة الدولة المسلمة في المجتمع المسلم، فوجود حاكم مسلم وقاض عادل في

[1] سورة المائدة الآية 90 – 91.
[2] سورة النساء الآية 15 – 16..
[3] أخرجه مسلم في صحيحه برقم1690، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان صحيح برقم4443.

داخل هذه الدولة المسلمة القوية هم القادرون على إقامة الحدود ووأد الفتنة داخل المجتمع، مثل حد السرقة وحد القصاص من القاتل، وحد الحرابة أو قطاع الطريق، وحد المرتد، وحد القذف وغيرها.

وتدرج الحكم في زي وحجاب المرأة المسلمة، فقد كانت المرأة في الجاهلية مهانة مبتذلة تُدفن صغيرة وتنتهك كبيرة وتورث مع الأموال والأغراض، وكانت تخرج سافرة متزينة تكشف عن مفاتنها دون رادع، ولذا كثر في هذا المجتمع الزّنَا وبيوت الدعارة، بل كان زوجها يستبضعها عند رجل آخر ابتغاء الولد وليس لها رأي أو قوة منع لترفض.

ولما جاء إسلامنا الجميل تدرج مع هذا المجتمع السافر وسد أبواب الفتنة بتدرج، فجاءت أولى الآيات بأمر المرأة بالحشمة وألا يظهر منها إلا الوجه والكفان، كما أخبر الحبيب ﷺ أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما فقال { أنَّ أسماءَ بنتَ أبي بكرٍ دخلَتْ على رسولِ اللهِ - ﷺ - وعليها ثيابٌ رقاقٌ فأعرضَ عنها، وقال : يا أسماءُ ! إنَّ المرأةَ إذا بلغَتِ المحيضَ ؛ لنْ يصلُحَ أن يُرى منها إلا هذا وهذا ؛ وأشار إلى وجهِهِ وكفَّيه }.[1]

وتدرج نزول آيات الحجاب طبقا لحالة المجتمع وانتقاله من المجتمع الجاهلي إلى المجتمع الإسلامي ونقض الجاهلية الأولى فبدأ بالترتيب التالى.

الآية الأولى قوله سبحانه وتعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾.[2]

الآية الثانية قوله تعالى ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾.[3]

الآية الثالثة قوله تعالى ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾.[4]

الآية الرابعة قوله تعالى ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ

[1] عن عائشة وقال الألباني في غاية المرام حسن برقم187، وقال في تخريج مشكاة المصابيح حسن لغيره برقم4298، ورواه أبو داود وقال مرسل خالد بن دريك لم يدرك عائشة برقم4104.
[2] سورة الأحزاب الأية 53.
[3] سورة الأحزاب الآية 33.
[4] سورة الأحزاب الآية 59.

أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾.[1]

والآية الخامسة قوله تعالى ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.[2]

والجِلْبابُ قريبٌ مِن العَبَاءةِ اليومَ، لكنَّها غيرُ مفصَّلةٍ، وهو القِنَاعُ والمُلَاءةُ، والجِلْبابُ ليس غطاءً خاصّاً بالوجهِ وحدَه، ولكنَّه للوجهِ وغيرِه.

ومع نزول آية الحجاب والذي أمر المرأة أن تتنقب ولا يظهر منها شيء أمام الأجانب عنها، اكتملت آيات الحجاب للمرأة المسلمة، وظل حديث أسماء والذي قال لها النبي ﷺ بإظهار الوجه والكفين يسري على إظهارهما للمحارم وليس للأجانب وخاصة لو كانت المرأة شابة وجميلة.

ويظل هذا الحكم مناسبا ومطبقا ما دامت دولة الإسلام قائمة وتطبقه.

ويظل قصد الإسلام الأسمى هو الستر وحماية المجتمع من التفسخ والانحلال، ويظل حاميا لقيم وأخلاق البشرية التي فطر الله الناس عليها فقد حرم الله العري على آدم وحواء، حتى وهما في الجنة وقبل النزول إلى الأرض، فقال تعالى ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾.[3]

وعرفه ربه الخالق ألا يعرى في الجنة وفي الأرض فقال تعالى لآدم عليه السلام ﴿ إِنَّ لَكَ أَلا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى ﴾.[4]

وهكذا تدرج إسلامنا الجميل في الأحكام والقوانين والحدود حتى اكتمل الدين في دولة الإسلام، فقال تعالى ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيم ﴾.[1]

---

[1] سورة النور الآية 31.
[2] سورة النور الآية 60.
[3] سورة طه الآية 121.
[4] سورة طه الآية 118.

وتركها رسول الله على البيضاء كما قال ﷺ { قد تركتكم على البيضاءِ ليلُها كنهارِها لا يزيغُ عنها بعدي إلا هالكٌ من يعشْ منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بما عرفتُم من سنتي وسنةِ الخلفاء الراشدين المهديّين, عَضُّوا عليها بالنواجذِ }.[2]

[1] سورة المائدة الآية 3.

[2] عن العرباض بن سارية، وقال الألباني صحيح في صحيح ابن ماجه برقم41، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند صحيح بطرقه وشواهده برقم17142.

الباب الثامن

إسلامنا الجميل والحدود

أما إذا تعدى الضرر إلى المجتمع فيجب رد المظالم حتى لا يقتص منك يوم القيامة، حيث لا ينفع درهم ولا دينار، ولكن يؤخذ من حسناتك حتى توفي حق من أجرمت في حقهم، فإن فنيت حسناتك أخذت من سيئاتهم فوضعت عليك حتى تقذفك إلى النار.

فيقول الحبيب ﷺ { أَتَدْرُونَ ما المُفْلِسُ؟ قالوا: المُفْلِسُ فِينا مَن لا دِرْهَمَ له ولا مَتاعَ، فقال إنَّ المُفْلِسَ مِن أُمَّتي يَأْتي يَومَ القِيامَةِ بصَلاةٍ، وصِيامٍ، وزَكاةٍ، ويَأْتي قدْ شَتَمَ هذا، وقَذَفَ هذا، وأَكَلَ مالَ هذا، وسَفَكَ دَمَ هذا، وضَرَبَ هذا، فيُعْطَى هذا مِن حَسَناتِهِ، وهذا مِن حَسَناتِهِ، فإنْ فَنِيَتْ حَسَناتُهُ قَبْلَ أنْ يُقْضَى ما عليه أُخِذَ مِن خَطاياهُمْ فَطُرِحَتْ عليه، ثُمَّ طُرِحَ في النَّارِ}.[1]

ويقول الحبيب ﷺ { لَتُؤَدُّنَّ الحُقُوقَ إلى أهْلِها يَومَ القِيامَةِ، حتَّى يُقادَ لِلشّاةِ الجَلْحاءِ، مِنَ الشَّاةِ القَرْناءِ}.[2]

فإذا لم يؤد المعتدي حق من أجرم فيهم من المجتمع طواعية وتوبة صادقة، فإن المجتمع ممثلا في ولي الأمر له أن يأخذ حق المجني عليه، بإقامة الحدود عليه، وهي رادعة لمن سولت له نفسه الاعتداء على المجتمع وإحداث فوضى فيه.

فالحدود في إسلامنا الجميل جاءت لحفظ المجتمع من الظلم والفساد والتحلل والخراب والهدم، ولم تكن ظالمة أبدا، فالجرائم التي فيها حدود قاسية في ظن بعض الغافلين هي المهلكة للمجتمع والهادمة له، وإسلامنا الجميل يريد مجتمعا مستقرا متقدما عادلا ويؤدي فيه كل فرد منه ما عليه من واجبات ويأخذ ما له من حقوق كاملة غير منقوصة أو مهضومة، سواء كان ضعيفا أو قويا، وخاصة ذلك الضعيف الذي لا يستطيع أخذ حقه من القوي المتجبر عليه.

فروى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه { لَمَّا قَدِمَ رَسولُ الله ﷺ المدينةَ أقطَعَ الدُّورَ، وأقطع ابنَ مَسعودٍ فيمن أقطَعَ، فقال له أصحابُه: يا رسولَ اللهِ نكِّبْه عنا، قال فَلِمَ بعَثَني اللهُ إذن، إنَّ اللهَ لا يُقَدِّسُ أمَّةً لا يعطونَ الضَّعيفَ منهم حَقَّه }.[1]

[1] عن أبي هريرة وأخرجه مسلم في صحيحه برقم2581، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده صحيح على شرط مسلم برقم4411، وقال في تخريج المسند إسناده صحيح على شرط مسلم برقم8029.

[2] عن أبي هريرة وأخرجه مسلم في صحيحه برقم2582، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده صحيح برقم7363، وقال في تخريج المسند إسناده صحيح على شرط مسلم برقم7996.

وقال في رواية آخرى يرويها جابر بن عبد الله رضي الله عنهما { لمَّا رجَعتُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ مُهاجرةُ البحرِ قال ألا تحدِّثوني بأعاجيبِ ما رأيتُمْ بأرضِ الحبشَةِ قال فِتيةٌ منهم بلَى يا رسولَ اللَّهِ بينا نحنُ جلوسٌ مرَّت بنا عجوزٌ من عجائزِ رَهابينِهِم تحملُ علَى رأسِها قُلَّةً من ماءٍ فمرَّت بفتًى منهم فجعلَ إحدى يدَيهِ بينَ كتفيها ثمَّ دفعَها فخرَّت علَى رُكْبتَيها فانكسَرت قُلَّتُها فلمَّا ارتفَعتِ التفتَتَ إليهِ فقالت سوفَ تعلَمُ يا غُدَرُ إذا وضعَ اللَّهُ الكرسيَّ وجمعَ الأوَّلينَ والآخرينَ وتَكَلَّمتِ الأيدي والأرجلُ بما كانوا يَكْسِبونَ فسوفَ تعلَمُ كيفَ أمري وأمرُكَ عندَهُ غدًا قال يقولُ رسولُ اللَّهِ ﷺ صدَقَتْ صدَقَتْ كيفَ يقدِّسُ اللَّهُ أمَّةً لا يؤخَذُ لضَعيفِهِم من شديدِهِم }.[2]

وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه رواية ثالثة قال { جاءَ أعرابيٌّ إلى النَّبيِّ ﷺ يتقاضاهُ دَينًا كانَ عليْهِ فاشتدَّ عليْهِ حتَّى قال لَهُ أحرِّجُ عليْكَ إلَّا قضَيتَني فانتَهرَهُ أصحابُهُ وقالوا ويحَكَ تدري من تُكلِّمُ قال إنِّي أطلبُ حقِّي فقال النَّبيُّ ﷺ هلَّا معَ صاحبِ الحقِّ كنتُم ثمَّ أرسلَ إلى خَولةَ بنتِ قيسٍ فقال لَها إن كانَ عندَكِ تمرٌ فأقرِضينا حتَّى يأتيَنا تمرُنا فنَقضِيَكِ فقالت نعَم بأبي أنتَ يا رسولَ اللَّهِ قال فأقرضَتْهُ فقضى الأعرابيَّ وأطعمَهُ فقال أوفيتَ أوفي اللَّهُ لَكَ فقال أولئِكَ خيارُ النَّاسِ إنَّهُ لا قُدِّست أمَّةٌ لا يأخذُ الضَّعيفُ فيها حقَّهُ غيرَ متَعتَعٍ }.[3]

وقد روى هذا الحديث أكثر من صحابي لأهميته في الأمة ليكون لها نبراسا وهدى لإقامة مجتمع فاضل عادل، فقد رواه كذلك خولة بن قيس والتي سددت دين رسول الله، ومعاوية بن أبي سفيان خليفة المسلمين، وعبد الله بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم النبي ﷺ ، وبريدة بن الحصيب الأسلمي، وقابوس بن مخارق، رضي الله عنهم أجمعين.

ولذا أوجب إسلامنا الجميل في جرائم المجتمع أن يقيم فيها الحدود ولي الأمر فقط ومن ينيبه في تولي الأمر وأخذ حق المجتمع وأفراده المظلومين والذين انتهكت أعراضهم وسلب مالهم كالشرطة والنيابة والقضاء.

---

[1] عن عبد الله بن مسعود وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم1858، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله ثقات برقم4/200.

[2] قال الألباني حسن في صحيح ابن ماجه برقم3255، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان حديث قوي بشواهده برقم5058، ورواه ابن ماجه في موضع أخر برقم4010، ورواه أبو يعلى برقم2003.

[3] قال الألباني في صحيح ابن ماجه صحيح برقم1984 واللفظ له، وقال صحيح في صحيح الترغيب برقم1818، وقال صحيح في صحيح الجامع برقم2421، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح برقم4/200، كما رواه البزار برقم3/210.

ولأن الغرض من إقامة هذه الحدود هو تحقيق مقاصد إسلامنا الجميل وهي حفظ الدين والنفس والنسل (الأعراض) والمال والعقل، وبإقامة الحدود والقصاص يتم حفظ هذه المقاصد، فبالقصاص تصان الأنفس وبإقامة حد الزِّنَا والقذف تصان الأعراض ويحفظ النسل وبإقامة حد السرقة تصان الأموال وتحفظ من السرقة، وبإقامة حد الخمر تصان العقول ويحفظ الجسم وبإقامة حد الحرابة يصان المجتمع ويسود الأمن، وبإقامة الحدود كلها يصان الدين كله.

وهناك جرائم تهز المجتمع وتأباها كل نفس حرة نقية على فطرتها، وتؤثر في المجتمع تأثيرا بليغا، وهي التي جعل إسلامنا الجميل فيها حدود رادعة، وسماها إسلامنا الجميل حدود.

الحدود والسجون

إن فلسفة الحدود في إسلامنا الجميل هي الردع أولا والحفاظ على ترابط الأسر ثانيا وسلامة المجتمع ثالثا.

ومن أهم هذه الفلسفة هي دوام دورة الحياة في المجتمع وعدم تعطيل طاقته، فلو تم حبس كل من ارتكب جريمة لمدد متفاوتة لكثرت السجون والمسجونين وتعطلت طاقتهم، وكثير منهم ولا يرتدع ويجد في السجن مكان لإعادة ترتيب جرائمه مرة آخرى والإستمرار في إجرامه بعد إطلاق سراحه، أو تكوين مجموعات من المجرمين لارتكاب المزيد من الجرائم.

ولذا في إسلامنا الجميل لا توجد فلسفة السجون والمعتقلات، وإنما شرع لنا إسلامنا الحدود والقصاص بدلا من السجن والحبس، وإقامة الحدود في وقتها وينتهي الأمر، وفي أحيان يكون العقوبة النفي من المكان أو التغريب لمدة قد تصل إلى عام أو أكثر، كما في جريمة زِّنَى الغير محصن فعقوبته الجلد مائة جلدة وتغريب عام، وفلسفته هي أخذ حق المجتمع من مرتكب هذه الجريمة التي تهز الأسر وتفككها وتدمرها ويظل يلحقها العار، فلو أقيم الحد على مرتكب الجريمة لارتاحت الأسرة وبرد جزء من نارها ولو ابتعد عنهم وتغرب لنسى الناس مع الوقت هذه الجريمة واستمر المجتمع في تجانسه وزالت مع الوقت الخزي الملحق بالأسرة، والمغترب يكون أمامه فرصة جديدة لبدأ حياة جديدة نظيفة وصفحة بيضاء يبدأ فيها بالعمل الصالح والتوبة النصوح مع أناس جدد لا يعرفونه ولا يعرفون ماضيه وجريمته، فيعمل معهم وينسجم وسطهم بلا ماضي لا يعرفه كثير منهم وقد ستر على نفسه وستره الله وسطهم، وبذلك يجعل له إسلامنا

الجميل فرصة يبدأ معها حياة جديدة وينتفع به المجتمع الجديد وتستمر دورة الحياة، فتكون خيرا له وللأسر والمجتمع.

وحد الزِّنَى مثالا واحدا في تطبيق الحدود بدلا من عقوبة السجن والحبس، ومثلها باقى الحدود وخاصة حد القصاص والقتل، فلو سجن القاتل ولم يقتص منه، لعمت ظاهرة الأخذ بالثأر وازداد سفك الدماء، ولو قطع يد سارق واحد لارتعب باقي السارقين وتنتهي هذه الجريمة، ويعم الأمن في المجتمع وحُفِظت الأموال، ولو قامت حد الحرابة في الذين يروعون المجتمع لما رأيت أحد يشهر سلاحه في وجه الآخرين ليروعهم أو يرتكب جرائمه في حماية سلاحه، وكذلك حد شارب الخمر، وهي أم الكبائر، فترك مرتكبيها بلا عقاب فوري وهو الجلد علنا يزيد أعداد من يتعاطاها، ولا يرتدع أبدا إذا دخل السجن لمدة، ولكن قد يكون لعزله مدة في مستشفي أو دار رعاية أفضل له حتى يعالج من الأدمان هو ومثله من يتعاطى المخدرات، وبهذه العقوبة يعود بعدها إلى المجتمع يعمل فيه وينتج كباقي المجتمع بدون إحداث أضرار فيه تعطله أو تهدمه.

غير أن المجرم حين يسجن مدة ثم يخرج مرة آخرى وسط مجتمعه، تطارده فضيحته ويلازمه ذنبه ويلاحقه عاره، فلا ينسجم في المجتمع، وقد يترصد له من ارتكب في حقه الجريمة لينتقم منه لأنه أمامه ويشاهده في داخل المجتمع، ولا يستطيع هذا المجرم من العمل أو بدأ صفحة جديدة ولم ينس المجتمع جريمته، فيكون ذلك أحيانا مدعاة للاستمرار في إجرامه.

وقد يكون السجن وسيلة تعزيرية لمن يرتكب خطأ أو جريمة ليس فيها حد، فيكون سجنه عقابا له، ولكن مدة هذه العقوبة داخل السجن أقل ما يمكن، فلا يكون سجنا بالمعنى المعروف في أيامنا هذه بأن يكون وسيلة تعذيب وإيذاء وكرب على المسجون، فيخرج أكثر نقما على المجتمع وعلى من كان سببا في سجنه وتعذيبه وإيلامه، بل يكون هذا السجن مقرا مؤقتا لحين إصلاح ما فسد أو حل المشكلة والتي تسبب فيها، ويتحول من سجن يقاسي فيه الغربة والوحشة والتعذيب البدني والنفسي إلى مكان مؤقت يتحول فيه إلى إنسان جديد يسطر صفحة جديدة.

ويكون السجن ليس سجنا بل مؤسسة تربوية واجتماعية نفسية يعالج فيه هؤلاء المرضى، وتساعده في حل مشكلة هذه الجريمة سواء كانت هذه المشكلة أو المشاكل مالية أواقتصادية أو بدنية أو نفسية مهما كبرت أو صغرت، وتسعى هذه المؤسسات الإصلاحية لإصلاحه وعلاجه، ليخرج منها بعد مدة تقررها هذه المؤسسات فقط، فالقاضي يحكم عليه بالإيداع داخل هذه المؤسسات وهي من يحدد مدة علاجه حتى شفاءه،

فيخرج معافا سليم النفس والبدن، شاكرا لمجتمعه المساعدة والمساندة في حل مشكلة جريمته، ويكون بعده إنسان سليما نافعا لمجتمعه وعضوا منتجا مرة آخرى.

ويكون السجن ليس سجنا بالمعنى المفهوم الآن، مكانا كئيبا موحشا يتلقى فيه المسجون معاملة سيئة ويمارس عليه الإذاء النفسي والبدني، بل هو مكان إقامة مؤقتة لفترة قليلة حتى تهدأ النفوس ويكون هناك من يساعده لمعرفة مشكلته والمساعدة على حلها، تتوافر فيه الإمكانيات المناسبة لعلاجه وإصلاحه بما يتناسب مع آدميته وحقه.

فيتحول السجن من مؤسسة تأديبية إلى مؤسسة تربوية تعليمية اجتماعية صحية تعود على هذا الساكن المؤقت بالخير وتعود على المجتمع بالنفع والإستقرار.

وكثير من الجرائم والمشاكل يمكن حلها وتسويتها بدون سجن أو اعتقال، فقضايا الغرامات والغارمين، فلو سويت ماليا مع أصحابها لكان خيرا للجميع.

فيقول ربنا سبحانه لهؤلاء جميعا ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.[1]

ويقول الحبيب ﷺ { مَن سَرَّه أنْ يُنجيَه اللهُ عزَّ وجلَّ مِن كُرَبِ يومِ القيامةِ فليُنظِرْ مُعسِرًا، أو ليَضَعْ له }.[2]

ويقول الحبيب ﷺ { مَن أنظَرَ مُعسِرًا، فله بكُلِّ يَومٍ مِثلُه صَدَقةٌ، قال ثم سَمِعتُه يقولُ: مَن أنظَرَ مُعسِرًا، فله بكُلِّ يَومٍ مِثلَيهِ صَدَقةٌ، قُلتُ: سَمِعتُك يا رسولَ اللهِ تقولُ: مَن أنظَرَ مُعسِرًا فله بكُلِّ يَومٍ مِثلُه صَدَقةٌ، ثم سَمِعتُك تقولُ: مَن أنظَرَ مُعسِرًا، فله بكُلِّ يَومٍ مِثلَيهِ صَدَقةٌ، قال له: بكُلِّ يَومٍ صَدَقةٌ قَبلَ أنْ يَحِلَّ الدَّينُ، فإذا حلَّ الدَّينُ فأنْظَرَهُ، فله بكُلِّ يَومٍ مِثلَيهِ صَدَقةٌ }.[3]

فلو طبقنا الآية الكريمة والأحاديث السابقة لحلت كثير من مشاكل الغارمين ولفرغت السجون منهم، وهم كثر في هذه الأيام.

---

[1] سورة البقرة الآية 280.

[2] روى بروايتن أحدهما عن عبد الله بن أبي قتادة وقال فيها شعيب الأرناؤوط في تخريج مشكل الآثار إسناده صحيح على شرط مسلم برقم3814، وفي رواية أسعد بن زرارة قال فيها الألباني صحيح لغيره في صحيح الترغيب برقم912، كما رواه الطبراني برقم902، 1/304 .

[3] عن بريدة بن الحصيب الأسلمي وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح على شرط مسلم برقم23046، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة إسناده صحيح برقم1/170، وقال صحيح في صحيح الجامع برقم6108.

فلم يكن في عهد الحبيب ﷺ سجن، بل مكان للإقامة حتى تنتهي المشكلة، عندما أسر أسرى بدر وكان ما يقارب السبعين حبسهم في المسجد ـ نعم في المسجد ـ وجعل فيه إقامتهم، وذكرت بعض كتب السيرة أنهم قيدوا في المسجد، وفي هذا المكان والذي تحول من سجن إلى مكان للدعوة لمشاهدة المسلمين وهم يصلون ويعبدون ربهم الواحد، ويرون الحبيب ﷺ وهو يصلي بالمسلمين، ويروا دروس الوعظ والإرشاد التي يلقيها الرسول الحبيب ﷺ ، ويروا كيف تحل مشاكل المسلمين في المسجد مع الحبيب ﷺ ومع بعضهم ببعض، وكيف كانت رابطة الأخوة والمودة والرحمة والتآلق يسود المجتمع المسلم، فكان سببا في إسلام معظمهم، ثم كان سببا في إخراج ملكاتهم وطاقتهم النافعة، حيث اشترط الحبيب ﷺ عليهم من يعلم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة يطلق سراحه.

وقد حبس الحبيب ﷺ رجلا مدة قصيرة اتهم في تهمة حتى ظهر أمره فخلى سبيله.

فقد روى معاوية بن حيدة القشيري رضي الله عنه قال: { أنَّ النبيَّ ﷺ حبس رجلًا في تُهمةٍ ثمَّ خلَّى عنه }.[1]

وعندما ارتكبت الغامدية جريمة الزِّنَى وأقرت أمامه ﷺ وكانت حبلى من الزِّنَى، فأمرها أن ترجع حتى تلد، وعند عودتها أمرها ترجع حتى ترضع طفلها وتفطمه، كل هذا الوقت الذي قد يصل إلى أكثر من سنتين ولم يحبسها الحبيب ﷺ ولم يعين عليها من يقيد حريتها.

وقصة إسلام الصحابي الجليل ثمامة بن أثال رضي الله عنه مثال على كيف يكون الحبس في مكان سليم ليس فيه ترعيب أو تعذيب أو تخويف، بل مكان يتم فيه إصلاح النفس والدعوة إلى الخير وبناء شخصية سليمة نافعة لنفسه وللمجتمع.

فقد روى أبو هريرة قصة إسلام ثمامة بن أثال رضي الله عنهما، فقال { بَعَثَ النبيُّ ﷺ خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ برَجُلٍ مِن بَنِي حَنِيفَةَ يُقال له ثُمَامَةُ بنُ أُثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بسَارِيَةٍ مِن سَوَارِي المَسْجِدِ، فَخَرَجَ إلَيْهِ النبيُّ ﷺ ، فَقال ما عِنْدَكَ يا ثُمَامَةُ؟ فَقال عِندِي خَيْرٌ يا مُحَمَّدُ، إنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وإنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ علَى شَاكِرٍ، وإنْ كُنْتَ تُرِيدُ المَالَ فَسَلْ منه ما شِئْتَ، فَتُرِكَ حتَّى كانَ الغَدُ، ثُمَّ قال له: ما عِنْدَكَ يا ثُمَامَةُ؟ قال ما قُلتُ لَكَ: إنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ علَى شَاكِرٍ، فَتَرَكَهُ حتَّى كانَ بَعْدَ الغَدِ، فَقال ما عِنْدَكَ يا ثُمَامَةُ؟ فَقال عِندِي ما قُلتُ لَكَ، فَقال أطْلِقُوا

[1] قال الألباني حسن في صحيح الترمذى برقم1417، وقال حسن في صحيح أبي داود برقم3630، وقال حسن في صحيح النسائي برقم4891، وقال في إرواء الغليل حسن برقم2397، وقال شعيب الأرناووط في تخريج شرح السنة حسن برقم8/195.

ثُمَامَةَ فَانْطَلَقَ إلى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ المَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ المَسْجِدَ، فَقال أشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وأَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ، يا مُحَمَّدُ، واللَّهِ ما كانَ علَى الأرْضِ وجْهٌ أبْغَضَ إلَيَّ مِن وجْهِكَ، فقَدْ أصْبَحَ وجْهُكَ أحَبَّ الوُجُوهِ إلَيَّ، واللَّهِ ما كانَ مِن دِينٍ أبْغَضَ إلَيَّ مِن دِينِكَ، فأصْبَحَ دِينُكَ أحَبَّ الدِّينِ إلَيَّ، واللَّهِ ما كانَ مِن بَلَدٍ أبْغَضُ إلَيَّ مِن بَلَدِكَ، فأصْبَحَ بَلَدُكَ أحَبَّ البِلَادِ إلَيَّ، وإنَّ خَيْلَكَ أخَذَتْنِي وأَنَا أُرِيدُ العُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسولُ اللَّهِ ﷺ وأَمَرَهُ أنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قال له قَائِلٌ: صَبَوْتَ، قال لَا، ولَكِنْ أسْلَمْتُ مع مُحَمَّدٍ رَسولِ اللَّهِ ﷺ ، ولَا واللَّهِ، لا يَأْتِيكُمْ مِنَ اليَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ، حتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النبيُّ ﷺ } .[1]

وفي إسلامنا الجميل دائما هناك مساحة كبيرة من العفو والتسامح سواء من عفو الله الكريم الرحيم الذي يغفر الذنوب والمعاصي التي توجب الحدود، وفي طلب السماح والعفو من أصحاب الحقوق من البشر وممن تأذوا من فعل العاصي المذنب ومرتكب الحدود.

ففي جريمة الزّنَى التي هي من أكبر الجرئم التي تهدم الأسر والمجتمع وتوجب غضب الحليم وانتقامه، يقول الرحمن الرحيم ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾.[2]

والذين يدّعون الفاحشة كذبا على المسلمات العفيفات ثم تابوا فإنه سبحانه يقبل التوبة ويدعو إليها ويقول سبحانه ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥﴾.[3]

ويقول سبحانه في المتلاعنين ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٞ ﴾.[4]

ويقول سبحانه للسارق والسارقة ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٣٨ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾.[5]

فمن ستره الله ثم تاب، فإن الله تواب رحيم.

---

[1] والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم4372 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم1764.
[2] سورة النساء الآية 16.
[3] سورة النور الآية 4 – 5.
[4] سورة النور الآية 10.
[5] سورة المائدة الآية 38 – 39.

ويقول الحبيب ﷺ { التائبُ من الذنبِ كَمَن لا ذنبَ له، والمستغفِرُ من الذنبِ وهو مقيمٌ عليه كالمستهزئِ بربه }.[1]

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول { الندمُ توبةٌ }.[2]

ومع إقامة الحدود والتعذير، وحل مشاكل المتخاصمين والمتنازعين، فلا سجون، وليتم إلغاء صحيفة السوابق أو صحيفة الحالة الجنائية والتي تحمل العار الأبدي لحاملها، مع أنه أقيم عليه الحكم وقضى المدة أو دفع ما يستحق وتاب وأناب ولكن تبقى وصمة العار هذه تلازمه، ومع خوف أصحاب العمل أو أرباب المصالح من هذه الصحيفة وما فيها، فيتعذر على صاحبها العمل وكسب الرزق الحلال فيتجه إلى العمل الحرام والكسب بالإجرام.

ويقول الله سبحانه الرحيم ﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾.[3]

واستمر عدم وجود سجون بعد النبي ﷺ في عهد الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه، واستمر في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه رغم اتساع الدولة الإسلامية ودخول أمم الإسلام وانطوائها تحت راية الإسلام والتي كان بها سجون مثل الأمبراطورية الفارسية والأمبراطورية الرومانية ودولة مصر، لم يبني الخليفة عمر سجن ولكنه استأجر بيت من بيوت الصحابة لحبس المذنبين حتى يحكم فيهم أو يطبق عليهم الحد، بمعنى لم يكن حبسا كما في السجون ولكنها فترة قليلة قد تصل لعدة أيام حتى يتم الفصل فيهم.

واستمر الحال في خلافة عثمان رضي الله عنه، وعندما جاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه بنى دار في الكوفة ليضع فيها المذنبين حتى الفصل في حقهم، ولم تكن سجنا معروفا كأيامنا ولكنها مثل دار الضيافة والتي تحفظ كرامتهم، فقد يكون المتهم بريء لا ذنب له.

---

[1] عن عبد الله بن عباس، وقال الألباني ضعيف في السلسلة الضعيفة برقم616، وقال ضعيف في ضعيف الجامع برقم2498.
[2] وقال الألباني صحيح في صحيح ابن ماجه برقم3448، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح برقم3568.
[3] سورة الأنعام الآية 164.

ولكن في عصر الدولة الأموية بدأ تحويل بعض القلاع إلى سجون لمعاقبة المخالفين أو المعارضين، وكان معظم من في السجون سجناء سياسيين، لكن استمر إقامة الحدود والتعزير كما كان في عهد النبوة والخلافة الراشدة.

وهكذا عرفت السجون البلاد الإسلامية، وكان معظم مسجونيها من المعارضين للخليفة أو من يغضب عليهم ويؤدبهم، ولم يكن فيه تقريبا مسجون عليه حد من الحدود، لأنه كانت تقام الحدود والتعازير كما حددها كتاب الله وسنة رسوله.

حتى جاء الاستعمار وتفككت معظم الدول الإسلامية نتيجة الاحتلال، فأنشأ المحتلون السجون المعروفة الآن وغيروا القوانين الإسلامية بقوانين وضعية، وانتشرت بعدها السجون بوضعها الحالي والذي يزداد سوءا يوما بعد يوم.

فلو تربى المجتمع على شرع الله السمح الرحيم وأقيم فيه العدل والرحمة وأُمِر فيه بالمعروف ونُهي فيه عن المنكر، وطبق فيه القانون على الحاكم والمحكوم، لانتفت الجريمة ولساد العدل والأمن على الجميع ولغلقت السجون وتمتع الناس كلهم بالحرية.

وبغلق السجون يتم توفير مبالغ طائلة تصرف على بناء السجون وصيانتها، والإنفاق على المساجين من طعام وشراب وملبس وانتقال ورعاية صحية ومستشفيات، وتوفير أعداد من يقومون على الحراسة والمتابعة والنقل والخدمة والصحة، وما يتبعها من الإنفاق على مستهلكاتها من وسائل نقل ووقود وزيوت وغيره، مع توفير أموال رواتب هذه الأعداد الغفيرة من الضباط والصف ضباط والجنود والمدنيين العاملين معهم والتي تعود على ميزانية المجتمع، والاستفادة من هذه الطاقة البشرية والموارد المالية في تنمية المجتمع وخدمته.

{ عن ابنِ عباسٍ قال لما نزلَتْ سورةُ النساءِ قال رسولُ اللهِ ﷺ لا حبْسَ بعدَ سورةِ النساءِ }.[1]

الستر في إسلامنا الجميل

[1] قال الألباني ضعيف في ضعيف الجامع برقم6282، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد فيه عيسى بن لهيعة وهو ضعيف برقم5/7.

المجتمع في إسلامنا الجميل يقوم على حفظ المجتمع من الأمراض النفسية والبدنية والقلبية، ومن أهم هذه الأمراض إفشاء الأسرار والأخبار، وهي من أمراض البشر، ولكن إسلامنا الجميل يدعونا إلى الستر وعدم هتك الأسرار وتعرية المجتمع بنشر الأخبار والأسرار التي قد تهدم الأسر وتفكك المجتمع وتدمره.

والستر أولى في إسلامنا الجميل في كل أموره، فالأخطاء والذنوب التي يرتكبها الفرد المسلم ولم يُحَدث بها أحد وستر الله عليه يكون الرجوع عنها والإقلاع منها سهلا، إذا لم يفشها ويحدث بها، فقد حفظ نفسه وأسرته، وحمى نفسه ممن يتربص به في المجتمع للإضرار به وبأسرته، وإذا تحدث بهذا الخطأ وتكلم عن ذنبه فقد هتك ستر الله عليه وفضح نفسه.

فالله سبحانه ستير يحب الستر على عبده ، وعفو يحب العفو عن عباده في الدنيا والآخرة.

ففي حياتنا يقول لنا ربنا الحكيم ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ١٤٨ إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ١٤٩﴾.[1]

وفي دنيانا يقول لنا الحبيب ﷺ { كُلُّ أُمَّتِي مُعَافي إلا المُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ المُجَاهَرَةِ أنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ، فَيَقُولَ: يَا فُلانُ، عَمِلتُ البَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ الله عَنْهُ }.[2]

ويقول الحبيب ﷺ { وَمَن سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ في الدُّنْيَا وَالآخرةِ }.[3]

وفي الآخرة يقول لنا الحبيب ﷺ حديثا جميلا عن ستر الله للعبد، فقد روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال { سَمِعْتُ رَسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: إنَّ اللَّهَ يُدْنِي المُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عليه كَنَفَهُ ويَسْتُرُهُ، فيَقولُ: أتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فيَقولُ: نَعَمْ أيْ رَبِّ، حتَّى إذَا قَرَّرَهُ بذُنُوبِهِ، ورَأَي في نَفْسِهِ أنَّه هَلَكَ، قال سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ في الدُّنْيَا، وأَنَا أغْفِرُهَا لكَ اليَومَ، فيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ }.[4]

[1] سورة النساء الآية 148 - 149.
[2] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6069، ومسلم في صحيحه برقم2990.
[3] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2442، ومسلم في صحيحه برقم2699 واللفظ له.
[4] والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2441، ومسلم في صحيحه برقم2768.

ويحذرنا إسلامنا الجميل من أمراض المجتمع والتي ترتبط بعلاقة الناس بعضهم ببعض ومنها سوء الظن ونقل الأخبار الكاذبة والتجسس وتتبع العورات والتحاسد والتباغض، فإن الله سبحانه وتعالى خلق الناس طبقات بعضهم فوق بعض ويخدم بعضهم بعضا وتتفاوت أرزاقهم فمنهم غني وفقير وشقي وسعيد.

فيقول تعالى في كتابه الكريم ﴿ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِى ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضًا سُخۡرِيًّاۗ ﴾.[1]

وهذا من رحمة الله بالعباد لتسير الحياة بحلوها ومرها، ومن حكمته سبحانه وتعالى ألا يوجد فرد تعيس أبدا أو سعيد أبدا، وقد يكون الفرد سعيدا معظم فترات حياته وتعيسا أقل فترات حياته، والعكس قد يوجد في الآخرين.

فيقول ربنا سبحانه وتعالى ﴿ كُلُّ نَفۡسٍ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴾.[2]

وهذه الفتنة ليتبين من هو أحسن عملا، فيقول ربنا سبحانه ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ﴾.[3]

والمعيار عند الله الرحيم هو التقوى، فيقول سبحانه وتعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾.[4]

وإسلامنا الجميل يدعو ليكون المجتمع فاضلا وسليما ويحيا أفراده وأسره حياة طيبة.

ويحذرنا الحبيب ﷺ فيقول لنا { إيَّاكُمْ والظَّنَّ، فإنَّ الظَّنَّ أكْذَبُ الحَديثِ، ولا تَحَسَّسُوا، ولا تَجَسَّسُوا، ولا تَناجَشُوا، ولا تَحاسَدُوا، ولا تَباغَضُوا، ولا تَدابَرُوا، وكُونُوا عِبادَ اللَّهِ إخْوانًا }.[5]

ويحذرنا من سوء الظن وسرعة نقل خبر السوء قبل توثيقه والتأكد منه، وإن كان صحيحا فالستر عليه وعدم نشره أولى وأفضل، فقد يكون كاذبا، وخاصة إن كان يتعرض لعورات المسلمين وخصوصياتهم وتتبع عورات المسلمين وهتك أسرارهم، أو يتعرض لأسرار الدولة المسلمة، ونشره قد يضر بالدولة ومجتمعاتها.

---

[1] سورة الزخرف الآية 32.
[2] سورة الأنبياء الآية 35.
[3] سورة الملك الآية 2.
[4] سورة الحجرات الآية 13.
[5] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6066 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم2563.

فيقول ربنا سبحانه الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾.[1]

وقال الله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾.[2]

وقال الله تعالى ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَـٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ١٢ۖ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ١٣ۖ﴾.[3]

وقال الله تعالى ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَـٰذَا سُبْحَـٰنَكَ هَـٰذَا بُهْتَـٰنٌ عَظِيمٌ ﴾.[4]

ويقول الحبيب ﷺ { يا معشرَ من آمنَ بلسانِه ولم يدخلْ الإيمانُ قلبَه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتَّبعوا عوراتِهم، فإنه من اتَّبعَ عوراتِهم يتَّبعُ اللهُ عورتَه، ومن يتَّبعِ اللهُ عورتَه يفضحُه في بيتِه }.[5]

وفي رواية آخرى { لا تُؤذوا عِبادَ اللهِ، ولا تُعيّروهم، ولا تَطلُبوا عَوْراتِهم؛ فإنَّه مَن طلَبَ عَورةَ أخيه المُسلِمِ، طلَبَ اللهُ عَورتَه حتى يَفضَحَه في بَيتِه }.[6]

وهذا الحديث الشامل الجامع لخلق الفرد المسلم والمجتمع الصحيح فيقول الحبيب ﷺ { مَن نَفَّسَ عن مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِن كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عنْه كُرْبَةً مِن كُرَبِ يَومِ القِيَامَةِ، وَمَن يَسَّرَ علَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عليه في الدُّنْيَا وَالآخرةِ، وَمَن سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ في الدُّنْيَا وَالآخرةِ، وَاللَّهُ في عَوْنِ العَبْدِ ما كانَ العَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَن سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فيه عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ له به طَرِيقًا إلى الجَنَّةِ، وَما اجْتَمع قَوْمٌ في بَيْتٍ مِن بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بيْنَهُمْ، إلَّا نَزَلَتْ عليهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ،

---

[1] سورة الحجرات الآية 6.
[2] سورة الحجرات الآية 12.
[3] سورة النور الآية 12 – 13.
[4] سورة النور الآية 16.
[5] عن أبي برزة الأسلمي والبراء بن عازب، وقال الألباني حسن صحيح في صحيح أبي داود برقم4880 واللفظ له، وقال حسن صحيح في صحيح الترغيب، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند صحيح لغيره برقم19801.
[6] عن ثوبان وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند صحيح لغيره برقم22402، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح غير ميمون بن عجلان فهو ثقة برقم8/90.

وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَن عِنْدَهُ، وَمَن بَطَّأَ به عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ به نَسَبُهُ. غيرَ أنَّ حَدِيثَ أَبِي أُسَامَةَ ليسَ فيه ذِكْرُ التَّيْسِيرِ علَى المُعْسِرِ }.[1]

ومن تعَّدى ولم يلتزم بآداب المجتمع فإسلامنا الجميل يردعه ويحمي الأسر والمجتمع من فجره وجرمه فحد فيه ثمانين جلدة فقال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾.[2]

وليس الجلد فقط ولكن يخبرنا الله سبحانه وتعالى أن له عقوبتين أُخريين، وهما ألا يقبل له شهادة أبدا وأن يكون فاسقا ليس بعدل عند الله وعند الناس.

كما يخبرنا الله سبحانه عن الذين يُشيعون ويُنشرون الفاحشة بين المسلمين أن لهم عذابا أليما في الدنيا وهو الحد في ظهره، وفي الآخرة له عذاب أليم في النار، فيقول الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾.[3]

والنصح والستر أولى عند رؤية المعصية، والدعوة لعدم العودة إلى الخطأ أجدر، فقد كان الحبيب ﷺ عالي الأخلاق والذي قال فيه رب العالمين ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾،[4] لا يفضح من علم خطأه، ولكن يلمح ويكني، { كان النبيُّ ﷺ ، إذا بلغَه عن الرجلِ الشيءَ، لم يقل: ما بالُ فلانٍ يقولُ , ولكن يقولُ: ما بالُ أقوامٍ يقولون كذا وكذا }.[5]

إسلامنا الجميل وحد الزِّنَا

إن من هذه الجرائم التي تهتز لها جدران المجتمع وتؤثر فيه تأثير كبيرا جريمة الزِّنَا، وهي جريمة شنعاء تمزق أركان الأسرة الواحدة والمجتمع كله، لارتباطها بأسرتين وأفرادها ينتمون إلى جماعتين والجماعتان هما جزء من المجتمع، ولذا فهي تؤثر على المجتمع ككل، وليس على الأسرة الواحدة أو الأسرتين.

---

[1] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2442 نحوه، ومسلم في صحيحه برقم2699 واللفظ له، وقال الألباني صحيح في صحيح ابن ماجه برقم185، وقال صحيح في صحيح الترمذي برقم2945.

[2] سورة النور الآية 4.

[3] سورة النور الآية 19.

[4] سورة القلم الآية 4.

[5] عن عائشة وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم4788، وقال صحيح في صحيح الجامع برقم4692، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج مشكل الآثار صحيح برقم5881.

بل قد تكون سببا في حرب مدمرة بين الدول، كما حدث في حرب طروادة والتي استمرت طوال عشر سنوات ما بين 1260 ق.م إلى 1180 ق.م بين مدينة اسبرطة ومدينة طروادة، وانتهت بتدمير مدينة طروادة، وكانت بسبب خيانة زوجة ملك اسبرطة (هلينا) مع ابن ملك طروادة (باريس) وهرب بها إلى طروادة، فثار الإغريق لشرفهم، بينما لم يستطع الطروايون تسليمها لهم مما أشعل الحرب.

وهذه الجريمة تؤدي إلى عار الأسرة وخراب البيوت وتشتيت الأولاد وهدم المجتمع، ولذا كانت العقوبة شديدة ورادعة لهذه الرغبة المدمرة.

ولذا في إسلامنا الجميل حذر المؤمنين في الوقوع فيها، متدرجا في التحذير منها، ففي أول الأمر أمر إسلامنا الجميل المؤمنين بالستر وعدم التعري وكشف العورات التي تثير الغرائز، فإن سُتِرت العورات ولم يظهر منها شيء، فليس هناك أي إغراء أو دعوة للعين أن تتطلع وتكون سفير الزِّنَا.

وهذا الأمر من الله العليم الحكيم لإراحة القلب والعقل من التفكير فيما وقعت عليه عينه أو عينها من العورات، فيقطع الله العليم الباب من مدخله، بل وقبل مدخله في التفكير في الزِّنَا.

وهي فطرة الله للبشر التي فطر الناس عليها بستر عوراتهم، وتعرف عليها آدم عليه السلام في أول خطواته للوجود وهو ما زال في الجنة ولم ينزل بعد إلى الأرض ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴾.[1] فعرفه ضرورة ستر العورة وألا يكون عريانا.

وتعرف عليها آدم عليه السلام عمليا عندما ارتكب أول معصية، فقال تعالى ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَـٰنُ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ١٢٠ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١ ثُمَّ ٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾.[2]

وفي رواية عن أبى بن كعب رضي الله عنه { قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إنَّ اللَّهَ خلقَ آدَمَ، فلمَّا ذاقَ الشَّجرةَ ؛ سقطَ عنه لباسُهُ، فأوَّلُ ما بَدا منه عورتُهُ، فلما نظرَ إلى عَورتِهِ ؛ جعَلَ يشتَدُّ في الجنَّةِ }.[3]

[1] سورة طه الآية 118.
[2] سورة طه الآية 120 – 122.
[3] قال الألباني ضعيف في السلسلة الضعيفة برقم6033، وقال ابن كثير في تفسير القرآن منقطع برقم5/314.

ثم قال لنا ربنا الكريم وللبشر عامة عندما استوطنوا الأرض ﴿ يَا بَنِي آَدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآَتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التقوى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آَيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾.[1]

وعورة الرجل هي من السرة إلى الركبة، وهذا من تيسير الله الكريم على الرجال، لطبيعة عملهم وسعيهم في طلب الرزق.

ومع هذا لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا يتجالسا أو يتماسا وكل منهما أو أحدهما في ثوب واحد حتى لا يحدث مع أصحاب النفوس الخبيثة شيء خبيث مثل اللواط.

فقد قال الحبيب ﷺ محذرا { لا يَنْظُرُ الرَّجُلُ إلى عَوْرَةِ الرَّجُلِ، ولا المَرْأَةُ إلى عَوْرَةِ المَرْأَةِ، ولا يُفْضِي الرَّجُلُ إلى الرَّجُلِ في ثَوْبٍ واحِدٍ، ولا تُفْضِي المَرْأَةُ إلى المَرْأَةِ في الثَّوْبِ الواحِدِ. وفي رواية: مَكانَ «عَوْرَةِ»: عُرْيَةِ الرَّجُلِ، وعُرْيَةِ المَرْأَةِ }.[2]

ولا يُفْضِي أي لا يَخلُو أحدُهما إلى الآخر في ثوبٍ واحدٍ متجرّدَيْنِ؛ لأنَّ ذلك قد يُؤدِّي إلى مُباشَرَةِ أحدِهما الآخر ولَمْسِ كلٍّ منهما عَوْرةَ صاحبِه، ولَمْسُها منهيٌّ عنه كالنَّظرِ إليها، بل هو أشدُّ في النهيِ، وقد يؤدي ذلك إلى مفاسد أكبر.

وعورة النساء كل جسمها، وإن سمح لها إظهار الوجه والكفين، فإن كانت ذات جمال فائق يفتن الرجال فيجب عليها ستر وجهها.

لقول عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وعن أبيها { أنَّ أسماءَ بنتَ أبي بكرٍ دخلَتْ على رسولِ اللهِ - ﷺ - وعليها ثيابٌ رقاقٌ فأعرضَ عنها، وقال : يا أسماءُ إنَّ المرأةَ إذا بلغَتِ المحيضَ ؛ لنْ يصلُحَ أن يُرى منها إلا هذا وهذا ؛ وأشار إلى وجهِهِ وكفَّيْهِ }.[3]

وقد فسر بن عباس رضي الله عنهما قول الله سبحانه إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَآ قال الوجه والكفين (قال ابنُ عباسٍ في قولِهِ تعالَى : ﴿ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ الوجهُ والكفينِ).[4]

---

[1] سورة الأعراف الآية 26.

[2] عن أبي سعيد وأخرجه مسلم في صحيحه برقم338، وقال الألباني صحيح في صحيح الترمذي برقم2793.

[3] قال الألباني حسن في غاية المرام برقم187، وقال حسن لغيره في تخريج مشكاة المصابيح برقم4298، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج سنن أبي داود حسن لغيره برقم4104.

[4] عن سعيد بن جبير، قال الألباني في إرواء الغليل صحيح برقم1790.

وفي رواية أخرى (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ، قَالَ ابنُ عباسٍ : الكفُّ ورقعَةُ الوجْهِ).[1]

ثم يزيد الله الأمر على النساء ليزددن حشمة فيقول ربنا سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾.[2]

ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما، سبحان الرحمن الرحيم الذي يريد لنا الحشمة والحماية والرحمة ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴾.[3]

وبعد أن أمرهن بغض البصر وحفظ الفرج، وعدد لهن من هم المسموح لهن أن تتبسط النساء أمامهن في ملابسهن دون إظهار عورتهن المغلظة (ما بين السرة إلى الركبة) والتي لا تظهر إلا للزوج فقط، أمرهن العليم برغبة النساء في إظهار الزينة والفتنة، فقال سبحانه ﴿ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾.[4]

وتقول أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها { لمَّا نزلت: يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ خرجَ نساءُ الأنصارِ كأنَّ علَى رؤوسِهِنَّ الغِربانَ منَ الأَكْسِيَةِ }.[5]

وأن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها { ذكَرَتْ نِساءَ الأنصارِ فأثْنَتْ عليهِنَّ، وقالت لَهُنَّ مَعروفًا، وقالت: لَمَّا نزَلَتْ سُورةُ النُّورِ عَمَدْنَ إلى حُجَزٍ- أو حُجوزٍ- مَناطِقِهنَّ فشَقَقْنَه، ثم اتَّخَذنَ منه خُمُرًا}.[6]

وعلى المرأة ألا تظهر أمام النساء الأجانب بلباس رقيقة أو خفيفة أو تظهر مفاتنها، حتى لا تنظر إليها هذه الغريبة فتسبب لها مشاكل لا قبل لها به.

فقد قال الحبيب ﷺ { لا تُباشِرُ المرأةُ المرأةَ كأنَّها تَنعَتُها لزَوجِها - أو تَصِفُها لزَوجِها، أو للرَّجُلِ- كأنَّه يَنظُرُ }.[1]

---

[1] عن جابر بن زيد، قال الألباني في جلباب المرأة إسناده صحيح برقم59.
[2] سورة الأحزاب الآية 59.
[3] سورة البقرة الآية 185.
[4] سورة النور الآية 31.
[5] قال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم4101، وقال إسناده صحيح في جلباب المرأة برقم82.
[6] قال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح برقم25551، وقال في تخريج مشكل الآثار إسناده قوي برقم1129 باختلاف يسير.

"لا تُباشِرِ المرأةُ المرأةَ" فلا تُلامِسِ امرأةٌ بَشَرةَ امرأةٍ آخرى دُونَ حائِلٍ، ولا تَنظُرْ إلى بَشَرتِها ومَحاسِنِها، "كأنَّها تَنعَتُها " تصِفُها وتُخبِرُ بِمَحاسِنِها وما فيها مِن جَمالٍ أو قُبحٍ "لِزَوجِها - أو تَصِفُها لِزَوجِها، أو للرَّجُلِ- كأنَّه يَنظُرُ"؛ وذلِكَ من شِدَّةِ الوَصفِ ودِقَّتِهِ، وفي ذلِكَ مَضارٌّ مُتعدِّدةٌ، فإنْ كانتْ جَميلةً تعلَّقَ قَلبُهُ بها، فيَميلُ إلَيها، ويَفتَتِنُ بها، ويَكرَهُ زَوجتَهُ التي وصَفَتْها لأجْلِها، فيكونُ ذلِكَ سَبَبَ طَلاقِها، وإنْ كانتْ قَبيحةً، فهذا مِن الغِيبةِ، والتي رُبَّما تَجعَلُ زَوجَها غَيرَ راضٍ عنها.

وأمر النساء الكبيرات في السن اللاتي لا رغبة لهن في الرجال أن يضعن ثيابهم ثم قال لهن ﴿ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.[2]

والقواعد من النساء، أَيْ: وَتَرْكُ وَضْعِهِنَّ لِثِيَابِهِنَّ -وَإِنْ كَانَ جَائِزًا- خَيْرٌ وَأَفْضَلُ لَهُنَّ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ.

وقد مدح الله العليم الخبير المؤمنين الذين يحفظون فروجهم فقال ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ١ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ٢ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ٣ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ٤ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ٥ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٦ ۝ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾.[3]

وقال ﷺ محذرا فتنة اللسان والفرج { مَن يَضْمَن لي ما بيْنَ لَحْيَيْهِ وما بيْنَ رِجْلَيْهِ أضْمَن له الجَنَّةَ }.[4]

فإذا حافظ المسلمون على فروجهم بأنفسهم فهذا أول سد منيع في جريمة الزِّنَا، ثم يتبعها الخطوة التالية وهي أن تحمي نظرك أن يمتد إلى غيرك، وتنظر إلى ما حرم الله وما متع به غيرك.

والنظر بريد الزِّنَا وأول الخطوات إليه، فإن منعته فقد قطعت حبل الوصال الحرام وحميت نفسك وقلبك وعقلك من التفكير فيما رأيت من العورات.

---

[1] عن عبد الله بن مسعود وأخرجه البخاري في صحيحه برقم5240، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان صحيح برقم4160، وقال في تخريج المسند إسناده صحيح على شرط الشيخين برقم4229

[2] سورة النور الآية 60.

[3] سورة المؤمنون الآية 1 – 7.

[4] عن سهل بن سعد الساعدى وأخرجه البخاري في صحيحه برقم6474،

وإسلامنا الجميل أدرك أهمية النظرة الحرام وخطورتها، فأمر ربنا الرحيم بغض البصر وأمر المؤمنين أن يغضوا أي يكفوا أعينهم من النظر إلى ما حرم الله ويحفظوا فروجهم من الوقوع في الزّنَا فقال سبحانه ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾.[1]

يأمر ربنا العليم المؤمنات أن يغضضن أي يكففن أعينهن من النظر إلى ما حرم الله ويحفظن فروجهن في الوقوع في الزّنَا فقال سبحانه ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ ﴾.[2]

وأمر رسول الرحمة ﷺ بغض البصر في أحاديث كثيرة، فقال ﷺ { يا عليُّ لا تُتبعِ النَّظرةَ النَّظرةَ، فإنَّ لَكَ الأولى وليسَت لَكَ الآخرةُ }.[3]

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال { سَأَلْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ عن نَظَرِ الفُجَاءَةِ فأمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي }.[4]

وروى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن الحبيب ﷺ قال { النَّظرةُ سَهمٌ مِن سِهامِ إبليسَ مَسمومٌ، مَن تَرَكَها مَخافتي، أبدَلتُه إيمانًا يَجِدُ له حَلاوتَه في قَلبِه }.[5]

وقال الحبيب ﷺ { ما مِن مُسلمٍ ينظرُ إلى امرأةٍ أولَ رَمْقَةٍ، ثمَّ يغضُّ بصرَه إلَّا أحدثَ اللهُ تعالَى لهُ عِبادةً يجدُ حلاوتَها في قلبِه }.[6]

وفي حديث عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما { ما رَأَيْتُ شيءا أشْبَهَ باللَّمَمِ، ممَّا قال أبو هُرَيْرَةَ: عَنِ النبيِّ ﷺ : إنَّ اللَّهَ كَتَبَ علَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَى، أدْرَكَ ذلكَ لا مَحَالَةَ، فَزِنَى العَيْنِ النَّظَرُ، وزِنَى اللِّسَانِ المَنْطِقُ، والنَّفْسُ تَمَنَّى وتَشْتَهِي، والفَرْجُ يُصَدِّقُ ذلكَ أوْ يُكَذِّبُهُ }.[1]

---

[1] سورة النور الآية 30.

[2] سورة النور الآية 31.

[3] عن بريدة بن الحصيب الأسلمي، وقال الألباني حسن في صحيح أبي داود برقم2149، وقال حسن لغيره في صحيح الترغيب برقم1903، وقال حسن في صحيح الترمذي برقم2777، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند حسن لغيره برقم22974.

[4] عن جرير بن عبد الله وأخرجه مسلم في صحيحه برقم2159، وقال الألباني صحيح في صحيح الترمذي برقم2776، وقال صحيح في صحيح أبي داود برقم2148، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده صحيح برقم5571.

[5] عن عبد الله بن مسعود، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده ضعيف برقم36/611، وقال الألباني ضعيف جدا في ضعيف الترغيب برقم1194، وقال ضعيف جدا في السلسلة الضعيفة برقم1065.

[6] عن أبي أمامة الباهلي وقال الألباني ضعيف في ضعيف الجامع برقم5221، وقال ضعيف جدا في السلسلة الضعيفة برقم1064، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده ضعيف جدا برقم22278 وروى عن عائشة وابن عمر وحذيفة وكلها ضعيفة.

ونصح ﷺ صحابته الكرام فقال لهم { إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ علَى الطُّرُقَاتِ، فَقالوا: ما لَنَا بُدٌّ، إنَّما هي مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قال فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجَالِسَ، فأعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا، قالوا: وَما حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قال غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَأَمْرٌ بالمَعروفِ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ}.[2]

وقال الحبيب ﷺ { اكفُلوا لي بستٍّ، أكفُلْ لكم بالجنَّةِ، إذا حدَّث أحدُكم فلا يكذِبْ، وإذا اؤتُمِنَ فلا يخُنْ، وإذا وعدَ فلا يُخلِفْ، وغُضُّوا أبصارَكم، وكُفُّوا أيديَكم، واحفَظوا فروجَكم }.[3]

وفي رواية آخرى { تَقَبَّلُوا لِي بِسِتٍّ، أَتَقَبَّلْ لَكُمُ بالجنةِ، إذا حَدَّثَ أحدُكُمْ فَلَا يَكْذِبْ، وَإذا وَعَدَ فَلَا يُخْلِفْ، وإذا ائتُمِنَ فلا يَخُنْ، غُضُّوا أبصارَكُم، وكُفُّوا أيديَكم، واحفظُوا فُروجَكم }.[4]

فإذا سترت عورتك وحفظت فرجك وغضضت بصرك فإنك حفظت نفسك من نصف أسباب الوقوع في الزّنَا، ولكن عليك أن تتجنب الشبهات والوقوع فيها، وهي التفرد بالنساء بدون رقيب، فالشيطان يسرع بالوسوسة لكل منكما في حالة ما انفرد رجل بامرأة، وهي الطرف الأضعف، فحماها ربنا الخالق العليم من أن تقع فريسة سهلة لذئاب البشر.

فقد قال الله سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾.[5]

وعلل ذلك ربنا العليم بالتعرض للأذى، فلو خرجت المرأة مستترة محجبة لا تُعرف بين النساء فلا يستطيع الفساق الذين يترصدون للنساء أن يتعرفوا عليهن فيتعرضن للأذى.

فحذر من انفراد الرجل بالمرأة بمعزل من الناس ورقابة الآخرين.

فقال الحبيب ﷺ { ألا لا يخلوَنَّ رجلٌ بامرأةٍ إلَّا كانَ ثالثَهما الشَّيطانُ }.[1]

---

[1] عن عبد الله بن عباس والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6612 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم2657.
[2] عن أبي سعيد الخدري والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2465، ومسلم في صحيحه برقم2121.
[3] عن أبي أمامة الباهلي وقال الألباني حسن في صحيح الجامع برقم1225، وقال في السلسلة الصحيحة حسن بشواهده برقم1525، ورواه الطبراني في الأوسط برقم3/77.
[4] عن أنس بن مالك وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم2978، وقال صحيح لغيره في صحيح الترغيب برقم2926، كما رواه أبو يعلى برقم4257، والحاكم برقم8067، والبيهقي في شعب الإيمان برقم4355.
[5] سورة الأحزاب الآية 59.

وفي رواية ثانية { ولا يخلُوَنَّ أحَدُكم بالمرأةِ فإنَّ الشَّيطانَ ثالثُهما }.[2]

وفي رواية ثالثة { مَن كان يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فلا يخلوَنَّ بامرأةٍ ليسَ معها ذو مَحرَمٍ منها ، فإنَّ ثالثَهما الشَّيطانُ }.[3]

وفي رواية رابعة { ألا لا يخلونَّ رجلٌ بامرأةٍ لا تحلُّ له فإنَّ ثالثَهما الشيطانُ إلا محرَمٌ فإنَّ الشيطانَ مع الواحدِ }.[4]

وفي كثير من الأحيان تنبسط العلاقات بين الأقارب والجيران بفضل الجيرة وكثرة التعود والصحبة، فينفرد الرجل بامرأة أخيه أو قريبه أو جاره والتي لا تحل له، فيقع المحذور وتُرتكب جريمة الزّنَا، فقال الحبيب ﷺ { إيَّاكُمْ والدُّخُولَ علَى النِّساءِ فقال رَجُلٌ مِنَ الأنْصارِ: يا رَسولَ اللَّهِ، أفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟ قال الحَمْوُ المَوْتُ }.[5]

والحمو هو أخو الزوج، وهو تحذير من الحبيب ﷺ من التساهل في الدخول على النساء، حتى أقرب الأقربين للزوج وهو أخوه، فما بالك بالآخرين مثل الجار وصديق الزوج الحميم أو زوج أختها وغيرهم.

ويقول ﷺ { لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بامْرَأَةٍ إلَّا وَمعهَا ذُو مَحْرَمٍ، وَلَا تُسَافِرِ المَرْأَةُ إلَّا مع ذِي مَحْرَمٍ }.[6]

ففي خروج المرأة للعمل ومشاركتها الرجل في كثير من المصالح والمنافع مثل الزراعة والتجارة والبيع والشراء أو وجودها في العمل في مكتب واحد، ومع وساوس الشيطان وحباله الناعمة منع إسلامنا الجميل الرجال بالخلو بالنساء دون محرم أو وجود صحبة صالحة تمنع وتحول دون الوقوع في مشاكل الخلوة، فإن لم يحدث شيء ولم يستطع الشيطان أن يوسوس لهما فإنه يوسوس لمن يشاهدونهما معا منفردين، فيكثر الكلام عنهما وسوء الظن، فحمى إسلامنا الجميل المرأة والرجل في الوقوع في حبائل الشيطان والوقوع في المحرمات وأشدها الزِّنَا.

---

[1] عن عمر بن الخطاب وقال الألباني صحيح في صحيح الترمذي برقم2165، وقال في تخريج مشكاة المصابيح إسناده صحيح برقم3054، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح برقم114.

[2] عن جابر بن سمرة وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج مشكل الأثار إسناده صحيح على شرط الشيخين برقم3719، وقال في تخريج صحيح ابن حبان صحيح برقم6728، وقال أحمد شاكر في مسند أحمد صحيح برقم1/98، ورواه النسائي في السنن الكبرى برقم9219.

[3] عن جابر بن عبد الله، وقال الألباني صحيح في غاية المرام برقم180، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند حسن لغيره برقم14651 مختصرا، وقال الشوكاني في نيل الأوطار له شاهد برقم6/240، ورواه الترمذي في سننه برقم2801، والنسائي في سننه برقم401.

[4] عن عامر بن ربيعة، وقال الألباني في إرواء الغليل إسناده لا بأس به في الشواهد برقم6/216، وقال الشوكاني في نيل الأوطار له شاهد برقم6/241

[5] عن عقبة بن عامر والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم5232، ومسلم في صحيحه برقم2172.

[6] عن عبد الله بن عباس والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم1862، ومسلم في صحيحه برقم1341 واللفظ له.

وحماها وحمى الرجل من الوقوع في مقدمات الزِّنَا وخطواته، ومخالطة أسبابه ودواعيه فقال تعالى ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾.[1]

ومن خطوات الزِّنَا وأسبابه زينة المرأة أمام من حرموا عليها، وخروجها في زينتها وعطرها من بيتها، فهي بذلك تخطو خطوة نحو الزِّنَا وتشجع عليه.

عن أبى موسى الأشعري قال: قال الحبيب ﷺ { كلُّ عينٍ زانيةٌ، والمرأةُ إذا استعطَرَت فمرَّت بالمَجلسِ، فَهيَ كذا وَكذا. يعني زانيةً }.[2]

وفي رواية آخرى له قال الحبيب ﷺ { أيُّما امرأةٍ استَعْطَرت فمرَّت على قومٍ لِيجِدوا ريحَها فهي زانيةٌ وكلُّ عينٍ زانيةٌ }.[3]

ولأن هذه الجريمة منكرة ولا تستوى مع إيمان المؤمن، فكيف تسول له نفسه المؤمنة - التي تعلم أن هذا حرام ومن أكبر الكبائر في ديننا الجميل- أن ترتكب هذه الجريمة الشنعاء؟، ولذا يخبرنا الحبيب ﷺ أنه حين يقدم على هذه الجريمة يخلع أولا ثوب الإيمان من قلبه قبل جسده ويقول { لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وهو مُؤْمِنٌ، ولا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُها وهو مُؤْمِنٌ، ولا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وهو مُؤْمِنٌ قال ابنُ شِهابٍ: وأَخْبَرَنِي عبدُ المَلِكِ بنُ أبِي بَكْرِ بنِ عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ الحارِثِ بنِ هِشامٍ: أنَّ أبا بَكْرٍ، كانَ يُحَدِّثُهُ عن أبِي هُرَيْرَةَ، ثُمَّ يقولُ: كانَ أبو بَكْرٍ يُلْحِقُ معهُنَّ: ولا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذاتَ شَرَفٍ، يَرْفَعُ النَّاسُ إلَيْهِ أبْصارَهُمْ فيها، حِينَ يَنْتَهِبُها وهو مُؤْمِنٌ.}[4].

وفي رواية آخرى { لَا يَزْنِي العَبْدُ حِينَ يَزْنِي وَهو مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهو مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ حِينَ يَشْرَبُ وَهو مُؤْمِنٌ، وَلَا يَقْتُلُ وَهو مُؤْمِنٌ قال عِكْرِمَةُ: قُلتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: كيفَ يُنْزَعُ الإيمَانُ منه؟ قال هَكَذَا، وَشَبَّكَ بيْنَ أَصَابِعِهِ، ثُمَّ آخرجَهَا، فإنْ تَابَ عَادَ إلَيْهِ هَكَذَا، وَشَبَّكَ بيْنَ أَصَابِعِهِ }.[5]

---

[1] سورة الإسراء الآية 32

[2] عن أبي موسى الأشعري وقال الألباني في صحيح الترمذي حسن برقم2786، وقال حسن في صحيح الترغيب برقم2019، وقال صحيح في صحيح الجامع برقم4540 باختلاف يسير، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج سنن أبي داود إسناده قوي برقم4173.

[3] عن أبي موسى الأشعري وقال الألباني في صحيح ابن خزيمة إسناده حسن برقم1681، وقال صحيح في غاية المرام برقم84، وقال حسن في صحيح الترغيب برقم2019، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده قوي برقم4424.

[4] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم5578، ومسلم في صحيحه برقم57.

[5] عن عبد الله بن عباس والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6809واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم57.

وحديث { لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وهو مُؤْمِنٌ} رواه أكثر من صحابي مثل أبو هريرة وعبد الله بن عباس وعائشة أم المؤمنين وعبد الله بن أبى الأوفي وأبو سعيد الخدري وعبد الله بن عمر وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين.

ويقول الحبيب ﷺ محذرا { إذا زنى الرجلُ خَرَجَ منه الإيمانُ، كان عليه كالظُّلَّةِ، فإذا انقَطَعَ رَجَعَ إليه الإيمانُ }.[1]

{ فَإذا انقطعَ رجَع إليه الإيمانُ} أي: إنْ تابَ وأنابَ وحُدَّ- أيْ: أُقِيمَ عليه الحدُّ- من هذه الفاحشةِ، رجَع إليه إيمانُه فاستكمَله، وأخَذ في القوَّةِ والازديادِ، كما قال النَّبيُّ ﷺ في مَاعِز: { لقد تابَ توبةً لو قُسِّمَت بين أُمَّةٍ لوَسِعَتْهم}.

وأشد الزِّنَا حرمة وأشده عقابا أن تزني بحليلة جارك أي زوجته، لأن الجار قد يكون ملاصقا لك فترى منه مالا يراه غيرك، وقد يظهر لك بالخطأ زوجة جارك وهي في بيتها بدون حجاب وملابس خفيفة فتنظر إليها وتتطلع إلى وصالها حتى يقع المحظور، ويتوقع الجار منك أن تحمي عرضه وتدافع عنه لأنك الأقرب إليه، ولذا فهو أشد أنواع الزِّنَا، لحرمة جارك، فقد كاد رسول الله أن يورثه فيك فقال ﷺ في حقه { ما زالَ يُوصِينِي جِبْرِيلُ بالجارِ، حتَّى ظَنَنْتُ أنَّه سَيُوَرِّثُهُ }.[2]

وقال في الذين يرتكبون هذه الجريمة في حق زوجات جيرانهم { سَأَلْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ أيُّ الذَّنْبِ أعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قال أنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وهو خَلَقَكَ قال قُلتُ له: إنَّ ذلكَ لَعَظِيمٌ، قال قُلتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قال ثُمَّ أنْ تَقْتُلَ ولَدَكَ مَخافَةَ أنْ يَطْعَمَ معكَ قال قُلتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قال ثُمَّ أنْ تُزانِيَ حَلِيلَةَ جارِكَ }.[3]

واحذر أيها الزاني فيوم القيامة سيفضحك الله وسيقتص منك، وإذا سترك الله في الدنيا فسوف يفضحك في الآخرة وسيأخذ من وثق فيك وخنته في زوجته من حسناتك حتى تنتهي ثم يقذف بك إلى النار.

فقد قال الحبيب ﷺ { حُرْمَةُ نِساءِ المُجاهِدِينَ علَى القاعِدِينَ كَحُرْمَةِ أُمَّهاتِهِمْ، وما مِن رَجُلٍ مِنَ القاعِدِينَ يَخْلُفُ رَجُلًا مِنَ المُجاهِدِينَ في أهْلِهِ فَيَخُونُهُ فيهم، إلَّا وُقِفَ له يَومَ القِيامَةِ، فَيَأْخُذُ مِن عَمَلِهِ ما شاءَ، فَما ظَنُّكُمْ؟ وفي روايةٍ : فَخُذْ مِن حَسَناتِهِ ما شِئْتَ، فالْتَفَتَ إلَيْنا رَسولُ اللهِ ﷺ ، فقال فَما ظَنُّكُمْ؟ }.[1]

[1] عن أبي هريرة وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم4690، وقال صحيح في صحيح الجامع برقم586، وقال صحيح في تخريج مشكاة المصابيح برقم56.

[2] عن عائشة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6014، ومسلم في صحيحه برقم2624.

[3] عن عبد الله بن مسعود والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم4477، ومسلم في صحيحه برقم86.

وقال ﷺ { يا مَعْشَرَ المهاجرينَ ! خِصالٌ خَمْسٌ إذا ابتُلِيتُمْ بهِنَّ، وأعوذُ باللهِ أن تُدْرِكُوهُنَّ : لم تَظْهَرِ الفاحشةُ في قومٍ قَطُّ حتى يُعْلِنُوا بها، إلا فَشَا فيهِمُ الطاعونُ والأوجاعُ التي لم تَكُنْ مَضَتْ في أسلافِهِم الذين مَضَوْا، ولم يَنْقُصُوا المِكْيالَ والميزانَ إلَّا أُخِذُوا بالسِّنِينَ وشِدَّةِ المُؤْنَةِ، وجَوْرِ السلطانِ عليهم، ولم يَمْنَعُوا زكاةَ أموالِهم إلا مُنِعُوا القَطْرَ من السماءِ، ولولا البهائمُ لم يُمْطَرُوا، ولم يَنْقُضُوا عهدَ اللهِ وعهدَ رسولِه إلا سَلَّطَ اللهُ عليهم عَدُوَّهم من غيرِهم، فأَخَذوا بعضَ ما كان في أَيْدِيهِم، وما لم تَحْكُمْ أئمتُهم بكتابِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ويَتَخَيَّرُوا فيما أَنْزَلَ اللهُ إلا جعل اللهُ بأسَهم بينَهم }.[2]

وقد رأى الحبيب ﷺ الزِّنَاة وهم يتعذبون في النار عندما عرج به إلى السماء العلا في رحلة الإسراء والمعراج فقال ﷺ { قالا: انْطَلِقْ فَانْطَلَقْنَا إلى ثَقْبٍ مِثْلِ التَّنُّورِ، أعْلَاهُ ضَيِّقٌ وأَسْفَلُهُ واسِعٌ يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَارًا، فَإِذَا اقْتَرَبَ ارْتَفَعُوا حتَّى كَادَ أنْ يَخْرُجُوا، فَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا، وفيهَا رِجَالٌ ونِسَاءٌ عُرَاةٌ، فَقُلْتُ: مَن هذا؟ قالا: انْطَلِقْ،..... قُلتُ: طَوَّفْتُمَانِي اللَّيْلَةَ، فأخْبِرَانِي عَمَّا رَأَيْتُ، قالا: نَعَمْ،..... والذي رَأَيْتَهُ في الثَّقْبِ فَهُمُ الزُّنَاةُ..}.[3]

وهذه الجريمة الشنعاء والتي تأباها النفوس الطاهرة عالجها إسلامنا الجميل في كثير من المواضع والمواقف، ومنها الحد من العري وستر البدن والحجاب، ثم الحث على عدم النظر إلى العورات، ومنها الدعوة إلى العفة والزواج، ومنها التحذير من عقاب الله في الدنيا ويوم القيامة، ومنها الأحكام الرادعة كالجلد والرجم.

ومنها ما عالج الحبيب ﷺ فتى شاب تطلع إلى إذن في الزِّنَا، وهو يعلم أن هذا الشيء بغيض حتى على الأسماع، ولكنه قد أخذ به فورة الشباب فذهب إلى الرسول الحبيب ﷺ الطبيب المعالج لعل له مخرج وللشباب مثله، فدار هذا الحوار الذي رواه أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه فقال { إنَّ فتًى شابًّا أتى النبيَّ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ ائذنْ لي بالزِّنَى فأقبل القومُ عليه فزجَروه وقالوا: مَهْ مَهْ فقال: ادنُهْ فدنا منه قريبًا قال: فجلس قال: أَتُحبُّه لِأُمِّكَ؟ قال: لا واللهِ جعلني اللهُ فداءَك قال: ولا الناسُ يُحبونَه لأُمهاتِهم قال: أفتُحبُّه لابنتِك قال: لا واللهِ يا رسولَ اللهِ جعلني اللهُ فداءَك قال: ولا الناسُ يُحبونَه لبناتِهم قال: أفتُحبُّه لأُختِك قال: لا واللهِ جعلني اللهُ فداءَك قال: ولا الناسُ يُحبونَه لأَخَواتِهم قال: أَفتُحبُّه لعمَّتِك قال: لا واللهِ جعلني اللهُ فداءَكَ قال: ولا

---

[1] عن بريدة بن الحصيب الأسلمي وأخرجه مسلم في صحيحه برقم1897، وقال الألباني صحيح في صحيح النسائي برقم3189.

[2] عن عبد الله بن عمر وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم 7978، وقال صحيح لغيره في صحيح الترغيب برقم2187، وقال حسن في صحيح ابن ماجه برقم3262، ورواه الطبراني في الأوسط برقم4671، والحاكم برقم8623 باختلاف يسير.

[3] عن سمرة بن جندب وأخرجه البخاري في صحيحه برقم1386، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح على شرط الشيخين برقم20165.

النَّاسُ يُحبُّونَه لعمَّاتِهم قال: أفتُحبُّه لخالتِك قال: لا واللهِ جعلني اللهُ فداءَكَ قال: ولا النَّاسُ يحبونَه لخالاتِهم قال: فوضع يدَه عليه وقال: اللهمَّ اغفرْ ذنبَه وطهِّرْ قلبَه وحصِّنْ فرْجَهُ فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفتُ إلى شيءٍ }.[1]

ولذا شجع إسلامنا الجميل الزواج وحث عليه في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

فقال تعالى ﴿ ٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾.[2]

ويقول الحبيب ﷺ { يا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، ومَن لَمْ يَسْتَطِعْ فَعليه بالصَّوْمِ فإنَّه له وِجَاءٌ }.[3]

وينهى الله سبحانه وتعالى أن يتخذ المسلم المسلمة أخدان أي أصحاب أو خليلات بغير زواج، كما يحدث في المجتمعات الغير إسلامية، باتخاذ الرجل المرأة خليلة أو كما يسميهم في الغرب ـ جيرل فريند وبوى فريند ـ فقال تعالى ﴿ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍۚ ﴾.[4]

ويحثنا إسلامنا الجميل أن نغار على أعراضنا من زوجاتنا وبناتنا وأخواتنا، فبالغيرة نحمي أعراضنا ونصون شرفنا، ونحرص على أن نجعلهن محافظات على أنفسهن ومحجبات في ملابسهن ومحتشمات عند خروجهن، وفي كل أمور الحياة الأسرية والاجتماعية، حفاظا على الأسرة وحماية للمجتمع.

فالله سبحانه خلق هذه الغيرة في نفوس عباده، وهو سبحانه يغار أن تنتهك حرماته، فقال الحبيب ﷺ { إنَّ اللَّهَ يَغارُ، وغَيْرَةُ اللَّهِ أنْ يَأْتِيَ المُؤْمِنُ ما حَرَّمَ اللَّهُ }.[5]

ولهذه الغيرة حرم الله سبحانه وتعالى الزّنَا واللواط والسحاق والخدانة والنخاسة والدياثة وكل ما هو قبيح في علاقتنا الإنسانية.

---

[1] أبو أمامة الباهلي وقال الألباني صحيح في السلسلة الصحيحة برقم1/712، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح برقم22211، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح برقم1/134.

[2] سورة النساء الآية 3.

[3] عن عبد الله بن مسعود والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم5065، ومسلم في صحيحه برقم1400.

[4] سورة النساء الآية 25.

[5] عن أبي هريرة، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم5223، ومسلم في صحيحه برقم2761 واللفظ له.

وكان الحبيب ﷺ شديد الغيرة على أهل بيته، فقد روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت { دَخَلَ عَلَيَّ رَسولُ اللهِ ﷺ ، وَعِندِي رَجُلٌ قَاعِدٌ، فَاشْتَدَّ ذلكَ عليه وَرَأَيْتُ الغَضَبَ في وَجْهِهِ، قالتْ: فَقُلْتُ: يا رَسولَ اللهِ، إنَّه أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ، قالتْ: فَقال انْظُرْنَ إخْوَتَكُنَّ مِنَ الرَّضَاعَةِ، فإنَّما الرَّضَاعَةُ عن المَجَاعَةِ }.[1]

وخطب الحبيب ﷺ في أمته فقال { يا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ واللَّهِ ما مِن أحَدٍ أغْيَرُ مِنَ اللَّهِ أنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أوْ تَزْنِيَ أمَتُهُ، يا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ واللَّهِ لو تَعْلَمُونَ ما أعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا ولَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا }.[2]

وحرم الله علينا الدياثة، وهي أن تعلم في أهلك الفاحشة وتسكت عليها وترضى، والآن يحدثنا الزمن عن من يشجع ويتاجر في عرضه ويتكسب من ذلك، فسبحان الله على من هانت عليه نفسه أن يأكل من شرف أهله ولا تتحرك منه شعرة غيرة.

فقد قال الحبيب ﷺ فيهم { ثلاثةٌ لا يدخلون الجنَّةَ أبدًا: الدَّيُّوثُ، والرَّجِلَةُ من النساءِ، ومُدمنُ الخمرِ قالوا: يا رسولَ اللهِ ! أما مُدمنُ الخمرِ فقد عرَفْناه، فما الدُّيُّوثُ ؟ فقال: الذي لا يُبالي من دخل على أهلِه قُلنا: فما الرَّجِلَةُ من النساءِ. قال : التي تشبَّه بالرِّجالِ }.[3]

ويقول ﷺ في حديث آخر { ثلاثةٌ لا ينظرُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ إليهم يومَ القيامةِ؛ العاقُّ لوالِدَيهِ، والمرأةُ المترجِّلةُ، والدَّيُّوثُ، وثلاثةٌ لا يدخُلونَ الجنَّةَ: العاقُّ لوالِدَيهِ، والمدمِنُ على الخمرِ، والمنَّانُ بما أعطى }.[4]

ومع كل ذلك مازال إسلامنا الجميل ينهانا في قرآنه وسنته لتجنب الفاحشة والزِّنَا، فيقول في كتاب الله عز وجل ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾.[5]

ويحذر أصحاب الهوى والنفوس المريضة الذين يحبون نشر الرذائل والفواحش بين جنبات المجتمع، فيقول لهم سبحانه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.[1]

---

[1] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2647، ومسلم في صحيحه برقم1455.
[2] عن عائشة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم1044، ومسلم في صحيحه برقم901.
[3] عن عمار بن ياسر، وقال الألباني صحيح في صحيح الترغيب برقم2071، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد فيه مساتير وليس فيهم من قيل أنه ضعيف برقم4/330، ورواه البيهقي في شعب الإيمان برقم10800.
[4] عن عبد الله بن عمر وقال الألباني حسن صحيح في صحيح النسائي 2561، وقال صحيح في صحيح الجامع برقم3071، في السلسلة الصحيحة جيد برقم674، رواه البزار في مسنده المسمى البحار الزخار برقم12/270.
[5] سورة الأنعام الآية 151.

ثم يأمرنا ألا نتبع خطوات الشيطان التي تدعو إلى الفواحش كلها، فيقول سبحانه ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.[2]

وباب التوبة والإنابة في إسلامنا الجميل لا يغلق أبدا حتى يغرغر العبد أو تطلع الشمس من مغربها، فإن استطعت يا من ارتكبت جريمة الزِّنَا وسترك الله ولم يرك أحد، أن تتوب إلى الله ربك الستير الرحيم توبة نصوحة، فالله التواب الرحيم يقبل منك ويسترك، وهذا من رحمة إسلامنا الجميل لأن الستر أولى لك وللأسر والمجتمع.

فالله التواب الرحيم يقول ﴿ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾.[3]

ويقول سبحانه ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾.[4]

ويقول الحبيب ﷺ { إنَّ اللهَ يقبلُ توبةَ العبدِ ما لم يُغرغرْ }.[5]

والتوبة النصوح هي أن تتوب من الذنب، وتندم على ما فعلت، وتعزم ألا تعود له مرة آخرى، وتكفر عن ذنبك بكثرة الاستغفار والطاعات والصدقات، وترد المظالم في حق من أذنبت في حقه، وهي المعضلة الكبيرة، فإذا لم تستطع فتصدق عليه واستغفر له، لعله يوم القيامة يعفو عنك ويسامحك.

ويقول الحبيب ﷺ { مَن كَانَتْ له مَظْلَمَةٌ لأخِيهِ مِن عِرْضِهِ أَوْ شيءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ منه اليَومَ، قَبْلَ أَنْ لا يَكونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إنْ كانَ له عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ منه بقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وإنْ لَمْ تَكُنْ له حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِن سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عليه }.[6]

فقد قال الحبيب ﷺ { التَّوبةُ مِن الذَّنبِ: أنْ يَتوبَ منه، ثُمَّ لا يَعودَ فيه }.[1]

---

[1] سورة النور الآية 19.
[2] سورة النور الآية 21.
[3] سورة هود الآية 90.
[4] سورة التحريم الآية 8.
[5] عن عبد الله بن عمر وقال الألبانى حسن في صحيح الترمذي برقم3537، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده حسن برقم6160، وقال في تخريج صحيح ابن حبان إسناده حسن برقم628.
[6] عن أبي هريرة وأخرجه البخاري في صحيحه برقم2449، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم6511.

ويقول الحبيب ﷺ { التائبُ من الذنبِ كمن لا ذنبَ لهُ }.[2]

وهذا الحديث الجميل رواه أكثر من صحابي منهم عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وأبو سعيد الخدري وأنس بن مالك وأبو سعد بن أبى فضالة الأنصاري.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول { الندمُ توبةٌ }.[3]

وهذه الأحاديث الجميلة قد تكررت سابقا، وأكررها هنا لأهميتها وحاجتها الملحة في مجتمعنا الإسلامي الجميل.

والله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن فقد ورى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال عن الحبيب ﷺ { إنَّ المُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأنَّهُ قاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخافُ أنْ يَقَعَ عليه، وإنَّ الفاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبابٍ مَرَّ علَى أنْفِهِ فقال به هَكَذا، قال أبو شِهابٍ: بيَدِهِ فَوْقَ أنْفِهِ ثُمَّ قال للَّهُ أفْرَحُ بتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِن رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلًا وبِهِ مَهْلَكَةٌ، ومعهُ راحِلَتُهُ، عليها طَعامُهُ وشَرابُهُ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنامَ نَوْمَةً، فاسْتَيْقَظَ وقدْ ذَهَبَتْ راحِلَتُهُ، حتَّى إذا اشْتَدَّ عليه الحَرُّ والعَطَشُ أوْ ما شاءَ اللَّهُ، قال أرْجِعُ إلى مَكانِي، فَرَجَعَ فَنامَ نَوْمَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فإذا راحِلَتُهُ عِنْدَهُ }.[4]

وفي رواية آخرى { للَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إلَيْهِ، مِن أَحَدِكُمْ كانَ علَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فلاةٍ، فَانْفَلَتَتْ منه وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فأيِسَ منها، فأتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ في ظِلِّهَا، قدْ أَيِسَ مِن رَاحِلَتِهِ، فَبيْنَا هو كَذلكَ إذَا هو بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فأخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قال مِن شِدَّةِ الفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِن شِدَّةِ الفَرَحِ }.[5]

ومن جمال إسلامنا أن من تاب وأصلح فإن الله يتوب عليه، ويغفر له ولا يعاقبه في الآخرة من فضله وكرمه، ومن أقيم عليه الحد فإن الله لا يعاقبه عليه مرة أخرى في الآخرة، فإن عقابه في الدنيا وإقامة الحد عليه كفارة لذنبه، فلا يعاقب عليه مرتين في الدنيا والآخرة.

---

[1] عن عبد الله بن مسعود، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده ضعيف برقم4264، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد إسناده ضعيف برقم10/202.

[2] عن عبد الله بن مسعود وقال الألباني حسن في صحيح ابن ماجه برقم3446، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح إلا أن أبي عباده لم يسمع من أبيه برقم10/203، ورواه الطبراني في الكبير برقم10281، وقال الألباني حسن عن رواية أبي سعيد الخدري في صحيح الجامع برقم3008.

[3] وقال الألباني صحيح في صحيح ابن ماجه برقم3448، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح برقم3568.

[4] والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6308 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم2744..

[5] عن أنس بن مالك وأخرجه مسلم في صحيحه برقم2747 واللفظ له، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم5030.

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه { قال لَنَا رَسولُ اللَّهِ ﷺ ونَحْنُ في مَجْلِسٍ: تُبَايِعُونِي علَى أنْ لا تُشْرِكُوا باللَّهِ شيءا، ولَا تَسْرِقُوا، ولَا تَزْنُوا، ولَا تَقْتُلُوا أوْلَادَكُمْ، ولَا تَأْتُوا ببُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بيْنَ أيْدِيكُمْ وأَرْجُلِكُمْ، ولَا تَعْصُوا في مَعروفٍ، فمَن وفي مِنكُم فأجْرُهُ علَى اللَّهِ، ومَن أصَابَ مِن ذلكَ شيءا فَعُوقِبَ في الدُّنْيَا فَهو كَفَّارَةٌ له، ومَن أصَابَ مِن ذلكَ شيءا فَسَتَرَهُ اللَّهُ فأمْرُهُ إلى اللَّهِ، إنْ شَاءَ عَاقَبَهُ، وإنْ شَاءَ عَفَا عنْه، فَبَايَعْنَاهُ علَى ذلكَ }.[1]

والستر أولى في إسلامنا الجميل للحفاظ على الأسر والمجتمع، وحتى لا يلحق العار على أفراد الأسرة، فباب التوبة مازال مفتوحا، وإذا استطاع الشاهد أن يستر على من شاهده ولم يفضحه، وأمره بالمعروف ونهاه عن هذا المنكر، لكان خير له وللأسر وللمجتمع، وإذا تمادى صاحب المعصية وهذه الجريمة، فوجب تطهير المجتمع منه بإقامة حدود الله عليه ليكون كفارة له وعبرة له ولمن مثله، فيستقيم المجتمع.

ولقد وصى الحبيب ﷺ الصحابة بستر أصحاب المعاصي ونصحهم أولى من فضحهم والشهود عليهم.

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال { أنَّ رسول الله ﷺ قام بعد أنْ رجَم الأسْلَميَّ فقال اجتنِبوا هذه القاذوراتِ التي نهي اللهُ تعالى عنها، فمن ألَمَّ بشيءٍ منها فلْيستَتِرْ بسِترِ اللهِ، ولْيَتُبْ إلى اللهِ، فإنه من يُبدِ لنا صفحتَه، نُقِمْ عليه كتابَ اللهِ }.[2]

وبعد كل ذلك وكل هذه المحاذير، إذا اصررت على ارتكاب هذه الجريمة، فوجب على ديننا الجميل أن يعاقبك ويحمي المجتمع منك ومن أمثالك، لتكون عبرة يعتبر بها من فكر مثلك في تلك الجرائم.

فأنزل الله الحد على من تجاوز كل المحاذير السابقة، وهو على قسمين، الأول إذا كان مرتكب جريمة الزّنَا محصنا أي متزوج فحده الرجم حتى الموت { لأن الله أحصنه وكفاه، وعنده ما عند من زنى بها }، وكذلك المرأة مثله.

وإن كان غير متزوج فحده الجلد مائة جلدة (لأنه غير محصن) ويغرب عام، وكذلك المرأة، ولكن بدون تغريب.

---

[1] عن عبادة بن الصامت والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم7213 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم1709.

[2] قال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم149، وقال في السلسلة الصحيحة إسناده حسن برقم663، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج مشكل الآثار إسناده قوي برقم91، وقال في تخريج منهاج القاصدين اسناده صحيح برقم224، كما راه الحاكم في المستدرك برقم7615.

فقال ربنا سبحانه ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.[1]

كما روى عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال { كانَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ إذَا أُنْزِلَ عليه كُرِبَ لذلكَ، وَتَرَبَّدَ له وَجْهُهُ قال فَأُنْزِلَ عليه ذَاتَ يَومٍ، فَلُقِيَ كَذلكَ، فَلَمَّا سُرِّيَ عنْه، قال خُذُوا عَنِّي، فقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لهنَّ سَبِيلًا، الثَّيِّبُ بالثَّيِّبِ، وَالْبِكْرُ بالبِكْرِ، الثَّيِّبُ جَلْدُ مِئَةٍ، ثُمَّ رَجْمٌ بالحِجَارَةِ، وَالْبِكْرُ جَلْدُ مِئَةٍ، ثُمَّ نَفْيُ سَنَةٍ. وفي رواية: بهذا الإسْنَادِ. غيرَ أنَّ في حَديثِهِما البِكْرُ يُجْلَدُ وَيُنْفَى، وَالثَّيِّبُ يُجْلَدُ وَيُرْجَمُ، لا يَذْكُرَانِ سَنَةً وَلَا مِئَةً }.[2]

وحَدُّ زِنَا البِكْرِ جَلْدُ مئةٍ، والثَّيِّبُ رَجْمٌ بِالحجارةِ: والْجَلْدُ مَنسوخٌ في الثَّيِّبُ بِالآيةِ الَّتي نُسِخَتْ تِلاوتُها وبَقِي حُكْمُها ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3] ، والْبِكْرُ جَلْدُ مِئةٍ، أي: ضَرْبُ مِئةِ جَلْدَةٍ لِكلِّ واحدٍ مِنهُما، ثُمَّ نَفْيُ سنةٍ خارِجَ بَلدتِه.

ولحديث أبو هريرة رضي الله عنه قال { إنَّ رَجُلًا مِنَ الأعْرَابِ أتَى رَسولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقال يا رَسولَ اللَّهِ، أنْشُدُكَ اللَّهَ إلَّا قَضَيْتَ لي بكِتَابِ اللَّهِ، فَقال الخَصْمُ الآخر: وهو أفْقَهُ منه، نَعَمْ فَاقْضِ بيْنَنَا بكِتَابِ اللَّهِ، وأْذَنْ لِي، فَقال رَسولُ اللَّهِ ﷺ : قُلْ، قال إنَّ ابْنِي كانَ عَسِيفًا علَى هذا، فَزَنَى بامْرَأَتِهِ، وإنِّي أُخْبِرْتُ أنَّ علَى ابْنِي الرَّجْمَ، فَافْتَدَيْتُ منه بمِئَةِ شَاةٍ، ووَلِيدَةٍ، فَسَأَلْتُ أهْلَ العِلْمِ، فأخْبَرُونِي أنَّما علَى ابْنِي جَلْدُ مِئَةٍ وتَغْرِيبُ عَامٍ، وأنَّ علَى امْرَأَةِ هذا الرَّجْمَ، فَقال رَسولُ اللَّهِ ﷺ : والذي نَفْسِي بيَدِهِ لَأَقْضِيَنَّ بيْنَكُما بكِتَابِ اللَّهِ، الوَلِيدَةُ والغَنَمُ رَدٌّ، وعلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِئَةٍ، وتَغْرِيبُ عَامٍ، اغْدُ يا أُنَيْسُ إلى امْرَأَةِ هذا، فَإنِ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمْهَا، قال فَغَدَا عَلَيْهَا، فَاعْتَرَفَتْ، فأمَرَ بهَا رَسولُ اللَّهِ ﷺ ، فَرُجِمَتْ }.[4]

وروى عبد الله بن عمر قال { أنَّ اليَهُودَ جَاؤُوا إلى النبيِّ ﷺ برَجُلٍ منهمْ وامْرَأَةٍ قدْ زَنَيَا، فَقال لهمْ: كيفَ تَفْعَلُونَ بمَن زَنَى مِنكُمْ؟ قالوا: نُحَمِّمُهُما ونَضْرِبُهُمَا، فَقال لا تَجِدُونَ في التَّوْرَاةِ الرَّجْمَ؟ فَقالوا: لا نَجِدُ فِيهَا شيءا، فَقال لهمْ عبدُ اللَّهِ بنُ سَلَامٍ: كَذَبْتُمْ فَأْتُوا بالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَوَضَعَ مِدْرَاسُهَا الذي يُدَرِّسُهَا منهمْ كَفَّهُ علَى آيَةِ الرَّجْمِ فَطَفِقَ يَقْرَأُ ما دُونَ يَدِهِ، وما وَرَاءَهَا ولَا يَقْرَأُ آيَةَ الرَّجْمِ، فَنَزَعَ يَدَهُ عن آيَةِ

[1] سورة النور الآية 2.
[2] أخرجه مسلم في صحيحه برقم1690، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان صحيح برقم4443.
[3] سورة النور الآية 2.
[4] عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهنى، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2724، ومسلم في صحيحه برقم1697.

الرَّجْمِ، فَقال ما هذِه؟ فَلَمَّا رَأَوْا ذلكَ قالوا: هي آيَةُ الرَّجْمِ، فأمَرَ بهِما فَرُجِما قَرِيبًا مِن حَيْثُ مَوْضِعُ الجَنَائِزِ عِنْدَ المَسْجِدِ، فَرَأَيْتُ صَاحِبَهَا يَحْنِي عَلَيْهَا يَقِيهَا الحِجَارَةَ }[1].

و{ حدَّثَنا أبو الزُّبَيرِ، قال سَألتُ جابِرًا: هل رَجَمَ رسولُ اللهِ ﷺ ؟ فقال نَعَمْ، رَجَمَ رَجُلًا مِن أَسْلَمَ، ورَجُلًا مِن اليهودِ، وامْرأةً }.[2]

وقصة ماعز بن مالك مشهورة وفيها { أنَّ مَاعِزَ بنَ مَالِكٍ الأسْلَمِيَّ، أَتَى رَسولَ اللهِ ﷺ ، فَقال يا رَسولَ اللهِ، إنِّي قدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَزَنَيْتُ، وإنِّي أُرِيدُ أَنْ تُطَهِّرَنِي، فَرَدَّهُ، فَلَمَّا كانَ مِنَ الغَدِ أَتَاهُ، فَقال يا رَسولَ اللهِ، إنِّي قدْ زَنَيْتُ، فَرَدَّهُ الثَّانِيَةَ، فأرْسَلَ رَسولُ اللهِ ﷺ إلى قَوْمِهِ، فَقال أَتَعْلَمُونَ بعَقْلِهِ بَأْسًا، تُنْكِرُونَ منه شيئًا؟ فَقالوا: ما نَعْلَمُهُ إلَّا وَفِيَّ العَقْلِ مِن صَالِحِينَا فِيما نُرَى، فأتَاهُ الثَّالِثَةَ، فأرْسَلَ إليهِم أَيْضًا فَسَألَ عنْه، فأخْبَرُوهُ أنَّهُ لا بَأْسَ به، وَلَا بعَقْلِهِ، فَلَمَّا كانَ الرَّابِعَةَ حَفَرَ له حُفْرَةً، ثُمَّ أَمَرَ به فَرُجِمَ. قال، فَجَاءَتِ الغَامِدِيَّةُ، فَقالتْ: يا رَسولَ اللهِ، إنِّي قدْ زَنَيْتُ فَطَهِّرْنِي، وإنَّه رَدَّهَا، فَلَمَّا كانَ الغَدُ، قالتْ: يا رَسولَ اللهِ، لِمَ تَرُدُّنِي؟ لَعَلَّكَ أَنْ تَرُدَّنِي كما رَدَدْتَ مَاعِزًا، فَوَاللهِ إنِّي لَحُبْلَى، قال إمَّا لا فَاذْهَبِي حتَّى تَلِدِي، فَلَمَّا وَلَدَتْ أَتَتْهُ بالصَّبِيِّ في خِرْقَةٍ، قالتْ: هذا قدْ وَلَدْتُهُ، قال اذْهَبِي فأرْضِعِيهِ حتَّى تَفْطِمِيهِ، فَلَمَّا فَطَمَتْهُ أَتَتْهُ بالصَّبِيِّ في يَدِهِ كِسْرَةُ خُبْزٍ، فَقالتْ: هذا يا نَبِيَّ اللهِ قدْ فَطَمْتُهُ، وَقَدْ أَكَلَ الطَّعَامَ، فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إلى رَجُلٍ مِنَ المُسْلِمِينَ، ثُمَّ أَمَرَ بهَا فَحُفِرَ لَهَا إلى صَدْرِهَا، وَأَمَرَ النَّاسَ فَرَجَمُوهَا، فيُقْبِلُ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ بحَجَرٍ، فَرَمَى رَأْسَهَا فَتَنَضَّحَ الدَّمُ علَى وَجْهِ خَالِدٍ فَسَبَّهَا، فَسَمِعَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ سَبَّهُ إيَّاهَا، فَقال مَهْلًا يا خَالِدُ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ لقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لو تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ له. ثُمَّ أَمَرَ بهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا، وَدُفِنَتْ }.[3]

وفي رواية آخرى { جاء الأسْلَمِي إلى رسولِ اللهِ ﷺ فشَهِدَ على نفسِهِ بِالزِّنَى أرْبعَ شَهاداتٍ يَقولُ أتيْتُ امْرأةً حرامًا وفي كلِّ ذلِكَ يُعرِضُ عنهُ رسولُ اللهِ ﷺ فذكرَ الحدِيثَ إلى أنْ قال : فما تُريدُ بِهذا القولِ ؟ " قال : أُريدُ أنْ تُطَهِّرَنِي فأَمَرَ بهِ رسولُ اللهِ أنْ يُرجَمَ، فرُجِمَ، فسَمِعَ رسولُ اللهِ رَجُلَيْنِ من الأنْصارِ يَقولُ أحدُهُما لِصاحبِهِ : انْظرْ إلى هذا الّذي سَتَرَ اللهُ عليه، فلَمْ يَدَعْ نفسَهُ حتى رُجِمَ رَجْمَ الكلْبِ ! قال : فسَكتَ رسولُ اللهِ ثمَّ سارَ ساعةً، فمَرَّ بِجيفةِ حِمارٍ شائِلٍ بِرِجلِه فقال : أين فلانُ وفلانُ ؟ فقالا : نحن ذا يا رسولَ اللهِ ! فقال لهُما : كُلَا من جِيفةِ هذا الحِمارِ " فقالا : يا رسولَ اللهِ ! غَفرَ اللهُ لكَ ما تقدَّمَ من ذنْبِكَ وما تَآخر، مَنْ يأكلُ من هذا ؟

---

[1] عن عبد الله بن عمر، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم4556 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم1699.

[2] عن جابر بن عبد الله، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم1701، وقال شعيب الأرناؤوط صحيح في تخريج المسند برقم15151.

[3] بريدة بن الحصيب الأسلمي وأخرجه مسلم في صحيحه برقم1695 واللفظ له، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند صحيح برقم22942، وقال في رواية أخرى {حديث صحيح وفي قصة سب خالد بن الوليد للغامدية وقصة انتظار الفطام للرجم، تفرد بهما بشير -وهو ابن المهاجر الغنوي- وهو مختلف فيه برقم22949}، وقال ابن عبد البر في التمهيد صحيح برقم24/132.

فقال رسولُ اللهِ ما نِلْتُما من عرضِ هذا الرجلِ آنْفًا، أشَدُّ من أكْلِ هذه الجِيفةِ، فوَالَّذِي نفْسِي بيدِهِ ! إنّهُ الآنَ في أنْهارِ الجنةِ }.[1]

{ فَجَلَسَ عُمَرُ علَى المِنْبَرِ، فَلَمَّا سَكَتَ المُؤَذِّنُونَ قَامَ، فأثْنَى علَى اللَّهِ بما هو أهْلُهُ، ثُمَّ قال أمَّا بَعْدُ، فإنِّي قَائِلٌ لَكُمْ مَقالةً قدْ قُدِّرَ لي أنْ أقُولَهَا، لا أدْرِي لَعَلَّهَا بيْنَ يَدَيْ أجَلِي، فمَن عَقَلَهَا ووَعَاهَا فَلْيُحَدِّثْ بهَا حَيْثُ انْتَهَتْ به رَاحِلَتُهُ، ومَن خَشِيَ أنْ لا يَعْقِلَهَا فلا أُحِلُّ لأحَدٍ أنْ يَكْذِبَ عَلَيَّ: إنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بالحَقِّ، وأَنْزَلَ عليه الكِتَابَ، فَكانَ ممَّا أنْزَلَ اللَّهُ آيَةُ الرَّجْمِ، فَقَرَأْنَاهَا وعَقَلْنَاهَا ووَعَيْنَاهَا، رَجَمَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ ورَجَمْنَا بَعْدَهُ، فأخْشَى إنْ طَالَ بالنَّاسِ زَمَانٌ أنْ يَقُولَ قَائِلٌ: واللَّهِ ما نَجِدُ آيَةَ الرَّجْمِ في كِتَابِ اللَّهِ، فَيَضِلُّوا بتَرْكِ فَرِيضَةٍ أنْزَلَهَا اللَّهُ، والرَّجْمُ في كِتَابِ اللَّهِ حَقٌّ علَى مَن زَنَى إذَا أُحْصِنَ مِنَ الرِّجَالِ والنِّسَاءِ، إذَا قَامَتِ البَيِّنَةُ، أوْ كانَ الحَبَلُ أوِ الِاعْتِرَافُ }.[2]

وأحاديث الرجم روت من أكثر من صحابي وفي أكثر من صيغة وهم أبو هريرة وزيد بن خالد الجهني رضي الله عنهما ورواه البخاري ومسلم وأحمد وأصحاب السنن، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ورواه البخاري وأحمد، وعبادة بن الصامت ورواه مسلم وأحمد أبو داود والترمذي وابن ماجه، وعبد الله بن عمر رضي الله عنه ورواه البخاري ومسلم، وجابر بن عبد الله ورواه مسلم وأحمد وغيره، والبراء بن عازب ورواه مسلم وأحمد وأبو داود وغيرهم، وبريدة بن الحصيب الأسلمي ورواه مسلم وأحمد وغيرهما، وجابر بن سمرة ورواه مسلم وأحمد وأبو داود وغيرهم، وعبد الله بن عباس ورواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم، بما يزيد عن عشرين حديثا في كتب الحديث.

ومن هذه الأحاديث يتضح أن رسول الله ﷺ أقام الحد على من زّنَا بالرجم للمحصن دون الجلد، وكلها بالإقرار والاعتراف، ومن شرط إقامة حد الزّنَا كذلك البينة، هو أن يشهد على هذه الجريمة أربعة رجال عاقلين مشهود لهم بالعدول وتتطابق شهادتهم ولا تختلف، ويشهدون كل على حدة أنهم رأوا أن الزاني قد أدخل عضوه الذكرى في مهبل الزانية كما يفعل الزوج بزوجته، وهذا هو الشرط الأوفي لإقامة الحد، ولا يقام الحد إذا شاهد أربعة شهود أن الرجل والمرأة كانا عاريين أو كان يحتضنها أو أي شيء غير الإدخال، فلهما عقاب آخر غير حد الزّنَا ، وهذا شرط صعب تحقيقه، ولو اختلفت شهادتهم أو واحد منهم سقطت الدعوى، ولذا فالستر في إسلامنا الجميل أفضل للأسر والمجتمع.

[1] عن أبي هريرة وقال الألباني ضعيف في ضعيف الترغيب برقم1686 واللفظ له، وقال ضعيف في ضعيف أبي داود برقم4428، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده صحيح برقم4399.

[2] عن عبد الله بن عباس، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6830 ورقم6829 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم1691.

كذلك لا تقبل شهادة المرأة في هذه الجريمة، حتى لا تتدخل العواطف أو الغيرة أو الانتقام.

وفي حالة الإقرار ورجع الزاني في إقراره فيقبل منه، فقد أقام رسول الله الحد على ماعز والغامدية بالإقرار أربع مرات، وفي حالة ماعز سأل رسول الله ﷺ هل ماعز به جنون أو سكران أم به شيء ليقر بهذه الجريمة التي تودي بحياته، ولما تأكد أنه سليم العقل وأقر في المرة الرابعة وكان الرسول ﷺ يتأكد من فعلته فيسأله لعلك قبلت لعلك لامست لعلك فاخذت لعلك.. لعلك.. حتى تأكد من فعلته، فأقام عليه الحد، ولما أخبروه ﷺ أنه حاول الهرب وفي رواية أنه طلب العودة إلى رسول الله، قال له ﷺ لو تركتموه يهرب لكان خيرا له ولكم، وقال للذي قتله لو سترته بثوبك لكان خيرا لك وله.

وفي مثال الغامدية أمهلها الحبيب ﷺ حتى تضع، عندما أقرت بحملها من الزِّنَا، ثم أمهلها حتى ترضعه ثم أمهلها حتى تفطمه، كل ذلك ولم يراقبها أو يجعل عليها حراسة ولم يسأل عنها طوال السنتين من حملها حتى إقامة الحد عليها، لعلها لا ترجع إليه وتتوب، ثم جاءت مصرة ومقرة، وفي يدها طفلها وفي يده كسرة خبز دليل على فطامه وعدم احتياجه للرضاع، ثم أقام عليه الحد، وكفنها وصلى عليه ودفنها ودعا لها، ونهر من سبها ودعا لعدم المساس بطفلها وعدم معايرته بأمه.

كل هذا يدل على أن إسلامنا الجميل لا يتعجل إلى إقامة الحدود ويتعطش لسفك الدماء، بل يدعو إلى الستر ودرء الحدود بأقل الشبهات، حفاظا على الأسر والمجتمع.

فقد قال الحبيب ﷺ { ومَن سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَومَ القِيَامَةِ }.[1]

وإذا لم يكن هناك شهود إلا الزوج فقط، فله الملاعنة من زوجته، فإن حلف أنه رأى زوجته مع آخر في وضع زِّنَا، واعترفت، فيقام عليها الحد وعلى الزاني، فإذا لم تقر وأنكرت، فلا يقام عليها الحد، ولكن يفرق بينهما، ويعتبر طلاقا بائنا لا رجعة فيه، وإذا حملت وولدت قبل ستة أشهر ألحق به الولد، وإذا ولدت بعد ذلك ألحق بأمه.

فقد روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال { أنَّ هِلالَ بنَ أُمَيَّةَ، قَذَفَ امْرَأَتَهُ عِنْدَ النبيِّ ﷺ بشَرِيكِ ابْنِ سَحْماءَ، فقال النبيُّ ﷺ : البَيِّنَةَ أوْ حَدٌّ في ظَهْرِكَ، فقال يا رَسولَ اللَّهِ، إذا رَأي أحَدُنا علَى امْرَأَتِهِ رَجُلًا يَنْطَلِقُ يَلْتَمِسُ البَيِّنَةَ، فَجَعَلَ النبيُّ ﷺ يقولُ: البَيِّنَةَ وإلَّا حَدٌّ في ظَهْرِكَ فقال هِلالٌ: والذي بَعَثَكَ بالحَقِّ

[1] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2442، ومسلم في صحيحه برقم2699.

إنّي لَصادِقٌ، فَلَيُنْزِلَنَّ اللَّهُ ما يُبَرِّئُ ظَهْرِي مِنَ الحَدِّ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ وأَنْزَلَ عليه: ﴿ والذينَ يَرْمُونَ أزْواجَهُمْ ﴾ فَقَرَأَ حتَّى بَلَغَ: ﴿ إنْ كانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ فانْصَرَفَ النبيُّ ﷺ فأرْسَلَ إلَيْها، فَجاءَ هِلالٌ فَشَهِدَ، والنبيُّ ﷺ يقولُ: إنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أنَّ أحَدَكُما كاذِبٌ، فَهلْ مِنْكُما تائِبٌ ثُمَّ قامَتْ فَشَهِدَتْ، فَلَمَّا كانَتْ عِنْدَ الخامِسَةِ وقَّفُوها، وقالوا: إنَّها مُوجِبَةٌ، قال ابنُ عبَّاسٍ: فَتَلَكَّأَتْ ونَكَصَتْ، حتَّى ظَنَنَّا أنَّها تَرْجِعُ، ثُمَّ قالتْ: لا أفْضَحُ قَوْمِي سائِرَ اليَومِ، فَمَضَتْ، فقال النبيُّ ﷺ : أبْصِرُوها، فإنْ جاءَتْ به أكْحَلَ العَيْنَيْنِ، سابِغَ الأَلْيَتَيْنِ، خَدَلَّجَ السَّاقَيْنِ، فَهو لِشَرِيكِ ابْنِ سَحْماءَ، فَجاءَتْ به كَذلكَ، فقال النبيُّ ﷺ : لَوْلا ما مَضَى مِن كِتابِ اللَّهِ لَكانَ لي ولَها شَأْنٌ }.[1]

وفي رواية آخرى { سُئِلْتُ عَنِ المُتَلَاعِنَيْنِ في إمْرَةِ مُصْعَبٍ أَيُفَرَّقُ بيْنَهُمَا؟ قال فَما دَرَيْتُ ما أَقُولُ، فَمَضَيْتُ إلى مَنْزِلِ ابْنِ عُمَرَ بمَكَّةَ، فَقُلتُ لِلْغُلَامِ: اسْتَأْذِنْ لِي، قال إنَّه قَائِلٌ، فَسَمِعَ صَوْتِي، قال ابنُ جُبَيْرٍ؟ قُلتُ: نَعَمْ، قال ادْخُلْ، فَوَاللَّهِ، ما جَاءَ بكَ هذِه السَّاعَةَ إلَّا حَاجَةٌ، فَدَخَلْتُ فَإذَا هو مُفْتَرِشٌ بَرْذَعَةً مُتَوَسِّدٌ وِسَادَةً حَشْوُهَا لِيفٌ، قُلتُ: أَبَا عبدِ الرَّحْمَنِ المُتَلَاعِنَانِ أَيُفَرَّقُ بيْنَهُمَا؟ قال سُبْحَانَ اللهِ، نَعَمْ، إنَّ أَوَّلَ مَن سَأَلَ عن ذلكَ فُلَانُ بنُ فُلَانٍ، قال يا رَسولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ أَنْ لو وَجَدَ أَحَدُنَا امْرَأَتَهُ علَى فَاحِشَةٍ، كيفَ يَصْنَعُ إنْ تَكَلَّمَ تَكَلَّمَ بأَمْرٍ عَظِيمٍ؟ وَإنْ سَكَتَ سَكَتَ علَى مِثْلِ ذلكَ، قال فَسَكَتَ النبيُّ ﷺ فَلَمْ يُجِبْهُ، فَلَمَّا كانَ بَعْدَ ذلكَ أَتَاهُ، فَقال إنَّ الذي سَأَلْتُكَ عنْه قَدِ ابْتُلِيتُ به، فأنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَؤُلَاءِ الآيَاتِ في سُورَةِ النُّورِ: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ ﴾ [النور:6-9] فَتَلَاهُنَّ عليه، وَوَعَظَهُ، وَذَكَّرَهُ، وَأَخْبَرَهُ أنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِن عَذَابِ الآخرةِ، قال لا وَالَّذِي بَعَثَكَ بالحَقِّ ما كَذَبْتُ عَلَيْهَا، ثُمَّ دَعَاهَا فَوَعَظَهَا وَذَكَّرَهَا، وَأَخْبَرَهَا أنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِن عَذَابِ الآخرةِ. قالتْ: لَا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بالحَقِّ إنَّه لَكَاذِبٌ، فَبَدَأَ بالرَّجُلِ، فَشَهِدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ باللَّهِ إنَّه لَمِنِ الصَّادِقِينَ، وَالْخَامِسَةُ أنَّ لَعْنَةَ اللهِ عليه إنْ كانَ مِنَ الكَاذِبِينَ، ثُمَّ ثَنَّى بالمَرْأَةِ، فَشَهِدَتْ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ باللَّهِ إنَّه لَمِنِ الكَاذِبِينَ، وَالْخَامِسَةُ أنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَا إنْ كانَ مِنَ الصَّادِقِينَ، ثُمَّ فَرَّقَ بيْنَهُمَا }.[2]

ففي الملاعنة أيضا هناك الستر والرحمة في إسلامنا الجميل، فلو أقرت الزوجة بالواقعة لقام عليها الحد، ويعتبر لها توبة وكفارة، لأنها تعلم أنه سيقام عليها حد الرجم، والحد هو تكفير لهذا الذنب، ولو أنكرت فهو ستر لها وعدم فضحها، والله سبحانه الرحيم الستير صاحب العفو والمغفرة يستر عليها ويمهلها لتتوب بعد عدم فضحها، ولكنها تفقد زوجها، ولعل لها نصيبا في زوج آخر تبدأ معه صفحة جديدة ليس فيها ما يشينها، فسبحان الستير الرحيم، وما أجمل إسلامنا في إسلوب حل المشاكل الأسرية والتي أهم عنصر فيها هو الستر وعدم الفضيحة.

[1] والحديث أخرجه البخاري في صحيحه برقم4747، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان صحيح برقم4451 عن رواية أنس بن مالك.
[2] عن عبد الله بن عمر وأخرجه مسلم في صحيحه برقم1493 واللفظ له، وقال الألباني صحيح في صحيح النسائي برقم3473.

وإسلامنا الجميل رغم إقامة الحدود فإنه فيه الرأفة والرحمة، فإقامة حد الزّنَا على المحصن (المتزوج والمتزوجة) وهو الرجم، هو رحمة لهما في الآخرة وتكفيرا لذنبهما، وقطع هذه الجريمة من المجتمع، حتى تستريح الأسر والمجتمع، وفي إقامة الحد عبرة لغيرهما.

(وَإِذَا كَانَ الزَّانِي رَجُلًا أُقِيمَ قَائِمًا، وَلَمْ يُوثَقْ بِشَيْءٍ وَلَمْ يُحْفَرْ لَهُ، سَوَاءٌ ثَبَتَ الزِّنَى بِبَيِّنَةٍ أَوْ إقْرَارٍ. لَا نَعْلَمُ فِيهِ خِلَافًا؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - لَمْ يَحْفِرْ لِمَاعِزٍ. قال أَبُو سَعِيدٍ: «لَمَّا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بِرَجْمِ مَاعِزٍ خَرَجْنَا بِهِ إلَى الْبَقِيعِ، فَوَاَللَّهِ مَا حَفَرْنَا لَهُ، وَلَا أَوْثَقْنَاهُ، وَلَكِنَّهُ قَامَ لَنَا» . رَوَاهُ أَبُو دَاوُد. وَلِأَنَّ الْحَفْرَ لَهُ، وَدَفْنَ بَعْضِهِ، عُقُوبَةٌ لَمْ يَرِدْ بِهَا الشَّرْعُ فِي حَقِّهِ، فَوَجَبَ أَنْ لَا تَثْبُتَ. وَإِنْ كَانَ امْرَأَةً، فَظَاهِرُ كَلَامِ أَحْمَدَ، أَنَّهَا لَا يُحْفَرُ لَهَا أَيْضًا. وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ الْقَاضِي فِي " الْخِلَافِ "، وَذَكَرَ فِي " الْمُجَرَّدِ " أَنَّهُ إنْ ثَبَتَ الْحَدُّ بِالْإِقْرَارِ، لَمْ يُحْفَرْ لَهَا، وَإِنْ ثَبَتَ بِالْبَيِّنَةِ، حُفِرَ لَهَا إلَى الصَّدْرِ }.[1]

(قال ابنُ إسحاقَ: فذكَرْتُ ذلك من حديثِهِ حينَ سمِعْتُهُ يقولُ: فهَلَّا ترَكْتُموهُ، لعاصِمِ بنِ عُمرَ بنِ قَتادةَ، فقال حدَّثَني حسنُ بنُ محمَّدِ بنِ عليٍّ قال حدَّثَني ذلك مِن قولِ رسولِ اللهِ عليه السَّلامُ: هَلَّا ترَكْتُموهُ. لماعِزٍ مِن سِتِّ مِن رجالِ أسلَمَ، وما أَتَّهِمُ القومَ، ولمْ أعرِفِ الحديثَ، فجِئْتُ جابرًا، فقُلْتُ: إنَّ رجالًا مِن أسلَمَ يُحدِّثونَ أنَّ رسولَ اللهِ عليه السَّلامُ قال لهم حينَ ذكَروا جَزَعَ ماعزٍ منَ الحِجارةِ: هَلَّا ترَكْتُموهُ. ما أَتَّهِمُ القومَ، ولا أعرِفُ الحديثَ، فقال يا ابنَ أخي، أنا أعلَمُ هذا الحديثَ، كُنْتُ فيمَن رجَم الرَّجُلَ، فرجَمْناهُ، فوجَد مَسَّ الحِجارةِ، فصرَخ بنا: يا قومُ رُدُّوني إلى رسولِ اللهِ عليه السَّلامُ، فإنَّ قومي قتَلوني، وغرُّوني مِن نفْسي، وأخبَروني أنَّ رسولَ اللهِ عليه السَّلامُ غيْرُ قاتِلي، فلمْ ننزِعْ عنه حتى قتَلْناهُ، فلمَّا رجَعْنا إلى رسولِ اللهِ ﷺ فأخبَرْناهُ بما قال{ قال فهَلَّا ترَكْتُمُ الرَّجُلَ، وجِئْتُموني به }).[2]

وهو من رحمة إسلامنا الجميل فلو أثناء ضربه رجع في اعترافه وإقراره وهرب فلا يجوز اتباعه، وتركه يهرب سواء كان رجلا أو امرأة، وفي حالة البينة وشهادة أربعة شهود يقام عليه الحد حتى لو هرب، ويشد على المرأة ثيابها وحجابها حتى لا تتكشف ويحفر لها.

(قال أَبُو الْخَطَّابِ: وَهَذَا أَصَحُّ عِنْدِي. وَهُوَ قَوْلُ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ؛ لِمَا رَوَى أَبُو بَكْرٍ وَبُرَيْدَةُ، «أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - رَجَمَ امْرَأَةً، فَحَفَرَ لَهَا إلَى الثُّنْدُوَةِ» . رَوَاهُ أَبُو دَاوُد. وَلِأَنَّهُ أَسْتَرُ لَهَا، وَلَا حَاجَةَ إلَى تَمْكِينِهَا مِنْ

[1] المغني لابن قدامة المقدسي ج 9 ص36 باب الحدود.
[2] عن جابر بن عبد الله وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج مشكل الآثار إسناده قوي برقم1/381.

الْهَرَبِ، لِكَوْنِ الْحَدِّ ثَبَتَ بِالْبَيِّنَةِ، فَلَا يَسْقُطُ بِفِعْلٍ مِنْ جِهَتِهَا، بِخِلَافِ الثَّابِتِ بِالْإِقْرَارِ، فَإِنَّهَا تُتْرَكُ عَلَى حَالٍ لَوْ أَرَادَتْ الْهَرَبَ تَمَكَّنَتْ مِنْهُ؛ لِأَنَّ رُجُوعَهَا عَنْ إقْرَارِهَا مَقْبُولٌ).[1]

وفي حالة إقامة حد الجلد يكون إسلامنا الجميل رحيما، فلا يكون السوط جديدا يقطع اللحم أو مكسورا ولينا لاينفع، ولكن وسطا يوقع العقاب ويؤلم، ولكن لا يقتل أو يترك أثرا.

وقد وصف الحبيب ﷺ هذا السوط في حديث جميل فقال { عن زيدِ بنِ أسلمَ, أنَّ رجلًا اعترف على نفسِه بالزِّنَى على عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ , فدعا له رسولُ اللهِ ﷺ بسوطٍ, فأُتيِ بسوطٍ مكسورٍ , فقال فوقَ هذا, فأُتيَ بسوطٍ جديدٍ لم تُقطع ثمرتُه, فقال دونَ هذا ؛ فأُتيَ بسوطٍ قد رُكِّبَ به ولانَ , فأمر به رسولُ اللهِ ﷺ فجُلِدَ ؛ ثم قال: أيها الناسُ, قد آن لكم أن تنتهوا عن حدودِ اللهِ, من أصاب من هذه القاذورةِ شيئًا, فليستتر بسترِ اللهِ ؛ فإنَّهُ من يُبْدِ لنا صفحتَه, نُقِمْ عليه كتابَ اللهِ }.[2]

و{عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهم : أَنَّ جَارِيَةً لِابْنِ عُمَرَ زَنَتْ، فَضَرَبَ رِجْلَيْهَا -قال نَافِعٌ: أَرَاهُ قال وَظَهْرَهَا -قال قُلْتُ: ﴿وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ قال يَا بُنَيَّ، ورأيتَني أَخَذَتْني بِهَا رَأْفَةٌ؟ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْمُرْنِي أَنْ أَقْتُلَهَا، وَلَا أَنْ أَجْعَلَ جَلدها فِي رَأْسِهَا، وَقَدْ أُوجِعَتْ حَيْثُ ضُرِبَتْ }.[3]

ومن رحمة إسلامنا الجميل أن إسلامنا يقبل التراجع عن الاعتراف في هذه القضية للستر وعدم الفضيحة فلو ستر نفسه وتاب توبة نصوحا لكان خيرا له وللأسر وللمجتمع.

فقد روى بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه قال { كنَّا أصحابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ نتحدَّثُ أنَّ الغامديَّةَ وماعزَ بنَ مالِكٍ لو رجعا بعدَ اعترافِهما أو قال لو لم يرجعا بعدَ اعترافِهما لم يطلبْهما وإنَّما رجمَهما عندَ الرَّابعة }.[4]

وقال للصحابي الذي أخبره أنه ضرب ماعز وكانت ضربته قاتلته، لو سترته لكان أفضل له - أعني الصحابي، فقد روى نعيم بن هزال السلمي { أنَّ ماعزًا أتى النَّبيَّ ﷺ فأقَرَّ عنده أربعَ مرَّاتٍ، فأمَر برَجْمِهِ وقال لهَزَّالٍ: لو ستَرْتَهُ بثوبِكَ كان خيرًا لكَ }.[1]

---

[1] المغني لابن قدامة المقدسي ج 9 ص36 باب الحدود.

[2] عن زيد بن أسلم وقال ابن عبد البر في التمهيد مرسل برقم5/321، ورواه مالك في الموطأ برقم2/825، والبيهقي في الكبرى برقم8/326 باختلاف يسير.

[3] رواه الطبري في تفسيره برقم18/52 من طريق نافع عن بن عمر.

[4] قال الألباني ضعيف في ضعيف أبي داود برقم4434، وقال في أرواء الغليل ضعيف برقم2359، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج سنن أبي داود ضعيف برقم4434، وقال في تخريج المسند تفرد به بشير بن مجاهد العنوي وهو مختلف عليه في رواية نحوها برقم22942

وفي رواية آخرى { أَنَّ مَاعِزَ بْنَ مَالِكٍ، لَمَّا وَجَدَ مَسَّ الْحِجَارَةِ، خَرَجَ يَشْتَدُّ، فَلَقِيَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُنَيْسٍ، وَقَدْ عَجَزَ أَصْحَابُهُ، فَنَزَعَ لَهُ بِوَظِيفِ بَعِيرٍ فَرَمَاهُ بِهِ، فَقَتَلَهُ، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ - ﷺ - فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ. فَقال هَلَّا تَرَكْتُمُوهُ، يَتُوبُ فَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِ }.[2]

وروى هزال بن يزيد الأسلمي رضي الله عنه قال { كان ماعزُ بنُ مالكٍ في حِجرِ أبي، فأصابَ جاريةً مِن الحَيِّ، ....قال فأمَرَ به أنْ يُرجَمَ، قال فآخرجَ به إلى الحَرَّةِ، فلمَّا رُجِمَ، فوَجَدَ مَسَّ الحِجارةِ، جَزِعَ، فخَرَجَ يَشتَدُّ، فلَقيَه عبدُ اللهِ بنُ أُنَيسٍ، وقد أعجَزَ أصحابَه، فنَزَعَ له بوَظيفِ بَعيرٍ، فرَماه به، فقَتَلَه، قال ثُمَّ أتى النَّبيَّ ﷺ ، فذَكَرَ ذلك له، فقال هَلَّا تَرَكتُموه لعلَّه يَتوبُ، فيَتوبَ اللهُ عليه! قال هِشامٌ: فحَدَّثَني يَزيدُ بنُ نُعَيمِ بنِ هَزَّالٍ، عن أبيه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال لأبي حين رَآه: واللهِ يا هَزَّالُ، لو كنتَ سَتَرتَه بثَوبِكَ، كان خيرًا ممَّا صَنَعتَ به }.[3]

وقول الله سبحانه وتعالى ﴿ وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ﴾.[4]

معناها أن نقيم حدود الله ولا نهملها أو نعطلها سواء كان من الحاكم أو القاضي أو الدستور أو القانون، وإذا أقمنا الحد كان عبرة لمن وقع أو شهد.

ومن رحمة إسلامنا حتى في الحدود { أنَّ الحدودَ إذا رُفِعتْ للحاكِمِ أو للقاضي؛ فإنَّها تلزمُ وتجبُ، ولا يصحُّ العفوُ فيها }.

وقال رسول الله ﷺ { تعافُّوا الحدودَ فيما بينَكُم، فما بلغَني مِن حدٍّ فقد وجبَ }.[5]

"تَعافوا الحُدودَ فيما بيْنكم"، أي: تَجاوزا عنها، فلا ترْفَعوها إليَّ للتَّقاضِي، "فمَا بلَغَني"، أي: وصَلَ إليَّ "مِن حدٍّ فقدْ وجَبَ"، أي: لازِمٌ عليَّ إقامَتُه.

---

[1] قال الألباني في تخريج مشكاة المصابيح إسناده حسن برقم3500، وقال صحيح في صحيح الجامع برقم7990، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج سنن أبي داود صحيح لغيره برقم4377، وقال في تخريج المسند صحيح لغيره برقم21895، وقال البيهقي في السنن الكبرى أصح رواية برقم8/331.

[2] عن نعيم بن هزال الأسلمي، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج سنن أبي داود صحيح لغيره برقم4419، وقال في تخريج المسند صحيح لغيره برقم21890، وقال الألباني في يخريج مشكاة المصابيح إسناده حسن برقم3514.

[3] قال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند صحيح لغيره برقم21890 واللفظ له، وقال الألباني في صحيح أبي داود صحيح دون قوله(لعله أن...) في رواية نعيم بن مسعود برقم4419، وقال في تخريج مشكاة المصابيح إسناده حسن برقم3415، وقال فيها شعيب الأرناؤوط في تخريج سنن أبي داود صحيح لغيره برقم4419.

[4] سورة النور الآية 2.

[5] عن عبد الله بن عمرو، وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم4376، وقال حسن في صحيح النسائي برقم44901، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده حسن برقم7/85.

فإذا وجب الحد فلابد أن يقام، فقال رسول الله ﷺ { حدٌّ يَعملُ بِهِ في الأرضِ، خيرٌ لأَهْلِ الأرضِ من أن يُمطَروا أربَعينَ صباحًا }.[1]

وإن أقيم الحد فهو كفارة له ولا يعاقب عليه مرة آخرى يوم القيامة، وذلك من رحمة الله بعباده وهو رأي علماء الأمة، وهو من جمال إسلامنا.

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال { كُنَّا مع رَسولِ اللهِ ﷺ في مَجْلِسٍ، فَقال تُبَايِعُونِي علَى أَنْ لا تُشْرِكُوا باللَّهِ شيئًا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتي حَرَّمَ اللَّهُ إلَّا بالحَقِّ، فمَن وَفي مِنكُم فأجْرُهُ علَى اللهِ، وَمَن أَصَابَ شيئًا مِن ذلكَ فَعُوقِبَ به فَهو كَفَّارَةٌ له، وَمَن أَصَابَ شيئًا مِن ذلكَ فَسَتَرَهُ اللَّهُ عليه، فأمْرُهُ إلى اللهِ، إنْ شَاءَ عَفَا عنْه، وإنْ شَاءَ عَذَّبَهُ. وفي رواية: وَزَادَ في الحَديثِ، فَتَلَا عَلَيْنَا آيَةَ النِّسَاءِ: ﴿ أَنْ لا يُشْرِكْنَ باللَّهِ شيئًا ﴾ الآيَةَ }.[2]

ومن أهم مشاكل الزِّنَا وأشدها هو اختلاط الأنساب، وإلحاق أولاد الزِّنَا بغير آبائهم، وكثير ما يحدث ذلك فتلحق المرأة الزانية ولدها من الزِّنَا بزوجها خوفا من الفضيحة وسترا عليها، وهو من الجرائم العظمى التي تلحق بجريمة الزِّنَا، فيتفسخ المجتمع وتنتشر الرذيلة.

وحفاظا على الأسر من التفكك وحفاظا على هذا الطفل البريء من هذه الجريمة، ألحق إسلامنا الجميل الطفل لزوج الزانية حتى يضمن له حياة كريمة، وكذلك لحرمان من ادعى أنه ابنه من الزِّنَا من أن يلحق الطفل به.

فإذا اعترف الزاني بالولد من الزِّنَا وجب إقامة الحد عليه وإذا اعترفت وأقرت وجب عليها الحد، ولا يلحقه الطفل إذا كان لها زوج وإذا لم يكن لها زوج ألحق بأمه.

{ اخْتَصَمَ سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَبْدُ بنُ زَمْعَةَ في غُلَامٍ، فَقال سَعْدٌ: هذا يا رَسولَ اللهِ، ابنُ أَخِي عُتْبَةَ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَهِدَ إلَيَّ أنَّهُ ابنُهُ، انْظُرْ إلى شَبَهِهِ، وَقال عبدُ بنُ زَمْعَةَ: هذا أَخِي يا رَسولَ اللهِ، وُلِدَ علَى

[1] عن أبي هريرة وقال الألباني في صحيح ابن ماجه حسن برقم2073، وقال في صحيح الترغيب حسن لغيره برقم2350، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده ضعيف برقم8738، وقال في تخريج صحيح ابن حبان إسناده ضعيف برقم4398.
[2] والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم7468 باختلاف يسير، ومسلم في صحيحه برقم1709 واللفظ له.

فِرَاشِ أَبِي مِن وَلِيدَتِهِ، فَنَظَرَ رَسولُ اللهِ ﷺ إلى شَبَهِهِ، فَرَأي شَبَهًا بَيِّنًا بعُتْبَةَ، فَقال هو لكَ يا عَبْدُ، الوَلَدُ لِلْفِرَاشِ، وَلِلْعَاهِرِ الحَجَرُ، وَاحْتَجِبِي منه يا سَوْدَةُ بنْتَ زَمْعَةَ. قالتْ: فَلَمْ يَرَ سَوْدَةَ قَطُّ }.[1]

(كانَت عادةُ الجاهليَّة إلحاقَ النَّسبِ بالزِّنى، وكانوا يَستأجِرون الإماءَ للزِّنى فمَن اعترَفَت الأُمُّ بأنَّه له ألحَقوه به، فجاءَ الاسلامُ بإبطالِ ذلِك وبإلحاقِ الوَلَدِ بالفِراشِ الشَّرعيِّ، فلمَّا تَخاصَم عبدُ بنُ زَمْعَةَ وسَعْدَ بنُ أبي وقَّاص وقام سَعْدٌ بما عَهِدَ إليه أخوه عُتْبةُ مِن سيرة الجاهليَّة ولم يَعلَم سَعْدٌ بُطلانَ ذلِك في الإسلامِ، ولم يكُن حَصَل إلحاقُه في الجاهليَّة؛ إمَّا لِعَدَمِ الدَّعوى وإمَّا لِكَونِ الأُمِّ لَم تَعترف به لِعُتبةَ، فلمَّا كانَ عام الفَتْحِ أَخَذَ الوَلَدَ سَعدُ بنُ أبي وقَّاص، وقال هو ابنُ أخي عُتبةَ قد عَهِد إليَّ فيه أن أَستَلحِقه به، فقامَ عبدُ بنُ زَمْعَةَ فقال هو أخي وابنُ وَليدةِ أَبي، أي: جاريته، وُلِدَ على فِراشِه "فتَساوَقا"، أي: فتَدافَعا بَعدَ تَخاصُمِهما وتَنازُعِهما في الولَدِ إلى النَّبيِّ ﷺ وحَكَيا إلَيه، فقال ﷺ : هو، أي: الولَدُ، لَكَ يا عبدُ بنَ زَمْعَةَ. الولَدُ تابِع للفِراشِ، أي: لصاحِبِ الفِراشِ، زوجًا أو سيِّدًا. "وللعاهِر"، أي: الزَّاني، الحَجَرُ، أي: الخَيبةُ ولا حَقَّ له في الولَدِ، وأمَّا قولُه ﷺ : {واحْتَجِبي منه يا سَودةُ}، أي: مِن ابنِ زَمعةَ المُتنازَعِ فيه، فأمَرَها به نَدبًا واحتياطًا؛ لأنَّه في ظاهِرِ الشَّرع أخوها؛ لأنَّه أُلْحِق بأبيها لكِن لَمَّا رأي الشَّبَهَ البَيِّنَ بِعُتبةَ بنِ أبي وقَّاص خَشي أن يَكونَ مِن مائِه فيكون أجنبيًّا منها، فأمَرَها بالاحتِجابِ منه؛ احتياطًا، فما رآها حتَّى لَقي اللهَ عزَّ وجلَّ، أي: ماتَ).

وكما فعل الحبيب ﷺ في ابن الغامدية عند تطبيق الحد عليها بعد اعترافها وإقرارها أنها حبلى من الزِّنَا، فعند إقرارها ألحق بأمه.

وكما فعل مع زوجة هلال بن أمية، وعند ملاعنة هلال لها وعدم اعترافه بالولد نسب لأمه، وفي تتمة لهذا الحديث أن ابنها كان يدعى لأمه وأنه أصبح أميرا على مصر، { فقال رسول اللهِ ﷺ لولا الأيمان لكان لي ولها شأن قال عكرمة فكان بعد ذلك أميرا على مصر وما يدعى لأب }.[2]

{عن عبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العاصِ قال إنَّ النَّبيَّ ﷺ قضَى أنَّ كلَّ مُستلَحَقٍ استُلحِقَ بَعدَ أبيه الذي يُدعَى له، ادَّعاه ورَثَتُه، فقضَى أنَّ كلَّ مَن كان مِن أَمَةٍ يَملِكُها يَومَ أصابَها فقد لَحِقَ بمَنِ استَلحَقَه، وليسَ له ممَّا قُسِمَ قَبلَه مِن الميراثِ شيءٌ، وما أدرَكَ مِن ميراثٍ لم يُقسَمْ فله نَصيبُه، ولا يُلحَقُ إذا كان أبوه الذي يُدعى له

[1] عن عائشة ، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2218، ومسلم في صحيحه برقم1457 واللفظ له.
[2] عن عبد الله بن عباس وقال شعيب الأرناؤوط حسن في تخريج المسند برقم2131، وقال في تخريج سنن أبي داود صحيح برقم2256.

أنكَرَه، وإنْ كان مِن أَمَةٍ لم يَملِكْها، أو مِن حُرَّةٍ عاهَرَ بها؛ فإنَّه لا يُلحَقُ به، ولا يرِثُ، وإنْ كان الذي يُدعى له هو ادَّعاه فهو وَلَدُ زِنْيةٍ؛ مِن حُرَّةٍ كانَ، أو أَمَةٍ }.[1]

(لَمَّا جاءَ الإسلامُ حدَّد الطَّريقةَ المُثلَى لإثباتِ الأنسابِ ونَظَّم العلاقاتِ أحسنَ تَنظيمٍ، وقَضَى على العاداتِ السيِّئةِ التي كانتْ في الجاهليَّةِ.

وفي هذا الحَديثِ يقولُ عبدُ اللهِ بنُ عمرٍو رَضِي اللهُ عنهما: "إنَّ النَّبيَّ ﷺ قَضى"، أي: أمَرَ "أنَّ كلَّ مُستَلحَقٍ استُلحِقَ بعدَ أبيه الَّذي يُدْعى له ادَّعاه ورَثتُه"، والاستِلحاقُ: هو طَلَبُ الوَرثةِ أن يُلحِقوا نَسبَ ولَدِ الزِّنَى بِأبيهِم بَعْدَ موتِ أَبِيهم، "فقَضى"، أي: النَّبيُّ ﷺ "أنَّ كلَّ مَن كان مِن أمَةٍ يَملِكُها"، أي: أبوهم "يومَ أصابَها"، أي: كان يَملِكُها يومَ حمَلَت مِنه، "فقد لَحِق بمَنِ استَلحَقه"، أي: ثمَّ ادَّعاه الورَثةُ لِيُلحَقَ بهِم ويَكونَ مِنهُم فقد لَحِق بهم، "وليس له ممَّا قُسِم قبلَه مِن الميراثِ شيءٌ"، أي: وإن لُحِق بهِم بعدَ تقسيمِ الميراثِ فليسَ له شيءٌ مِن هذا الميراثِ، ولا يُقسَمُ له معَ الورَثةِ.

ثمَّ قال النَّبيُّ ﷺ : "وما أدرَك مِن مِيراثٍ لم يُقسَمْ فله نَصيبُه"، أي: إذا ألحقَه الورَثةُ بهم قبلَ تَقسيمِ الميراثِ، فله نَصيبُه، ويُقسَمُ له معَهم، "ولا يُلحَقُ"، أي: ذلك الولَدُ الَّذي يُريدُ الورَثةُ إلحاقَه بهِم، "إذا كان أبوه الَّذي يُدْعى له أنكَرَه"، أي: إذا أَنكرَه أبوهُم الذي يُنسَب له قبلَ موتِه؛ فلَيس للورَثةِ أن يَدْعوه لأبيهِم.

"وإنْ كان"، أي: الولدُ، "مِن أَمَةٍ لم يَملِكْها- كابنِ وليدةِ زَمعةَ- أو مِن حُرَّةٍ عاهَرَ بها"، أي: أو مِن حُرَّةٍ زَنَى بها، "فإنَّه لا يُلحَقُ به ولا يَرِثُ"، أي: فإنَّه لا يُلحَقُ به ولا يَرِث، بل لو استلْحَقَه الواطئُ لم يُلحَقْ به، فإنَّ الزِّنَى لا يُثبِتُ النَّسَبَ، وكذلك لا يُلحَقُ بأبيهم كلُّ ولدٍ كان مِن زِنَى بأَمَةٍ أو بحُرَّةٍ.

وقال ﷺ : "وإنْ كان الَّذي يُدْعى له هو ادَّعاه، فهو وَلَدُ زِنْيةٍ مِن حرَّةٍ كان أو أمَةٍ"، أي: ولو كان الأبُ هو الَّذي ادَّعاه أُلْحِقَ الولدُ به قَبلَ موتِه، فإنَّه كذلِك لا يُلحَقُ بالورَثةِ، وإنِ ادَّعَوْه بادِّعاءِ أبيهِم؛ "فهو ولدُ زِنيةٍ مِن حُرَّةٍ كان أو أَمَةٍ"، أي: وإنْ ثبَت نِسبتُه لأبيهم؛ إلَّا أنَّ الحائلَ في ذلك أنَّه ولد زِنَى، وقد ورَدَ عن النبيِّ ﷺ أنّه قال "الولدُ للفراشِ وللعاهرِ الحَجرُ"، أي: وللزاني الخيبةُ والحِرمانُ، ولا حقَّ له في الولدِ، والعرب تُكني عن حِرمانِ الشخصِ بقولها: له الحجرُ، وله الترابُ.

[1] قال الألباني حسن في صحيح أبي داود برقم2265، وقال في تخريج مشكاة المصابيح إسناده حسن برقم3252، وقال حسن في صحيح ابن ماجه برقم2235، وقال شعيب الأرناؤوط إسناده حسن في تخريج المسند برقم7042.

وفي رِوايةٍ: { وذلك فيما استُلحِقَ في أوَّلِ الإسلامِ"، أي: وتلك الأحكامُ لِمَن استُلحِقَ قبلَ الإسلامِ، "فما اقتُسِم مِن مالٍ قبلَ الإسلامِ فقَد مَضى"، أي: نفَذَ ولا يُرَدُّ إلى حُكمِ الإسلامِ، فإنْ لم يكُنْ أنكَره، فإنْ كان مِن أمَتِه لَحِقَه، وورِثَ منه ما لم يُقسَمْ بعدُ مِن مالِه، ولم يَرِثْ ممَّا قُسِم قبلَ الاستلحاقِ، وقد قضَى رسولُ اللهِ ﷺ بهذه الأحكامِ في أوائلِ الإسلامِ في أوَّلِ زمانِ الشريعةِ، وكان أهلُ الجاهليَّةِ لهم إماءٌ تُساعِينَ وهنَّ البغايا، وكان ساداتهنَّ يُلمُّون بهنَّ ولا يَجتنبوهنَّ، فإذا جاءتِ الواحدةُ مِنهنَّ بولدٍ وكان سيِّدها يَطؤُها وقد وطِئَها غيرُه بالزِّنَى فربَّما ادَّعاه الزاني وادَّعاه السيِّدُ، فحَكَم ﷺ بالولدِ لسيِّدها؛ لأنَّ الأمَةَ فراشٌ له كالحُرَّة، ونفاهُ عن الزَّاني }).[1]

وقد اختلف علماؤنا في نسب الولد الذي جاء من الزِّنَا، وهذا من رحمة إسلامنا الجميل وسعة فقهنا، فمنهم من راعى الستر وأجاز إلحاق من أقر بالزِّنَا والولد منه إذا كانت المرأة ليس لها زوج، ومنهم من وافق على زواج الزاني من الزانية وإلحاق الولد به، إذا لم يطبق الحد وتابا إلى الله توبة نصوحا، وقبل البينة من أربعة شهود، فإن البينة توجب إقامة الحد.

ولكنهم أجمعوا على إلحاق الطفل بالزوج إذا كان مدة الحمل ستة أشهر فأكثر، وإذا كان أقل من ذلك لحق بأمه.

(قال ابن قدامة: وأجمعوا على أنه إذا ولد على فراش رجل, فادعاه آخر. أنه لا يلحقه , وإنما الخلاف فيما إذا ولد على غير فراش، إذا لم تكن المرأة فراشا (زوجة)، وجاءت بولد من زِنَى، فادعاه الزاني، فهل ينسب إليه ؟

ذهب جمهور العلماء إلى أنه لا ينسب إليه، ونقل عن الحسن وابن سيرين وعروة والنخعي وإسحاق وسليمان بن يسار، أنه ينسب إليه.

واختار هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

ونقله ابن قدامة رحمه الله عن أبي حنيفة رحمه الله، قال: (وروى علي بن عاصم, عن أبي حنيفة, أنه قال: لا أرى بأسا إذا زنى الرجل بالمرأة فحملت منه, أن يتزوجها مع حملها, ويستر عليها, والولد ولد له) المغني 122/9

[1] من موقع درر دوت نت شرح حديث أبي داود رقم2265. Dorr.net/hadith/sharh/304482

وقال ابن مفلح رحمه الله: واختار شيخنا [ابن تيمية] أنه إن استلحق ولده من زِّنَى ولا فراش لحقه اهـ . الفروع 625/6

وقال ابن قدامة رحمه الله: (وولد الزنى لا يلحق الزاني في قول الجمهور وقال الحسن وابن سيرين: يلحق الواطئ إذا أقيم عليه الحد ويرثه. وقال إبراهيم: يلحقه إذا جلد الحد, أو ملك الموطوءة. وقال إسحاق: يلحقه. وذكر عن عروة وسليمان بن يسار نحوه).[1]

وهذا من جمال إسلامنا، فقد قال الله تعالى ﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾.[2]

وهذه الجريمة لها امتداد داخل المجتمع، فلو انتشر فيه الزِّنَا ولم تطبق الحدود، وجب على الله القدير أن يهلك هذه الأمة وسيتبدل غيرها، ويستقيم عدل الله في عباده.

فقد قال الحبيب ﷺ { ما من ذنبٍ بعد الشركِ، أعظمُ عند اللهِ من نطفةٍ وضعها رجلٌ في رَحِمٍ، لا يَحِلُّ له }.[3]

وقال ﷺ { لا تزال أمتي بخير ما لم يفش ولد الزِّنَى، فإذا فشا فيهم ولد الزِّنَى، أوشك أن يعمهم الله بعذاب }.[4]

وقال الحبيب ﷺ { إذا ظهرَ الزِّنَى والرِّبا في قَريةٍ، فقد أَحَلُّوا بأنفسِهم عذابَ اللهِ }.[5]

وقال الحبيب ﷺ { ما نقض قوم العهد إلا كان القتل بينهم، ولا ظهرت الفاحشة في قوم قط إلا سلط الله عليهم الموت، ولا مَنَع قومٌ الزكاةَ إلا حُبِس عنهم القطرُ}.[6]

---

[1] المغني لابن قدامة المقدسي ج 9 (الحدود) بتصرف قليل.

[2] سورة الأنعام الآية 164.

[3] عن الهيثم بن مالك الطائي ورواه ابن أبي الدنيا في الورع برقم137، وقال الألباني ضعيف في ضعيف الجامع برقم5173، وقال ضعيف في السلسلة الضعيفة برقم1580،

[4] عن ميمونة بنت الحارث، وقال الألباني في صحيح الترغيب حسن لغيره برقم2400، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده ضعيف برقم26830، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد صحيح أو حسن برقم6/260.

[5] عن عبد الله بن مسعود وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم679، وقال حسن لغيره في صحيح الترغيب برقم1859، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان حسن لغيره وله شاهد برقم4410.

[6] عن بريدة بن الحصيب الأسلمي وقال الألباني صحيح في صحيح الترغيب برقم3005، وقال في السلسلة الصحيحة صحيح على شرط مسلم برقم107، ورواه البزار في مسنده برقم4463.

وقال الحبيب ﷺ { يا مَعْشَرَ المهاجرينَ ! خِصالٌ خَمْسٌ إذا ابتُلِيتُمْ بهِنَّ، وأعوذُ باللهِ أن تُدْرِكُوهُنَّ : لم تَظْهَرِ الفاحشةُ في قومٍ قَطُّ ؛ حتى يُعْلِنُوا بها ؛ إلا فَشَا فيهِمُ الطاعونُ والأوجاعُ التي لم تَكُنْ مَضَتْ في أسلافِهِم الذين مَضَوْا، ولم يَنْقُصُوا المِكْيالَ والميزانَ إلَّا أُخِذُوا بالسِّنِينَ وشِدَّةِ المُؤْنَةِ، وجَوْرِ السلطانِ عليهم، ولم يَمْنَعُوا زكاةَ أموالِهم إلا مُنِعُوا القَطْرَ من السماءِ، ولولا البهائمُ لم يُمْطَرُوا، ولم يَنْقُضُوا عهدَ اللهِ وعهدَ رسولِه إلا سَلَّطَ اللهُ عليهم عَدُوَّهم من غيرِهم، فأَخَذوا بعضَ ما كان في أَيْدِيهِم، وما لم تَحْكُمْ أئمتُهم بكتابِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ويَتَخَيَّرُوا فيما أَنْزَلَ اللهُ إلا جعل اللهُ بأسَهم بينَهم }.[1]

وقد أهلك الله سبحانه وتعالى أمم قد فشى فيها الزِّنَا مثل سدوم وعمورة في أرض فلسطين وبومباي في إيطاليا، كما أن هذا العقاب ليس ببعيد عن البلاد والأمم التي تفعل فعلهم، فالله سبحانه القوي العزيز ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ٨٢ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ٨٣﴾.[2]

فإقامة الحدود على الأفراد هو العقاب الفردي لكل من سولت له نفسه، فإذا انتشر الفساد ولم يطبق فيهم الحدود عمت البلوى وجاء العقاب الجماعي للأمم والبلاد.

ثم يقول لنا ربنا الحكيم في نهاية هذه الجريمة المخزية، وهو سبحانه يريد لنا الرحمة ويمُنّ علينا بالمغفرة ويخفف عنا ويرحمنا من الذين يريدون أن تنتشر بيننا الفواحش والرذائل والدعوة إليها والمجاهرة بها، ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٦ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ٢٧ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨﴾.[3]

ويدعونا إلى التوبة فيقول سبحانه وتعالى ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾.[4]

---

[1] عن عبد الله بن عمر وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم7978، وقال حسن في صحيح ابن ماجه برقم3262، وقال في صحيح الترغيب صحيح لغيره برقم1761.

[2] سورة هود الآية 82 - 83 .

[3] سورة النساء الآية 26 – 28.

[4] سورة الزمر الآية 53.

قال ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٧٠ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ٧١ ﴾.[1]

إسلامنا الجميل وحد قذف المحصنات

وهناك جريمة مرتبطة بجريمة الزِّنَا، وهي الادعاء الكاذب بالزِّنَا، وهو رمي المحصنات الغافلات البريئات بالزِّنَا، وهي جريمة محطمة للنساء سواء كانت زوجة أم غير متزوجة، فتحطم الأسر وتشيع التشتت في المجتمع، لخطورة هذه الجريمة تعامل معها إسلامنا الجميل معاملة قوية لحفظ الأعراض المطمئنة العفيفة من ألسن هؤلاء الفاسقين الكاذبين.

فمن ادعى كذبا وزورا وقذف أحد النساء، بأنه شاهدها تفعل الزِّنَا أو ترتكب فاحشة أو سمع ولم يشاهد أنها تفعل هذه المعصية ونقل عن شاهد، فإن إسلامنا الجميل يعاقبه عقابا شديدا، فقد أمر الله سبحانه وتعالى بجلده ثمانين جلدة على رؤوس الأشهاد وألا يقبل له شهادة بعد ذلك أبدا ووصم بين الناس بالفاسق، كل ذلك لحفظ الألسنة من قول الزور والادعاء بالكذب من هؤلاء الفساق على النساء الغافلات العفيفات.

فيقول ربنا سبحانه ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾.[2]

فأوجب إسلامنا الجميل على القاذف هذا عقابا أليما وهو الجلد وعدم قبول شهادته بعد ذلك أبدا ووصم في سجل المسلمين بالفاسق ليس بعدل.

ولخطورة هذا الادعاء على الأسر والمجتمع، جعل قبوله وصحة ادعائه هو وجود أربعة شهود عدول يشهدون بأنهم رأوا هذه الجريمة ويحلفون على ذلك، وتكون شهادتهم متطابقة، فإذا اختلف الشهود وتضاربت الأقوال ضربوا بالحد في ظهورهم ولم تقبل لهم شهادة أبدا.

[1] سورة الفرقان الآية 68 – 71.
[2] سورة النور الآية 4.

وقد صعب إسلامنا الجميل هذه الشهادة للستر على الأفراد والأسر والسلامة المجتمع، فالستر أولى من إقامة الحدود، فلو شاهد أحد جريمة ما، وخاصة التي تتعرض للأعراض والشرف، واستطاع منعها ونصح ونهى من فعلها وأمرهم بالمعروف ونهاهم عن هذا المنكر بالحسنى وبالقول الصالح، وقدر على ذلك، لكان أفضل وأحسن من الفضيحة وإقامة الحد.

فالحبيب ﷺ { لا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا في الدُّنْيا، إلَّا سَتَرَهُ اللَّهُ يَومَ القِيامَةِ }.[1]

وعندما جاء الصحابي هلال بن أمية يتهم زوجته بالزّنَا أمام رسول الله ﷺ ، أمره الرسول بإحضار أربعة شهود عدول أو يقوم عليه حد القذف في ظهره، وذلك قبل نزول آية اللعان بين الزوجين.

فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال { إنَّ أوَّلَ لِعانٍ كانَ في الإسلامِ، أنَّ هلالَ بنَ أميَّةَ قذفَ شريكَ بنَ السَّحماءِ بامرأتِهِ، فأتى النَّبيَّ ﷺ فأخبرَهُ بذلِكَ فقال لَه النَّبيُّ ﷺ أربعةَ شُهَداءَ وإلَّا فحدٌّ في ظَهْرِكَ يردِّدُ ذلِكَ مِرارًا، فقال لَه هلالٌ : واللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ ليعلَمُ أنِّي صادقٌ ولَيُنْزِلَنَّ اللَّهُ عزَّ وجلَّ عليكَ ما يبريء ظَهْري منَ الجَلدِ، فبينما هُم كذلِكَ إذ نزلَت عليهِ آيةُ اللِّعانِ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ إلى آخر الآيةِ [النور: 6] }.[2]

وفي رواية آخرى { أنَّ هِلالَ بنَ أُمَيَّةَ، قَذَفَ امْرَأَتَهُ عِنْدَ النبيِّ ﷺ بشَرِيكِ ابْنِ سَحْماءَ، فقال النبيُّ ﷺ : البَيِّنَةَ أوْ حَدٌّ في ظَهْرِكَ، فقال يا رَسولَ اللَّهِ، إذا رَأي أحَدُنا علَى امْرَأَتِهِ رَجُلًا يَنْطَلِقُ يَلْتَمِسُ البَيِّنَةَ، فَجَعَلَ النبيُّ ﷺ يقولُ: البَيِّنَةَ وإلَّا حَدٌّ في ظَهْرِكَ فقال هِلالٌ: والذي بَعَثَكَ بالحَقِّ إنِّي لَصادِقٌ، فَلَيُنْزِلَنَّ اللَّهُ ما يُبَرِّئُ ظَهْرِي مِنَ الحَدِّ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ وأَنْزَلَ عليه: ﴿ والذينَ يَرْمُونَ أزْواجَهُمْ ﴾ فَقَرَأَ حتَّى بَلَغَ: ﴿ إنْ كانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ }.[3]

وأقام الله سبحانه وتعالى وطبق رسوله ﷺ حد القذف على من ادعوا كذبا وبهتانا على السيدة العفيفة الطاهرة المبرأة من فوق سبع سماوات من قِبل الله العدل الحق السيدة أم المؤمنين عائشة زوجة الحبيب ﷺ ورضي الله عنها وعن أبيها الصديقة بنت الصديق.

[1] عن أبي هريرة وأخرجه مسلم في صحيحه برقم2590، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند صحيح برقم9248.
[2] قال الألباني صحيح في صحيح النسائي برقم3469 واللفظ له، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان صحيح برقم4451، وقال في تخريج مشكل الآثار صحيح برقم5148.
[3] عن عبد الله بن عباس وأخرجه البخاري في صحيحه برقم4747، وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم2254.

وقد قال الله سبحانه تبرئة لها في قرآنه العظيم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ١٢ لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٣﴾.[1]

وبذلك ستر إسلامنا الجميل الأعراض وحافظ على الأسر وأمن المجتمع من هذه الجريمة الشنعاء، إما بإقامة الحدود الرادعة على من تعدوا وارتكبوا هذه الجريمة، أو بالجلد على من ادعى كذبا وبهتانا على البريئات أو بالستر والنصح والنهي عن المنكر والأمر بالمعروف.

إسلامنا الجميل وحد شارب الخمر

إسلامنا الجميل حافظ على العقل الذي هو المخاطب بالتكليف وبه يُعرف الدين والشرائع وتقام به الأحكام والحدود، فلو ذهب العقل لعطل كل شيء في الشريعة، فغير العاقل غير مكلف في ديننا الجميل، ولا يؤاخذ بما يفعل.

ولذا عاقب إسلامنا الجميل كل من يحاول أن يغيبه أو يتلفه أو يلهيه بالباطل، فقد جاء إسلامنا ليحافظ على خمسة مقاصد تقام بهم الحياة وتستقر، فحافظ على الدين والنفس والمال والعرض (النسل) والعقل.

ولما كان الخمر جزءا لا يتجزأ من حياة العالم ومعظم شعوبه تتجرعه، وكانت العرب تعتاده ومنتشر بينهم، فجاء إسلامنا ليحرمه خطوة خطوة لخطورته على العقل والمجتمع.

فجاء أول التحريم بسؤال هل الخمر فيه فائدة تعود على الفرد والمجتمع؟، فكان رد إسلامنا الجميل ردً جميلً يلمح إلى خطورة الخمر وإثمه الكبير، فقال تعالى ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ ﴾.[2]

ففهم أولو الألباب إثمه فامتنع بعضهم عنه، ثم وقع بعض الصحابة في خطأ كبير فصلى وهو مخمور فأخطأ في قراءة القرآن، فجاء ثاني التحريم بأمر الله ألا يقربوا الصلاة وهم سكارى، فامتنع أصحاب القلوب

[1] سورة النور الآية 11 – 13.
[2] سورة البقرة الآية 219.

التقية النقية عن شربه بعد قول الله سبحانه وتعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾.[1]

حتى أنزل الله حكما شافيا في تحريم الخمر، بعد أن استقر الإيمان في قلوبهم وقويت عقيدتهم وتهيأ المجتمع لتطبيق كل حدود الله وأحكامه، فجاء التحريم الثالث والاخير بنزول آية التحريم فقال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَـٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَـٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١ ﴾.[2]

فقال الصحابة رضوان الله عليهم جميعا انتهينا يارب.

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه { أَنَّهُ قال اللَّهمَّ بيّن لَنا في الخَمرِ بيانَ شفاءٍ، فنزلتِ الَّتي في البقرةِ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ الآيةَ، فدُعِيَ عمرُ فقرئت علَيهِ قال اللَّهمَّ بيّن لَنا في الخمرِ بيانَ شفاءٍ، فنزلتِ الَّتي في النِّساءِ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى، فدُعِيَ عمرُ فقُرِئَت علَيهِ، ثمَّ قال اللَّهمَّ بيّنْ لَنا في الخمرِ بيانَ شفاءٍ، فنزلتِ الَّتي في المائدةِ: إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ إلى قولِهِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ فدُعِيَ عمرُ فقُرِئَت علَيهِ فقال انتَهَينا انتَهَينا }.[3]

والتدرج جاء لأن الجسم والعقل مشبع بسموم تؤثر على العقل تأثيرا كبيرا، فبالتدرج يستطيع الجسم التخلص من سموم الخمر وتأثيرها على العقل ويشفى بإذن الله من هذا البلاء ويتخلص من عادة الإدمان القاتلة، ويعود عقله سليما معافى قادرا على التحكم في جسمه وقوته، فيعود على نفسه وأسرته المنكوبة ومجتمعه المصاب بالنفع والخير.

وقد حد رسول الله ﷺ شارب الخمر أربعين جلدة علنا، ثم في خلافة عمر زادها إلى ثمانين جلدة، بعدما دخلت أمم الإسلام وكانوا معتادين على شرب الخمر ولم يرتدعوا بأربعين جلدة فزادها إلى ثمانين جلدة وأقره الصحابة على ذلك، فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال { أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ جَلَدَ في الخَمْرِ

[1] سورة النساء الآية 43.

[2] سورة المائدة الآية 90 - 91.

[3] عن عمر بن الخطاب، وقال الألباني صحيح في صحيح الترمذي برقم3049 زاللفظ له، وقال صحيح في صحيح أبي داود برقم3670، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح برقم378.

بالجَرِيدِ، وَالنِّعَالِ، ثُمَّ جَلَدَ أَبُو بَكْرٍ أَرْبَعِينَ، فَلَمَّا كانَ عُمَرُ، وَدَنَا النَّاسُ مِنَ الرِّيفِ وَالْقُرَى، قال ما تَرَوْنَ في جَلْدِ الخَمْرِ؟ فَقال عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ: أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا كَأَخَفِّ الحُدُودِ، قال فَجَلَدَ عُمَرُ ثَمَانِينَ. وفي رواية: عن أَنَسٍ، أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يَضْرِبُ في الخَمْرِ بالنِّعَالِ وَالْجَرِيدِ أَرْبَعِينَ }.[1]

لأن النبي ﷺ عندما حد شارب الخمر لم يأمر الصحابة بعدد محدد ولكن عده الصحابة فكانت أربعين، لحديث أبو هريرة رضي الله عنه قال { أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أُتِي برجُلٍ قد شربَ، فقال اضربوه، فقال أبو هُرَيرةَ: فمنَّا الضاربُ بيَدِه، والضاربُ بنَعلِه، والضاربُ بثَوبِه، فلمَّا انصَرفَ قال بعضُ القومِ: أخزاكَ اللهُ! فقال رسولُ اللهِ ﷺ : لا تقولوا هكذا، لا تُعينوا عليه الشيطانَ. قال فيه بعدَ الضربِ: ثم قال رسولُ اللهِ ﷺ لأصحابِه: بَكِّتوه، فأقبَلوا عليه يقولونَ: أمَا اتَّقَيتَ اللهَ، ما خَشِيتَ اللهَ، وما استَحيَيْتَ من رسولِ اللهِ ﷺ ، ثم أرسَلوه، وقال في آخره: ولكنْ قولوا: اللهُمَّ اغفِرْ له، اللهُمَّ ارحَمْه، وبعضُهم يزيدُ الكلمةَ ونحوَها }.[2]

ومن التدرج في تحريم الخمر، يدلنا إسلامنا الجميل في علاج الإدمان من المسكرات والمخدرات، فبعد تطبيق الحد عليه علنا، يعزل ويعالج بالتدرج لأن عقله ودمه مشبع بتأثير السموم في عقله، فيبدأ بما يعادله من تأثير ثم يتدرج بالتقليل حتى يشفى جسمه ويتخلص من كل سمومه في دمه وعقله.

وعلى الدولة والحاكم والمجتمع كله التكاتف لعلاج هذه المشكلة، وكل له دوره، فالدولة بقوتها وقدرتها تمنع صناعة وتجارة المسكرات والمخدرات، وتعين أصحاب المصانع والمتاجر على تحويل هذه الصناعة والتجارة إلى آخرى تدرعليهم مكسبا حلالا، والحاكم بقدرته على تطبيق الحدود والتعازير على من يرتكبها، والمجتمع بتكافله مع الدولة في إقامة المصحات والمستشفيات ودور الرعاية والعلاج لأصحاب هذا البلاء.

إسلامنا الجميل والقصاص والديات

إن من أهم مهام إسلامنا الجميل الحفاظ على المجتمع وإقامة العدل فيه وتحقيق الأمن والإطمئنان، وحفظ النفس البشرية من أهم مقاصد ديننا الجميل، ولذا حماها وصانها من القتل أو التهديد بالقتل، فحرم قتلها إلا بالحق، وسن شرائع في القرآن والسنة لحمايتها وصيانتها، فأوجب القصاص على من ارتكب جريمة القتل ظلما وعدوانا، بل أوجب القصاص في كل جزء من الجسم، العين بالعين والأنف بالأنف

[1] والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6773، ومسلم في صحيحه برقم1706.
[2] أخرجه البخاري في صحيحه برقم6777، قال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم4478 واللفظ له، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان صحيح برقم5730.

والجروح قصاص، وهذا من تمام عدل إسلامنا الجميل، فكل من سولت له نفسه بالقتل أو بالاعتداء على النفس يجد القصاص العادل الرادع في انتظاره.

ومن مبدأ حفظ النفس عجل إسلامنا الجميل بإقامة الحد وتحقيق القصاص، ولم يجعل للقاتل سجنا لمدد تطول أو تقصر يجد فيها راحة ورعاية، ويجد أهل القتيل العذاب والألم، فينشأ الحقد والغل في النفوس، فالقاتل مرتاح بحجة قضاء مدة سجنه، وأهل القاتل يعانون العار والذل، وقد لا تتم راحتهم إلا بالانتقام من أهل القاتل في قتل أحد أقاربه، أو انتظار قاتلهم حتى يخرج، وهكذا ينشأ مبدأ الثأر والثأر المقابل وهكذا، فتستبيح الدماء ويشيع الخوف ويضيع الأمان والأمن في المجتمع.

ولذا أوجب إسلامنا الجميل إقامة القصاص من ولي الأمر وهو الحاكم أو من يفوضه، ليسود الأمن والأمان في المجتمع المسلم.

وقتل النفس هي من أعظم الجرائم في البشرية كلها، وأول جريمة ارتكبت في الأرض، فقد قتل قابيل أخاه هابيل وكان عدد البشر حينئذ ستة أشخاص فقط، وهم أدم عليه السلام أبو البشر وزوجته حواء أم البشر وقابيل وأخته وهابيل وأخته، وبذلك يكون قابيل قتل ثلث رجال العالم وسدس سكان العالم كله.

فيقص علينا ربنا سبحانه قصة أول جريمة قتل في البشرية في قرآنه الكريم ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّۘ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِۚ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١ ﴾.[1]

ولذا قال الحبيب ﷺ { لا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا، إِلَّا كانَ علَى ابْنِ آدَمَ الأوَّلِ كِفْلٌ مِن دَمِها، لأنَّهُ أوَّلُ مَن سَنَّ القَتْلَ }.[2]

فيقول سبحانه وتعالى في قرآنه الكريم ﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴾.[1]

[1] سورة المائدة الآية 27 – 31.
[2] عن عبد الله بن مسعود والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم3335، ومسلم في صحيحه برقم1677.

ويقول سبحانه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.[2]

ويقول سبحانه ﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنًا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ﴾.[3]

ويقول سبحانه ﴿ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَـٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَـٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾.[4]

ويقول ربنا سبحانه ﴿ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَـٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ﴾.[5]

وهذه الجريمة لعظم حرمتها تكون أول ما يقضي الله بين الناس يوم القيامة، بين يدى العادل المنتقم، فيقول الحبيب ﷺ { أوَّلُ ما يُقْضَى بيْنَ النَّاسِ يَومَ القِيامَةِ في الدِّماءِ. [وفي رواية]:يُحْكَمُ بيْنَ النَّاسِ }.[6]

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال الحبيب ﷺ { لزوالُ الدنيا أهونُ على اللهِ مِنْ قتلِ رجلٍ مسلمٍ }.[7]

ويؤكدها رواية عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال { لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ }.[8]

وفي رواية آخرى يقسم الحبيب ﷺ { والَّذي نفسي بيدِهِ لقَتلُ مؤمنٍ أعظمُ عندَ اللَّهِ من زوالِ الدُّنيا }.[9]

---

[1] سورة النساء الآية 29.
[2] سورة آل عمران الآية 21.
[3] سورة النساء الآية 93.
[4] سورة الأنعام الآية 151.
[5] سورة الإسراء الآية 33.
[6] عن عبد الله بن مسعود والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6533، ومسلم في صحيحه برقم1678 واللفظ له.
[7] قال اللباني صحيح في صحيح الجامع برقم5077.
[8] عن عبد الله بن عمرو وقال الألباني صحيح في صحيح النسائي برقم3998، وقال صحيح في صحيح الترمذي برقم1395، وقال البخاري في العلل الكبير أنه ليس من كلام النبي ﷺ ولكن الصحيح عن عبد الله موقوفا برقم219.
[9] عن عبد الله بن عمرو وقال الألباني صحيح في صحيح النسائي برقم3997، ورواه الطبراني برقم14256/416،13.

ولو اشترك في قتل النفس أهل الأرض جميعا لنالوا عذاب الله المنتقم، قال الحبيب ﷺ { لو أنَّ أَهلَ السَّماءِ وأَهلَ الأرضِ اشترَكوا في دمِ مؤمنٍ لأَكبَّهمُ اللَّهُ في النَّارِ}.[1]

ويقول سبحانه ﴿ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ ﴾.[2]

(وَقال ابْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ سَلَامِ بْنِ مِسْكِينٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ الرِّبْعِي قال قُلْتُ لِلْحَسَنِ: هَذِهِ الْآيَةُ لَنَا يَا أَبَا سَعِيدٍ، كَمَا كَانَتْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ؟ فَقال إِي وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، كَمَا كَانَتْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ. وَمَا جُعِلَ دِمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْ دِمَائِنَا).[3]

وحرمة دم المسلم أعظم حرمة من الكعبة المشرفة، بيت الله الحرام، فقد روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال { رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يطوفُ بالكعبةِ وهوَ يقولُ ما أطيبَكِ وأطيبَ ريحَكِ ما أعظمَكِ وأعظمَ حُرمتَكِ والذي نفسُ محمدٍ بيدِهِ لحرمةُ المؤمنِ أعظمُ عندَ اللَّهِ حرمةً منكِ مالُهُ ودمُهُ وأن يُظنَّ بهِ إلا خيرًا }.[4]

وفي رواية آخرى عنه { نظَرَ ابنُ عُمَرَ يومًا إلى الكَعبةِ، فقال ما أعظَمَكِ، وأعظَمَ حُرمَتَكِ! والمُؤمنُ أعظَمُ عندَ اللهِ حُرمةً منكِ }.[5]

وفي رواية آخرى { ما أَعْظَمَكِ، وأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ ! وَلَلْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عندَ اللهِ مِنْكِ، إِنَّ اللهَ حَرَّمَ مِنْكِ واحدةً، وحَرَّمَ مِنَ المُؤْمِنِ ثَلاثًا : دَمَهُ، ومالهُ، وأنْ يُظَنَّ بهِ ظَنَّ السَّوْءِ }.[6]

وقتل المسلم من أعظم الكبائر عن الله سبحانه، لأن الله سبحانه خلقه بيديه الكريمتين، وأسجد له الملائكة، وجعله خليفته في الآض.

روى أنس بن مالك رضي الله عنه { سُئِلَ النبيُّ ﷺ عَنِ الكَبَائِرِ، قال الإشْرَاكُ باللَّهِ، وعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وقَتْلُ النَّفْسِ، وشَهَادَةُ الزُّورِ}.[1]

---

[1] عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري وقال الألباني صحيح في صحيح الترمذي برقم1398، وقال صحيح لغيره في صحيح الترغيب برقم2442، وقال صحيح في تخريج مشكاة المصابيح برقم3396.

[2] سورة المائدة الآية 32.

[3] تفسير ابن كثير الأية 32 من سورة المائدة.

[4] قال الألباني ضعيف في ضعيف ابن ماجة برقم785 ثم تراجع الشيخ وأورده في السلسلة الصحيحة برقم3420، وفي صحيح الترغيب برقم2441، ورواه الطبراني في مسند الشاميين برقم1568.

[5] قال شعيب الأرناؤوط في تخريج شرح السنة إسناده حسن وله شواهد برقم3526، وقال الألباني في غاية المرام حسن برقم435.

[6] عن عبد الله بن عباس وقال الألباني في السلسلة الصحيحة إسناده حسن رجاله ثقات برقم3420.

وقال الحبيب ﷺ { اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقاتِ، قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ وما هُنَّ؟ قال الشِّرْكُ باللَّهِ، والسِّحْرُ، وقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ اللَّهُ إلَّا بالحَقِّ، وأَكْلُ الرِّبا، وأَكْلُ مالِ اليَتِيمِ، والتَّوَلِّي يَومَ الزَّحْفِ، وقَذْفُ المُحْصَناتِ المُؤْمِناتِ الغافِلاتِ }.[2]

ولا يحل قتلها إلا بثلاث، وذلك تصديقا لقول الحبيب ﷺ { لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وأَنِّي رَسولُ اللَّهِ، إلَّا بإحْدَى ثَلاثٍ: النَّفْسُ بالنَّفْسِ، والثَّيِّبُ الزَّانِي، والمارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَماعَةِ }.[3]

ويحدثنا الحبيب ﷺ عن المسلم المسالم الذي في بحبوحة في دينه وسلام في نفسه وروحه، ما لم يرتكب جريمة القتل، فإن ارتكبها انهارت نفسه وفسدت روحه وتبدلت أحواله من الإطمئنان والهدوء والراحة إلى القلق والحزن والهم، فقال ﷺ في هذا الحديث الشامل { كلُّ ذنبٍ عسَى اللهُ أنْ يَغفِرَهُ، إلَّا مَن مات مُشْرِكًا، أوْ مُؤْمِنٌ قَتَل مؤمِنًا مُتعمِّدًا. وعن عُبَادةَ بنِ الصَّامِتِ، عن رسولِ اللهِ ﷺ أنَّه قال مَن قَتَل مُؤْمِنًا فاغتَبَطَ بقَتْلِهِ لم يَقْبَلِ اللهُ منه صَرْفًا ولا عَدْلًا. وعن أبي الدَّرْداءِ، عن رسولِ اللهِ ﷺ أنَّه قال لا يَزالُ المُؤْمِنُ مُعْنِقًا صالِحًا ما لَمْ يُصِبْ دمًا حرامًا، فإذا أَصابَ دمًا حرامًا بَلَّحَ }.[4]

ومعنى "لا يَزالُ المؤمِنُ مُعْنِقًا"، أي: العَنَقُ نوْعٌ من السَّيْرِ؛ فهو يكونُ سَريعًا في طاعَةِ اللهِ واجتِنابِ نواهِيهِ، والقيامِ بالفَرائضِ، و"بَلَّحَ"؛ ضعُفَ وانقطَعَ فلم يستطِعِ المشْيَ؛ فالإنسانُ إذا لم يفعَلْ هذه الكبيرَةَ- وهي قتْلُ النَّفْسِ بغيْرِ حقٍّ- فإنَّه يَكونُ سريعًا في طاعَةِ اللهِ، فإذا ارتكَبَ هذه الكبيرَةَ ضعُفَ وتعِبَ.

ويقول الحبيب ﷺ { لَنْ يَزَالَ المُؤْمِنُ في فُسْحَةٍ مِن دِينِهِ، ما لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا }.[5]

ولحرمة دم المسلم جعل إسلامنا الجميل قتال المسلم للمسلم أشد حرمة، فجعل القاتل والمقتول في النار.

قال ﷺ { إذَا التَقَى المُسْلِمَانِ بسَيْفَيْهِما فَالقَاتِلُ والمَقْتُولُ في النَّارِ، فَقُلتُ يا رَسولَ اللَّهِ هذا القَاتِلُ فَما بَالُ المَقْتُولِ قال إنَّه كانَ حَرِيصًا علَى قَتْلِ صَاحِبِهِ }.[1]

---

[1] عن أنس بن مالك والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2653، ومسلم في صحيحه برقم88.
[2] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2766، ومسلم في صحيحه برقم89.
[3] عن عبد الله بن مسعود والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6878، ومسلم في صحيحه برقم1676.
[4] عن أبي الدرداء وعبادة بن الصامت،وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم4270، وقال صحيح في صحيح الجامع برقم7693، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج شرح السنة إسناده صحيح برقم10/149.
[5] عن عبد الله بن عمر وأخرجه البخاري في صحيحه برقم6862، وقال الألباني صحيح في غاية المرام برقم440 بلفظ لا يزال.

ويحذر من حمل السلاح في وجه المسلم فيقول الحبيب ﷺ { مَن حَمَلَ علَيْنا السِّلاحَ فليسَ مِنَّا }.[2]

ويقول الحبيب ﷺ { يَجيءُ الرَّجلُ آخذًا بيدِ الرَّجلِ، فيقولُ : ياربِّ هذا قتلني، فيقولُ اللهُ له : لم قتلتَه ؟ فيقولُ : قتلتُه لتكونَ العزَّةُ لك . فيقول إنِّي لها ويَجيءُ الرَّجلُ آخذًا بيدِ الرَّجلِ يقولُ : إنَّ هذا قتلني ؟ فيقولُ اللهُ له : لم قتلتَه ؟ فيقولُ : لتكونَ العزَّةُ لفلانٍ، فيقولُ : إنَّها ليست لفلانٍ، فيبوءُ بإثمِه }.[3]

ويحذرنا الرسول الحبيب ﷺ من قتل الناس على الهوية، فهي نفس بشرية، فلا تعلم ما في نفسه، فالله سبحانه هو العليم به وبما في قلبه ومثال على ذلك { بعَث رسولُ اللهِ ﷺ سريَّةً فغارَتْ على قومٍ فشدَّ مِن القومِ رجُلٌ واتَّبَعه رجُلٌ مِن السَّريَّةِ ومعه السَّيفُ شاهِرُه فقال : إنِّي مُسلِمٌ فلَمْ ينظُرْ فيما قال فضرَبه فقتَله قال : فنُمِيَ الحديثُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال فيه قولًا شديدًا [فبلَغ القاتلَ، قال] : فبيْنَما رسولُ اللهِ ﷺ يخطُبُ إذ قال القاتلُ: يا رسولَ اللهِ واللهِ ما قال الَّذي قال إلَّا تعوُّذًا مِن القتلِ فأعرَض عنه رسولُ اللهِ ﷺ وعمَّن قِبَلَه مِن النَّاسِ [وأخَذ في خُطبتِه قال: ثمَّ عاد فقال : يا رسولَ اللهِ ما قال الَّذي قال إلَّا تعوُّذًا مِن القتلِ فأعرَض عنه رسولُ اللهِ ﷺ وعمَّن قِبَلَه مِن النَّاسِ] فلَمْ يصبِرْ أنْ قال الثَّالثةَ فأقبَل عليه تُعرَفُ المَسَاءَةُ في وجهِه فقال : { إنَّ اللهَ حرَّم علَيَّ أنْ أقتُلَ مؤمنًا } - ثلاثَ مرَّاتٍ -}.[4]

وفي رواية آخرى { بَعَثَنَا رَسولُ اللَّهِ ﷺ إلى الحُرَقَةِ مِن جُهَيْنَةَ، قال فَصَبَّحْنَا القَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ، قال ولَحِقْتُ أنَا ورَجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ رَجُلًا منهمْ، قال فَلَمَّا غَشِينَاهُ قال لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، قال فَكَفَّ عنْه الأنْصَارِيُّ، فَطَعَنْتُهُ برُمْحِي حتَّى قَتَلْتُهُ، قال فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ ذلكَ النبيَّ ﷺ ، قال فَقال لِي: يا أُسَامَةُ، أقَتَلْتَهُ بَعْدَ ما قال لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ قال قُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنَّما كانَ مُتَعَوِّذًا، قال أقَتَلْتَهُ بَعْدَ ما قال لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ قال فَما زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ، حتَّى تَمَنَّيْتُ أنِّي لَمْ أكُنْ أسْلَمْتُ قَبْلَ ذلكَ اليَومِ }.[5]

---

[1] عن أبي بكرة نفيع بن الحارث والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم31، ومسلم في صحيحه برقم2888.

[2] عن عبد الله بن عمر والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6874، ومسلم في صحيحه برقم98.

[3] عن عبد الله بن مسعود وقال الألباني صحيح في صحيح النسائي برقم4008، وقال في السلسلة الصحيحة إسناده صحيح على شرط الشيخين برقم2698، وقال أحمد شاكر في عمدة التفاسير إسناده صحيح برقم1/553.

[4] عن عقبة بن نافع وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده صحيح برقم5972، وقال في تخريج المسند إسناده صحيح إن كان بشر بن عاصم هو الذى وثقه النسائي وإلا كان الإسناد حسن برقم22490.

[5] عن أسامة بن زيد والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6872، ومسلم في صحيحه برقم96.

وفي رواية في صحيح مسلم { فقال رَسولُ اللهِ ﷺ : أقال لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وقَتَلْتَهُ؟ قال قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، إنَّما قالها خَوْفًا مِنَ السِّلاحِ، قال أفَلا شَقَقْتَ عن قَلْبِهِ حتَّى تَعْلَمَ أقالها أمْ لا؟ فَما زالَ يُكَرِّرُها عَلَيَّ حتَّى تَمَنَّيْتُ أنِّي أسْلَمْتُ يَومَئِذٍ }.[1]

ولعظم هذه الجريمة وتأثيرها على البشرية لأنها من أشد المصائب على النفس وأكثرها تأثيرا على الأجناس والأمم، أنزل الله سبحانه وتعالى من فوق سبع سماوات أحكامه فيها ولم يدعها لآراء البشر وأهوائهم، وفي إسلامنا الجميل كل تفاصيل أحكام هذه الجريمة الشنعاء، حتى يسود العدل بين الناس والمجتمعات والأمم، ويعلم كل من تحدثه نفسه بالقتل أو إحداث أي ألم أو جرح بأن هناك قصاصا عادلا وحكيما سوف يقتص منه بمثل فعله.

ولا يوجد في إسلامنا الجميل سجن يجلس فيه مرتكب هذه الجريمة النكراء مرتاح البال وأهل القتيل لا ينامون قهرا وظلما، بحجة أنه لايجوز قتل النفس ويجب الحفاظ عليها، وأن إزهاق النفس فيه قسوة ووحشية، كما يدعي أصحاب المدنية الكاذبة، فهذا التهاون هو من سمح للقتلة والسفاحين بزيادة إراقة الدماء لأمنهم على أنفسهم وأنهم مهما قتلوا فلن يقتلوا.

فأين حق اليتامى ومن يرعاهم بعد والدهم القتيل، وحق الأم المكلومة في موت فلذة كبدها، وأين حق الزوجة في فقد سندها وحبيبها، وأين حق الأخوة والأخوات في هلاك أخوهم، فيما ينعم القاتل بالحياة ويتألم غيره بفقد الحياة.

لهذا ففي إسلامنا الجميل الردع الكافي والمنع الأكيد لكل هذه الجرائم في المجتمع المسلم، فالله سبحانه الذي يعلم النفوس وهو خالقها ويعلم ما يقومها ويردعها، وينشر عدله ورحمته بين عباده، سبحانه هو من تولى أحكام وتفاصيل هذه الجريمة في قرآنه الكريم وسنة نبيه ﷺ .

فقال سبحانه في قرآنه ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ

[1] عن أسامة بن زيد وأخرجه مسلم في صحيحه برقم96.

وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾.[1]

وفصل سبحانه القصاص أكثر فقال سبحانه ﴿ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾.[2]

وفصَّل سبحانه وتعالى أكثر وأكثر في القتل خطأ فقال سبحانه ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗاۚ وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـٔٗا فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ فَإِن كَانَ مِن قَوۡمٍ عَدُوّٖ لَّكُمۡ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٩٢ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ٩٣﴾.[3]

والنفس التي حرم الله هي نفس المسلم ونفس المعاهد والذمي والمستأمن، فليس هناك فرق بين النفوس لعموم الآية النفس بالنفس، رجل أم امرأة، حر أو عبد، فالكل سواء.

والمعاهد هو كل من عاهد المسلمين سواء كان مسلما أو من أهل الكتاب أو كافرا.

والذمي هو من غير المسلمين وقبل أن يعيش وسط المسلمين وفي بلادهم على أن يدفع الجزية أو (الضريبة) الآن، والمسلمون مسؤولون عن حمايته وإقامته.

فقد قال الحبيب ﷺ { مَن قتلَ عبدَه قتَلناهُ، ومَن جدَّعَ عبدَه جدَّعناهُ، ومَن أخصَى عبدَه أخصَيناهُ }.[4]

ويقول الحبيب ﷺ { مَن قَتَلَ مُعاهَدًا لَمْ يَرِحْ رائِحَةَ الجَنَّةِ، وإنَّ رِيحَها تُوجَدُ مِن مَسِيرَةِ أرْبَعِينَ عامًا }.[5]

---

[1] سورة البقرة الآية 178 – 179.

[2] سورة المائدة الآية 45.

[3] سورة النساء الآية 92 – 93.

[4] عن سمرة بن جندب وقال الألباني إسناده ضعيف في تخريج مشكاة المصابيح برقم3404، وقال ضعيف في ضعيف النسائي برقم4750، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج شرح السنة فيه موصوف بالتدليس وقد عنعن برقم2533، وقال البخاري في العلل الكبرى كان علي بن المديني يقول بهذا الحديث وأنا أذهب إليه برقم223.

[5] عن عبد الله بن عمرو وأخرجه البخاري في صحيحه برقم3166، وقال الألباني صحيح في صحيح ابن ماجه برقم2192.

ومن أجل أهمية هذا الحديث الجميل فقد رواه أكثر من صحابي وهم عبد الله بن عمرو وأبو هريرة وأبو بكرة نفيع بن الحارث ورجل من الصحابة لم يسم وكلها صحيحة، ورضي الله عنهم أجمعين.

وفي رواية آخرى { ألا مَن ظلمَ مُعاهدًا، أوِ انتقصَهُ، أو كلَّفَهُ فوقَ طاقتِهِ، أو أخذَ منهُ شيئًا بغَيرِ طيبِ نفسٍ، فأَنا حَجيجُهُ يومَ القيامةِ }.[1]

ويقول ربنا سبحانه { وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا }.[2]

ويقتل الرجل إذا قتل امرأة، فهي نفس حرم الله قتلها، فقد قال الحبيب ﷺ { وإنَّ الرَّجُلَ يُقتَلُ بالمرأةِ }.[3]

وحرمة النفس مهما كانت، فهي نفس بشرية لا فرق بينها في الدين واللون والجنس، فهي نفس حرمها الله سبحانه وتعالى.

وإسلامنا الجميل فرق بين أنواع القتل، فليست كلها سواء، لكل منها حكم عادل حكيم من رب العالمين ومن رسوله ﷺ .

فالقتل العمد غير القتل شبه العمد غير القتل الخطأ، وهم أقسام القتل.

في هذا الحديث الشامل الكامل الذي يتحدث عن أنواع القتل، من القتل العمد والغير العمد والخطأ وديات، كل منها ومن يدفعها، فقد روى عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال { مَن قتَلَ مؤمنًا مُتعمِّدًا فإنَّه يُدفَعُ إلى أَولياءِ القتيلِ، فإنْ شاؤوا قتَلوا، وإنْ شاؤوا أخَذوا الدِّيَةَ، وهي ثلاثونَ حِقَّةً وثلاثونَ جَذَعةً وأربعونَ خَلِفةً، فذلك عَقلُ العَمدِ، وما صالَحوا عليه مِن شيءٍ فهو لهم، وذلك شديدُ العَقلِ، وعَقلُ شِبهِ العَمدِ مُغلَّظةٌ مِثلُ عَقلِ العَمدِ، ولا يُقتَلُ صاحبُه؛ وذلك أنْ ينزَغَ الشَّيطانُ بينَ النَّاسِ، فتكونَ دِماءٌ في غيرِ ضَغينةٍ، ولا حَملِ سِلاحٍ؛ فإنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال -يعني- مَن حمَلَ علينا السِّلاحَ فليس منَّا، ولا رصَدَ بطَريقٍ، فمَن قُتِلَ على غيرِ ذلك، فهو شِبهُ العَمدِ، وعَقلُه مُغلَّظةٌ، ولا يُقتَلُ صاحبُه، وهو بالشَّهرِ الحرامِ، ولِلحُرمةِ ولِلجارِ، ومَن قُتِلَ خطأً فديَتُه مِئةٌ مِن الإبلِ: ثلاثونَ ابنةُ مَخاضٍ، وثلاثونَ ابنةُ لَبونٍ، وثلاثونَ حِقَّةٌ، وعشْرةُ بَكارةٍ بني لَبونٍ ذُكورٍ. قال وكان رسولُ اللهِ ﷺ يُقيمُها على أهلِ القُرى أربعَ مِئةِ دينارٍ، أو عَدلَها مِن الوَرِقِ، وكان يُقيمُها

[1] عن عدة من أبناء أصحاب النبي، وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم3052، وقال حسن في صحيح الترغيب برقم3006، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج شرح السنة إسناده قوي برقم11/180.

[2] سورة النحل الآية 91.

[3] عن عمرو بن حزم، قال أبو زرعة الرازي في السنن الكبرى للبيهقي موصول الإسناد حسنا برقم4/89، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده ضعيف وله شاهد لمعظم ما جاء فيه برقم6559.

على أثمانِ الإبلِ، فإذا غلَتْ، رفَعَ في قيمتِها، وإذا هانتْ، نَقَصَ مِن قيمتِها، على عَهدِ الزَّمانِ ما كان، فبلَغَتْ على عَهدِ رسولِ اللهِ ﷺ ما بينَ أربعِ مِئةِ دينارٍ إلى ثمانِ مِئةِ دينارٍ، وعَدلُها مِن الوَرِقِ ثمانيةُ آلافِ درهمٍ، وقَضى أنَّ مَن كان عَقلُه على أهلِ البقرِ، في البقرِ مِئتَيْ بقرةٍ، وقَضى أنَّ مَن كان عَقلُه على أهلِ الشَّاءِ، فألْفَيْ شاةٍ، وقَضى في الأَنفِ إذا جُدِعَ كلُّه، بالعَقلِ كاملًا، وإذا جُدِعَتْ أَرنَبتُه، فنِصفُ العَقلِ، وقَضى في العَينِ نِصفَ العَقلِ، خمسينَ مِن الإبلِ، أو عَدلَها ذهبًا أو وَرِقًا، أو مِئةَ بقرةٍ، أو ألْفَ شاةٍ، والرِّجْلُ نِصفُ العَقلِ، واليدُ نِصفُ العَقلِ، والمَأمومةُ ثُلثُ العَقلِ، ثلاثٌ وثلاثونَ مِن الإبلِ، أو قيمَتُها مِن الذَّهبِ، أو الوَرِقِ، أو البقرِ، أو الشَّاءِ، والجائفةُ ثُلثُ العَقلِ، والمُنَقِّلةُ خَمسَ عشْرةَ مِن الإبلِ، والموضِحةُ خَمسٌ مِن الإبلِ، والأسنانُ خَمسٌ مِن الإبلِ }.[1]

وحديث عمرو بن حزم رضي الله عنه { وكان في الكتابِ : أنَّ من اعتَبط مؤمنًا قتلًا عن بيّنةٍ فإنه قَوَدٌ إلا أن يَرضي أولياءُ المقتولِ، وإنَّ في النفسِ الدِّيةُ مائةٌ من الإبلِ، وفي الأنفِ إذا أوعب جدعةً الديةُ، وفي اللسانِ الدِّيةُ، وفي البيضتَينِ الدِّيةُ، وفي الذَّكرِ الدِّيةُ، وفي الصُّلبِ الديةُ، وفي العينَين الدِّيةُ، وفي الرجلِ الواحدةِ نصفُ الدِّيةِ، وفي المأمومةِ ثلثُ الديةِ، وفي الجائفةِ ثُلثُ الديةِ، وفي المُنقِّلةِ خمسَ عشرةً من الإبلِ، وفي كلِّ إصبعٍ من الأصابعِ من اليدِ والرجلِ عشرٌ من الإبلِ، وفي السنِّ خمسٌ من الإبلِ، وفي المُوضِحَةِ خمسٌ من الإبلِ، وأنَّ الرجلَ يُقتَلُ بالمرأةِ، وعلى أهل الذَّهبِ ألفُ دينارٍ }.[2]

("وكان في الكِتابِ: أنَّ مَن اعتبَطَ مُؤمنًا قتْلًا عن بيّنةٍ"، أي: مَن قتَلَ مُؤمنًا بلا ذَنْبٍ يُوجِبُ قتْلَه مع وُجودِ الشُّهودِ على قَتْلِه، أو ثُبوتِ القتْلِ بإقرارِ القاتلِ؛ "فإنَّه قَوَدٌ"، أي: فإنَّ القاتلَ يُقْتَلُ به قِصاصًا، "إلَّا أنْ يَرضي أولياءُ المقتولِ"، أي: يَرضَون بقَبولِ الدِّيةِ، فلهم ذلك، "وإنَّ في النَّفْسِ الدِّيةَ"، أي: الدِّيةَ الكاملةَ؛ "مِئةً مِن الإبلِ، وفي الأنْفِ إذا أُوعِبَ جَدْعُه"، أي: أُخِذَ كلُّه وقُطِعَ؛ ففيه "الدِّيةُ"، والمعنى: أنَّه إذا قُطِعَ أنْفُ الشَّخصِ كلُّه خطَأً، وجَبَتْ فيه الدِّيةُ الكاملةُ وهي مِئةٌ مِن الإبلِ في أهلِ الإبلِ، وقد أوردَ البخاريُّ في الصَّحيحِ تفصيلَ الدِّيةِ من غيرِ الإبلِ فقال "ففَرَضَها عُمرُ على أهلِ الذَّهبِ ألْفَ دِينارٍ، وعلى أهْلِ الوَرقِ اثْنَي عشرَ ألفًا، وعلى أهلِ البقرِ مِئتي بقرةٍ، وعلى أهلِ الشاءِ ألفي شاةٍ، وعلى أهلِ الحُلل مِئتي حُلّة، وتُقوَّم الديةُ في كل زمانٍ بقيمةِ ذلك غلاءً ورخصًا "وفي اللِّسانِ الدِّيةُ"، يعني أنَّه إذا قُطِعَ لِسانُ الإنسانِ خطَأً، وجَبَتِ الدِّيةُ الكاملةُ، "وفي البَيضتَينِ الدِّيةُ"، أي: في قطْعِ الأُنثيَينِ والخُصْيتَينِ الدِّيةُ كاملةً، "وفي الذَّكَرِ

[1] عن عبد الله بن عمرو وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند حسن وفي بعضه صحيح برقم7033.
[2] قال أبو زرعة الرازي في السنن الكبرى للبيهقي موصول الإسناد حسنا برقم4/89، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده ضعيف وله شاهد لمعظم ما جاء فيه برقم6559.

الدِّيةُ"، أي: وفي قَطْعِ ذَكَرِ الرَّجلِ الدِّيةُ كاملةً، "وفي الصُّلبِ الدِّيةُ" والصُّلبُ هو الظَّهرُ والعَمودُ الفِقَريُّ، "وفي العَينَينِ الدِّيةُ"، أي: إذا أُصِيبَت عَينَا الإنسانِ؛ ففيهما الدِّيةُ الكاملةُ، "وفي الرِّجلِ الواحدةِ نِصْفُ الدِّيةِ"، أي: إذا قُطِعَت رِجلٌ واحدةٌ خطَأً، ففيها نِصْفُ الدِّيةِ، "وفي المأْمومةِ ثُلثُ الدِّيةِ"، أي: فِي الجِراحةِ الَّتي تصِلُ إلى جِلدةِ الدِّماغِ- ويُقال لها: الآمَّةُ أيضًا- تُدفَعُ فيها ثُلثُ الدِّيةِ، "وفي الجائفةِ ثُلثُ الدِّيةِ" والجائفةُ: هي الطَّعنةُ الَّتي تصِلُ إلى جَوفِ الرَّأسِ أو جَوفِ البطنِ، فإذا كانتْ خطَأً، وجَبَ فيها ثُلثُ الدِّيةِ، "وفي المُنقِّلةِ خمْسَ عشرةَ مِن الإبلِ" والمُنقِّلةُ هي الَّتي تَكسِرُ العِظامَ، وتُزِيلُها عن مَواضعِها، فيَحتاجُ إلى نقْلِ العظْمِ؛ لِيَلْتئِمَ، "وفي كلِّ إصبعٍ مِن الأصابعِ مِن اليدِ والرِّجلِ عشْرٌ مِن الإبلِ"، أي: إذا قُطِعَ أحدُ أصابعِ اليدينِ أو الرِّجلينِ، ففيه عَشْرٌ مِن الإبلِ؛ لأنَّ في كلِّها الدِّيةَ كاملةً؛ ففي واحدةٍ منها عُشرُ الدِّيةِ، "وفي السِّنِّ خمْسٌ مِن الإبلِ"، أي: فِي كُلِّ سِنٍّ مِن أسنانِ الفَمِ إذا أُصِيبَت خطَأً؛ ففيها خَمْسٌ مِن الإبلِ، "وفي المُوضِحَةِ خمْسٌ مِن الإبلِ" والمُوضِحَةِ: هي الجرحُ الَّذي في الرَّأسِ والوجْهِ ويصِلُ إلى العَظْمِ؛ سُمِّيَت مُوضِحَةً لأنَّها أَظْهَرتْ وَضَحَ العظْمِ، وهو بَياضُه، "وأنَّ الرَّجُلَ يُقتَلُ بالمرأةِ"، يعني: أنَّه إذا قتَلَ الرَّجلُ المرأةَ عمْدًا ظُلمًا، يُقتَلُ بها قِصاصًا، "وعلى أهْلِ الذَّهبِ أَلْفُ دِينارٍ"، أي: يجِبُ على مَن لا يجِدُ إبلًا يُؤدِّيها دِيةً، إذا كان مِنْ أهْلِ الذَّهبِ أنْ يُؤدِّيَ أَلْفَ دِينارٍ دِيةَ مَنْ قتَلَهُ خطَأً).[1]

كل جزء من الجسم له دية

لقول الله في كتابه الكريم ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾.[2]

عن عمرو بن حزم رضي الله عنه قال: قال الحبيب ﷺ { وإنَّ مَن اعتَبَط مؤمنًا قَتْلًا عن بيِّنةٍ فهو قَوَدٌ إلَّا أنْ يرضي أولياءُ المقتولِ وإنَّ في النَّفسِ الدِّيَةَ مئةً مِن الإبلِ، وفي الأنفِ إذا أُوعِبَ جَدْعُه الدِّيَةُ وفي اللِّسانِ الدِّيَةُ وفي الشَّفَتَيْنِ الدِّيَةُ وفي البَيْضتَيْنِ الدِّيَةُ وفي الذَّكَرِ الدِّيَةُ وفي الصُّلْبِ الدِّيَةُ وفي العينَيْنِ الدِّيَةُ وفي الرِّجْلِ الواحدةِ نِصفُ الدِّيَةِ وفي المأمومةِ ثُلُثُ الدِّيَةِ وفي الجائفةِ ثُلُثُ الدِّيَةِ وفي المُنقِّلةِ خَمسَ عَشْرةَ مِن

[1] https://dorar.net/hadith/sharh/89093
[2] سورة المائدة الآية 45.

الإبلِ وفي كلِّ أُصبُعٍ مِن الأصابعِ مِن اليدِ والرِّجْلِ عَشْرٌ مِن الإبلِ وفي السِّنِّ خَمْسٌ مِن الإبلِ وفي المُوضِّحةِ خَمْسٌ مِن الإبلِ وإنَّ الرَّجُلَ يُقتَلُ بالمرأةِ وعلى أهلِ الذَّهَبِ ألفُ دينارٍ}.[1]

وهذا الحديث أخذ به الأئمة واحتجوا به واعتمدوه في باب الديات، وقال به ابن قدامة في كتابه المغني (هو كتاب مشهور عند أهل العلم متلقى بالقبول عندهم).[2]

وحديث { أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَضى في الأَنفِ إذا جُدِعَ كلُّه الدِّيَةَ كاملةً، وإذا جُدِعَتْ أَرنَبتُه نِصفَ الدِّيَةِ، وفي العَينِ نِصفَ الدِّيَةِ، وفي اليَدِ نِصفَ الدِّيَةِ، وفي الرِّجلِ نِصفَ الدِّيَةِ }.[3]

وحديث { أنَّ الرُّبَيِّعَ وهي ابْنَةُ النَّضْرِ كَسَرَتْ ثَنِيَّةَ جَارِيَةٍ، فَطَلَبُوا الأرْشَ، وطَلَبُوا العَفْوَ، فأبَوْا، فأتَوُا النبيَّ ﷺ ، فأمَرَهُمْ بالقِصَاصِ، فَقال أنَسُ بنُ النَّضْرِ: أتُكْسَرُ ثَنِيَّةُ الرُّبَيِّعِ يا رَسولَ اللَّهِ، لا والذي بَعَثَكَ بالحَقِّ، لا تُكْسَرُ ثَنِيَّتُهَا، فَقال يا أنَسُ كِتَابُ اللَّهِ القِصَاصُ، فَرَضِيَ القَوْمُ وعَفَوْا، فَقال النبيُّ ﷺ : إنَّ مِن عِبَادِ اللَّهِ مَن لو أقْسَمَ علَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ زَادَ الفَزَارِيُّ، عن حُمَيْدٍ، عن أنَسٍ، فَرَضِيَ القَوْمُ وقَبِلُوا الأرْشَ }.[4]

والأرش هو التعويض.

ففي كل أنواع القتل تجب الدية.

والقصاص يؤخذ من القاتل أو الذي أحدث جرحا أو أحدث عاهة.

والدية يدفعها عنه أهله وعشيرته وهم العاقلة.

عن المغيرة بن شعبة قال { قَضى رسولُ اللَّهِ ﷺ بالدِّيةِ على العاقِلَةِ }.[5]

---

[1] وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده ضعيف وله شاهد في كل ما جاء به برقم6559، وقال الألباني في إرواء الغليل الصواب في الحديث الإرسال وإسناده مرسلا صحيح برقم7/268، وقال أحمد في السنن الكبرى البيهقي أرجوأن يكون صحيحا برقم4/89، وقال أبو زرعة الرازي موصول الإسناد حسنا في السنن الكبرى للبيهقي برقم4/89، كما رواه النسائي وقال روى مرسلا برقم4853، والدارمي برقم1621,1628 مختصرا، وقال ابن عثيمين في شرح بلوغ المرام مرسل، ولكن تلقته الأمة بالقبول حتى صار عندهم بمنزلة المتواتر وأهل العلم يقولون إنه صحيح بقطع النظر عن سنده برقم5/261.

[2] كتاب المغني لأبن قدامة برقم 11/500.

[3] عن عبد الله بن عمرو وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده حسن برقم7092.

[4] عن أنس بن مالك وأخرجه البخاري في صحيحه برقم2703، وقال شعيب الأرناؤوط إسناده صحيح على شرط الشيخين في تخريج المسند برقم12704.

[5] عن المغيرة بن شعبة وقال الألباني صحيح في صحيح ابن ماجه برقم2146، وقال الشافعي في الأم لم أعلم فيه مخالفا برقم7/284.

وحدد العلماء قيمة الدية في العموم كما حددها الرسول ﷺ في الذهب، وهو رأي الجمهور، بألف دينار ذهب وهو بحوالي4250جم من الذهب تقريبا، ويحدد سعره وقت ارتكاب الجريمة في نفس البلد.

وحدد علماؤنا العاقلة فقالوا هم آباء الجاني وإن علَوا وأبناؤه وإن نزلوا، والإخوة الأشقاء والإخوة من الأب وأبناؤهم، والأعمام وأبناؤهم، وأقرباؤه وأولياؤه كلّهم حاضرهم وغائبهم وقريبهم وبعيدهم، حيث يجتهد الحاكم بتحميل كلاً منهم ما يسهل عليه، ويبدأ بالأقرب فالأقرب، والغني يتحمل أكثر، فإذا اتسعت أموال الأقربين للدّية، فلا يجاوزهم، وإذا لم تتّسع انتقل للأبعد حتى يصل إلى أبعدهم درجةً، وذلك بحسب الميراث، فإن تمكّن الآباء والأبناء مِن تغطية الدّية، لم ينتقل إلى الأخوة وبنيهم والأعمام وبنيهم، وهكذا.

فإن تعذر على العاقلة دفعها لكون القاتل لا عاقلة له أو كانت فقيرة أو لغير ذلك من الأسباب فإنها تكون في بيت المال، وإذا تحملت شركة التأمين الدية نيابة عن القاتل، وليس من أجل وثيقة تأمين المقتول على نفسه فلا بأس بذلك، فإن دفعت الدية كاملة برئت ذمته، وإن دفعت بعضا بقي سائرها في ذمة القاتل يجب عليه دفعه إلى ورثة القتيل.

والكفارة تتم في القتل الغير عمد والخطأ، فكفارته تحرير رقبة مؤمنة، فمن لم يجد رقبة يعتقها كأيامنا هذه فعليه صيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع، كان معذورا معفوا عنه حتى يجد رقبة أو يستطيع الصيام في يوم ما من حياته، فإن مات ولم يتيسر له ذلك فهو معفو عنه إن شاء الله تعالى.

ومن جمال إسلامنا أن جعل صيام الشهرين متتابعين متصلين لا تقاطع أو تفريق بينهما، تغليظا على القاتل وحرمة للنفس التي قضيت وترضية لأهله، ولكن هناك أيام لا تعتبر قاطعة لتتابع الصيام وهي الإفطار في يوم أوجب الله تعالى الإفطار فيه كيوم العيد، وأيام التشريق، أو الإفطار لعذر شرعى كالمرض والسفر والحيض والنفاس للمرأة، أو النسيان والجهل، أو تخلل الشهرين صيام شهر رمضان، ولا يجوز قطعه بصيام السنن كالأثنين والخميس أو صيام يوم عرفة أو صيام عاشوراء أو غيرها.

كما لا يجوز فيها إخراج قيمتها لإطعام المساكين وغيرهم، فهو تأديب من إسلامنا الجميل لمرتكب هذه الجريمة النكراء.

تصديقا لقول الله سبحانه ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗاۚ وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـٔٗا فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ فَإِن كَانَ مِن قَوۡمٍ عَدُوّٖ لَّكُمۡ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ

وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾.[1]

القتل العمد

هو قصد الجاني متعمدا قتل آدميا معصوما بأي وسيلة تؤدى إلى القتل غالبا.

وجزاؤه القصاص بالقتل، أو قبول أهل المقتول الدية يدفعها عنه عاقلته وهم أهله وأقاربه طبقا للميراث.

ويطبق حكم القصاص، الحاكم أو من ينيبه، ويجوز لولي الدم من أهل القتيل العفو عن القاتل والعفو عن عاقلته في دفع الدية بحضور وموافقة الحاكم.

لقول الله سبحانه وتعالى ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.[2]

ولقول الحبيب ﷺ { ومَن قُتِلَ له قَتيلٌ فهو بِخَيرِ النَّظَرَينِ: إما أنْ يَفْدِيَ، وإما أنْ يَقتُلَ }.[3]

فأولياء القتيل لهم القصاص، ولهم أن يعفوا ويقبلوا الدية ولهم العفو كاملا.

لحديث الحبيب ﷺ { من قتلَ مؤمِنًا متعمِّدًا دُفِعَ إلى أولياءِ المقتولِ فإن شاؤوا قتَلوا وإن شاؤوا أخذوا الدِّيةَ وَهيَ ثلاثونَ حِقَّةً وثلاثونَ جَذَعةً وأربعونَ خلِفةً وما صالحوا عليْهِ فَهوَ لَهم وذلِكَ لتشديدِ العقلِ }.[4]

والحِقَّةُ (من الإبل) هي ما أتت عليها ثلاثُ سنينَ ودخلتْ في الرَّابِعَةِ وتحمَّلَتِ الفَحْلَ والجَذَعَة ما أَتَى عليها أربعُ سِنينَ ودخلتْ في الخامِسَة، والخَلِفَةُ هي الحَامِلُ.

---

[1] سورة النساء الآية 92 .

[2] سورة البقرة الآية 178.

[3] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2434، ومسلم في صحيحه برقم1355.

[4] عن عبد الله بن عمرو، وقال الألباني حسن في صحيح الترمذي برقم1387، وقال حسن في صحيح ابن ماجه برقم2142، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند حسن وبعضه صحيح (في الحديث كله) برقم7033.

والجزاء من جنس العمل، يجوز للحاكم أن يقتص من القاتل بنفس طريقة القتل التي قتل بها ويجوز أن يقيم عليه حد القتل بأي وسيلة إعدام آخرى.

فقد اقتص الرسول ﷺ من رجل قتل امرأة بالحجر فاقتص منه الرسول بنفس الطريقة.

فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه { عَدَا يَهُودِيٌّ في عَهْدِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ علَى جَارِيَةٍ، فأخَذَ أوْضَاحًا كَانَتْ عَلَيْهَا، ورَضَخَ رَأْسَهَا، فأتَى بهَا أهْلُهَا رَسولَ اللَّهِ ﷺ وهي في آخر رَمَقٍ وقدْ أُصْمِتَتْ، فَقال لَهَا رَسولُ اللَّهِ ﷺ : مَن قَتَلَكِ؟ فُلَانٌ لِغَيْرِ الذي قَتَلَهَا، فأشَارَتْ برَأْسِهَا: أنْ لَا، قال فَقال لِرَجُلٍ آخر غيرِ الذي قَتَلَهَا، فأشَارَتْ: أنْ لَا، فَقال فَفُلَانٌ لِقَاتِلِهَا، فأشَارَتْ: أنْ نَعَمْ، فأمَرَ به رَسولُ اللَّهِ ﷺ فَرُضِخَ رَأْسُهُ بيْنَ حَجَرَيْنِ }.[1]

فَأَخَذَ "أَوضاحًا" حُليًّا مِن الدَّراهِمِ كانَت عَلَيْها، "ورَضَخَ"، أي: كَسَرَ رَأسَها.

القتل الغير عمد

والقتل الغير عمد أو شبه العمد هو ألا يقصد القتل بل التأديب له أو العدوان عليه بالإصابة بجرح، كأن يضرب الجاني المقتول بعصا أو بسوط أو يرميه بحجر أو نحوهم، أو يلكمه أو يوكزه، فيؤدى ذلك إلى قتله، فإنه قصد الفعل ولكنه أخطأ بالقتل.

ويترتّب على القتل شبه العمد الدية المغلظة والكفارة لأنّه أدّى إلى قتل نفسٍ حرّم الله قتلها إلّا بالحقّ، وليس فيها قصاص أي لا يقتل القاتل لأنه لم يقصد القتل.

والدية هي مائة من الأبل، أو قيمتها بالذهب.

قال الحبيب ﷺ { عقلُ شبهِ العمدِ مغلظٌ، مثلُ عقلِ العمدِ، ولا يُقتل صاحبُه، وذلك أن ينزوَ الشيطانُ بينَ الناسِ فتكون دماءٌ في عِمِّيَّا في غيرِ ضغينةٍ ولا حملِ سلاحٍ }[2]

وتفصيله { في المُغَلَّظَةِ : أربعون جَذْعَةً خَلِفَةً، وثلاثون حِقَّةً، وثلاثون بناتِ لَبُونٍ }[3].

[1] والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم5295، ومسلم في صحيحه برقم1672.
[2] عن عبد الله بن عمرو وقال الألباني حسن في صحيح أبي داود برقم4565، وقال شعيب الأرناؤوط حسن في تخريج المسند برقم7088.
[3] عن عثمان بن عفان وزيد بن ثابت، وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم4554.

والجَذَعَة ما أَتَى عليها أربعُ سِنينَ ودخلتْ في الخامِسَة، والخَلِفَةُ هي الحَامِلُ، والحِقَّةُ هي ما أتت عليها ثلاثُ سنينَ ودخلتْ في الرَّابِعَةِ وتحمَّلَتِ الفَحْلَ، وبناتِ لَبُونٍ وهي الَّتي دخلَتْ في السَّنَة الثَّالِثَة.

ويؤيد هذا الحديث قول الحبيب ﷺ { ألا إن دِيَةَ الخطأِ شبهِ العَمْدِ ما كان بالسَّوْطِ والعصا؛ مائةٌ مِن الإبلِ : منها أربعون في بطونِها أولادُها }.[1]

القتل الخطأ

في إسلامنا الجميل من قتل مؤمنا خطأ فعليه الكفارة والدية.

فمن أدى إلى قتل مسلم خطأ كحوادث السير الكثيرة أو كان يصيد فأصاب شخص فأدى إلى قتله، أو سقط منه شيء فوقع على أحد فقتله أو غيرها مما لا يقصد فيه القتل، فعليه الكفارة وعليه دفع دية إلى أهل المقتول.

فكفارته تحرير رقبة مؤمنة، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين.

ومن عدل إسلامنا الجميل في هذا الحدث الغير مقصود أن جعل على القاتل الكفارة التي يستطيعها، وجعل على أوليائه وهم العاقلة الدية، فيتكافل معه أهله في هذه المصيبة التي لم يقصدها، ليرضي بها أهل القتيل وورثته.

فإن تعذر فرضها على العاقلة لكون القاتل لا عاقلة له أو كانت فقيرة أو لغير ذلك من الأسباب فإنها تكون في بيت المال، وإذا تحملت شركة التأمين الدية نيابة عن القاتل، وليس من أجل وثيقة تأمين المقتول على نفسه فلا بأس بذلك، فإن دفعت الدية كاملة برئت ذمته، وإن دفعت بعضا بقي سائرها في ذمة القاتل يجب عليه دفعه إلى ورثة القتيل.

وقد فصلها إسلامنا الجميل تفصيلا عادلا حكيما لتحقيق المصلحة لكل من أهل القاتل وهم عاقلته وأهل القتيل وهم ورثته.

[1] عن عبد الله بن عمرو وقال الألباني حسن في صحيح أبي داود برقم4547،

فقد رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، قال { قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي دِيَةِ الْخَطَأِ عِشْرُونَ حِقَّةً، وَعِشْرُونَ جَذَعَةً، وَعِشْرُونَ بِنْتَ مَخَاضٍ، وَعِشْرُونَ بِنْتَ لَبُونٍ، وَعِشْرُونَ بَنِي مَخَاضٍ ذَكَرٍ وَهوَ قولُ عبدِ اللَّهِ }.[1]

أو كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه { في الخطَأِ أرباعًا: خمسٌ وعشرونَ حِقَّةً، وخمسٌ وعشرونَ جَذَعةً، وخمسٌ وعشرونَ بناتِ لَبونٍ، وخمسٌ وعشرونَ بناتِ مَخاضٍ }[2].

وفي رواية ثالثة { في المُغلَّظةِ أربعونَ جَذَعةً خَلِفةً، وثلاثونَ حِقَّةً، وثلاثونَ بناتِ لَبونٍ، وفي الخطَأِ ثلاثونَ حِقَّةً، وثلاثونَ بناتِ لَبونٍ، وعشرونَ بني لَبونٍ ذكورٍ، وعشرونَ بناتِ مَخاضٍ }[3].

و"الجَذَعَة" ما أَتَى عليها أربعُ سِنينَ ودخلتْ في الخامِسَة، والخَلِفَةُ هي الحَامِلُ، والحِقَّةُ هي ما أتت عليها ثلاثُ سنينَ ودخلتْ في الرَّابِعَةِ وتحمَّلَتِ الفَحْلَ، وبناتِ لَبُونٍ وهي الَّتي دخلَتْ في السَّنَة الثَّالِثَة، وبناتِ مَخاضٍ و"المَخاضُ" الحامِلُ، وبنتُها: هي الَّتي أتت عليها سَنةٌ ودخلت عليها الثَّانيةُ وحمَلَت أمُّها.

فإما تدفع إبل أو قيمتها فتقدر أثمان هذه الإبل في كل زمان ومكان، فإذا اختلفوا في أثمانها اتفق العلماء على مقدار الدية بالذهب وهي ألف دينار، مقدارها: 4250جم من الذهب.

أحكام جميلة عامة في القصاص

لم يترك إسلامنا الجميل قضية قتل النفس البشرية وأحكامها لأهواء الناس وأفكارهم، بل وضع لها حلولا عادلة وحاسمة لحفظ النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، فالقصاص العادل هو العنوان الأصيل في الأحكام.

شروط القصاص العادلة:-

يثبت القصاص إذا اعترف القاتل بالقتل أو شهادة عدلين على القتل، أو القسامة.

[1] قال الألباني ضعيف في ضعيف أبي داود برقم4545، وقال ضعيف في ضعيف ابن ماجه برقم523، وضعيف في ضعيف الترمذي برقم1386، وقال ابن كثير في إرشاد الفقيه موقوفا وهو قول فقهاء المدينة والجمهور برقم2/269، ورواه النسائي برقم4802.

[2] قال شعيب الأرناؤوط في تخريج سنن أبي داود إسناده حسن برقم4553.

[3] عن عثمان بن عفان وزيد بن ثابت، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج سنن أبي داود صحيح برقم4553، وقال الألباني صحيح في صحيح أبي ادود برقم4554.

أن يكون ولي الدم بالغاً عاقلاً، فإن كان صغيراً أو غائباً، حُبس الجاني حتى يبلغ الصغير ويقدم الغائب، ثم إن شاء اقتص أو أخذ الدية أو عفا وهو الأفضل، أما المجنون فلا يُنتظر ولا حق له في المطالبة، ولا يمكنه ذلك.

إذا قتل الصغير أو المجنون فلا قصاص عليهما، وتجب الكفارة في مالهما، والدية على عاقلتهما، ومن أمر صغيراً أو مجنوناً بقتل شخص فَقَتَله وجب القصاص على الآمر وحده؛ لأن المأمور آلة للآمر.

إذا أمسك إنسان آخر فقتله ثالث عمداً فيقتل القاتل، أما الممسك فإن علم أن الجاني سيقتل الممسوك قُتلا جميعاً، وإن لم يعلم أنه سيقتله فيعاقب الممسك بما يراه الحاكم تأديباً له.

مَنْ أكره أحداً على قتل معصوم فقتله فالقصاص عليهما معاً.

ومن استأجر أحدا على قتل معصوم فقتله فالقصاص عليهما معاً.

تُقتل الجماعة بالواحد، ولو عفا أهل القتيل أدت الجماعة كلهم الدية.

لو قتل جماعة رجل واحد يقتلوا جميعا به، لحديث أمير المؤمنين الفاروق عمر رضي الله عنه (أنَّ عمرَ بنَ الخطابِ قتل نفرًا خمسةً أو سبعةً برجلٍ واحدٍ قتلوه قتلَ غِيلةٍ وقال لو تمالأَ عليه أهلُ صنعاءَ لقتلتُهم جميعًا).[1]

وفي رواية آخرى (أَنَّ غُلَامًا قُتِلَ غِيلَةً، فَقالَ عُمَرُ: «لَوِ اشْتَرَكَ فِيهَا أَهْلُ صَنْعَاءَ لَقَتَلْتُهُمْ» وَقالَ مُغِيرَةُ بنُ حَكِيمٍ، عن أَبِيهِ: «إنَّ أَرْبَعَةً قَتَلُوا صَبِيًّا»، فَقالَ عُمَرُ: مِثْلَهُ وَأَقَادَ أَبُو بَكْرٍ، وَابنُ الزُّبَيْرِ، وَعَلِيٌّ وَسُوَيْدُ بنُ مُقَرِّنٍ مِن لَطْمَةٍ وَأَقَادَ عُمَرُ، مِن ضَرْبَةٍ بالدِّرَّةِ وَأَقَادَ عَلِيٌّ، مِن ثَلَاثَةِ أَسْوَاطٍ وَاقْتَصَّ شُرَيْحٌ، مِن سَوْطٍ وَخُمُوشٍ).[2]

إذا قتل القاتل مَنْ يرثه سقط حقه من الميراث إن كان القتل عمداً.

في إسلامنا الجميل حكم جميل لا يوجد شبيه أبدا في كل الشرائع الماضية أو حتى اللاحقة، ألا وهي القسامة.

---

[1] عن سعيد بن المسيب وقال الألباني صحيح في إرواء الغليل برقم2201، وقال ابن الملقن في البدر المنير صحيح برقم8/404.
[2] عن عبد الله بن عمر وأخرجه البخاري في صحيحه برقم6896 وتفرد به.

والقسامة في إسلامنا الجميل هي إذا قتل قتيل ولم يعرف قاتله، واتهم فيه شخص آخر، ولا توجد بينة على ذلك ولكن اشتباه، وقامت القرائن على صدق المدعي، وأنكر المشتبه فيه الجريمة عنه، فما الحل عندئذ.

فتكون القسامة، وهي الأيمان المكررة بخمسين حلف، يقسم بها أولياء القتيل لإثبات القتل على المتهم، أو يقسم بها المتهم على نفي القتل عن نفسه، فيُبدأ بالمدعين فيحلف خمسون رجلاً خمسين يميناً، توزع عليهم أن فلاناً هو الذي قتله فيثبت به القصاص، فإن امتنعوا عن الحلف أو لم يكملوا الخمسين، حلف المدعى عليهم خمسين يميناً إن رضوا أن المشتبه فيه بريء، فإذا حلفوا برئ.

وإن امتنع الورثة عن الأيمان ولم يرضوا بأيمان المدعى عليهم، فيدفع الحاكم دية القتيل من بيت المال؛ لئلا يضيع دم المعصوم هدراً.

وهذا من جمال تشريعنا الجميل، فالأساس هو حفظ النفس وعدم اهدار الدماء، والحفاظ على تماسك المجتمع ودرء الفتنة بين أفراده.

فقد روى سهل بن أبى حثمة رضي الله عنه فقال { انْطَلَقَ عبدُ اللَّهِ بنُ سَهْلٍ، ومُحَيِّصَةُ بنُ مَسْعُودِ بنِ زَيْدٍ، إلى خَيْبَرَ وهي يَومَئِذٍ صُلْحٌ، فَتَفَرَّقَا فأتَى مُحَيِّصَةُ إلى عبدِ اللَّهِ بنِ سَهْلٍ وهو يَتَشَمَّطُ في دَمِهِ قَتِيلًا، فَدَفَنَهُ ثُمَّ قَدِمَ المَدِينَةَ، فَانْطَلَقَ عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ سَهْلٍ، ومُحَيِّصَةُ، وحُوَيِّصَةُ ابْنَا مَسْعُودٍ إلى النبيِّ ﷺ ، فَذَهَبَ عبدُ الرَّحْمَنِ يَتَكَلَّمُ، فَقال كَبِّرْ كَبِّرْ وهو أحْدَثُ القَوْمِ، فَسَكَتَ فَتَكَلَّمَا، فَقال تَحْلِفُونَ وتَسْتَحِقُّونَ قَاتِلَكُمْ، أوْ صَاحِبَكُمْ، قالوا: وكيفَ نَحْلِفُ ولَمْ نَشْهَدْ ولَمْ نَرَ؟ قال فَتُبْرِيكُمْ يَهُودُ بخَمْسِينَ، فَقالوا: كيفَ نَأْخُذُ أيْمَانَ قَوْمٍ كُفَّارٍ، فَعَقَلَهُ النبيُّ ﷺ مِن عِندِهِ }.[1]

ولأن الحادثة حدثت في أرض اليهود وكان هناك صلح بينهم وبين النبي ﷺ ، ولكن هناك عداوة بينهم، والقاتل قتل في أرضهم، ولم يكن هناك شهود، واتهم أهل القتيل صاحبه الذي كان معه، ولم يكن هناك بينة على ذلك، فقال لهم الحبيب ﷺ أن يحلفوا خمسين يمينا أن المتهم هو القاتل، فقالوا كيف نحلف على شيء لم نراه ولم نشهده، فقال لهم الحبيب ﷺ فتحلف اليهود خمسين يمينا وهم أيضا متهمون لأن القتيل قتل في أرضهم وبينهم، وقد خاطبهم الرسول ﷺ بأن يدفعوا بالقاتل ليقتص منه أو يقاتلهم لأنهم نقضوا العهد وقتلوا واحد من المسلمين، ولكنهم أقسموا بالله ما قتلوه، فقالوا لا نقبل شهادتهم لأنهم كفار، فحقنا للدماء وترضية

[1] والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم3173، ومسلم في صحيحه برقم1669.

لهم وعدم هدر دم القتيل حكم الرسول ﷺ لهم بالدية من بيت مال المسلمين، لأن القاتل مجهول، فرضيت النفوس وارتاح كل من المشتبه فيهم وأهل القتيل، ولم تهدر دماء جديدة بالقصاص قد تكون بريئة من التهمة، وهذا من جمال تشريعنا الجميل.

البينة على المدَّعي، واليمين على مَن أنكر.

لحديث عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ { لو يُعطى الناسُ بدعواهم لادَّعى ناسٌ دماءَ رجالٍ وأموالهم، ولكن اليمين على المدَّعى عليه }.[1] وفي لفظ آخر { ولكن البينةُ على المُدَّعي واليمينُ على من أنكرَ }.[2]

وحديث { لا تقامُ الحدودُ في المساجدِ ولا يقادُ بالولدِ الوالدُ }.[3]

وهذا الحديث {لا يُقادُ الوالدُ بالولدِ} روى عن طريق أكثر من صحابي وهو عمر بن الخطاب، جد عمرو بن شعيب، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم أجمعين

إِنْ كَانَ الْقَتِيلُ أَوْلِيَاؤُهُ أَهْلَ ذِمَّةٍ أَوْ هُدْنَةٍ، فَلَهُمْ دِيَةُ قَتِيلِهِمْ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا فَدِيَةٌ كَامِلَةٌ، وَكَذَا إِنْ كَانَ كَافِرًا أَيْضًا عِنْدَ طَائِفَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ لعِمُومِ الآية ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ، وَقِيلَ: يَجِبُ فِي الْكَافِرِ نِصْفُ دِيَةِ الْمُسْلِمِ.

اتفاق جميع أولياء الدم على استيفائه، فليس لبعضهم استيفاؤه دون بعض، وإذا عفا أحد الأولياء سقط القصاص وتعينت الدية مغلظة، وهذا من رحمة إسلامنا الجميل.

إذا وجب القصاص على امرأة حامل لم يقتص منها حتى تضع ولدها وترضعه، فإن وُجِد من يرضعه وإلا أُمهلت حتى تفطمه.

وتدفع الدية في الجنين إذا سقط من بطن أمه عمدا، بقيمة عبد أو أمة، وقيمة ذلك خمسة من الإبل وهي عُشر دية أمه، وذلك خمسون دينارا أو ستمائة درهم أي تعادل 212.5جراما من الذهب.

---

[1] والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2524 و4552، ومسلم في صحيحه برقم1711 واللفظ له.

[2] قال النووي في شرح مسلم إسناده حسن أو صحيح برقم3/12، وقال ابن حجر العسقلانى في فتح الباري هذه الزيادة ليست في الصحيحين وإسنادها حسن برقم5/334.

[3] عن عبد الله عباس، وقال ابن حجر العسقلاني تخريج مشكاة المصابيح حسن كما قال في المقدمة برقم 378/3، ورواية عمر بن الخطاب قال فيها الألباني صحيح في الترمذي برقم1400، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج شرح السنة إسناده حسن برقم10/180.

ففي رواية { اقْتَتَلَتِ امْرَأَتَانِ مِن هُذَيْلٍ، فَرَمَتْ إحْدَاهُما الآخرى بحَجَرٍ، فَقَتَلَتْهَا وَما في بَطْنِهَا، فَاخْتَصَمُوا إلى رَسولِ اللهِ ﷺ ، فَقَضَى رَسولُ اللهِ ﷺ أنَّ دِيَةَ جَنِينِهَا غُرَّةٌ عَبْدٌ، أَوْ وَلِيدَةٌ، وَقَضَى بدِيَةِ المَرْأَةِ علَى عَاقِلَتِهَا، وَوَرَّثَهَا وَلَدَهَا وَمَن معهُمْ، فَقال حَمَلُ بنُ النَّابِغَةِ الهُذَلِيُّ: يا رَسولَ اللهِ، كيفَ أَغْرَمُ مَن لا شَرِبَ وَلَا أَكَلَ، وَلَا نَطَقَ وَلَا اسْتَهَلَّ، فَمِثْلُ ذلكَ يُطَلُّ، فَقال رَسولُ اللهِ ﷺ : إنَّما هذا مِن إخْوَانِ الكُهَّانِ، مِن أَجْلِ سَجْعِهِ الذي سَجَعَ. [وفي رواية]: اقْتَتَلَتِ امْرَأَتَانِ وَسَاقَ الحَدِيثَ بقِصَّتِهِ، وَلَمْ يَذْكُرْ وَوَرَّثَهَا وَلَدَهَا وَمَن معهُمْ، وَقال فَقال قَائِلٌ: كيفَ نَعْقِلُ وَلَمْ يُسَمِّ حَمَلَ بنَ مَالِكٍ }.[1]

ومن جمال إسلامنا وتيسيره أنه أجاز تقسيط قيمة الدية التي يدفعها أهل القاتل على ثلاث سنوات بموافقة الحاكم.

وهناك أحكام آخرى تفصيلية في قضية القصاص والديات في كتب الفقه الإسلامي، ولم يتركها إسلامنا الجميل للأهواء والآراء بل وضع لها قانونا عادلا من قبل الله العليم الحكيم العدل ومن رسوله ونبيه المؤيد بالوحي ﷺ .

الأخذ بالثأر

قضية تعاني منها الدول التي لا تطبق شرع الله في القصاص، فيكثر فيها الدماء والقتل، فلا يأمن المجتمع ولا تهدأ النفوس.

ولقد حل إسلامنا الجميل هذه القضية الشائكة، والتي أهلكت في الجاهلية القبائل والعائلات، فوضعها الحبيب ﷺ ، وبدأ إسلامنا الجميل صفحة جديدة بحكم عادل من الله العليم العدل.

ففي حجة الوداع خطب الحبيب ﷺ يوم عرفة ومنها { وَقالَ: إنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ علَيْكُم، كَحُرْمَةِ يَومِكُمْ هذا في شَهْرِكُمْ هذا، في بَلَدِكُمْ هذا، أَلَا كُلُّ شيءٍ مِن أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وإنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِن دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بنِ الحَارِثِ، كانَ مُسْتَرْضِعًا في بَنِي سَعْدٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ }.[2]

ومن هذا التاريخ المبارك أُسقِط الثأر وأُستبدل به شرع الله في القصاص.

[1] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم5758، 6910 ومسلم في صحيحه برقم1681 واللفظ له.
[2] عن جابر بن عبد الله، وقال الألباني في حجة النبي مدار رواية جابر على سبعة من ثقات أصحابه الأكابر، والأصل الذي اعتمدنا عليه إنما هو من صحيح مسلم برقم45.

فقال الحبيب ﷺ في من يريد الأخذ بالثأر ولا يرضى بشرع الله العادل الحكيم { مَنْ أُصِيبَ بِقَتْلٍ أَوْ خَبْل فَإِنَّهُ يَخْتَارُ إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ يَقْتَصَّ، وَإِمَّا أَنْ يَعْفُوَ، وَإِمَّا أَنْ يَأْخُذَ الدِّيَةَ؛ فَإِنْ أَرَادَ الرَّابِعَةَ فَخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ. وَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ نَارُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا }.[1]

وقال مجاهد بن بكر المكي رضي الله عنه { سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عنْهمَا، يقولُ: كانَ في بَنِي إسْرَائِيلَ القِصَاصُ، ولَمْ تَكُنْ فِيهِمُ الدِّيَةُ. فَقال اللَّهُ تَعَالَى لِهذِه الأُمَّةِ: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِصَاصُ في القَتْلَى الحُرُّ بالحُرّ والعَبْدُ بالعَبْدِ، والأُنْثَى بالأُنْثَى، فمَن عُفِيَ له مِن أخِيهِ شيءٌ﴾ فَالعَفْوُ أنْ يَقْبَلَ الدِّيَةَ في العَمْدِ ﴿ فَاتِّبَاعٌ بالمَعروفِ وأَدَاءٌ إلَيْهِ بإحْسَانٍ﴾ يَتَّبِعُ بالمَعروفِ ويُؤَدِّي بإحْسَانٍ ﴿ ذلكَ تَخْفِيفٌ مِن رَبِّكُمْ ورَحْمَةٌ﴾ ممَّا كُتِبَ علَى مَن كانَ قَبْلَكُمْ ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذلكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قَتَلَ بَعْدَ قَبُولِ الدِّيَةِ }.[2]

فبعد أن تأخذ حقك وقبلت الدية فليس لك في قتل القاتل بعد ذلك، فإن فعلت فإسلامنا الجميل، وقفا لنزيف الدم، أمر بقتل القاتل بعد أن أخذ الدية أوعفا.

فقال الحبيب ﷺ { لا أُعفِي مَن قتَلَ بعدَ أَخْذِ الدِّيَةِ }.[3]

ويقول ربنا الحكيم ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ ﴾.[4]

أَيْ: سُلْطَةً عَلَى الْقَاتِلِ، فَإِنَّهُ بِالْخِيَارِ فِيهِ إِنْ شَاءَ قَتَلَهُ قَودًا، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ عَلَى الدِّيَةِ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ مَجَّانًا، كَمَا ثَبَتَتِ السُّنَّةُ بِذَلِكَ، ولَا يُسْرِفِ الْوَلِيُّ فِي قَتْلِ الْقَاتِلِ بِأَنْ يُمَثِّلَ بِهِ أو يقتص من غير القاتل.

الديات في الكفار وأهل الذمة والمعاهدين.

فيقول الحبيب ﷺ { المسلمونَ تتَكافأُ دماؤُهم يسعَى بذمَّتِهم أدناهُم ويُجيرُ عليهِم أقصاهُم وَهم يدٌ علَى مَن سِواهُم يردُّ مُشدُّهم علَى مُضعفِهم ومُتسرّيهم علَى قاعدِهم لا يُقتلُ مؤمنٌ بِكافرٍ ولا ذو عَهدٍ في عَهدِه }.[5]

---

[1] عن أبي شريح العدوى خويلد بن عمرو وقال الألباني ضعيف في ضعيف أبي داود برقم4496، وقال ضعيف في ضعيف ابن ماجه برقم520، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده ضعيف برقم16375.

[2] عن مجاهد بن بكر المكي وأخرجه البخاري في صحيحه برقم4498.

[3] عن جابر بن عبد الله وقال الألباني ضعيف في تخريج مشكاة المصابيح برقم3409، وقال ضعيف في السلسلة الضعيفة برقم4767 وقال شعيب الأرناؤوط ضعيف في تخريج سنن أبي داود برقم4507.

[4] سورة الإسراء الآية 33.

[5] عن عبد الله بن عمرو وقال الألباني في صحيح أبي داود حسن صحيح برقم2751، وقال في إرواء الغليل صحيح برقم2208، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج زاد المعاد إسناده قوي برقم3/113، وقال في تخريج المسند صحيح برقم6692 باختلاف يسير.

ويقول الحبيب ﷺ { يدُ المُسلمينَ واحدةٌ على مَن سِواهم، تتكافَأُ دِماؤهم، ولا يُقتَلُ مؤمنٌ بكافرٍ، وديَةُ الكافرِ كنِصفِ ديَةِ المُسلمِ }.[1]

ويقول الحبيب ﷺ { ديةُ عقلِ الكافرِ نصفُ ديةِ عقلِ المؤمنِ }.[2]

و{ قضَى أنَّ عقلَ أهلِ الكتابَينِ نِصفُ عَقلِ المسلِمينَ وهُمُ اليَهودُ والنَّصارَى }.[3]

{ عن ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ أن رجلًا مسلمًا قتل رجلًا من أهلِ الذمَّةِ عمدًا، ورُفِع إلى عثمانَ رضيَ اللهُ عنهُ فلم يقتلْه وغلَّظَ عليه الدِّيةَ مثلَ ديةِ المسلمِ }.[4]

ولكن احْتَجَّ أَبُو حَنِيفَةَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، بِعُمُومِ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾ عَلَى أَنَّهُ يُقْتَلُ الْمُسْلِمُ بِالْكَافِرِ الذِّمِّيِّ، وَعَلَى قَتْلِ الْحُرِّ بِالْعَبْدِ، وَقَدْ خَالَفَهُ الْجُمْهُورُ.

ومن التفاسير لكلمة الكافر، أنه الكافر المحارب الذي ليس له عهد أو ذمة للمسلمين.

ولذلك لو قتل مسلم ذمي أو معاهد غيلة بمعنى غدرا وخيانة أو عمدا، فإنه يقتل به، لأنه آمن في بلاد المسلمين وأعطى العهد والميثاق على نفسه ودمه وعرضه وماله، فإن سلب أحد منهم فإنه يقتص ممن فعل هذا، كما قال الحبيب ﷺ في الحديث السابق { ولا ذو عَهدٍ في عَهدِه }.

لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال { أنه عليهِ السلامُ قَتَلَ مُسلمًا بِمُعاهَدٍ، وقال : أنا أَكْرمُ مَن وَفي بذمَّتِهِ }.[5]

وفي رواية آخرى أنه ﷺ { قتل مسلمًا بمعاهد وقال أنا أولى من وفي بذمته }.[6]

---

[1] عن عبد الله بن عمرو وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند صحيح برقم7012، ورقم6692، وقال في تخريج شرح السنة صحيح برقم2542، وقال الألباني إسناده حسن في صحيح ابن خزيمة برقم2280.

[2] عن عبد الله بن عمرو وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج زاد المعاد حسن برقم3/129، وقال الألباني حسن في صحيح الترمذي برقم1413.

[3] عن عبد الله بن عمرو وقال الألباني في صحيح ابن ماجه حسن برقم2156، وقال في رواية جد عمرو بن شعيب حسن في إرواء الغليل برقم2251، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده حسن برقم7092.

[4] عن عبد الله بن عمر، ورواه البيهقي في السنن الكبرى وقال موصولا برقم8/33.

[5] قال ابن الملقن في البدر المنير ضعيف برقم8/367، ورواه البيهقي في السنن الكبرى وقال [فيه] عمار بن مطر الرهاوي يقلب الإسناد ويسرق الحديث حتى كثر ذلك في روايته وسقط عن حد الاحتجاج برقم8/30.

[6] عن عبدالرحمن بن البيلماني، وقال الرباعي في فتح الغفار [روي] مرسلًا [وروي موصولا] بذكر ابن عمر وإسناد الموصول واه، وفي إسناد المرسل عبد الرحمن البيلماني المذكور ضعفه جماعة، وفي إسناده إبراهيم بن محمد بن أبي ليلي وهو ضعيف برقم3/1519، ورواه البيهقي برقم16345.

{ أُتِيَ عليٌّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ برجلٍ من المسلمين قتل رجلًا من أهلِ الذمَّةِ، قال: فقامت عليه البيّنةُ فأمر بقتلِه، فجاء أخوه فقال: إني قد عفَوت، قال: فلعلَّهم هدَّدُوك وفَرَقُوك وفَزَعوك، قال: لا ولكنَّ قتلَه لا يردُّ عليَّ أخي وعوَّضوني فرضيت، قال: أنت ! اعلم من كان له ذمَّتُنا فدمُه كدمِنا ودِيَتُه كدِيَتِنا }.[1]

وفي كتب الفقه الإسلامي تفصيل عن هذا الحكم وعدم التفريق بين النفس والنفس، ومنها (من قتل كافرا غِيلَة أي: "غدارًا وخيانةً" أو عن عمد؛ فإنه يقتل وهو مذهب مالك والليث بن سعد...).[2]

ومنها { عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى بعض أمرائه في مسلمٍ قتل ذميًّا، فأمره أن يدفعه إلى وليه، فإن شاء قتله، وإن شاء عفا عنه ... فدُفِعَ إليه فضرب عنقه }.[3]

ومنها { وهذا الذي فعله أبَان بن عثمان حين كان أميرًا على المدينة، وقتل رجل مسلم رجلًا من القبط، قتله غيلة، فقتله به، وأبَان معدود من فقهاء المدينة }.[4]

أحكام جميلة وعادلة في الدية

لم يأت إسلامنا بالقصاص من أجل قطع رقاب الناس، بل لإقامة العدل والضرب على أيدي من يفكر في إراقة الدماء وإدخال الرعب والخوف في نفوس الآمنين، ورغم أحكامه العادلة إلا أنه يركن إلى الرحمة والتسامح والعفو لحقن الدماء ونشر روح الود والتآلف بين القلوب ودرء الصدع في النفوس.

ودائما ما يجعل إسلامنا الجميل باب العفو والسماح مفتوحا، ومنها أحاديث كثيرة جميلة في العفو عن القاتل والعفو في أخذ الدية.

ومنها ما رواه وائل بن حجر رضي الله عنه قال { إنِّي لَقَاعِدٌ مع النبيِّ ﷺ إذْ جَاءَ رَجُلٌ يَقُودُ آخر بنِسْعَةٍ، فَقال يا رَسولَ اللهِ، هذا قَتَلَ أَخِي، فَقال رَسولُ اللهِ ﷺ : أَقَتَلْتَهُ؟ فَقال إنَّه لو لَمْ يَعْتَرِفْ أَقَمْتُ عليه البَيِّنَةَ، قال نَعَمْ قَتَلْتَهُ، قال كيفَ قَتَلْتَهُ؟ قال كُنْتُ أَنَا وَهو نَخْتَبِطُ مِن شَجَرَةٍ، فَسَبَّنِي، فأغْضَبَنِي، فَضَرَبْتُهُ بالفَأْسِ علَى قَرْنِهِ، فَقَتَلْتُهُ، فَقال له النبيُّ ﷺ : هلْ لكَ مِن شيءٍ تُؤَدِّيهِ عن نَفْسِكَ؟ قال ما لي مَالٌ إلَّا كِسَائِي وَفَأْسِي، قال فَتَرَى قَوْمَكَ يَشْتَرُونَكَ؟ قال أَنَا أَهْوَنُ علَى قَوْمِي مِن ذَاكَ، فَرَمَى إلَيْهِ بنِسْعَتِهِ، وَقال دُونَكَ

[1] عن أبو الجنوب الأسدي، ورواه البيهقي في السنن الكبرى وقال ضعيف برقم8/34، ورقم16356، وأخرجه الشافعي في الأم برقم7/339.
[2] كتاب نيل الأوطار للشوكاني برقم7/154، وكتاب شرح البخاري لابن البطال برقم16/109.
[3] رواه عبد الرازق في مصنفه برقم10/101.
[4] كتاب (الجوهر النقي على سنن البيهقي) أبو الحسن، الشهير بابن التركماني (المتوفى: 750هـ) ج - 8 ص 34.

صَاحِبَكَ، فَانْطَلَقَ به الرَّجُلُ، فَلَمَّا وَلَّى قال رَسولُ اللهِ ﷺ : إنْ قَتَلَهُ فَهو مِثْلُهُ، فَرَجَعَ، فَقال يا رَسولَ اللهِ، إنَّه بَلَغَنِي أنَّكَ قُلْتَ: إنْ قَتَلَهُ فَهو مِثْلُهُ، وَأَخَذْتُهُ بأَمْرِكَ، فَقال رَسولُ اللهِ ﷺ : أَما تُرِيدُ أَنْ يَبُوءَ بإثْمِكَ، وإثْمِ صَاحِبِكَ؟ قال يا نَبِيَّ اللهِ، لَعَلَّهُ قال، بَلَى، قال فإنَّ ذَاكَ كَذَاكَ، قال فَرَمَى بنِسْعَتِهِ وَخَلَّى سَبِيلَهُ }.[1]

ومنها هذا الحديث الجميل { أنَّ غُلامًا لِأُناسٍ فُقَرَاءَ قَطَعَ أُذُنَ غُلامٍ لِأُناسٍ أَغْنِياءَ فَأَتَى أهلُهُ النبيَّ ﷺ ، فَقالوا: يا رسولَ اللهِ إنَّا أُناسٌ فُقَرَاءُ، فلمْ يَجْعَلْ عليهِ شيئًا }.[2]

وتفسيره إِنِ الْجَانِيَ كَانَ قَبْلَ الْبُلُوغِ، فَلَا قِصَاصَ عَلَيْهِ، وَلَعَلَّهُ تَحَمَّلَ أَرْشَ مَا نَقَصَ مِنْ غُلَامِ الْأَغْنِيَاءِ عَنِ الْفُقَرَاءِ، أَوِ اسْتَعْفَاهُمْ عَنْهُ.

ومنها حديث { أنَّ رجلًا ضربَ رجلًا علَى ساعدِهِ بالسَّيفِ فقطعَها من غيرِ مفصلٍ، فاستعدى عليهِ النَّبيَّ ﷺ فأمرَ لَه بالدِّيةِ فقال يا رسولَ اللَّهِ إنِّي أريدُ القِصاصَ فقال خذِ الدِّيةَ بارَكَ اللَّهُ لَكَ فيها ولم يقضِ لَه بالقِصاصِ }.[3]

(قَاعِدَةٌ مُهِمَّةٌ: الْجِرَاحُ تَارَةً تَكُونُ فِي مَفْصِل، فَيَجِبُ فِيهِ الْقِصَاصُ بِالْإِجْمَاعِ، كَقَطْعِ الْيَدِ وَالرِّجْلِ وَالْكَفِّ وَالْقَدَمِ وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَأَمَّا إذَا لَمْ تَكُنِ الْجِرَاحُ فِي مَفْصِلٍ بَلْ فِي عَظْمٍ، فَقال مَالِكٌ، رَحِمَهُ اللَّهُ: فِيهِ الْقِصَاصُ إلَّا فِي الْفَخِذِ وَشَبَهِهَا؛ لِأَنَّهُ مُخَوِّفٌ خَطِرٌ. وَقال أَبُو حَنِيفَةَ وَصَاحِبَاهُ: لَا يَجِبُ الْقِصَاصُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْعِظَامِ إلَّا فِي السِّنِّ. وَقال الشَّافِعِيُّ: لَا يَجُبِ الْقِصَاصُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْعِظَامِ مُطْلَقًا، ثُمَّ قالوا: لَا يَجُوزُ أَنْ يُقْتَصَّ مِنَ الْجِرَاحَةِ حَتَّى تَنْدَمِل جِرَاحُهُ الْمَجْنِيُّ عَلَيْهِ، فَإِنِ اقْتَصَّ مِنْهُ قَبْلَ الِانْدِمَالِ ثُمَّ زَادَ جُرْحُهُ، فَلَا شَيْءَ لَهُ).[4]

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال { قَضى رسولُ اللهِ ﷺ في رَجُلٍ طعَنَ رَجُلًا بقَرنٍ في رِجْلِه، فقال يا رسولَ اللهِ، أقِدْني، فقال له رسولُ اللهِ ﷺ : لا تعجَلْ حتى يبرَأَ جُرحُكَ، قال فأبى الرَّجُلُ إلَّا أنْ يستقيدَ، فأقادَه رسولُ اللهِ ﷺ منه، قال فعرِجَ المستقيدُ، وبرَأَ المستقادُ منه، فأتى المستقيدُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ ، فقال له: يا رسولَ اللهِ، عرِجْتُ، وبرَأَ صاحبي؟ فقال له رسولُ اللهِ ﷺ : ألم آمُرْكَ ألَّا تستقيدَ، حتى يبرَأَ

[1] عن وائل بن حجر وأخرجه مسلم في صحيحه برقم2908

[2] عن عمران بن حصين وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم4590، وقال شعيب الأرناؤوط إسناده صحيح على شرط الشيخين في تخريج المسند برقم19931.

[3] عن جارية بن ظفر الحنفي وقال الألباني ضعيف في ضعيف ابن ماجه برقم525، وقال في إرواء الغليل ضعيف برقم2235.

[4] تفسير ابن كثير (والجروح قصاص) سورة النساء الآية 45.

جُرحُكَ؟ فعصَيتَني فأبعَدَكَ اللهُ، وبطَلَ جُرحُكَ!، ثُمَّ أمَرَ رسولُ اللهِ ﷺ بعدَ الرَّجُلِ الذي عرِجَ: مَن كان به جُرحٌ، أنْ لا يستقيدَ، حتى تبرَأَ جِراحتُه، فإذا برَأَتْ جِراحتُه استقادَ }.[1]

وفي وراية آخرى { أنَّ رجلًا طَعَنَ رجلًا بِقَرْنٍ في رُكْبَتِه فأَتَى النبيَّ ﷺ يَسْتَقِيدُ فقيلَ لهُ حتى تَبْرَأَ فَأبى وعَجَّلَ واسْتَقَادَ قال فَعَنَتَتْ رِجْلُهُ وبَرِئَتْ رِجْلُ المُسْتَقَادِ مِنْهُ فأَتَى النبيَّ ﷺ فقال ليس لكَ شيءٌ إنَّكَ أبيتَ }.[2]

العفو والسماح

يقول ربنا الحكيم ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾.[3]

ويقول الحبيب ﷺ { ما من رجلٍ يُجْرَحُ في جسدِه جراحةٌ، فيتصدقُ بها، الا كفَّرَ اللهُ عنه مثلَ ما تصدَّقَ به }.[4]

ويقول ﷺ { مَن أُصيبَ بشيءٍ في جسدِه، فتركَه للهِ عزَّ وجلَّ ؛ كانَ كفَّارةً لهُ }.[5]

{ دقَّ رجلٌ من قُرَيْشٍ سِنَّ رجلٍ منَ الأنصارِ فاستَعدى علَيهِ معاويةَ فقال لمعاويةَ يا أميرَ المؤمنينَ إنَّ هذا دقَّ سنِّي قال معاويةُ إنَّا سنُرضيكَ وألحَّ الآخر علَى معاويةَ فأبرمَهُ فلم يُرضِهِ فقال لَهُ معاويةُ شأنَكَ بصاحبِكَ وأبو الدَّرداءِ جالسٌ عندَهُ فقال أبو الدَّرداءِ سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال سمِعتهُ أذُنايَ ووعاهُ قَلبي يقولُ ما من رَجُلٍ يصابُ بشيءٍ في جسدِهِ فيتَصدَّقُ بِهِ، إلَّا رفعَهُ اللَّهُ بِهِ درجةً، وحطَّ عنهُ بِهِ خطيئةً قال الأنصاريُّ: أنتَ سمِعتَهُ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قال: سمِعَتهُ أذُنايَ ووعاهُ قَلبي، قال : فإنِّي أذرُها لَهُ قال معاويةُ: لا جرَمَ لا أُخيِّبُكَ فأمرَ لَهُ بمالٍ }.[6]

وَقَوْلُهُ: ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّمَا شَرَعَ لَكُمْ أَخْذَ الدِّيَةِ فِي الْعَمْدِ تَخْفِيفًا مِنَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةً بِكُمْ، مِمَّا كَانَ مَحْتُومًا عَلَى الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ الْقَتْلِ أَوِ الْعَفْوِ.

---

[1] قال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند ضعيف برقم7034، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله ثقات برقم6/298.

[2] عن جابر بن عبد الله وقال الألباني في إرواء الغليل إسناده صحيح على شرط الشيخين برم7/298، وقال الدارقطنى في السنن الكبرى للبيهقي محفوظ مرسلا برقم8/66، ورواه بن أبي شيبة في مصنفه برقم9/369.

[3] سورة الشورى الآية 40.

[4] عن عبادة بن الصامت وقال الألباني صحيح لغيره في صحيح الترغيب برقم2460، وقال صحيح في السلسلة الصحيحة برقم2273، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند صحيح بشواهده برقم22701، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح برقم6/305.

[5] عن رجل من الصحابة وقال الألباني في صحيح الترغيب حسن لغيره، وقال ضعيف في ضعيف الجامع برقم5436، وقال شعيب الأرنؤوط في تخريج العواصم والقواصم ضعيف برقم9/218، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد فيه مجالد وقد اختلط برقم6/305.

[6] عن أبي الدرداء وقال الألباني ضعيف في ضعيف الترمذي برقم1393 واللفظ له، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند المرفوع منه صحيح لغيره برقم27534.

هل للقاتل توبة؟

هناك رأيان، لكل منهما اعتباره وأدلته.

فالأول ليس له توبة، ومنهم حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس، وقال { أنَّ رجُلًا أتاه، فقال أرأيتَ رجلًا قتَلَ رجلًا مُتعمِّدًا؟ قال ﴿ جَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 93]، قال لقد أُنزِلَتْ في آخر ما نزَلَ، ما نسَخَها شيءٌ حتى قُبِضَ رسولُ اللهِ ﷺ وما نزَل وَحْيٌ بعدَ رسولِ اللهِ ﷺ ، قال أرأيتَ إنْ تاب وآمَنَ وعمِلَ صالحًا، ثم اهتَدَى؟ قال وأنَّى له بالتوبةِ، وقد سمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: ثَكِلتْهُ أمُّه: رجُلٌ قتَلَ رجُلًا مُتعمِّدًا، يجيءُ يومَ القيامةِ آخِذًا قاتِلَه بيمينِه، أو بيَسارِه، وآخِذًا رأسَه بيمينِه، أو بشِمالِه، تشخُبُ أَوْداجُه دَمًا في قُبُلِ العرشِ، يقولُ: يا ربِّ، سَلْ عبدَكَ فِيمَ قتَلَني؟ }،[1] لأن القتل هُوَ مَقْرُونٌ بِالشِّرْكِ بِاللَّهِ فِي غَيْرِ مَا آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ، حَيْثُ يَقُولُ، سُبْحَانَهُ، فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخر وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ﴾ الْآيَةَ [الْفَرْقَانِ: ٦٨] وَقال تَعَالَى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [إِلَى أَنْ قال ﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾} [الْأَنْعَامِ: ١٥١] .

والرأي الثانى أن القاتل له توبة { وَالَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَخَلَفِهَا: أَنَّ الْقَاتِلَ لَهُ تَوْبَةٌ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنْ تَابَ وَأَنَابَ وَخَشَعَ وَخَضَعَ، وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا، بَدَّلَ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِ حَسَنَاتٍ، وَعَوَّضَ الْمَقْتُولَ مِنْ ظُلَامَتِهِ وَأَرْضَاهُ عَنْ طِلَابَتِهِ.... وَقال تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ [إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ]﴾ [الزُّمَرِ:٥٣] وَهَذَا عَامٌّ فِي جَمِيعِ الذُّنُوبِ، مِنْ كُفْرٍ وَشِرْكٍ، وَشَكٍّ وَنِفَاقٍ، وَقَتْلٍ وَفِسْقٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ: كُلُّ مَنْ تَابَ مِنْ أَيِّ ذَلِكَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ. وَقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النِّسَاءِ: ٤٨] . فَهَذِهِ الْآيَةُ عَامَّةٌ فِي جَمِيعِ الذُّنُوبِ مَا عَدَا الشِّرْكَ، وَهِيَ مَذْكُورَةٌ فِي هَذِهِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ وَقَبْلَهَا، لِتَقْوِيَةِ الرَّجَاءِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ }.[2]

[1] عن عبد الله بن عباس وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند صحيح برقم2142، وقال الألباني صحيح في صحيح النسائي برقم4010 نحوه

[2] تفسير ابن كثير الجزء الأول تفسير سورة النساء الآية 92.

ومنها حديث الشفاعة يقول الحبيب ﷺ { فيَقولُ: انْطَلِقْ فآخرجْ مَن كانَ في قَلْبِهِ أدْنَى أدْنَى أدْنَى مِثْقال حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِن إيمَانٍ، فآخرجْهُ مِنَ النَّارِ }.[1]

ومنها عتق رقبة، فعن واثلة بن الأسقع الليثي رضي الله عنه قال { كنَّا مع النَّبيِّ ﷺ في غزوةِ تبوكَ فأتاه نفرٌ مِن بني سُليمٍ فقالوا: يا رسولَ اللهِ إنَّ صاحبًا لنا قد أوجَب فقال رسولُ اللهِ ﷺ : أعتِقوا عنه رقبةً يُعتِقِ اللهُ بكلِّ عضوٍ منها عضوًا منه مِن النَّارِ }.[2]

وفي حديث آخر { أيُّما امرئٍ مسلمٍ أعتقَ امرأً مسلمًا كانَ فَكاكَهُ منَ النَّارِ يُجزي كلُّ عضوٍ منْهُ عضوًا منْهُ، وأيُّما امرئٍ مسلمٍ أعتقَ امرأتينِ مسلِمتينِ كانتا فَكاكَهُ منَ النَّارِ يجزئ كلُّ عضوٍ منْهما عضوًا منْهُ وأيُّما امرأةٍ مسلمةٍ أعتقت امرأةً مسلمةً كانَت فَكاكَها منَ النَّارِ يجزئ كلُّ عضوٍ منْها عضوًا منْها }.[3]

وحديث ثالث يقول الحبيب ﷺ { مَن أعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً، أعْتَقَ اللَّهُ بكُلِّ عُضْوٍ منه عُضْوًا مِنَ النَّارِ، حتَّى فَرْجَهُ بفَرْجِهِ }.[4]

وفي كتب الفقه الإسلامي الجميل تفاصيل لحد القصاص والديات والعفو، ولم يترك ديننا صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وذكرها حفاظا على الأرواح والأجساد والنفوس، فمن أخذ بها أحياه الله حياة طيبة هانئة مطمئنة، ومن لم يأخذ بها أحياه الله حياة الضنك والاضطراب ليس فيها أمان ولا استقرار، فيقول ربنا سبحانه ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ١٢٣ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ١٢٦ ﴾.[5]

إسلامنا الجميل وحد السرقة

[1] عن أنس بن مالك والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم7510، ومسلم في صحيحه برقم193.
[2] عن واثلة بن الأسقع الليثى، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان صحيح برقم4307، وقال في تخريج المسند صحيح برقم16012، وقال في تخريج سنن أبي داود صحيح برقم3964 باختلاف يسير.
[3] عن أبي أمامة الباهلي وقال الألباني في صحيح الترمذي صحيح برقم1547، وقال صحيح لغيره في صحيح الترغيب برقم1891.
[4] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6715، ومسلم في صحيحه برقم1509.
[5] سورة طه الآية 123- 126.

ما أجمل إسلامنا الذي يحمي المجتمع ويصونه من كل سوء، ويحفظه من كل ضرر، فالنفس البشرية كثير ما يتنازعها الشر كما يتنازعها الخير لقول الله سبحانه ﴿ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾.[1]

ومن هذه الشرور السرقة والنهب والغصب من أرزاق الناس وأقواتهم، سواء أكانت هذه السرقة بعلم ومشاهدة المسروق أو بجهله وغفلته.

ولذا حد إسلامنا هؤلاء السارقون بقطع أيديهم نكالا بفعلتهم الشنيعة الدنيئة والتي تدخل الخوف والرعب في نفوس الناس المطمئنة وتشيع عدم الثقة والخوف في المجتمع الآمن المستقر.

فالله سبحانه من انزل قطع يد السارق وهو الذي أنزل حكمه في قرآنه الكريم، فقال سبحانه ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءً بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٣٨ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.[2]

ويحذرنا الحبيب ﷺ فيقول { لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وهو مُؤْمِنٌ، ولا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وهو مُؤْمِنٌ، ولا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُها وهو مُؤْمِنٌ، والتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ }.[3]

ويقول الحبيب ﷺ { لَعَنَ اللَّهُ السَّارِقَ، يَسْرِقُ البَيْضَةَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ، وَيَسْرِقُ الحَبْلَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ }.[4]

وفي هذا الحديث العام على من سرق بيضة على حقارتها وقلة فائدتها تقطع يد السارق وإن سرق حبل وهو من المتاع القليل الذي لا قيمة له، ورغم ذلك تقطع يده، كل هذا تنفيرا وتخويفا ممن تسول له نفسه السرقة، وحتى يرتدع الطامعون ويأمن المجتمع من هؤلاء الفئة الهامشية التي تبتغي المكسب السهل بلا تعب ولا مشقة، فهي تسرق جهد وعرق الآخرين، ولذا شدد الحبيب ﷺ في حد السرقة، وكان ذلك في أول تكوين دولة الإسلام الناشئة في المدينة، وخوفا من تفشي ظاهرة السرقة وخاصة وأن هناك في المدينة كثيرا من الناس لا عمل لهم ولا سبيل للرزق لكثرة المهاجرين وفقرهم، فقد تركوا وراءهم كل أموالهم ومتاعهم فرارا بدينهم وتلبية أمر نبيهم في الهجرة إلى المدينة المنورة لتكوين نواة المجتمع المسلم الآمن، وبعد أن استقر المجتمع وتشبع الناس بروح الإسلام وملأ الإيمان قلوبهم خفف الحبيب ﷺ حد السرقة وقننه بربع دينار ذهب فما فوقه.

---

[1] سورة الأنبياء الآية 35.
[2] سورة المائدة الآية 38 – 39.
[3] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6810، ومسلم في صحيحه برقم57 واللفظ له.
[4] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6783، ومسلم في صحيحه برقم1687.

وهناك أحاديث في مقدار الحد، منها ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها عن الحبيب ﷺ قال { تُقْطَعُ اليَدُ في رُبُعِ دِينَارٍ فَصَاعِدًا }.[1]

ومنها ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال { قَطَعَ النبيُّ ﷺ يَدَ سَارِقٍ في مِجَنٍّ ثَمَنُهُ ثَلَاثَةُ دَرَاهِمَ }.[2]

ومنها حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت { لَمْ تُقْطَعْ يَدُ سَارِقٍ علَى عَهْدِ النبيِّ ﷺ في أدْنَى مِن ثَمَنِ المِجَنِّ تُرْسٍ أوْ حَجَفَةٍ، وكانَ كُلُّ واحِدٍ منهما ذَا ثَمَنٍ }.[3] وكان لِكلِّ واحدٍ منهما ثمنٌ، أي: له قيمةٌ، وقيل: إنَّه رُبعُ دِينارٍ.

وكان الدينار يساوى أثنى عشر ردهما، والربع دينار ثلاثة دراهم.

والدينار يكافئ 4.25 جرام ذهب عيار 24.

أو الدينار = 7.98/1 أونصة ذهبية.

والدرهم هو وزن 2.975 من الفضة الخالصة.

فيكون القصاص ربع دينار يساوى 1.0625 جرام ذهب عيار 24.

ووضع إسلامنا الجميل شروطا صعبة ومحددة لحد السرقة، وذلك حماية للمجتمع وأمنا للأفراد، وحدا لمن تسول له نفسه في أخذ مال الغير وسرقته، وحفظا لأياد الناس من القطع، فرغم أن مقدار الحد ليس بكثير، ولكنه كاف لردع من يفكر في السرقة.

ومن الشروط الصعبة لتطبيق الحد في إسلامنا الجميل حماية للناس من أن تقطع أيديهم ظلما وشبهة، ألا يكون للسارق فيه ملك أو شبهة ملك، والأخذ من الحذر على الاختفاء والاستتار، أن يكون عالماً بالتحريم، فلا قطع على جاهل بتحريم السرقة، وألا يكون مكرها فلا قطع على المكره لأنه معذور، أن يكون مالا محترماً، فلا حد على من يسرق خمر أو أشياء محرمة.

[1] والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6789 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم1684.
[2] والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6798، ومسلم في صحيحه برقم1686.
[3] والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6794، ومسلم في صحيحه برقم1685.

وهناك شروط آخرى سهلة لتوسيع دائرة المنع والتحذير منها، أن يكون السارق بالغا عاقلا مكلفا، وأن يبلغ النصاب وهو ربع دينار ذهباً فأكثر، وأن يكون السارق مختاراً برغبته وهواه، وانتفاء الشبهة.

وتثبت الشبهة بإقرار السارق بها بدون أكراه، وأن يشهد عليه شاهدان رجلان عدلان، وحماية للنساء لا تقبل شهادتهن في الحدود، فإذا سقط أحدهما فلا يقام الحد، حماية للناس وعدم قطع أيديهم، وعدم ظلمهم، فتدرأ الحدود بالشبهات.

وأن يأخذ المال على وجه الخفية، فإن لم يكن كذلك فلا قطع كالاغتصاب، والاختلاس، والنهب، والغش، ونحوها، وإنما فيها التعزير.

فقد يأخذ شيئا من الثمار في الطريق أو من الحدائق أو ما كان مثلها، فإن كان على جوع وعوز فلا حد، إن أخذ منها ما يسد جوعه، ولكن لا يخزن أو يأخذ منها زيادة عن جوعه، أو يدخر منها في جيبه أو جرابه أو شنطته أو نحوها، فإن ذلك يعتبر سرقة، إن بلغت قيمتها ربع دينار ذهب وجب الحد في يده، وإن كانت أقل من قيمة الحد يغرم مثل ما أخذ ويعزر.

لقول الحبيب ﷺ { لا قطعَ في ثمرٍ مُعلَّقٍ، ولا في حريسةِ جبلٍ، فإذا آواهُ المراحُ أو الجرينُ ؛ فالقطعُ فيما بلغ ثمنَ المجَنِّ }.[1]

وفي رواية آخرى أشمل { أن رجلاً من مُزينةَ أتى رسولُ اللهِ ﷺ فقال يا رسولَ اللهِ! كيف ترى في حَريسةِ الجبلِ؟ فقال هي ومثلُه والنكالُ، وليس في شيءٍ من الماشيةِ قطعٌ، إلا فيما آواه المُراحُ. فبلغ ثمن المِجَنِّ، ففيه قطعُ اليدِ، وما لم يَبلُغْ ثمنَ المِجَنِّ، ففيه غرامةُ مثليه، وجَلَداتُ نَكالٍ، قال يا رسولَ اللهِ! كيف تَرى في الثمرِ المعلق ؟ قال هو ومثلُه معه والنَّكالُ، وليس في شيءٍ من الثمرِ المعلقِ قطْعٌ، إلا فيما آواهُ الجرينُ، فما أُخذَ من الجرينِ فبلغَ ثمنَ المِجَنِّ، ففيه القطْعُ، وما لم يبلغْ ثمنَ المِجَنِّ ففيه غرامةُ مثليه وجلداتُ نَكالٍ }.[2]

[1] عن عبد الله بن عمرو وقال الألباني في تخريج مشكاة المصابيح إسناده صحيح مرسل أو معضل برقم3528، وقال في رواية أخرى عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين إسناده مرسل صحيح في إرواء الغليل برقم8/71.

[2] عن عبد الله بن عمرو وقال الألباني في صحيح النسائي حسن برقم4974،

وفي رواية ثالثة { أنَّهُ سُئِلَ عنِ الثَّمرِ المعلَّقِ فقال من أصابَ بِفيهِ من ذي حاجةٍ غيرَ متَّخذٍ خُبْنةً فلا شيءَ علَيهِ ومن خرجَ بشيءٍ منهُ فعَليهِ غرامةُ مثليهِ والعُقوبَةُ ومن سرقَ منهُ شيئًا بعدَ أن يُؤْويَهُ الجَرينُ فبلغَ ثمنَ المِجنِّ فعلَيهِ القَطع }.[1]

{ الثَّمَرِ المعلَّقِ"، أي: المتدلِّي مِن الشَّجَرِ والنَّخيلِ، مَن أصابَ بفيه مِن ذي حاجةٍ"، أي: مَن أكَل بفَمِه لِسَدِّ حاجتِه مِن الجوعِ "غيرَ مُتَّخِذٍ خُبْنَةً"، أي: ولم يُخبِّئْ في خُبنَةِ ثوبِه شيئًا، والخُبنَةُ: هي الجيبُ الَّذي يَكونُ في الثَّوبِ، فلا شيء عليه وقد قيل: إنَّ هذا يَكونُ في مَكانٍ عُرِف فيه المُسامَحةُ في ذلك، "ومَن خرَج بشيءٍ مِنه"، أي: الثَّمَرِ "فعَلَيه غَرامةُ مِثلَيه"، أي: يَدفَعُ ضِعْفَي ما أخَذ، قيل: إنَّ هذا كان أوَّلَ الإسلامِ، ثمَّ صار الأمرُ أن يَدفَعَ ما أخَذ فقَط، قال "والعقوبةُ"، أي: يُعاقِبُه القاضي حسَبَ ما يَرى، "ومَن سرَق منه شيئًا بعدَ أن يُؤوِيَه الجَرينُ"، أي: مَن أخَذ مِن الثَّمرِ شيئًا بعدَ أن يَتِمَّ وَضعُه وتخزينُه في الجَرينِ، والجَرينُ: موضعٌ تُجفَّفُ فيه الثِّمارُ أو تُخزَنُ، "فبَلَغ ثَمَنَ المِجَنِّ"، أي: فبلَغَت قيمةُ ما أخَذه كثَمَنِ المِجَنِّ، والمِجنُّ: هو ما يَستَتِرُ به المُحارِبُ مِن التُّرسِ وغَيرِه، وكانت قيمتُه رُبعَ دينارٍ، "فعَلَيه القطعُ"، أي: تُقطَعُ يَدُه }.[2]

وفي حديث آخر { أنَّ عبدًا سرقَ وديًّا من حائطِ رجلٍ فغرسَهُ في حائطِ سيِّدِهِ فخرجَ صاحبُ الوديِّ يلتمسُ وديَّهُ فوجدَهُ، فاستعدَى على العبدِ مروانَ بنَ الحكمِ فسجنَ مروانُ العبدَ، وأرادَ قطعَ يدِهِ، فانطلقَ سيدُ العبدِ إلى رافعِ بنِ خديجٍ، فسألَهُ عن ذلك ؟ فأخبرَهُ أنَّهُ سمعَ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ لا قطعَ في ثَمرٍ ولا كَثرٍ . فقال الرجلُ : إن مروانَ أخذَ غلامي، وهو يريدُ قطعَ يدِهِ، وأنا أحبُّ أنْ تمشيَ معي إليه فتخبرَهُ بالذي سمعْتَ من رسولِ اللهِ ﷺ ؛ فمشى معه رافعُ بنُ خديجٍ، حتى أتى مروانَ بنَ الحكمِ، فقال له رافعٌ : سمعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ : لا قطعَ في ثَمرٍ ولا كثرٍ . فأمرَ مروانُ بالعبدِ فأرسلَ }.[3]

والكثر هو جمار النخل، وهو شحمه الذي في وسطه.

وأيضا حفاظا على أيادى الناس يقول الحبيب ﷺ { ليس على خائِنٍ ولا مُنتَهِبٍ ولا مُخْتَلِسٍ قطْعٌ }.[4]

{ في هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ ﷺ : "ليس على خائنٍ ولا مُنتَهِبٍ ولا مُختلِسٍ قطعٌ"، أي: ليس عليهم حَدُّ السَّرِقةِ، والمرادُ بالخائنِ: هو الَّذي خان أمانةً كانتْ عندَه، سواءٌ على سَبيلِ العارِيَّةِ أو الوَديعةِ، فيَأخُذُها ثمَّ

[1] عن عبد الله بن عمرو وقال الألباني في صحيح أبي داود حسن برقم1710.
[2] https://dorar.net/hadith/sharh/28248
[3] عن رافع بن خديج، وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم4388، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج شرح السنة متن الحديث صحيح تلقاه العلماء بالقبول واحتجوا به برقم2600.
[4] عن جابر بن عبد الله وقال الألباني حسن صحيح في صحيح الترمذي برقم1448،

يُنكِرُها أو يدَّعي ضَياعَها، والمرادُ بالمنتَهِبِ: هو الَّذي يَأخُذُ المالَ على وجهِ الغَلَبةِ والقهرِ، ويُطلَقُ عليه أيضًا: المغتصِبُ، والمرادُ بالمختلِسِ: هو الَّذي يَأخُذُ المالَ جَهرًا على حينِ غَفلةٍ مِن صاحبِه، ويَذهَبُ به مُسرِعًا، وإنَّما جُعِل الحدُّ في السَّرِقةِ؛ لِتَكونَ أبْلَغَ في الزَّجرِ عنها، مقارَنةً مع غَيرِها مِن صُوَرِ سَلْبِ الأموالِ الَّتي ربَّما يَقدِرُ صاحبُ الحقِّ أن يَرُدَّ حقَّه بالقَضاءِ؛ لِظُهورِ بيِّنتِه }[1].

(والفرق بين السارق الذي تقطع يده، والمختلس والمنتهب والغاصب الذين لا تقطع أيديهم هو ما يأتي: إن السارق لا يمكن الاحتراز منه، فإنه ينقب الدور ويهتك الحرز ويكسر القفل، ولا يمكن صاحب المتاع الاحتراز بأكثر مما قام به، فلو لم يشرع قطعه، لسرق الناس بعضهم بعضاً، وعظم الضرر، واشتدت المحنة بسبب السراق، بخلاف المنتهب والمختلس.

فإن المنتهب: هو الذي يأخذ المال جهرة بمرأي من الناس، فيمكنهم أن يأخذوا على يديه، ويخلصوا حق المظلوم، أو يشهدوا له عند الحاكم.

وأما المختلس: فإنه إنما يأخذ المال على حين غفلة من مالكه وغيره، فلا يخلو من نوع تفريط يمكن به المختلس من اختلاسه، وإلا فمع كمال التحفظ والتيقظ، لا يمكنه الاختلاس، فليس كالسارق، بل هو بالخائن أشبه. وأيضاً فالمختلس إنما يأخذ المال من غير حرز مثله غالباً، فإنه الذي يغافلك ويختلس متاعك في حال تخليك عنه وغفلتك عن حفظه، وهذا يمكن الاحتراز منه غالباً، فهو كالمنتهب.

وأما الغاصب، فالأمر فيه ظاهر، وهو أولى بعدم القطع من المنتهب. وإذا لم تقطع يد هؤلاء، يكف عدوانهم بالضرب والنكال والسجن، والعقوبة بأخذ المال)[2].

والمنتهب: هو المغير، مأخوذ من النهبة: وهي الغارة والسلب، والمراد به: الذي يأخذ المال على جهة الغلبة والقهر.

والاختلاس: أن يستغل صاحب المال فيخطفه ويذهب بسرعة جهراً، فهو من يتعمد الهرب.

والخائن: هو الذي يضمر ما لا يظهره في نفسه، والمراد به: هو الذي يأخذ المال خفية من مالكه، مع إظهاره له النصيحة والحفظ.

[1] https://dorar.net/hadith/sharh/36452
[2] كتاب الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلى 7/424.

ومن جمال أحكامنا في حد السرقة، إذا تم الإمساك باللص ومعه ما سرق، وأخذ صاحب الحق حقه وسامحه قبل أن يصلا إلى الحاكم أو القاضي أو الشرطة، فلا قطع، أما إذا وصل للقاضي فقد وجب القطع إذا بلغ نصاب القطع.

وإذا تم القبض على السارق بدون سرقته وأخفاها، فإن أحضرها وردها وقبلها صاحب الحق وسامحه فلا مشاكل ولا قطع، أما إذا وصلت المشكلة للقاضي وأحضرها السارق فيجب القطع وهو رأي الجمهور.

أما إذا لم يحضر السارق سرقته أو أتلفها أو أنفقها، فإن عليه ردها أو قيمتها أو مثلها، فإن كان فقيرا ولم يقدر في حالة تلفها لا ترد، وفي كل الحد.

(فالضمان يجب لحق الآدمي، والقطع يجب لحق الله تعالى، فلا يمنع أحدهما الآخر، كالدية والكفارة، والجزاء والقيمة في قتل الصيد الحرمي المملوك).[1]

فإذا وصل السارق إلى الحاكم وجب الحد والغرم.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه (إقامةُ حدٍّ في الأَرضِ ؛ خَيرٌ لأهلِها مِن مَطرٍ أربَعين ليلةً).[2]

وحديث صفوان بن أمية رضي الله عنه قال { كنتُ نائمًا في المسجدِ عليَّ خَميصةٌ لي ثمنَ ثلاثين درهمًا، فجاء رجلٌ فاختلسها منِّي، فأخذ الرَّجلَ، فأتَى به رسولَ اللهِ ﷺ ، فأمر به ليُقطَعَ، قال: فأتيتُه، فقلتُ : أتقطعَه من أجلِ ثلاثين دِرهمًا، أنا أبيعُه وأنسئُه ثمنَها ؟ قال: فهلَّا كان هذا قبل أن تأتيَني به }.[3]

أنا أَبيعُه وأَنسَؤُهُ ثمنَها"، أي: أراد أن يَعفوَ عنه، ويُمهِلَه في سدادِ حقِّها.

وهذا من قوة إسلامنا الجميل في تأمين المجتمع والضرب على يد الفاسدين، فمع الرحمة والعفو هناك الشدة وإقامة الحقوق، فعندما تصل القضية للحاكم ويحكم عليه بالقطع والغرامة، فلا يجوز لصاحب الحق أن يتراجع ويعفو عن السارق، فوجب حق الله ووجب حق المجتمع، فالعفو قبل أن تصل القضية للحاكم أو المحاكم.

---

[1] المهذب: 284/ 2، المغني: 270/ 8، غاية المنتهى: 344/ 3.

[2] عن أبي هريرة وقال الألباني صحيح في صحيح الترغيب برقم2350، وقال حسن في صحيح ابن ماجه برقم2073، وقال في صحيح النسائي حسن موقوف برقم4920، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده ضعيف برقم8738 باختلاف يسير.

[3] قال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم4394.

وحالة تكرار السرقة أقام إسلامنا الجميل على هذا السارق الذي لم يرتدع من قطع يده فكرر السرقة فيتكرر الحد، اتفق علماؤنا على أن السارق تقطع يده اليمنى في السرقة الأولى، فإذا سرق ثانية تقطع رجله اليسرى، واختلفوا في قطع اليد اليسرى في السرقة الثالثة، والرجل اليمنى في السرقة الرابعة، والغالب أنه لا يقطع السارق أصلاً بعد اليد اليمنى والرجل اليسرى، ولكنه يضمن المسروق، ويعزر، ويحبس حتى يتوب.

بدليل ما روي (أنَّ عليًّا رضيَ اللهُ عنهُ أُتِيَ بسارقٍ فقطع يدَه ثم أُتِيَ به فقَطع رجلَه ثم أُتِيَ به فقال أقطعُ يدَه بأيِّ شيءٍ يتمسَّحُ وبأي شيءٍ يأكلُ ثم قال أقطعُ رجلَه على أي شيءٍ يمشى إني لأستحي اللهَ قال ثم ضربه وخلَّدَهُ السِّجنَ).[1] وروي مثل ذلك عن عمر رضي الله عنه.[2]

ومن جمال إسلامنا في الأحكام، (إن قطع اليد في ربع دينار، هو هو من جعل ديتها عند الاعتداء عليها بالبتر أو القطع خمسمائة دينار (أي نصف دية في الشرع) لهو من أعظم المصالح والحكمة البالغة، فإن الشرع احتاط في الموضعين للأموال والأطراف، فقرر قطعها في سرقة ربع دينار فصاعداً، حفظاً لأموال الناس، وإهانة لها حال كونها خسيسة، وجعل ديتها بالعدوان عليها خمسمائة دينار، حفظاً لها وصيانة، وتقديراً لأهميتها حال كونها شريفة)،[3] وهذا من مقاصد شريعتنا السمحة، في الحفاظ على النفس والمال.

ومن جمال إسلامنا تقطع اليد من الرسغ من مَفْصِل، وتقطع القدم من مَفْصِل القدم، حتى لا يعدم استخدامها ويمكن الاستفادة منها، وهذا من رحمة إسلامنا الجميل، ونكالا على السارق حتى لا يستطيع السعي والإمساك بالسرقة.

ويؤيده { حديثُ رداءِ صفوانَ قال فيه ثم أمر بقطعِه من المِفصلِ }.[4]

وحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن الحبيب ﷺ { أمرَ بقطعِ السارقِ مِن المَفْصِلِ }.[5]

وحديث آخر { قطع النبيُّ ﷺ سارقًا من المِفْصَلِ }.[6]

---

[1] عن عبد الله بن سلمة، وقال الألباني في إرواء الغليل رجاله ثقات إلا أن عبد الله بن سلمة كان تغير حفظه برقم8/90،
[2] البدائع: 86/ 7، فتح القدير: 248/ 4، المغني: 264/ 8، غاية المنتهى: 343/ 3.
[3] أعلام الموقعين: 63/ 2 بتصرف.
[4] عن جد عمرو بن شعيب، وقال الكمال بن الهمام وقال في شرح فتح القدير ضُعف بالعرزمي برقم5/381.
[5] قال ابن حجر العسقلاني في التلخيص الحبير في إسناده عبد الرحمن بن سلمة مجهول برقم4/1332.
[6] عن عبد الله بن عمرو وقال الألباني في إرواء الغليل [فيه] ليث بن أبي سليم ضعيف الحفظ برقم81:8، ورواه البيهقي17711.

وللقدم { أن النبيَّ ﷺ قطع رجلًا من المفصلِ }.[1]

وحديث القطع من المفصل روى من أكثر من صحابي وهم جد عمرو بن شعيب وعبد الله بن عمر ورجاء بن حيوة وعمرو بن دينار رضي الله عنهم، فيقوي بعضها بعضا ويؤخذ بالحكم منهم.

الشريف والضعيف وإقامة الحد

من جمال إسلامنا أن الحد يقام على الجميع فقيرهم وغنيهم لا فرق، فإن سرق مقدار الحد ووصل الأمر للحاكم وجب الحد.

فقد روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت { أنَّ امْرَأَةً سَرَقَتْ في عَهْدِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ في غَزْوَةِ الفَتْحِ، فَفَزِعَ قَوْمُها إلى أُسامَةَ بنِ زَيْدٍ يَسْتَشْفِعُونَهُ، قال عُرْوَةُ: فَلَمَّا كَلَّمَهُ أُسامَةُ فيها، تَلَوَّنَ وجْهُ رَسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال أتُكَلِّمُنِي في حَدٍّ مِن حُدُودِ اللَّهِ، قال أُسامَةُ: اسْتَغْفِرْ لي يا رَسولَ اللَّهِ، فَلَمَّا كانَ العَشِيُّ قامَ رَسولُ اللَّهِ خَطِيبًا، فأثْنَى علَى اللَّهِ بما هو أهْلُهُ، ثُمَّ قال أمَّا بَعْدُ، فإنَّما أهْلَكَ النَّاسَ قَبْلَكُمْ: أنَّهُمْ كانُوا إذا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وإذا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أقامُوا عليه الحَدَّ، والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ، لو أنَّ فاطِمَةَ بنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَها ثُمَّ أمَرَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ بتِلْكَ المَرْأَةِ فَقُطِعَتْ يَدُها، فَحَسُنَتْ تَوْبَتُها بَعْدَ ذلكَ وتَزَوَّجَتْ قالتْ عائِشَةُ: فَكانَتْ تَأْتي بَعْدَ ذلكَ فأرْفَعُ حاجَتَها إلى رَسولِ اللَّهِ ﷺ }.[2]

وفي رواية آخرى { أنَّ امرأةً سرَقَتْ على عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ ، فجاء بها الذين سرَقَتْهم، فقالوا يا رسولَ اللهِ، إنَّ هذه المرأةَ سرَقَتْنا، قال قَومُها: فنحن نَفديها -يعني أهلَها-، فقال رسولُ اللهِ ﷺ : اقطَعوا يدَها، فقالوا: نحن نَفديها بخَمسِ مئةِ دينارٍ، قال اقطَعوا يدَها، قال فقُطِعَتْ يدُها اليُمنى، فقالتِ المرأةُ: هل لي مِن تَوبةٍ يا رسولَ اللهِ؟ قال نعمْ، أنتِ اليومَ مِن خَطيئتِكِ كيومِ ولَدَتْكِ أُمُّكِ، فأنزَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ في سورةِ المائدةِ ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ﴾ [المائدةُ: 39] إلى آخر الآيةِ }.[3]

وفي كتب الفقه الإسلامي الجميل تفاصيل التفاصيل الدقيقة في حد السرقة، تبين حرص إسلامنا الجميل على المجتمع والناس وحفظ الحقوق وتحقيق العدل، والحمد لله رب العالمين.

---

[1] عن رجاء بن حيوة، وقال الكمال بن الهمام وقال في شرح فتح القدير مرسل برقم 5/381، وقال الألباني في إرواء الغليل مرسل جيد برقم8/82.

[2] عن عروة بن الزبير والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم4304، ومسلم في صحيحه برقم1688.

[3] عن عبد الله بن عمرو وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند ضعيف برقم6657، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد فيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات برقم6/279،

إسلامنا الجميل وحد الحرابة وقطع الطريق والبغاة (البلطجة)

تكرر الحديث عن حفظ إسلامنا الجميل للمجتمع والناس، وكيف يحقق إسلامنا الجميل في الحدود جميع المصالح، للفرد سواء كان المعتدي أو المعتدى عليه أو المجتمع، فإسلامنا الجميل كما ذكرنا ونعيده جاء للحفاظ على الدين والنفس والعقل والمال والنسل.

ومن أهم الحقوق للحفاظ على المجتمع الآمن الأخذ على يد العابثين والمجرمين، وعدم ترويع الآمنين وتطبيق الحدود كاملة.

ومن هذه الحدود التي تحفظ أمن وسلامة المجتمع والناس حد الحرابة أو حد قطع الطريق على المسالمين والآمنين، أو حد البلطجة والبغاة والذين يُروعون الناس ويُرعبونهم ويُشهرون السلاح في وجوههم ويأخذون أموالهم ويسفكون دماءهم.

وهذا الحد من الأهمية للحفاظ على المجتمع ومن فيه، فيساعد على نهضة المجتمع وتقدمه، فما يقدمه أفراده من جهد وعمل لرفعة المجتمع وتقدمه هو في الحفظ والصون، وأنت آمن على نفسك ومالك وعرضك.

ولقد أقامه الرسول تطبيقا لأمر الله سبحانه مشرع ومنزل الحدود من فوق سبع سماوات، لا من قبل البشر وشرائعهم، ولا من فعل الرسول الحبيب ﷺ وإقراره، بل من رب العالمين العليم بخلقه وطباعهم وما يقومهم ويصلحهم، ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾.[1]

فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٣٤﴾.[2]

ويقول الحبيب ﷺ حفاظا على الدماء { لا يَحِلُّ دمُ امريءٍ مُسْلِمٍ إلَّا بإحدَى ثلاثِ خِصالٍ: زانٍ مُحْصَنٍ يُرْجَمُ، أو رَجُلٍ قَتَلَ رَجُلًا مُتعَمِّدًا فيُقتَلُ، أو رَجُلٍ يَخْرُجُ مِنَ الإسلامِ يُحارِبُ اللهَ عزَّ وجلَّ ورسولَهُ فيُقْتَلُ أو يُصْلَبُ أو يُنْفي مِنَ الأرضِ }.[1]

[1] سورة الملك الآية 14.
[2] سورة المائدة الآية 33 – 34.

وقد روى { أنَّ أنَسًا رَضِيَ اللَّهُ عنْه، حَدَّثَهُمْ: أنَّ ناسًا مِن عُكْلٍ وعُرَيْنَةَ قَدِمُوا المَدِينَةَ علَى النبيِّ ﷺ وتَكَلَّمُوا بالإسْلامِ، فقالوا يا نَبِيَّ اللَّهِ: إنَّا كُنَّا أهْلَ ضَرْعٍ، ولَمْ نَكُنْ أهْلَ رِيفٍ، واسْتَوْخَمُوا المَدِينَةَ، فأمَرَ لهمْ رَسولُ اللَّهِ ﷺ بذَوْدٍ وراعٍ، وأَمَرَهُمْ أنْ يَخْرُجُوا فيه فَيَشْرَبُوا مِن ألْبانِها وأَبْوالِها، فانْطَلَقُوا حتَّى إذا كانُوا ناحِيَةَ الحَرَّةِ، كَفَرُوا بَعْدَ إسْلامِهِمْ، وقَتَلُوا راعِيَ النبيِّ ﷺ ، واسْتاقُوا الذَّوْدَ، فَبَلَغَ النبيَّ ﷺ فَبَعَثَ الطَّلَبَ في آثارِهِمْ، فأمَرَ بهِمْ فَسَمَرُوا أعْيُنَهُمْ، وقَطَعُوا أيْدِيَهُمْ، وتُرِكُوا في ناحِيَةِ الحَرَّةِ حتَّى ماتُوا علَى حالِهِمْ قال قَتادَةُ: بَلَغَنا أنَّ النبيَّ ﷺ بَعْدَ ذلكَ كانَ يَحُثُّ علَى الصَّدَقَةِ ويَنْهي عَنِ المُثْلَةِ }.[2]

وفي وراية لمسلم { إنَّما سَمَلَ النبيُّ ﷺ أَعْيُنَ أُولَئِكَ، لأنَّهُمْ سَمَلُوا أَعْيُنَ الرِّعَاءِ }.[3]

(وَاستَوْخَموا المدينةَ، أي: لم تُوافِقْهم المدينةُ ومرضوا، والذَّودُ مِنَ الإبلِ: ما بينَ الثَّلاثةِ إلى العَشْرةِ، وقد كَفَروا بعدَ إسلامِهم وقتَلوا راعيَ النَّبيِّ ﷺ يَسارًا، وذلك عندَما اسْتاقوا الذَّودَ، وأدركَهم فَقاتَلَهم فقَطَعوا يدَه ورِجلَه وغَرزُوا الشَّوكَ في لِسانِه وعَينِه حتَّى قُتِلَ،... ويَنهي عَنِ الْمُثلَة، والْمُثْلةُ: هي قطْعُ أطرافِ الإنسانِ أو الحيوانِ وتَشويهُه، وكذا قَطْعُ أنفِه أو أُذنِه، وهو ما فعَلَه النَّبيُّ ﷺ مع قَتَلَةِ الرَّاعِي، وقدْ فَعَلَ فيهم ما فَعلُوه في الرَّاعِي).[4]

فالجزاء كان من جنس العمل، فقد قتلوا راعي الرسول ﷺ الذي أرسله مع الإبل يرعاها لهم، ومثلوا بجثته، ففعل فيهم الحبيب ﷺ مثل ما فعلوا مع الراعى، ردا لحقه وقصاصا لقتله، وردعا لمن تسول له نفسه فعل فعلتهم، حتى يعم الأمن والأمان ربوع دولة الإسلام الناشئة ولا يجرؤ عليه السفهاء والمجرمون.

فالله سبحانه وتعالى يقول ﴿ ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾.[5]

ويقول ربنا العدل الحكيم ﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦ ﴾.[6]

ويقول ربنا في قرآنه الكريم ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا ﴾.[7]

---

[1] عن عائشة وقال الألباني صحيح في صحيح النسائي برقم4059 واللفظ له، وقال صحيح في صحيح أبي داود برقم4353 باختلاف يسير، وقال شعيب الأرناؤوط تخريج مشكل الآثار إسناده صحيح برقم1801.

[2] عن أنس بن مالك والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم4192، ومسلم في صحيحه برقم1671.

[3] عن أنس بن مالك وأخرجه مسلم في صحيحه برقم1671، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج مشكل الآثار صحيح على شرط مسلم برقم1823، وقال الألباني صحيح في صحيح النسائي برقم4054.

[4] https://dorar.net/hadith/sharh/150374

[5] سورة البقرة الآية 194.

[6] سورة النحل الآية 126.

[7] سورة الشورى الآية 40.

وحد الحرابة لقاطع الطريق أو البلطجي الذي يعتدي على النفس بالقتل والمال بالسرقة، سواء كان في الطريق أو البيوت أو وسائل النقل والمواصلات، وهو أشد من السارق الذي يسرق المال بخفة وخفية من صاحبها، أما هذا فهو أشد للترويع والقتل أو الإيذاء الشديد، ولذا طبق عليه إسلامنا الجميل العقوبة الأشد من حد السرقة أو حد القتل.

وهو يجاهر بجريمته ويحمل السلاح ويظهره، سواء كان فردا أو جماعة.

وقد اتفق العلماء على أن من قتل وأخذ المال، وجب إقامة الحد عليه، ولا يسقط العقاب بعفو وليّ المقتول، والمأخوذ منه المال، خلافاً للقتل العادى.

ويقام حد الحرابة بالبينة أو الإقرار، والبينة تكون من شهادة رجلين اثنين عادلين، ولا شهادة للنساء في الحدود شفقة بهن، فإذا شهد رجل وأمرأة أو رجل وصبى لا يقام الحد، رحمة من إسلامنا الجميل، وأضمن من إقامة الحد بالشبهة أو بالظلم.

ويسقط الحد إذا كذَّب المقطوع عليه القاطع إقراره واعترافه، وإذا رجع القاطع في إقراره، وتكذيب المقطوع عليه البينة، أو توبة القاطع قبل قدرة الحاكم أو وليّ الأمر عليه.

وعقوبة حد الحرابة في إسلامنا الجميل اختلف فيها الفقهاء، ولكن يمكن جمعها في الأتي: إذا قام المجرم بالقتل والسرقة معا فعقوبته القتل والصلب (واختلف العلماء هل القتل أولا ثم الصلب أم الصلب أولا ثم القتل) وبعضهم طبق قول الله تعالى في أية الحرابة فقال بالقتل والصلب والقطع من خلاف، والقطع هو قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى.

وعقوبة المجرم الذي قتل فقط ولم يسرق المال هي القتل قصاصا دون الصلب.

وعقوبة المجرم الذي سرق المال فقط دون أن يقتل أحداً فعقوبته القطع من خلاف، هي قطع يده اليمنى ورجله اليسرى.

وعقوبة المجرم الذي قام بإرهاب المواطنين، والعمل على إخافتهم دون قيامه بالقتل، أو السلب، أو السرقة لأموالهم فعقوبته النفي من الأرض، وتشريده.

فقد ورى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما { أنَّ أبا بُردَةَ الأسلَمِيّ كان عاهدَ النَّبيَّ أن لا يَعرِضَ لِمن يريدُ النَّبِيَّ ﷺ وأن لا يمنعَ من ذلكَ، وأنَّ النَّبِيَّ ﷺ لا يمنعُ من يريدُ أبا بردَةَ، فمرَّ قومٌ يريدونَ النَّبيَّ ﷺ بأبي بردَةَ، فعرَضَ أصحابُهُ لهم فقتلوهُم وأخذوا المالَ، فأنزل الله على نبيِّهِ، وأتاه جبريلُ وأعلَمهُ أنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ يأمرُهُ أنَّ من أدركه منهُم قد قَتلَ وأخذَ المالَ قتلَهُ وصلَبهُ، ومن قتلَ ولم يأخذِ المالَ قتلَهُ، ومن أخذَ المالَ ولم يقتُلْ قطع يدَهُ لأخذِ المالِ ورجلَهُ لإخافتِهِ السَّبيلَ }.[1]

وعلى وليّ الأمر أن يتابع قُطّاع الطرق هؤلاء بالقوة، وأن يجتهد في القضاء عليهم، ويقيم حد الحرابة عليهم كما أمر الله سبحانه، حتى لا يفسدوا في الأرض، وحتى لا يُخِلّوا بالأمن.

ولإن إسلامنا الجميل يريد الرحمة بالمجتمع والأمان للجميع، وفي نفس الوقت يكون رادعا قويا في وجه الظلمة القتلة المجرمين، فإن بعض علمائنا قالوا بالرحمة فأجازوا القتل قبل الصلب في حالة المجرمين الذين قتلوا وسرقوا، واعتبروا ذلك مُثلة نهي عنها الرسول الحبيب ﷺ لقوله { إنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإحْسَانَ علَى كُلِّ شيءٍ، فَإذَا قَتَلْتُمْ فأحْسِنُوا القِتْلَةَ، وإذَا ذَبَحْتُمْ فأحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ }.[2]

وحديث الحبيب ﷺ { إنَّ أعَفَّ النَّاسِ قِتْلَةً أهلُ الإيمانِ }.[3]

والعلماء الذين قالوا الصلب قبل القتل، فيصلب المحارب المجرم ثم يقتل وهو مصلوب، حجتهم أن الصلب فرض عقوبة والعقوبة لا تقع على ميت، وأن الصلب لم يقصد به ردع الغير إنما قصد به العقوبة قبل كل شيء.

وفي حالة الصلب يصلب المجرم في مكان يراه الناس ليعتبروا، وقال علماؤنا يظل مصلوبا إلى أن يراه كل الناس في المنطقة أو الحيّ، وبعضهم قال يظل مصلوبا ثلاثة أيام حتى يراه كل الناس ويعتبروا.

ثم ينزل ويسلم إلى أهله لغسله والصلاة عليه ودفنه، وهذا من رحمة إسلامنا الجميل، فبالرغم أنه مجرم، إلا أنه مسلم له حقوق من غسل وتكفين وصلاة عليه.

---

[1] أخرجه البيهقي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله﴾ [المائدة:33/ 5] الآية، ورواه أحمد بن حنبل في تفسيره عن أبي معاوية عن حجاج عن عطية به نحوه (من كتاب كتاب الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي) برقم7/472.

[2] عن شداد بن أوس، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم1955، وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم2815.

[3] عن عبد الله بن مسعود، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان حسن برقم5994، وقال حسن في تخريج المسند برقم3728، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود برقم2666.

وإذا أخذ المال وأقيمت فيهم حدود الله، فإن الأموال إن كانت موجودة ردت إلى مالكها، وإن كانت تالفة أو معدومة يقام الحد والضمان بقيمة المال التالف أو المعدوم.

ولعل رد الأموال والضمان بقيمة الأموال التي أخذت، وتكفل أهله برد الأموال، فيه نوع من المنع لهذا البلطجي من أهله لممارسة البلطجة، فإن سكتوا على فعله ولم ينهوه ولم يمنعوه فهم شركاء في التعويض والضمان لمن سُرِقت وانتُهِبت أموالهم بالحرابة، وهو من جمال إسلامنا في معالجة هذه القضايا التي تهم المجتمع وتحافظ على أمانه وسلامته.

والجروح في الحرابة فيها القصاص أو الأرش وهو التعويض.

والتغريب أو النفي في هذه الجريمة، من معانيها الحبس حتى يظهر التوبة وحسن السلوك والعمل، حفاظا على المجتمع منه، ومن معانيها النفي بأن يخرج من بلده إلى بلد آخر ويحبس فيها حتى يظهر التوبة وحسن السلوك، وليس التغريب أن ينفي من بلده إلى بلد آخر ويطلق سراحه، فإن ذلك يكون كالهروب ويكون ضررا على البلد الآخر لشدة إجرامه.

وإسلامنا الجميل الذي يريد الأمان للمجتمع اعتبر الجماعة كالواحد في إقامة الحد، لكنه لم يقم الحد على الصغير والمجنون.

وهناك نوع من الإجرام يقام فيه حد الحرابة أو حد القتل ويترك ذلك لحكم للقاضي العادل حفاظا على المجتمع، ونشر الأمن في ربوعه، ومنها أن يؤجر قاتل بالأجرة لقتل بريء أو من لديه ثأر، فيقتل آخر، بمعنى قاتل بالطلب، وكأنها مهنة.

فإن إسلامنا الجميل يقيم فيهم الحدود حفاظا على سلامة المجتمع، وعلى الحاكم أو وليّ الأمر سرعة الإمساك بهؤلاء القتلة المأجورين، وإقامة حد الحرابة أو حد القتل عليهم طبقا لنوع الجريمة، ومعهم من أجَّرهم وأعانهم.

فيقول الحبيب ﷺ { أَبْغَضُ النَّاسِ إلى اللَّهِ ثَلاثَةٌ: مُلْحِدٌ في الحَرَمِ، ومُبْتَغٍ في الإسْلامِ سُنَّةَ الجاهِلِيَّةِ، ومُطَّلِبُ دَمِ امْرِئٍ بغيرِ حَقٍّ لِيُهَرِيقَ دَمَهُ }.[1]

[1] عن عبد الله بن عباس وأخرجه البخاري برقم6882، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم40.

ومعنى مَطلَبُ دمِ امرئٍ بغيرِ حقٍّ لِيُهَريقَ دمَه، أي: ومَنْ يجتهدْ في السَّعيِ لِطلبِ قتلِ امرئٍ مُسلمٍ وإراقةِ دمِه بغير حقٍّ.

تحريم القتل بالحرق

إسلامنا الجميل دين الرحمة، فلا يقتل إلا برحمة ولا يعذب عند القتل، فالله سبحانه وتعالى رحمن رحيم، وهي صفته سبحانه في أول أية في القرآن ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾.[1]

ورسولنا رسول الرحمة فقد قال سبحانه في تعريف رسوله ﴿ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾.[2]

وأمر إسلامنا الرحمة في القتل، فقال رسولنا رسول الرحمة ﷺ { إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ علَى كُلِّ شيءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فأحْسِنُوا القِتْلَةَ، وإذَا ذَبَحْتُمْ فأحْسِنُوا الذِّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ }.[3]

ولذا حرم الحبيب ﷺ القتل حرقا لما فيه من تعذيب للمقتول، وعدم الرحمة، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال { بَعَثَنَا رَسولُ اللَّهِ ﷺ في بَعْثٍ فَقال إنْ وجَدْتُمْ فُلَانًا وفُلَانًا فأحْرِقُوهُما بالنَّارِ، ثُمَّ قال رَسولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أرَدْنَا الخُرُوجَ: إنِّي أمَرْتُكُمْ أنْ تُحْرِقُوا فُلَانًا وفُلَانًا، وإنَّ النَّارَ لا يُعَذِّبُ بهَا إلَّا اللَّهُ، فإنْ وجَدْتُمُوهُما فَاقْتُلُوهُمَا }.[4]

وفي وراية { عن عِكْرِمةَ أنَّ عليًّا رضِيَ اللهُ عنه أُتِيَ بقومٍ زَنَادِقةٍ أوِ ارتَدُّوا عنِ الإسلامِ، ووجَدوا معهم كُتُبًا، فأمَرَ بنارٍ فأُجِّجتْ، فألقاهم وكُتُبَهم، فبلَغَ ذلك ابنَ عبَّاسٍ، فقال لو أنِّي كُنْتُ أنا لَقتلْتُهم؛ لِقولِ رسولِ اللهِ ﷺ ، ولمْ أُحرِّقْهم؛ لِنَهْيِ رسولِ اللهِ ﷺ : مَن بدَّل دِينَهُ فاقتُلوهُ، ولا تُعذِّبوا بعذابِ اللهِ }.[5]

وفي وراية آخرى للبخاري { أنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عنْه، حَرَّقَ قَوْمًا، فَبَلَغَ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقال لو كُنْتُ أنَا لَمْ أُحَرِّقْهُمْ لأنَّ النبيَّ ﷺ قال لا تُعَذِّبُوا بعَذَابِ اللَّهِ، ولَقَتَلْتُهُمْ كما قال النبيُّ ﷺ : مَن بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ }.[6]

(وقيلَ: ليس النَّهيُ عنِ التَّحريقِ على التَّحريمِ، وإنَّما هو على سَبيلِ التَّواضُعِ، والدَّليلُ على أنَّه ليس بحَرامٍ أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ سَمَلَ أعيُنَ الرُّعاةِ العُرَنيِّينَ بالنَّارِ، كما في الصَّحيحينِ).[7]

---

[1] سورة الفاتحة الآية 1.
[2] سورة التوبة الآية 128.
[3] عن شداد بن أوس، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم1955، وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم2815.
[4] عن أبي هريرة، وأخرجه البخاري في صحيحه برقم3016، وقال الألباني صحيح في صحيح الترمذي برقم1571.
[5] عن عبد الله بن عباس وقال شعيب الأرناؤوط إسناده صحيح في تخريج مشكل الآثار برقم2864.
[6] عن عبد الله بن عباس وأخرجه البخاري في صحيحه برقم3017 واللفظ له، وقال الألباني صحيح في صحيح النسائي برقم4071.
[7] https://dorar.net/hadith/sharh/4517

والحبيب ﷺ { رأي قريةَ نملٍ قد حرقناها، فقال : من حرقَ هذه ؟ قلنا : نحن، قال : إنه لا ينبغي أن يعذِّبَ بالنارِ إلا ربُّ النارِ }.[1]

وروى أبو هريرة رضي الله عنه { سَمِعْتُ رَسولَ اللَّهِ ﷺ ، يقولُ: قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنَ الأنْبِيَاءِ، فأمَرَ بقَرْيَةِ النَّمْلِ، فَأُحْرِقَتْ، فأوْحَى اللَّهُ إلَيْهِ: أنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أحْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ تُسَبِّحُ }.[2]

وقد كان في كتب من قبلنا الحرق أداة للحدود في الزِّنَا، ففي العهد القديم العدد 14 من الاصحاح 20 من سفر اللاويين " وَإِذَا اتَّخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً وَأُمَّهَا فَذلِكَ رَذِيلَةٌ. بِالنَّارِ يُحْرِقُونَهُ وَإِيَّاهُمَا، لِكَيْ لاَ يَكُونَ رَذِيلَةٌ بَيْنَكُمْ ".

وكذلك في سفر لاويين 21 :9 " وَإِذَا تَدَنَّسَتِ ابْنَةُ كَاهِنٍ بِالزِّنَا فَقَدْ دَنَّسَتْ أَبَاهَا. بِالنَّارِ تُحْرَقُ "

أما في إسلامنا الجميل فلا يجوز حرق الإنسان سواء كان مسلما أو ذميا أو كافرا مستأمنا أو محاربا، فهو إنسان لا يحرق، إنما الله سبحانه الخالق الواحد هو من يحرق سبحانه، فالنار جنده يحرق بها من يشاء ويعذب بها من يشاء سواء في الدنيا أو الآخرة.

إسلامنا الجميل وحد الردة

إسلامنا الجميل يدعو إلى حرية العقيدة ولم يجبر أحدا على اعتقاد الإسلام، وإنما نشر الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، والقرآن الكريم ملئ بالآيات التي تدعو إلى حرية العقيدة.

فقال تعالى ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِى ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَىِّۚ ﴾.[3]

ويقول ربنا الرحيم ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴾.[4]

ويقول ربنا سبحانه ﴿ قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَـٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ٦ ﴾.[5]

---

[1] عن عبد الله بن مسعود وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم5268، وقال صحيح في السلسلة الصحيحة برقم1/878، وقال إسناده صحيح في تخريج مشكاة المصابيح برقم3473.

[2] الحديث متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه برقم3019، ومسلم في صحيحه برقم2241.

[3] سورة البقرة الآية 256.

[4] سورة الكهف الآية 29.

[5] سورة الكافرون الآية 1 – 6.

ويقول ربنا سبحانه ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَـَٔامَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ } ٩٩} وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾.[1]

ويقول ربنا سبحانه ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾.[2]

ويقول ربنا سبحانه ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ﴾.[3]

ويقول ربنا سبحانه ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾[4]

ويقول ربنا سبحانه ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصيْطِرٍ ﴾.[5]

وأمر سبحانه رسوله عند دعوة غيره أن يدعوه بالرفق والحكمة والموعظة الحسنة والتوضيح والأدلة الصريحة، ويدع الهداية لله الواحد فقط، فإن أمر الهداية موكول إلى الله سبحانه الهادي.

فيقول ربنا سبحانه ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾.[6]

ولكن إذا دخلت في دين الإسلام طواعية واعتقادا، ولم يقهرك أحد في الدخول فيه، والتزمت بما أمر الله فيه من فرائض وواجبات، فإنك أصبحت جزءا لا يتجزء من أمة الإسلام، لك ما لهم وعليك ما عليهم.

فإن أردت الخروج من دين الإسلام وإحداث فتنة في دين الله وبدعوتك للخروج منه، فإنك بذلك تحدث خللا في بناء المجتمع والأمة، ويتوجب على وليّ الأمر الإسراع لوأد الفتنة ولم شمل المجتمع والحفاظ على تماسكه، بمنعك واستتابتك، فإن استمريت فيما اعتقدت، فوجب على الحاكم قتلك حدا.

والمرتد هو ترك الإسلام والكفر به بعد الدخول فيه بالقول أو الفعل سواء صدر عن اعتقاد أو عناد أو استهزاء، وتشمل التحول إلى دين آخر أو رفض الإيمان ليصبح الشخص لا دينيًا.

---

[1] سورة يونس الآية 99 – 100.
[2] سورة القصص الآية 56.
[3] سورة البقرة الآية 272.
[4] سورة الرعد الآية 40.
[5] سورة الغاشية الآية 21 – 22.
[6] سورة النحل الآية 125.

وقد فصَّل العلماء الملحد أو المرتد بكثير من التفصيلات حتى يتبين الحكم فيه، فلا يظلم أحد، ويسلم المجتمع من هؤلاء الذين ينخرون في الدين والمجتمع.

وعرفوا المرتد بالأتى:-

أ- ردة بالاعتقاد، كالشرك بالله أو جحده أو نفي صفةٍ ثابتة من صفاته أو إثبات الولد لله فمن اعتقد ذلك فهو مرتد كافر.

وكاعتقاد الشَّريك لله، أو أن الزِّنَا والخمر والرِّبا حلال، وأن الصلاةَ غير واجبة، ونحو ذلك مما أُجمِع على حِلِّه أو حرمته أو وجوبه، إجماعًا قطعيًّا، ومثله لا يجهَلُه، وهو معلوم من الدين بالضرورة، والحُكم بغير ما أنزل الله معتقدًا حلَّه، كالمساواة بين الرجل والمرأة في الميراث، أو تحليل شرب الخمر والزِّنَا وتقنينه.

ب- ردة بالأقوال، كسبِّ الله تعالى أو سبّ الرسول ﷺ ، أو ملائكته، أو أحدٍ من رسله.

أو ادِّعاء عِلم الغيب، أو ادِّعاء النبوة، أو تصديق مَن يدَّعيها، أو دعاء غير الله، أو الاستعانة به فيما لا يقدِرُ عليه إلا الله، والاستعاذة به في ذلك، أو الإدعاء أن دين الله وأحكامه لا تصلح لهذا الزمن ويجب تغيرها.

ج- ردة بالأفعال، كإلقاء المصحف في محلٍ قذر، أو تمزيقه والدوس عليه بالقدم، وكذلك السجود لغير الله كصنم أو شجر أو حجَر أو قبور أو الشمس أو القمر، أو نجم أو لأي شخص غير مكره على ذلك، أو عمل السحر وتعلمه وتعليمه.

د- الردة بالترك، كترك جميع شعائر الدين، والإعراض الكلي عن العمل به طيلة حياته كترك الصلاة والصيام والزكاة والحج إن استطاع.

هـ وهناك علماء زادوا في تعريف الردة، كالردة بالشك في شيء مما سبق؛ كمن شك في تحريم الشِّرك، أو تحريم الزِّنَا والخمر، أو شك في رسالة النبيِّ ﷺ ، أو رسالة غيره من الأنبياء، أو في صِدْقه، أو في دِين الإسلام، أو في صلاحيتِه لهذا الزمان.

وخلاصته اعتقاد بالجنان وقول باللسان وعمل بالجوارح.

وينهي الله سبحانه عباده عن الردة عن دين الله –الإسلام- والعودة إلى الضلالة والكفر، ويحذرهم من سوء الخاتمة والعذاب يوم القيامة، لأنه سبحانه رحيم بعباده يحذرهم وينهاهم قبل يوم الحساب.

فيقول سبحانه ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.[1]

ويقول سبحانه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾.[2]

وقوله سبحانه ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.[3] فدلت هذه الآية الكريمة على أن من لم يتب لا يخلى سبيله.

ولحرمة دم المسلم روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن الحبيب ﷺ قال { لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وأَنِّي رَسولُ اللَّهِ، إلَّا بإحْدَى ثَلاثٍ: النَّفْسُ بالنَّفْسِ، والثَّيِّبُ الزَّانِي، والمارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَماعَةِ }.[4]

وحديث آخر عن أبى أمامة بن سهل عن عثمان بن عفان أمير المؤمنين رضي الله عنهما { أن أَبي أمامةَ بنِ سَهْلِ بنِ حُنَيْفٍ - قال كنَّا معَ عُثمانَ رضيَ اللَّهُ عنهُ وَهوَ مَحصورٌ فقال علامَ تقتُلوني ؟ وقد سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: لا يَحلُّ دمُ امرئٍ مسلمٍ، إلَّا بإحدى ثلاثٍ، النَّفسُ بالنَّفسِ، والثَّيِّبُ الزَّاني، والمفارقُ دينَهُ التَّارِكُ للجماعةِ }.[5]

وحديث ثالث عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها { دخلَ الأشترُ على عائِشةَ رضيَ اللَّهُ عنها فقالت: أردتَ قتلَ ابنِ أختي ؟ فقال لقد حرصَ على قتلي وحرصتُ على قتلِهِ . فقالت: أما إنِّي سَمِعْتُ

[1] سورة البقرة الآية 217.
[2] سورة آل عمران الآية 90.
[3] سورة التوبة الآية 5.
[4] عن عبد الله بن مسعود، والحديث متفق عليه أخرجه بالخارى في صحيحه برقم6878 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم1676.
[5] عن عثمان، وقال العيني في نخب الأفكار [ورد] من طريقين صحيحين برقم15/558.

رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ لا يحلُّ دمُ امرئٍ مسلمٍ، إلَّا بإحدَى ثلاثٍ، النَّفسُ بالنَّفسِ، والثَّيِّبُ الزَّاني، والمفارِقُ لدينَهُ التَّارِكُ للجَماعةِ }.[1]

ولذا أمر رسولنا الحبيب ﷺ قبل إقامة حد الردة عن الإسلام، وهو القتل، أن يمهل ويستتاب، لأن الدم المسلم والإنساني غالي، فلا يهدر إلا بحق الله.

ويودع المرتد بدلا من السجن في مركز رعاية يتولاه فيها علماء في الدين وأطباء في النفس وأهل رأي، ويدور حوار هادئ بالحكمة والموعظة الحسنة ومزيد من المناظرات والمناقشات لرجوعه واستتابته، ويأخذون وقتهم معه حتى يوقنوا رجوعه وأنه تاب وأناب وعاد مقتنعا إلى دينه، أو يرفعوا أمره إلى القاضي، فإما يأخذ برأيهم أو يمهله مرة آخرى ومع لجنة آخرى، فإن استقر للقاضي استمرار المرتد في غيه وردته يحكم عليه القاضي بالردة ويقام عليه الحد، فإن رجع عن ردته قبل تنفيذ الحكم وعاد إلى رشده فلا يطبق عليه الحكم ويرد إلى القاضي ليطلق سراحه.

لقول ربنا الرحيم ﴿ وَإِذْ قالتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قالوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾.[2]

وأقل مدة تمنح للمرتد هي ثلاثة أيام، وممكن أن تزيد على حسب رأي لجنة العلماء.

فإن لم يعد وظل على ردته وإنكاره، فإنه بذلك قد خان مجتمعه خيانة عظمى وأصبح خطرا عليها، فيقام عليه حد الردة، ولا يطبق حد الردة على المجنون أو الصغير التابع لوالده، لأن الله فطر الناس على الإسلام.

فقال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قالوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴾.[3]

ولأن الدين عند الله الإسلام، فقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ۗ ﴾.[4]

[1] عن عائشة وقال العيني في نخب الأفكار [له] أربع طرق صحاح برقم15/562.
[2] سورة الأعراف الآية 164.
[3] سورة الأعراف الآية 172.
[4] سورة آل عمران الآية 19.

وقوله تعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾.[1]

ويقول الحبيب ﷺ { ما مِن مَوْلُودٍ إلَّا يُولَدُ علَى الفِطْرَةِ، فأبَواهُ يُهَوِّدانِهِ أوْ يُنَصِّرانِهِ أوْ يُمَجِّسانِهِ، كما تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعاءَ، هلْ تُحِسُّونَ فيها مِن جَدْعاءَ، ثُمَّ يقولُ: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتي فَطَرَ النَّاسَ عليها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذلكَ الدِّينُ القَيِّمُ﴾ [الروم: 30] }.[2]

وقد أقام الحبيب ﷺ حد الردة في زمنه، وأقامه الصحابة والتابعين من بعده، واستمر في الدول الإسلامية حتى الدولة العثمانية وإن قل كثيرا.

و حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه { أنَّ النَّبيَّ ﷺ لَمَّا أرسلَه إلى اليَمَنِ قال له: أيُّما رَجُلٍ ارتَدَّ عن الإسلامِ، فادعُه، فإنْ عاد وإلَّا فاضرِبْ عُنُقَه، وأيُّما امرَأَةٍ ارتدَّتْ عن الإسلامِ، فادعُها، فإنْ عادتْ وإلَّا فاضرِبْ عُنُقَها }.[3]

وتطبيقا لقول الحبيب ﷺ { مَن بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ }.[4]

وقد روى هذا الحديث عن أكثر من صحابي وهم عبد الله بن عباس وعكرمة مولى ابن عباس ومعاذ بن جبل وأنس بن مالك وأبو هريرة وعائشة وعصمة بن مالك الخطمي ومعاوية بن حيدة القشيري وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم أجمعين.

ومنها حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه { قَدِمَ على أبي موسى مُعاذُ بنُ جَبلٍ باليَمنِ، فإذا رَجُلٌ عندَه، قال ما هذا؟ قال رَجُلٌ كان يهوديًّا، فأسلَمَ، ثُمَّ تَهوَّدَ، ونحن نُريدُه على الإسلامِ منذ -قال أحسَبُه- شَهرَينِ، فقال واللهِ لا أقعُدُ حتى تَضرِبوا عُنُقَه، فضُرِبَتْ عُنُقُه، فقال قَضى اللهُ ورسولُه: أنَّ مَن رَجَعَ عن دِينِه فاقْتُلوه، أو قال مَن بَدَّلَ دِينَه فاقْتُلوه }.[5]

وحديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما { أنَّ عليًّا أُتِيَ بنفرٍ منَ الزَّنَادقةِ فحرَّقَهُم بالنَّارِ فبلغَ ذلِكَ ابنَ عبَّاسٍ فقال: أمَّا أَنا فلو كنتُ لقتلتُهُم لقولِ النَّبيِّ ﷺ : مَن بدَّلَ دينَهُ فاقتُلوهُ ولَما حرَّقتُهُم لنَهْيِ النَّبيِّ ﷺ لا

[1] سورة آل عمران الآية 85.
[2] عن أبي هريرة، والحديث متفق عليه أخرجه بالبخاري في صحيحه برقم1385 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم2658.
[3] قال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند حسن برقم5/119، ورواه الطبراني برقم53/20، 93 باختلاف يسير، وقال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري إسناده حسن برقم12/284.
[4] عن عبد الله بن عباس وأخرجه البخاري في صحيحه برقم3017 واللفظ له، وقال الألباني صحيح في صحيح النسائي برقم4071.
[5] عن معاذ بن جبل وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح برقم22015، وقال الألباني في إرواءالغليل إسناده صحيح على شرط الشيخين برقم8/125.

تعذِّبوا بعذابِ اللَّهِ. وفي لفظٍ في الحديثِ: بقومٍ منَ الزِّنَادقةِ أو مرتدِّينَ فأمرَ بِهِم فحُرِّقوا. عن عِكْرمةَ مثلَهُ وزادَ فبلغَ ذلِكَ عليًّا فقال: وَيحَ ابنِ أمِّ الفضلِ إنَّهُ لغوَّاصٌ على الهَناتِ. هشامٌ عن قتادةَ عن أنسٍ: أنَّ عليًّا أُتِيَ بناسٍ منَ الزُّطِّ يعبُدونَ وثنًا فحرَّقَهُم بالنَّارِ فقال ابنُ عبَّاسٍ: إنَّما قال رسولُ اللَّهِ: من بدَّلَ دينَهُ فاقتُلوهُ }.[1]

وقد روى أن عليًّا رضي الله عنه اجتهد في حرقهم، لأنهم كانوا يزعُمون أنَّ عليًّا ربُّهم! تعالى اللهُ وتقدَّس عن مقالتِهم، وكتبوا كتب بذلك، ولما علم عليٌّ بما قال ابن عباس قال وَيحَ ابنِ أمِّ الفضلِ إنَّهُ لغوَّاصٌ على الهَناتِ، والهنات هي الأخطاء، وفي رواية آخرى قال فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا, فَقال: صَدَقَ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وحفاظا من إسلامنا الجميل على النفس وحقنا لدمائها جعل لشروط تطبيق الردة قيودا كثيرة، تكاد يكون تطبيق هذا الحد من الصعوبة بمجال، وذلك درءا للشبهات وحقنا للدماء.

فيجب أن يكون المرتد عاقلا، ولا فرق بين الرجال والنساء في ذلك، ولكن المجنون والسكران لايؤخذ بكلامهما وإقرارهما، كذلك الصبي الصغير.

ويثبت حد الردة بالإقرار أو بشهادة رجلين عدلين.

ولا يُغسَّل ولا يُصلى عليه ولا يُدفن في مقابر المسلمين لأن هذا تكريم للمسلمين.

ولا يرثه ورثته وماله فيء لبيت مال المسلمين، لقول الحبيب ﷺ { لَا يَرِثُ المُسْلِمُ الكَافِرَ وَلَا الكَافِرُ المُسْلِمَ }.[2]

والتمهل والتروي في إقامة حد الردة هي الأفضل، لعل المرتد أن يعود لرشده وحقنا لدمه، ومنها ما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال { كان عبدُ اللهِ بنُ سعدِ بنِ أبي سَرحٍ، يكتبُ لرسولِ اللهِ ﷺ ، فأزلَّه الشَّيطانُ، فلحِق بالكفَّارِ، فأمر به رسولُ اللهِ ﷺ ، أن يُقتَلَ – يومَ الفتحِ – فاستجار له عثمانُ بنُ عفَّانَ، فأجاره رسولُ اللهِ ﷺ }.[3]

فرسول الله ﷺ عندما دخل مكة فاتحا استجارعبد الله بعثمان رضي الله عنهما، فأجاز لعثمان أن يجيره، وهي مهلة أخيره له ليعود إلى الإسلام، وعندما دعا الحبيب ﷺ قريش للبيعة والدخول في الإسلام جاء عبد

[1] قال الذهبى في المهذب في كل هذه الروايات إسناده صحيح برقم7/3326.
[2] عن أسامة بن زيد والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6764، ومسلم في صحيحه برقم1614.
[3] قال الألباني حسن في صحيح أبي داود برقم4358، وقال صحيح في صحيح النسائي باختلاف يسير برقم4080.

الله مع عثمان لرسول الله وأعلن توبتة وبيعته، ورغم أن الحبيب ﷺ رفض بيعته ثلاث مرات، وفي الرابعة قبل بيعته وتوبته، وما فعل ذلك إلا تأكيدا على حسن توبته ورجوعه إلى الإسلام، وسنة من الحبيب ﷺ أن نتمهل ونتروى قبل إقامة الحد.

وروي { أنَّ أعْرَابِيًّا بَايَعَ رَسولَ اللَّهِ ﷺ علَى الإسْلَامِ، فأصَابَ الأعْرَابِيَّ وعْكٌ بالمَدِينَةِ، فَجَاءَ الأعْرَابِيُّ إلى رَسولِ اللَّهِ ﷺ فَقال يا رَسولَ اللَّهِ، أقِلْنِي بَيْعَتِي، فأبَى رَسولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ جَاءَهُ فَقال أقِلْنِي بَيْعَتِي، فأبَى، ثُمَّ جَاءَهُ فَقال أقِلْنِي بَيْعَتِي، فأبَى، فَخَرَجَ الأعْرَابِيُّ، فَقال رَسولُ اللَّهِ ﷺ : إنَّما المَدِينَةُ كَالكِيرِ، تَنْفِي خَبَثَهَا، ويَنْصَعُ طِيبُهَا }.[1]

(أَقِلْنِي بَيْعَتِي) لم يُرِدِ الارتدادَ عن الإسلام؛ إذ لو أرادَه لقَتَله، وحَمَله بعضُهم على الإقامةِ بالمدينةِ.

(أَخَذَ ابْنُ مسعودٍ قَوْمًا ارْتَدُّوا عَنِ الإسلامِ من أهلِ العراقِ ، قال : فَكتبَ فيهِمْ إلى عثمانَ بنِ عفانَ – رضيَ اللهُ عنهُ فَكتبَ إليهِ أَنِ اعْرِضْ عليهم دِينَ الحَقِّ، وشَهادَةَ أنَّ لا إلهَ إلَّا اللهُ ، فإنْ قَبِلوا فَخَلِّ عنهُمْ وإنْ لمْ يَقْبَلوا فَاقْتُلْهُمْ ، فَقَبِلَها بعضُهمْ فَتركَهُ ولمْ يَقْبَلْها بعضُهمْ فَقَتَلَهُ).[2]

وروى أنس بن مالك رضي الله عنه قال { بعثني أبو موسَى بفتحِ تُسْتَرَ إلى عمرَ رضِي اللهُ عنه فسألني عمرُ وكان ستَّةُ نفرٍ من بني بكرِ بنِ وائلٍ قد ارتدُّوا عن الإسلامِ ولحِقوا بالمشركين، فقال: ما فعل النَّفرُ من بكرِ بنِ وائلٍ ؟ قال : فأخذتُ في حديثٍ آخر لأشغله عنهم، فقال: ما فعل النَّفرُ من بكرِ بنِ وائلٍ ؟ قلتُ: يا أميرَ المؤمنين قومٌ ارتدُّوا عن الإسلامِ ولحِقوا بالمشركين ما سبيلُهم إلَّا القتلُ، فقال عمرُ: لأن أكونَ أخذتُهم سلمًا أحبَّ إليَّ ممَّا طلعت عليه الشَّمسُ من صفراءَ أو بيضاءَ، قال: قلتُ: يا أميرَ المؤمنين وما كنتَ صانعًا بهم لو أخذتَهم ؟ قال: كنتُ عارضٌ عليهم البابَ الَّذي خرجوا منه أن يدخلوا فيه، فإن فعلوا ذلك قبلتُ منهم وإلَّا استودعتُهم السَّجنَ }.[3]

(وهذا الأثر، لا يدل على أن عمر رضي الله عنه كان لا يرى قتل المرتد، فقد نقل أهل العلم اتفاق السلف على قتل المرتد، ولم يذكروا أن عمر خالف في ذلك، وإنما غاية ما نقلوا عنه أنه كان يرى استتابة المرتد والتأنّي به قبل قتله، وقد ورد عنه الأمر بقتل المرتد، فقد روى عبد الرزاق في "المصنف" (10 /

[1] عن جابر بن عبد الله، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم7322، ومسلم في صحيحه برقم1383.
[2] عن عبد الله بن عتبة، وقال ابن تيمية في الصارم المسلول إسناده صحيح برقم3/605.
[3] عن أنس بن مالك وقال ابن كثير في مسند الفاروق إسناده صحيح برقم2/458، وقال العيني في نخب الأفكار إسناده صحيح برقم12/163، ورواه البيهقي في السنن الكبرى برقم 135و17/136، وعبد الرزاق في المصنف برقم165 و10/166، وقال الألباني في التعليقات الرضية حسن برقم3/342.

168 – 169) عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ عَنْ أَبِيهِ قال (أَخَذَ ابْنُ مَسْعُودٍ قَوْمًا ارْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَكَتَبَ فِيهِمْ إِلَى عُمَرَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: أَنْ اعْرِضْ عَلَيْهِمْ دِينَ الْحَقِّ، وَشَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنْ قَبِلُوهَا فَخَلِّ عَنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَقْبَلُوهَا فَاقْتُلْهُمْ، فَقَبِلَهَا بَعْضُهُمْ فَتَرَكَهُ، وَلَمْ يَقْبَلْهَا بَعْضُهُمْ فَقَتَلَهُ)).

وفي رواية آخرى { روي عن سيدنا عمر رضي الله عنه: أنه قدم على رجل من جيش المسلمين، فقال هل عندكم من مُغربةِ خبر؟ قال نعم، رجل كفر بالله تعالى بعد إسلامه، فقتلناه، فقال عمر: هلا حبستموه في بيت ثلاثة أيام، وأطعمتموه في كل يوم رغيفاً لعله يتوب، ثم قال اللهم إني لم أحضر ولم آمر، ولم أرض }.[1]

لكن لحفظ المجتمع فإن ترك استمرار فتنة المرتد والتي تؤثر في المجتمع بفعله، يجب إقامة الحد فيه.

فقد روى البراء بن عازب فقال { مرَّ بي خالي أبو بردةَ بنُ نيَّارٍ ومعَهُ لواءٌ فقلتُ أينَ تريدُ قال بعثني رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى رجلٍ تزوَّجَ امرأةَ أبيهِ أن آتيَهُ برأسِهِ }.[2]

وهنا أقام رسول الله ﷺ حد القتل على هذا الرجل الذي تعدى أمر الله ورسله في تحريم زواج الرجل بامرأة أبيه، واعتبر مرتدا عن الإسلام لعدم إقراره بأحكام القرآن والسنة النبوية، وحفاظا على المجتمع من التفسخ والتهاون في عقاب المذنبين.

وحديث { أَنَّ امْرَأَةً يُقال لَهَا: أُمُّ مَرْوَانَ، ارْتَدَّتْ عَنْ الْإِسْلَامِ، فَبَلَغَ أَمْرُهَا إلَى النَّبِيِّ - ﷺ -. فَأَمَرَ أَنْ تُسْتَتَابَ، فَإِنْ تَابَتْ، وَإِلَّا قُتِلَتْ }.[3]

وقد يدعي البعض أن هذا الحكم يسئ إلى إسلامنا الجميل الذي يدعو إلى حرية العباده والإختيار، ولم يجبر أحد أو يرغبه في الدخول لهذا الدين الجميل، وأن هذا الحكم قد يخيف من يريد الخروج منه ويرتد إلى الكفر، بأن يخفي كفره وارتداده فيضمر الكفر ويظهر الإيمان وبذلك يكون منافقا، وينتشر النفاق في المجتمع.

---

[1] رواه مالك في الموطأ، والشافعي والبيهقي من طريقه عن محمد بن عبد الله بن عبد القادر، قال قدم على عمر بن الخطاب رجل من قبل أبي موسى .. الحديث ((نصب الراية: 460/ 3، نيل الأوطار: 191/ 7).

[2] قال الألباني صحيح في صحيح الترمذي برقم1362 واللفظ له، وقال صحيح في صحيح أبي داود نحوه برقم4457، كما رواه النسائي في سننه برقم3331، وابن ماجه برقم2607، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج سنن الدارقطني صحيح برقم3440.

[3] عن جابر بن عبد الله، وقال الألباني في إرواء الغليل ضعيف برقم2472، وقال في التعليقات الرضية له شاهد برقم3/341، وقال ابن حجر في تلخيص الحبير [له طريقان، وفي أحدهما زيادة: فأبت أن تسلم فقتلت] وإسناداهما ضعيفان برقم4/1360.

فنقول إن نفاقه عائد إليه، ووجوده بين المؤمنين قد يساعده إلى العودة مرة آخرى، ويتوب الله عليه التواب الرحيم.

فقد حدث في عهد النبوة عودة بعض المنافقين إلى إسلامهم الجميل وتوبتهم إلى الله، ورغم علم حبيبنا الجميل ﷺ بنفاقهم لم يقم عليهم حد الردة، ما داموا لم يعلنوا ردتهم وكفرهم، ولذا حتى لو نافق في وسط المجتمع المسلم فنفاقه عائد إليه ولا يضر المجتمع ما دام يضمر في نفسه مايريد، ولعله يعود إلى رشده كما عاد من سبقه.

فقد روى ابن كثير في تفسيره { كَانَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ : الجُلاس بْنُ سُوَيد بْنِ الصَّامِتِ، وَكَانَ عَلَى أُمِّ عُمَير بْنِ سَعْدٍ، وَكَانَ عُمَيْرٌ فِي حِجْرِهِ، فَلَمَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ بِمَا ذَكَرَ مِمَّا أَنْزَلَ فِي الْمُنَافِقِينَ، قال الْجُلَاسُ: وَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ صَادِقًا فِيمَا يَقُولُ لَنَحْنُ شَرٌّ مِنَ الْحَمِيرِ [قال] فَسَمِعَهَا عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ فَقال والله -يا جلاس -إنك لأحب النَّاسِ إِلَيَّ، وَأَحْسَنُهُمْ عِنْدِي بَلَاءً، وَأَعَزُّهُمْ عَلَيَّ أَنْ يَصِلَهُ شَيْءٌ يَكْرَهُهُ، وَلَقَدْ قُلْتَ مَقالةً لَئِنْ ذَكَرْتُهَا لَتَفْضَحَنَّكَ وَلَئِنْ كَتَمْتُهَا لَتُهْلِكَنِّي، وَلَإِحْدَاهُمَا أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنَ الْآخرى. فَمَشَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَذَكَرَ لَهُ مَا قال الْجُلَاسُ. فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْجُلَاسَ خَرَجَ حَتَّى يَأْتِيَ النَّبِيَّ ﷺ ، فَحَلَفَ بِاللَّهِ مَا قال مَا قال عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ، وَلَقَدْ كَذَبَ عَلَيَّ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، فِيهِ: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قالوا وَلَقَدْ قالوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ﴾ إِلَى آخر الْآيَةِ. فَوَقَفَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهَا. فَزَعَمُوا أَنَّ الْجُلَاسَ تَابَ فَحَسُنَتْ تَوْبَتُهُ، وَنَزَعَ فَأَحْسَنَ النُّزُوعَ }.[1]

فلهم فرصة التوبة فقد قال الله الرحمن الرحيم ﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾.[2]

ولقول الله سبحانه ﴿ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾.[3]

وقوله سبحانه ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾.[1]

[1] تفسير الفرأن الكريم سورة التوبة الآية 74.
[2] سورة التوبة الآية 74.
[3] سورة الأحزاب الآية 24.

فإسلامنا الجميل يترك الباب مواربا للعودة والتوبة سواء كان مرتدا أو منافقا أو مسلم عاصيا، فالله هو التواب الرحيم.

درء الحدودَ بالشُّبهاتِ

فرغم قساوة حدودنا، فإنها نزلت من لدن حكيم عليم رحيم بعباده، رب العالمين، كى يعيش الناس في أمان واطمئنان، وتحذير من أصحاب النفوس المريضة سواء كانوا من القتلة أو الزّناة أو السارقين أو شاربي الخمور والمخدرات أو الذين ينشرون الخوف والرعب ويسعون في الأرض فسادا أو الخارجين على دينهم الحنيف لنشر الكفر والإلحاد.

ورغم قساوتها كما يدعي أهل المدنيَّة وحقوق الإنسان المزيفة، فأين حقوق المظلومين من ضحايا القتلة من الأرامل والأيتام والمكلومين، وأين حقوق من زّنَى بهم واغتصبهم المعتدون الزُّنَاة، وأين حقوق الزوج أو الزوجة المخدوعين، وأين حقوق من اعتدى عليهم شاربوا الخمر في غفلتهم وضياع عقولهم، وأين المظلومون فيمن سرقت أموالهم ومدخراتهم، وأين حق الآمنين المسالمين فيمن روعت نفوسهم وخافوا من الظلم والبطش والقتل ممن يسعون في الأرض فسادا، وأين حق المجتمع المسلم الآمن فيمن يدعي بالكذب في الدين وينشر الإلحاد والفتن.

ورغم كل ذلك يدعونا إسلامنا الجميل بدرء الحدود بالشبهات، تقليلا لإقامة الحدود، وحفظ النفس والأرواح، فلعل منها من كان بريئا رغم إقامة الحجة عليه.

فقد قال الحبيب ﷺ { ادفعوا الحُدودَ ما وجدْتُم لها مَدْفعا }.[2]

وروت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها أن الحبيب ﷺ قال { ادرؤوا الحدودَ عنِ المسلمِينَ ما استطعتُم ؛ فإن كان لهُ مخرجٌ فخلُّوا سبيلَهُ ؛ فإنَّ الإمامَ أنْ يُخطئَ في العفوِ: خيرٌ منْ أنْ يُخطئَ في العقوبةِ }.[3]

---

[1] سورة التوبة الآية 102.

[2] عن أبي هريرة وقال الألباني ضعيف في إرواء الغليل برقم2356، وقال ضعيف في ضعيف الجامع باختلاف يسير برقم261، وقال الصنعاني في سبل السلام [جاء من] عدة روايات موقوفة وهي تعاضد المرفوع وتدل على أن له أصلا في الجملة برقم2545، ورواه ابن ماجه في سننه برقم2545.

[3] أخرجه الترمذي في سننه وقال رُوِيَ موقوفًا وأن الوقف أصحّ، وقد روى عن غير واحد من الصحابة رَضِيَ الله عنهم أنهم قالوا مثل ذلك برقم1424 واللفظ له، وابن أبي شيبة في لمصنف برقم29094، والحاكم برقم8163، والبيهقي برقم17513، وقال الألباني ضعيف في ضعيف الترمذي برقم1424، وقال ضعيف في إرواء الغليل برقم2355، وقال في تخريج مشكاة المصابيح ضعيف الإسناد مرفوعاً وموقوفاً برقم3503.

وروى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عن الحبيب ﷺ أنه قال { ادرؤوا الحدودَ بالشُّبهاتِ }.[1]

وقد رواه أيضا أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه { ادْرؤُوا الحدودَ بالشبهاتِ ما استطعتُم }.[2]

ورواية آخرى عن حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما { ادْرَؤُوا الحدودَ بالشُّبُهاتِ، وأَقِيلُوا الكِرَامَ عَثَرَاتِهِم إلا في حَدٍّ من حدودِ اللهِ تعالى }.[3]

وقال عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنه { لأن أعطلَ الحدودَ بالشبهاتِ، أحبُّ إليَّ من أن أُقيمَها بالشبهاتِ }.[4]

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه { ادرَؤوا الحدودَ ما استطَعتم فإنكم إنْ تُخطِئوا في العفوِ خيرٌ من أن تُخطِئوا في العُقوبةِ، وإذا وجدتم لمسلمٍ مخرجًا فادرَءوا عنه الحدَّ }.[5]

وبذلك يجتمع هذا الحديث الجميل الذي يدفع إقامة الحد عن المحدود، رحمة من إسلامنا الجميل بالشبهة، فقد رواه كثير من الصحابة وهم أبو هريرة وعائشة وعليّ وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وعمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم أجمعين، وكلها يعضد بعضها بعض ويقوي بعضها بعض، فيأخذ بحكم هذا الحديث الجميل.

وفي كتب الفقه كثير من الأحداث عن الخلفاء الأربعة وهم أقرب الصحابة للحبيب ﷺ وخلفاؤه من بعده أنهم درءوا الحدود بالشبهات في كثير من حوادث الزِّنَا والسرقة والقتل وغيرها.

---

[1] قال الألباني في إرواء الغليل علته مختار التمار وهو ضعيف برقم8/25،أخرجه الدارقطني برقم3/84، والبيهقي برقم17515 باختلاف يسير، وقال ابن باز في مجموع الفتاوى له طرق فيها ضعف لكن مجموعها يشد بعضها بعضاً ويكون من باب الحسن لغيره برقم25/263.

[2] قال الألباني في إرواء الغليل ضعيف برقم2316، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق برقم86/191.

[3] قال الألباني في ضعيف الجامع ضعيف برقم258، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج سير أعلام النبلاء فيه ابن لهيعة، [وروي من طريق أخرى مرسلا] برقم8/40.

[4] رواه إبراهيم النخعي وقال ابن عبد البر في الإستذكار [فيه] الحارث بن يزيد أحد الفقهاء الثقات، ومراسيل إبراهيم عندهم صحاح برقم7/15، وقال السخاوى في المقاصد الحسنة إسناده صحيح برقم50.

[5] رواه إبراهيم النخعي وقال البيهقي في السنن الكبرى منقطع وموقوف برقم8/238.

الباب التاسع

إسلامنا الجميل

وعلاقة المسلم

بأخيه المسلم

علاقة المسلم بأخيه المسلم

إسلامنا الجميل أنشأ مجتمعا جميلا قائما على الأخوة بين أفراده، يستوي فيها الغني والفقير والقوي والضعيف، فهذه الأخوة هي الرابط الأساسي بين أفراده، وهي التي تثبت أركان هذا الكيان فيصبح قويا متينا يقوي بعضه بعضا ويساند بعضه بعضا.

وقد ربط إسلامنا الجميل المجتمع بأقوي رابطة، رابطة الدين ورابطة الأخوة التى تربط المجتمع، وتنشئ مجتمعا فريدا يتميز بين الأمم على مر العصور.

فقد قال الله تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾.[1]

وقال الحبيب رَسولَ اللَّهِ ﷺ { المُسْلِمُ أخُو المُسْلِمِ }.[2]

ودعا الحبيب ﷺ إلى بناء هذه الأخوة بين المسلمين، فوصف هذه العلاقة الأخوية بالبناء المرصوص القوي، فقال ﷺ { المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بيْنَ أَصَابِعِهِ }.[3]

وقال ﷺ { مَثَلُ المُؤْمِنِينَ في تَوادِّهِمْ، وتَراحُمِهِمْ، وتَعاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إذا اشْتَكَى منه عُضْوٌ تَداعَى له سائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والْحُمَّى }.[4]

وشبه المسلمين كلهم كالرجل الواحد فقال ﷺ { الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ واحِدٍ، إنِ اشْتَكَى عَيْنُهُ، اشْتَكَى كُلُّهُ، وإنِ اشْتَكَى رَأْسُهُ، اشْتَكَى كُلُّهُ }.[5]

وقال ﷺ { إنَّ الْمُؤْمِنَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، يَأْلَمُ الْمُؤْمِنُ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ، كَمَا يَأْلَمُ الْجَسَدُ لِمَا فِي الرَّأْسِ }.[6]

الحب في الله

---

[1] سورة الحجرات الآية 10.

[2] عن عبد الله بن عمر والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2442، ومسلم في صحيحه برقم2580.

[3] عن أبي موسى الأشعري، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2446، ومسلم في صحيحه برقم2585.

[4] عن النعمان بن بشير، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6011، ومسلم في صحيحه برقم2586.

[5] عن النعمان بن بشير، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم2586، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم6668، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح على شرط الشيخين برقم18393.

[6] عن سهل بن سعد الساعدي، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند صحيح لغيره برقم22877، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة إسناده لا بأس به في الشواهد برقم6/66، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجال أحمد رجال الصحيح برقم8/190.

ومع هذه الأخوة القوية فهم متحابون في الله، ويغبطهم الأنبياء والشهداء على هذه المحبة التي جعلتهم على منابر من نور يوم القيامة.

فقد ورى أبو هريرة رضي الله عنه قال { إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لمَّا قضى صلاتَه أقبَل علينا بوجهِه فقال يا أيُّها النَّاسُ اسمَعوا واعقِلوا واعلَموا أنَّ للهِ عزَّ وجلَّ عبادًا ليسوا بأنبياءَ ولا شهداءَ يغبِطُهم النَّبيُّونَ والشُّهداءُ على منازِلِهم وقُربِهم من اللهِ فجثا رجلٌ من الأعرابِ من قاصيةِ النَّاسِ وألْوَى بيدِه إلى النَّبيِّ ﷺ فقال يا رسولَ اللهِ ناسٌ من المؤمنينَ ليسوا بأنبياءَ ولا شهداءَ يغبِطُهم الأنبياءُ والشُّهداءُ على مجالسِهم وقُربِهم انعَتْهم لنا حلهم لنا يَعْني صِفْهم لنا شكِّلْهم لنا فسُرَّ وجهُ النَّبيِّ ﷺ بسؤالِ الأعرابيِّ فقال رسولُ اللهِ ﷺ هم ناسٌ من أفناءِ النَّاسِ ونوازعِ القبائلِ لم تَصِلْ بينهم أرحامٌ متقاربةٌ تحابُّوا في اللهِ وتصافَوا يضَعُ اللهُ لهم يومَ القيامةِ منابرَ من نورٍ فيُجلِسُهم عليها فيجعَلُ وجوهَهم نورًا وثيابَهم نورًا يفزَعُ النَّاسُ يومَ القيامةِ ولا يفزَعونَ وهم أولياءُ اللهِ الَّذينَ لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزَنونَ وفي روايةٍ قال كُنْتُ عند النَّبيِّ ﷺ فنزَلَت عليه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ قال فنحن نسألُه إذ قال إنَّ للهِ عزَّ وجلَّ عبادًا ليسوا بأنبياءَ ولا شهداءَ يغبِطُهم النَّبيُّونَ والشُّهداءُ بمقعدِهم وقُربِهم من اللهِ قال فذكَر الحديثَ بطولِه }.[1]

وروى أنس بن مالك رضي الله عنه { أنَّ رجلًا كان عند النبيِّ ﷺ ، فمر به رجلٌ، فقال : يا رسولَ اللهِ إني لأحبّ هذا. فقال له النبيُّ ﷺ : أعلمتَه؟ قال: لا قال: أعلِمه قال: فلحقه، فقال: إني أحبُّك في اللهِ، فقال: أحبَّك الذي أحببتَني له }.[2]

ويقول الحبيب ﷺ { إذا أحبَّ الرجلُ أخاه فلْيخبره أنه يحبُّه }.[3]

وفي رواية جميلة { إذا أحَبَّ أحَدُكم صاحبَه، فلْيأْتِه في مَنزِلِه، فلْيُخبِرْه أنَّه يُحِبُّه للهِ عزَّ وجلَّ، وقد أحبَبْتُكَ فجِئْتُكَ في مَنزِلِكَ }.[4]

وروى التَّابعيُّ أبو إدْريسَ الخَوْلانيُّ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال { فسَلَّمتُ عليه فقُلتُ له: واللهِ إنِّي لأُحِبُّكَ للهِ، فقال آللهِ؟ فقُلتُ: آللهِ، فقال آللهِ؟ فقُلتُ: آللهِ، فأخَذَ بحُبْوةِ ردائي فجَبَذَني إليه وقال أبشِرْ؛ فإنِّي

---

[1] قال الألباني في السلسلة الصحيحة إسناده صحيح على شرط الشيخين برقم7/1369، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله وثقوا برقم10/279، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده ضعيف برقم22906، كما رواه الطبراني برقم3/291 ورقم3436.

[2] قال الألباني حسن في صحيح أبي داود برقم5125 واللفظ له، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند صحيح برقم13535 باختلاف يسير.

[3] عن المقدام بن معدي كرب،وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم5124، وقال صحيح في صحيح الأدب المفرد برقم542.

[4] عن أبي ذر الغفارى، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده ضعيف برقم21514، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة إسناده حسن أو أعلى برقم1/777 باختلاف يسير، وقال صحيح في صحيح الجامع برقم281 باختلاف يسير.

سَمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: قال اللهُ عزَّ وجلَّ: وَجَبَتْ مَحبَّتي للمُتحابّينَ فيَّ، والمُتجالِسينَ فيَّ، والمُتزاوِرينَ فيَّ، والمُتباذِلينَ فيَّ }.[1]

ولذا قال الحبيب ﷺ { أوثقُ عُرَى الإيمانِ: الموالاةُ في اللهِ، والمُعاداةُ في اللهِ، والحبُّ في اللهِ، والبُغضُ في اللهِ عزَّ وجلَّ }.[2]

وبحبك لأخيك تجد حلاوة الإيمان في قلبك، فقد قال الحبيب ﷺ { ثَلَاثٌ مَن كُنَّ فيه وجَدَ حَلَاوَةَ الإيمَانِ: أنْ يَكونَ اللَّهُ ورَسولُهُ أحَبَّ إلَيْهِ ممَّا سِوَاهُمَا، وأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلَّا لِلَّهِ، وأَنْ يَكْرَهَ أنْ يَعُودَ في الكُفْرِ كما يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ في النَّارِ}.[3]

قال الحبيب ﷺ { من سرَّه أن يجدَ حلاوةَ الإيمانِ، فليُحبَّ المرءَ لا يحبُّه إلا للهِ }.[4]

ويخبرنا الحبيب ﷺ عن السبعة التي يظلهم الله تحت ظله منهم محبة الأخ لأخيه، فقال الحبيب ﷺ { سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى في ظِلِّهِ يَومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ:..ورَجُلَانِ تَحَابَّا في اللَّهِ، اجْتَمعا عليه وتَفَرَّقَا عليه، ..}.[5]

وهذه الأخوة والمحبة هي التي تربط بعضهم ببعض، وهو عنوان محبة الله لهم، فقال الحبيب ﷺ { أنَّ رَجُلًا زارَ أخًا له في قَرْيَةٍ آخرى، فأرْصَدَ اللَّهُ له، علَى مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمَّا أتَى عليه، قال أيْنَ تُرِيدُ؟ قال أُرِيدُ أخًا لي في هذِه القَرْيَةِ، قال هلْ لكَ عليه مِن نِعْمَةٍ تَرُبُّها؟ قال لا، غيرَ أنِّي أحْبَبْتُهُ في اللهِ عزَّ وجلَّ، قال فإنِّي رَسولُ اللهِ إلَيْكَ، بأنَّ اللَّهَ قدْ أحَبَّكَ كما أحْبَبْتَهُ فِيهِ }.[6]

ويقول الحبيب ﷺ { لَا يُؤْمِنُ أحَدُكُمْ، حتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ }.[7]

ويدعونا إسلامنا الجميل للمحبة بين أفراد المجتمع المسلم، لتسود روح الألفة والترابط بينهم، فيقول الحبيب ﷺ { ما من رجلَيْن تحابَّا في اللهِ بظهرِ الغيبِ ؛ إلَّا كان أحبُّهما إلى اللهِ أشدَّهما حبًّا لصاحبِه }.[1]

---

[1] قال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند صحيح برقم22030 واللفظ له، وقال في تخريج مشكل الآثار صحيح برقم3893، ورواه مالك في الموطأ برقم2/953.

[2] عن عبد الله بن عباس وابن مسعود والبراء بن عازب، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم2539، وقال في تخريج مشكاة المصابيح [فيه] حنش وهو متروك لكن له شواهد يتقوى بها برقم4941، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج شرح السنة حسن بشواهده برقم3468.

[3] عن أنس بن مالك والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم16 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم43.

[4] عن أبي هريرة وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده حسن برقم7967، وقال الألباني حسن في صحيح الجامع برقم6288، وقال في السلسلة الصحيحة إسناده حسن رجاله ثقات برقم2300.

[5] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم1423، ومسلم في صحيحه برقم1031.

[6] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم350، ومسلم في صحيحه برقم2567.

[7] عن أنس بن مالك والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم13، ومسلم في صحيحه برقم 45.

و(عن عبدِ اللهِ يعنِي ابنَ مسعودٍ في قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ قال نزلت في المتحابين في اللهِ).[2]

والمحبة في الله سبب دخول الجنة، فقال الحبيب ﷺ { لا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حتَّى تُؤْمِنُوا، ولا تُؤْمِنُوا حتَّى تَحابُّوا، أوَلا أدُلُّكُمْ علَى شيءٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ تَحابَبْتُمْ؟ أفْشُوا السَّلامَ بيْنَكُمْ }.[3]

تحيتهم السلام

إسلامنا الجميل شعاره السلام وتحيته السلام، وتحية أهل الجنة السلام، ويبدأ اللقاء بالسلام فيدخل في القلب الطمأنينة والسلامة، ويبدأ المؤمن تحية أخيه بالسلام.

فالسلام اسم من أسماء الله الحسنى، قال تعالى ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.[4]

ويقول الحبيب ﷺ { إنَّ السَّلامَ اسمٌ مِن أسماءِ اللهِ تعالَى وضَعَه اللهُ في الأرضِ، فأفشوا السَّلامَ بينكُم }.[5]

وهي اسم من أسماء الجنة، فقال تعالى ﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.[6]

وتحيتهم في الجنة السلام، قال تعالى ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.[7]

ويقول ربنا السلام ﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾.[8]

والسلام هو أولى كلمات أبى البشر آدم عليه السلام التي علمها الله له، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن الحبيب محمد ﷺ قال { خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وطُولُهُ سِتُّونَ ذِراعًا، ثُمَّ قال اذْهَبْ فَسَلِّمْ علَى أُولَئِكَ مِنَ

---

[1] عن أبي الدرداء وقال الألباني رجاله ثقات في السلسلة الصحيحة برقم3273، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح غير المعافي بن سليمان وهو ثقة برقم10/279، ورواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم5279.

[2] عن عوف بن مالك بن نضلة أبو الأحوص، ورواه النسائي في السنن الكبرى برقم11210، والحاكم في المستدرك برقم2/329، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح غير جنادة بن مسلم وهو ثقة برقم7/30.

[3] عن أبي هريرة وأخرجه مسلم في صحيحه برقم54، وقال الألباني صحيح في صحيح ابن ماجه برقم57 ورقم2992.

[4] سورة الحشر الآية 23.

[5] عن أنس بن مالك، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد وقال الألباني حسن برقم760، وقال في السلسلة الصحيحة صحيح برقم184، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج شرح السنة إسناده حسن برقم2/45.

[6] سورة الأنعام الآية 127.

[7] سورة يونس الآية 10.

[8] سورة إبراهيم الآية 23.

المَلائِكَةِ، فاسْتَمِعْ ما يُحَيُّونَكَ، تَحِيَّتُكَ وتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فقال السَّلامُ علَيْكُم، فقالوا: السَّلامُ عَلَيْكَ ورَحْمَةُ اللَّهِ، فَزادُوهُ: ورَحْمَةُ اللَّهِ، فَكُلُّ مَن يَدْخُلُ الجَنَّةَ علَى صُورَةِ آدَمَ، فَلَمْ يَزَلِ الخَلْقُ يَنْقُصُ حتَّى الآنَ }.[1]

ومن أهمية هذه الكلمة الطيبة أمر الحبيب ﷺ بإلقاء السلام على من عرفت ومن لم تعرف، لإفشاء الطمأنينة والسلام في المجتمع، فقال الحبيب ﷺ { أنَّ رَجُلًا سَألَ النبيَّ ﷺ : أيُّ الإسْلَامِ خَيْرٌ؟ قال تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وتَقْرَأُ السَّلَامَ علَى مَن عَرَفْتَ ومَن لَمْ تَعْرِفْ }.[2]

وقال الحبيب ﷺ { ألا أُحدثُكُمْ بِغُرَفِ الجنةِ ؟ قال: قُلتُ: بَلَى يا رسولَ اللهِ بِأبِينا أنتَ وأمِّنا قال: إنَّ في الجنةِ غُرفًا من أصنافِ الجَوْهَرِ كُلِّهِ يُرَى ظاهِرُها من باطِنِها وباطِنُها من ظاهِرِها فيها من النَّعيمِ واللذَّاتِ والشَّرَفِ ما لا عَينٌ رَأَتْ ولا أذنٌ سَمِعَتْ قال: قُلتُ لِمَنْ هذه الغُرَفُ قال لِمَنْ أفْشَى السلامَ، وأطعمَ الطعامَ، وأدَامَ الصيامَ، وصلَّى بِاللليلِ والناسُ نِيامٌ }.[3]

والسلام من حقوق المسلم على أخيه، فقد قال الحبيب ﷺ { حَقُّ المُسْلِمِ علَى المُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ، وعِيَادَةُ المَرِيضِ، واتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وإجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وتَشْمِيتُ العَاطِسِ }.[4]

والسلام هو أمر الحبيب ﷺ لأُمته فقال { يا أيُّها النَّاسُ أفشوا السَّلامَ، وأطعِموا الطَّعامَ، وصِلوا الأرحامَ، وصلُّوا باللَّيلِ والنَّاسُ نيامٌ، تدخلوا الجنَّةَ بسَلامٍ }.[5]

ومن أهمية السلام بين المسلمين قال الحبيب ﷺ { إذا لقيَ أحدُكم أخاه فلْيسلِّم عليه، فإن حالتْ بينهما شجرةٌ أو جدارٌ أو حجرٌ ثم لقيهُ فلْيُسلِّمْ عليهِ }.[6]

ومن فضل إلقاء تحية السلام بين المسلمين، وحث الحبيب ﷺ عليه فقال ﷺ { جاء رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال السلامُ عليكم فردَّ عليه السلامَ ثم جلس فقال النبيُّ ﷺ عشْرٌ. ثم جاء آخر فقال السلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ،

---

[1] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم3326 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم2841.

[2] عن عبد الله بن عمرو، الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم12، ومسلم في صحيحه برقم39.

[3] عن جابر بن عبد الله، وقال الألباني ضعيف في ضعيف الترغيب برقم2190، وقال ابن القيم في حادي الأرواح إسناده وإن كان لا يحتج به وحده ، فإذا انضم إليه [رواية أخرى] استفاد قوة مع أنه قد روي بإسنادين آخرين برقم132.

[4] عن أبي هريرة الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم1240واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم2162.

[5] عن عبد الله بن سلام وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم 2648، ورواه في السلسلة الصحيحة وقال صحيح على شرط الشيخين برقم2/113، وقال صحيح في تخريج مشكاة المصابيح برقم1848، وقال صحيح في صحيح الجامع برقم7865، وصحيح الترمذي برقم2485.

[6] عن أبي هريرة، وقال الألباني صحيح موقوفاً ومرفوعاً في صحيح أبي داود برقم5200، وقال إسناده صحيح في السلسلة الصحيحة برقم186، ورواه أبو بعلى في مسنده برقم6350.

فردَّ عليه، فجلس، فقال عشرون. ثم جاء آخر فقال السلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه، فردَّ عليه، فجلس، فقال ثلاثون }.[1]

فالسلام بين الأخوة هو دعاء ورجاء إلى الله لأخيك المسلم بأن يسلمه الله ويحفظه، وكلنا في الحاجة إلى الدعاء لعل الله - السلام- يستجيب.

يؤثرون على أنفسهم

وهذه الأخوة وهذا الحب يجعل المجتمع قويا يتفانى بعضهم في خدمة بعض، بل ويؤثرون على أنفسهم ولو كان لهم احتياج وضرورة، فقال الكريم سبحانه وتعالى يمدحهم ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾.[2]

وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ، يمدح المهاجرون إخوانهم الأنصار على هذا التصرف النادر في الوجود في الأخوة والمحبة { قال المُهاجِرونَ: يا رسولَ اللهِ، ما رَأينا مِثْلَ قومٍ قَدِمْنا عليهم أحسَنَ مُواساةً في قليلٍ، ولا أحسَنَ بَذْلًا في كَثيرٍ، لقد كَفَوْنا المَؤونةَ، وأشْرَكونا في المَهْنَأِ، حتى لقد حَسِبْنا أنْ يَذهَبوا بالأجْرِ كُلِّه، قال لا، ما أثْنَيتُم عليهم، ودَعَوتُمُ اللهَ لهم }.[3]

وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ، وهذا التصرف النادر الذي نجد فيه ثلاثة من المجاهدين الجرحى المحتاجين للماء أشد احتياج، كل واحد منهم يؤثر أخاه على نفسه حتى استشهدوا ولم يشرب أحدهم شربة الماء.

(وَهَذا الْمَاءُ الَّذِي عُرض عَلَى عِكْرِمَةَ وَأَصْحَابِهِ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ، فَكُلٌّ مِنْهُمْ يَأْمُرُ بِدَفْعِهِ إِلَى صَاحِبِهِ، وَهُوَ جَرِيحٌ مُثْقَلٌ أحوجَ مَا يكون إلى الماء، فرده الآخر إلى الثالث، فَمَا وَصَلَ إِلَى الثَّالِثِ حَتَّى مَاتُوا عَنْ آخرِهِمْ وَلَمْ يَشْرَبْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ).[4]

---

[1] عن عمران بن الحصين، وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم5195، وقال صحيح في صحيح الترمذي برقم2689، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده قوي على شرط مسلم برقم19948.

[2] سورة الحشر الآية 9 – 10.

[3] عن أنس بن مالك وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح على شرط الشيخين برقم13075 واللفظ له، وقال الألباني صحيح في صحيح الترمذي برقم2487، كما رواه أبو داود في سننه برقم4812، والنسائي في السنن الكبرى برقم10009.

[4] تفسير ابن كثير الأية 9 سورة الحشر.

وحديث إيثار الصحابي الفقير وزوجته لضيفهم على أسرته وأطفاله، فقد { جَاءَ رَجُلٌ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ ، فَقال إنِّي مَجْهُودٌ، فأرْسَلَ إلى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقالتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بالحَقِّ، ما عِندِي إلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إلى آخرى، فَقالتْ مِثْلَ ذلكَ، حتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذلكَ: لَا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بالحَقِّ، ما عِندِي إلَّا مَاءٌ، فَقال مَن يُضِيفُ هذا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ؟ فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ، فَقال أَنَا، يا رَسولَ اللهِ، فَانْطَلَقَ به إلى رَحْلِهِ، فَقال لِامْرَأَتِهِ: هلْ عِنْدَكِ شيءٌ؟ قالتْ: لا إلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، قال فَعَلِّلِيهِمْ بشيءٍ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فأطْفِئِ السِّرَاجَ، وَأَرِيهِ أنَّا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ، فَقُومِي إلى السِّرَاجِ حتَّى تُطْفِئِيهِ، قال فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا علَى النبيِّ ﷺ ، فَقال قدْ عَجِبَ اللَّهُ مِن صَنِيعِكُما بضَيْفِكُما اللَّيْلَةَ }.[1]

والإيثار بين الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وقصة عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع رضي الله عنهما مشهورة في كتب السيرة.

(قَدِمَ عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ فَآخَى النبيُّ ﷺ بيْنَهُ وبيْنَ سَعْدِ بنِ الرَّبِيعِ الأنْصَارِيِّ وعِنْدَ الأنْصَارِيِّ امْرَأَتَانِ، فَعَرَضَ عليه أنْ يُنَاصِفَهُ أهْلَهُ ومَالَهُ، فَقال بَارَكَ اللَّهُ لكَ في أهْلِكَ ومَالِكَ، دُلُّونِي علَى السُّوقِ، فأتَى السُّوقَ فَرَبِحَ شيئًا مِن أقِطٍ، وشيئًا مِن سَمْنٍ، فَرَآهُ النبيُّ ﷺ بَعْدَ أيَّامٍ وعليه وضَرٌ مِن صُفْرَةٍ، فَقال مَهْيَمْ يا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، فَقال تَزَوَّجْتُ أنْصَارِيَّةً، قال فَما سُقْتَ إلَيْهَا؟ قال وزْنَ نَوَاةٍ مِن ذَهَبٍ، قال أوْلِمْ ولو بشَاةٍ).[2]

لا فرق بينهم

وإسلامنا الجميل جعل هذه الأخوة تتوثق وتتقوى بعدم التفرقة فيما بينهم فلا فضل بينهم إلا بالتقوى والعمل الصالح، فيسود المجتمع روح الحب والإيثار والمساواة بينهم في كل شيء، ولا يتميز إلا من اجتهد في العمل الصالح والتقوى .

فقد قال الحبيب ﷺ { يا أيُّها الناسُ إنَّ ربَّكمْ واحِدٌ وإنَّ أباكم واحدٌ ألا لا فضلَ لِعربِيٍّ على عجَمِيٍّ ولا لِعجَمِيٍّ على عربيٍّ ولا لأحمرَ على أسْودَ ولا لأسودَ على أحمرَ إلَّا بالتقوى إنَّ أكرَمكمْ عند اللهِ أتْقاكُمْ }.[3]

كما قال الله سبحانه تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾.[1]

---

[1] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم3798، ومسلم في صحيحه برقم2054 واللفظ له.

[2] عن أنس بن مالك والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم5072 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم1427.

[3] عن جابر بن عبد الله وقال الألباني صحيح في غاية المرام برقم313، وقال في السلسلة الصحيحة إسناده صحيح برقم2700، وقال شعيب الأرناؤط في تخريج المسند (عن رجل من الصحابة) إسناده صحيح برقم23489.

ويؤيده قول الحبيب ﷺ { إنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إلى صُوَرِكُمْ وأَمْوالِكُمْ، ولَكِنْ يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ وأَعْمالِكُمْ }.[2]

ويقول الحبيب ﷺ { مَنْ بطَّأَ بهِ عملُهُ لمْ يُسرِعْ بهِ نسبُهُ }.[3]

فليس في إسلامنا الجميل تفاخر ولا تفاضل في الأموال أو الضياع أو الأنساب، فكل ذلك هالك لا محاله ومآله التراب، فلا تفاخر فيه ولا تعالي، ولكن الفخر الصحيح هو التنافس في العمل الصالح والتقوى التي في القلوب، والتفاخر الصحيح عندما يتسلم المسلم كتابه بيمينه، ويعلن بكل صوته وسط الخلائق ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ١٩ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ٢٠ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ٢١ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ٢٣ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ٢٤ ﴾.[4]

الأخوة العملية

وهذه العلاقة القوية فسرها الحبيب ﷺ في حديث جميل شامل فقال { المُسْلِمُ أخُو المُسْلِمِ لا يَظْلِمُهُ ولَا يُسْلِمُهُ، ومَن كانَ في حَاجَةِ أخِيهِ كانَ اللَّهُ في حَاجَتِهِ، ومَن فَرَّجَ عن مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عنْه كُرْبَةً مِن كُرُبَاتِ يَومِ القِيَامَةِ، ومَن سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَومَ القِيَامَةِ }.[5]

وفي زيادة حسنة {.....ومن ستر مسلمًا ؛ ستره اللهُ يومَ القيامةِ ومن مشى مع مظلومٍ حتى يُثْبِتَ له حقَّه ؛ ثبَّت اللهُ قدمَيه على الصِّراطِ يومَ تزولُ الأقدامُ }.[6]

ويقول الحبيب ﷺ في أهمية التعاون بين المسلم وأخيه فقال { مَن نَفَّسَ عن مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِن كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عنْه كُرْبَةً مِن كُرَبِ يَومِ القِيَامَةِ، وَمَن يَسَّرَ علَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عليه في الدُّنْيَا وَالآخرةِ، وَمَن سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ في الدُّنْيَا وَالآخرةِ، وَاللَّهُ في عَوْنِ العَبْدِ ما كانَ العَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَن سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فيه عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ له به طَرِيقًا إلى الجَنَّةِ، وَما اجْتَمع قَوْمٌ في بَيْتٍ مِن بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ

---

[1] سورة الحجرات الآية 13.

[2] عن أبي هريرة وأخرجه مسلم في صحيحه برقم2564، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده صحيح برقم394، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم1862.

[3] عن أبي هريرة وأخرجه مسلم في صحيحه برقم2699، وقال الألباني صحيح في صحيح الترغيب برقم2964.

[4] سورة الحاقة الآية 19 – 24.

[5] عن عبد الله بن عمر والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2442، ومسلم في صحيحه برقم2580.

[6] عن عبد الله بن عمر وقال الألباني في صحيح الترغيب حسن لغيره برقم2614.

اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بيْنَهُمْ، إلَّا نَزَلَتْ عليهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَن عِنْدَهُ، وَمَن بَطَّأَ به عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ به نَسَبُهُ }.[1]

ويدعونا ربنا الكريم في هذا المجتمع الأخوي إلى الإيمان بالله وعبوديته سبحانه وفعل الخيرات، فقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.[2]

كما يأمرنا ربنا الكريم في هذا المجتمع المتكامل القوي بأخوته بفعل الخيرات، فقال سبحانه ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.[3]

حقوق المسلم على أخيه

ولذا للمسلم على أخيه المسلم حقوق متبادلة بين بعضهم البعض، يدعونا إليها إسلامنا الجميل لبناء مجتمع متكامل يقوم على تكامل الحقوق القائمة على الحب والإيثار والتعاون.

فقد قال الحبيب ﷺ { أَمَرَنَا رَسولُ اللَّهِ ﷺ بسَبْعٍ ونَهَانَا عن سَبْعٍ: أَمَرَنَا بعِيَادَةِ المَرِيضِ، واتِّبَاعِ الجِنَازَةِ، وتَشْمِيتِ العَاطِسِ، وإجَابَةِ الدَّاعِي، وإفْشَاءِ السَّلَامِ، ونَصْرِ المَظْلُومِ، وإبْرَارِ المُقْسِمِ، ونَهَانَا عن خَوَاتِيمِ الذَّهَبِ، وعَنِ الشُّرْبِ في الفِضَّةِ، أوْ قال آنِيَةِ الفِضَّةِ، وعَنِ المَيَاثِرِ والقَسِّيِّ، وعَنْ لُبْسِ الحَرِيرِ والدِّيبَاجِ والإسْتَبْرَقِ }.[4]

والمَيَاثِرِ والقَسِّيِّ والدِّيبَاجِ والإسْتَبْرَقِ كلها من أنواع الحرير التي لا تجوز للرجال إلا لضرورة.

وقال الحبيب ﷺ { حَقُّ المُسْلِمِ علَى المُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ، وعِيَادَةُ المَرِيضِ، واتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وإجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وتَشْمِيتُ العَاطِسِ }.[5]

وقال الحبيب ﷺ { حَقُّ المُسْلِمِ علَى المُسْلِمِ سِتٌّ قيلَ: ما هُنَّ يا رَسولَ اللهِ؟ قال إذا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عليه، وإذا دَعاكَ فأجِبْهُ، وإذا اسْتَنْصَحَكَ فانْصَحْ له، وإذا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَسَمِّتْهُ، وإذا مَرِضَ فَعُدْهُ وإذا ماتَ فاتَّبِعْهُ }.[1]

---

[1] عن أبي هريرة وأخرجه مسلم في صحيحه برقم2699، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند صحيح برقم7942، وقال الألباني صحيح في صحيح الترمذي برقم1930، وصحيح في صحيح أبي داود برقم4946.

[2] سورة الحج الآية 77.

[3] سورة المزمل الآية 20.

[4] عن البراء بن عازب، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم5635، ومسلم في صحيحه برقم2066.

[5] عن أبي هريرة، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم1240 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم2162.

وقال الحبيب ﷺ { أَطْعِمُوا الجائِعَ، وعُودُوا المَرِيضَ، وفُكُّوا العانِيَ }.[2]

ويقول الحبيب ﷺ { المُؤْمِنُ أَخُو المُؤْمِنِ، فلا يَحِلُّ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَبْتَاعَ علَى بَيْعِ أَخِيهِ، وَلَا يَخْطُبَ علَى خِطْبَةِ أَخِيهِ حتَّى يَذَرَ }.[3]

ويؤيدها قول الحبيب ﷺ { كُلُّ سُلامَى مِنَ النَّاسِ عليه صَدَقَةٌ، كُلَّ يَومٍ تَطْلُعُ فيه الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، ويُعِينُ الرَّجُلَ علَى دابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عليها، أوْ يَرْفَعُ عليها مَتاعَهُ صَدَقَةٌ، والكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوها إلى الصَّلاةِ صَدَقَةٌ، ويُمِيطُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ }.[4]

انصر اخاك

ومن هذه الحقوق الوقوف بجانبه ونصرته وتأييده، فإن كان مظلوما تقوم معه حتى ينتصر وترفع الظلم والعدوان عنه، وإن كان ظالما فترده عن ظلمه وتمنعه من التمادي في الظلم، وكن له ناصحا أمينا، فإن لم ينته عن ظلمه قومته ومنعته بالقوة، سواء أكان هذا الظلم على مسلم أو غيره، فإن إسلامنا الجميل حرم الظلم مطلقا، { عَنِ النبيِّ ﷺ ، فِيما رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أنَّهُ قال يا عِبَادِي إنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ علَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فلا تَظَالَمُوا }.[5]

ويقول سبحانه في كتابه الكريم ﴿ فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.[6] ويقول سبحانه ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.[7] ويقول سبحانه ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.[8]

ولذا قال الحبيب ﷺ { انْصُرْ أخاكَ ظالِمًا أوْ مَظْلُومًا فقال رَجُلٌ: يا رَسولَ اللَّهِ، أنْصُرُهُ إذا كانَ مَظْلُومًا، أفَرَأَيْتَ إذا كانَ ظالِمًا كيفَ أنْصُرُهُ؟ قال تَحْجُزُهُ، أوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فإنَّ ذلكَ نَصْرُهُ }.[9]

---

[1] عن أبي هريرة، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم2162، وقال الألباني صحيح في صحيح الأدب المفرد برقم762، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده صحيح على شرط مسلم برقم242، وقال في تخريج المسند صحيح برقم9341.

[2] عن أبو موسى الأشعري، وأخرجه البخاري في صحيحه برقم5373، وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم3105.

[3] عن عقبة بن عامر، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم1414، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم6648.

[4] عن أبي هريرة، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2989واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم1009.

[5] عن أبي ذر، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم2577، وقال الألباني صحيح في صحيح الأدب المفرد برقم377، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده صحيح على شرط مسلم غير حميد بن زنجويه برقم619.

[6] سورة البقرة الآية 193.

[7] سورة البقرة الآية 258.

[8] سورة آل عمران الآية 57.

[9] عن أنس بن مالك وأخرجه البخاري في صحيحه برقم6952، وقال الألباني صحيح في صحيح الترمذي برقم2255.

وروى الأَحْنَفَ بنَ قَيسٍ رضي الله عنه قال { ذَهَبْتُ لأنْصُرَ هذا الرَّجُلَ، فَلَقِيَنِي أبو بَكْرَةَ فَقال أيْنَ تُرِيدُ؟ قُلتُ: أنْصُرُ هذا الرَّجُلَ، قال ارْجِعْ فإنِّي سَمِعْتُ رَسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: إذَا التَقَى المُسْلِمَانِ بسَيْفَيْهِما فَالقَاتِلُ والمَقْتُولُ في النَّارِ، فَقُلتُ يا رَسولَ اللَّهِ هذا القَاتِلُ فَما بَالُ المَقْتُولِ قال إنَّه كانَ حَرِيصًا علَى قَتْلِ صَاحِبِهِ }.[1]

لا قتال بينهم

وإسلامنا الجميل يطفئ نيران القلوب وينزع فتيل النزاع بين المسلمين بعدله وقانونه السماوي الذي يعلم ماتخفي القلوب، ولذا فإذا قام نزاع بين طائفتين منهم فيسارع إسلامنا الجميل لإخماد نار الحرب بينهما فيقول ربنا سبحانه وتعالى ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾.[2]

فالقاتل والمقتول إذا التقيا بسيفيهما فهما في النار، كما أخبرنا الحبيب ﷺ لأن كل منهما حريص على قتل أخيه.

لا قتل بينهم

إسلامنا الجميل حرم قتل المسلم وحرم القتال بينهم، وشدد في ذلك أشد التحريم، لما فيه من تدمير العلاقة بين المسلم وأخيه وتدمير المجتمع الذي ينتشر فيه الخوف والثأر والجريمة.

فقد قال الله تعالى ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً ﴾.[3]

وحتى القتل الخطأ، فالله سبحانه وتعالى يمنعه، فقال سبحانه ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗاۚ وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـٔٗا فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ فَإِن كَانَ مِن قَوۡمٍ عَدُوّٖ لَّكُمۡ

[1] عن أبو بكرة نفيع بن الحارث والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم31 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم2888.
[2] سورة الخحرات الآية 9 – 10.
[3] سورة النساء الآية 93.

وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ وَإِن كَانَ مِن قَوۡمٍ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾.[1]

وقال الحبيب ﷺ { والَّذي نفسي بيدِهِ لقَتلُ مؤمنٍ أعظمُ عندَ اللَّهِ من زوالِ الدُّنيا }.[2]

وفي رواية آخرى قال الحبيب ﷺ { لزوالُ الدنيا أهونُ على اللهِ مِنْ قتلِ رجلٍ مسلمٍ }.[3]

ويحذر الحبيب ﷺ فقال { لَنْ يَزَالَ المُؤْمِنُ في فُسْحَةٍ مِن دِينِهِ، ما لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا }.[4]

ومن فرح وسر بقتل أخيه السلم فلن يقبل الله منه عملا، فقد قال الحبيب ﷺ { كلُّ ذنبٍ عسى اللهُ أنْ يغفِرَه؛ إلَّا مَن مات مشركًا، أو مَن قتَلَ مؤمنًا مُتعمِّدًا. فقال هانئُ بنُ كُلْثومٍ: سمِعتُ محمودَ بنَ الربيعِ يُحدِّثُ عن عُبادةَ بنِ الصامِتِ، أنَّه سمِعَه يُحدِّثُ عن رسولِ اللهِ ﷺ أنَّه قال مَن قتَلَ مؤمنًا، فاغتَبطَ بقتلِه، لم يقبَلِ اللهُ منه صَرْفًا، ولا عَدْلًا. قال لنا خالدٌ: ثم حدَّثَنا ابنُ أبي زكَرِيَّا، عن أمِّ الدَّرْداءِ، عن أبي الدَّرْداءِ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال لا يزالُ المؤمنُ مُعنِقًا صالحًا ما لم يُصِبْ دَمًا حَرامًا، فإذا أصاب دَمًا حَرامًا بلَّحَ }.[5]

لا تخاصم بينهم

إسلامنا الجميل حريص كل الحرص على سلامة المجتمع والحفاظ على تماسكه وثباته، ولذا حرم ومنع كل ما يسبب النزاع والخلاف بين المسلمين، فمنع التخاصم بينهم، فلا يزيد التخاصم عن ثلاثة أيام حتى تهدأ النفوس وترتاح القلوب.

قال سبحانه تعالى ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾.[6]

وعن أبى أيوب الأنصاري رضي الله عنه { أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ قال: لا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أنْ يَهْجُرَ أخاهُ فَوْقَ ثَلاثِ لَيالٍ، يَلْتَقِيانِ: فيُعْرِضُ هذا ويُعْرِضُ هذا، وخَيْرُهُما الذي يَبْدَأُ بالسَّلامِ }.[7]

---

[1] سورة النساء الآية 92.

[2] عن عبد الله بن عمرو وقال الألباني صحيح في صحيح النسائي برقم3997، ورواه الطبراني برقم416/13 وبرقم14256 باختلاف يسير، ورواه النسائي عن بريدة بن الحصيب برقم3990.

[3] عن عبد الله بن عمرو، وقال الألباني صحيح في صحيح الترمذي برقم1395، وقال صحيح في صحيح الجامع برقم5077.

[4] عن عبد الله بن عمر، وأخرجه البخاري في صحيحه برقم6862، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم7691.

[5] عن أبو الدرداء وعبادة بن الصامت، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج سنن أبي داود إسناداه صحيحان برقم4270، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم7693.

[6] سورة الأنفال الآية 46.

[7] عن أبو أيوب الأنصاري والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6077، ومسلم في صحيحه برقم2560.

وفي رواية هاشم بن عامر رضي الله عنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال { لا يَحِلُّ لِمُسلِمٍ أنْ يَهجُرَ مُسلِمًا فَوقَ ثَلاثِ ليالٍ، فإنْ كان تَصارَما فَوقَ ثَلاثٍ؛ فإنَّهما ناكِبانِ عن الحَقِّ ما داما على صُرامِهما، وأوَّلُهما فَيئًا فسَبْقُهُ بالفَيءِ كفَّارَتُهُ، فإنْ سلَّمَ عليه فلم يَرُدَّ عليهِ، ورَدَّ عليه سَلامَهُ؛ رَدَّتْ عليه المَلائكةُ، ورَدَّ على الآخر الشَّيطانُ، فإنْ ماتا على صُرامِهما لم يَجتَمِعا في الجنَّةِ أبَدًا }.[1]

والتصارم الإصرار على الهجر والتباعد والتدابر، وناكبان أي بعيدان عن الحق.

وروى أنس بن مالك رضي الله أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال { لا تَبَاغَضُوا، وَلا تَحَاسَدُوا، وَلا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ }.[2]

والحبيب محمد ﷺ قال { تُفْتَحُ أبْوابُ الجَنَّةِ يَومَ الإثْنَيْنِ، ويَومَ الخَمِيسِ، فيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لا يُشْرِكُ باللَّهِ شيئًا، إلَّا رَجُلًا كانَتْ بيْنَهُ وبيْنَ أخِيهِ شَحْناءُ، فيُقال أنْظِرُوا هَذَيْنِ حتَّى يَصْطَلِحا، أنْظِرُوا هَذَيْنِ حتَّى يَصْطَلِحا، أنْظِرُوا هَذَيْنِ حتَّى يَصْطَلِحا. وقال قُتَيْبَةُ: إلَّا المُهْتَجِرَيْنِ }.[3]

وقال الحبيب ﷺ محذرا { من هجر أخاه فوقَ ثلاثٍ فهو في النَّارِ، إلا أن يتداركَه اللهُ برحمتِه }.[4]

وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه قال الحبيب ﷺ محذرا { لا يحلُّ لمسلمٍ أن يهجرَ أخاه فوقَ ثلاثٍ، فمن هجرَ فوقَ ثلاثٍ فمات، دخل النارَ }.[5]

وهذا الحديث الجميل الذي يجهله كثير من المسلمين، قال الحبيب ﷺ { من هجرَ أخاهُ سنةً فَهوَ كسفكِ دمِهِ }.[6]

ويأمرنا إسلامنا الجميل بالصلح بين المتخاصمين ولم الشمل، حتى ترتاح النفوس وتسود روح الأخوة والمحبة بينهم ويستقيم المجتمع، فقال تعالى ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ

---

[1] وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح على شرط مسلم برقم16257، وقال الألباني صحيح في صحيح الترغيب برقم2759 باختلاف يسير.

[2] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6065، ومسلم في صحيحه برقم2559.

[3] عن أبي هريرة، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني برقم411، ومسلم في صحيحه برقم2565.

[4] عن فضالة بن عبيد، وقال الألباني حسن لغيره في صحيح الترغيب برقم2761، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح برقم8/70، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف برقم 25880، والطبراني برقم315/18 ورقم815 باختلاف يسير.

[5] قال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم4914، وقال صحيح في صحيح الترغيب برقم2757، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج رياض الصالحين إسناده صحيح برقم1595.

[6] عن أبي خراش السلمي، وقال الألباني صحيح في صحيح الأدب المفرد برقم313، وقال صحيح في صحيح أبي داود برقم4915،

عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾.[1]

قال تعالى ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾.[2]

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ { أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاةِ وَالصَّدَقَةِ ؟ قالوا : بَلَى . قال : صَلاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ }.[3] وَيُرْوَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قال : } هِيَ الْحَالِقَةُ . لا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ }.[4]

وأباح إسلامنا الجميل الكذب في حالة الإصلاح بين المتخاصمين، فعن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ { ليسَ الكَذَّابُ الذي يُصْلِحُ بيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِي خَيْرًا، أوْ يقولُ خَيْرًا }.[5]

لا تفاخر وتعالي بينهم

يحرص إسلامنا الجميل أن يكون المجتمع المسلم مجتمعا ينعم كل من يعيشون فيه بالعدل والمساواة ويكبت نزعات البشر التي تتفاخر بالترفع والتعالى عن الآخرين والتفاخر بالأعراق والأنساب، مما يمنع الحروب ويحل السلام والترابط والتعاون بينهم.

فيقول ربنا الرحيم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾.[6]

وقال الله المتعال ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾.[7]

عن مُطَرِّفِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ الشِّخِّيرِ قال { بلَغَني أنَّكَ تقولُ: سمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: ثلاثةٌ يُحبُّهمُ اللهُ عزَّ وجلَّ، وثلاثةٌ يُبغِضُهمُ اللهُ عزَّ وجلَّ قال نَعَمْ، قُلْتُ: مَنِ الثلاثةُ الذينَ يُبغِضُهمُ اللهُ؟ قال الفَخورُ المُختالُ، وأنتم

---

[1] سورة آل عمران الآية 103.
[2] سورة الأنفال الأية 1.
[3] قال الألباني صحيح في صحيح الترمذي برقم2509 واللفظ له، وقال صحيح في صحيح أبي داود برقم4919 باختلاف يسير، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح برقم27508.
[4] رواه الترمذي برقم2510، وأحمد في مسنده برقم1412.
[5] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2692، ومسلم في صحيحه برقم2605.
[6] سورة الحجرات الآية 11.
[7] سورة لقمان الآية 18.

تَجِدونَهُ في كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان: 18]، والبَخيلُ المنَّانُ، والتاجِرُ أوِ البيَّاعُ الحلَّافُ }.[1]

ويقول الحبيب ﷺ عن رب العزة { الْعِزُّ إزارُهُ، والْكِبْرِياءُ رِداؤُهُ، فمَن يُنازِعُنِي عَذَّبْتُهُ }.[2]

وفي رواية آخرى يقول الحبيب ﷺ { إنَّ اللهَ تعالى يقولُ: إنَّ العزَّ إزاري، والكبرياءَ ردائي، فمَن نازعَني فيهِما عذَّبْتُهُ }.[3]

وقال الحبيب ﷺ { إنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حتَّى لا يَفْخَرَ أَحَدٌ علَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ علَى أَحَدٍ}.[4]

فلعل من تستكبر عليه يكون أقرب إلى الله منك، ودعوته مستجابة عنك، فقد قال الحبيب ﷺ { رُبَّ أشْعَثَ، مَدْفُوعٍ بالأبْوابِ لو أقْسَمَ علَى اللهِ لأَبَرَّهُ }.[5]

وروى مصعب بن سعد رضي الله عنه قال { رَأي سَعْدٌ رَضِيَ اللَّهُ عنْه، أنَّ له فَضْلًا علَى مَن دُونَهُ، فَقال النبيُّ ﷺ : هلْ تُنْصَرُونَ وتُرْزَقُونَ إلَّا بضُعَفَائِكُمْ }.[6]

وقال الحبيب ﷺ نصرة لهؤلاء الضعفاء { ابغوني الضُّعفاءَ، فإنَّما تُرزقونَ وتُنصرونَ بضعفائِكُمْ }.[7]

وقد تعالى إبليس وتفاخر على آدم، ولم يسجد له كما أمره الله تعالى في قرآنه الكريم ﴿ قال مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قال أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾.[8]

فنَسَبَ الجَورَ إلى ربه، في زعمهِ أنه هو الأفضلُ.

---

[1] عن أبي ذر، والحديث بطوله قال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح على شرط مسلم برقم21530، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح برقم8/173، كما رواه النسائي في السنن الكبرى برقم1315 نحوه.

[2] عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة، الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألبانى برقم429، ومسلم في صحيحه برقم2620 واللفظ له.

[3] عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة وابن عباس، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم1908، وصحيح في صحيح الترغيب برقم2898، والبزار في مسنده برقم15/55.

[4] عن عياض بن حمار، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم2865، وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم4895.

[5] عن أبي هريرة وأخرجه مسلم في صحيحه برقم2622، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم3484.

[6] أخرجه البخاري في صحيحه برقم2896، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم7035.

[7] عن أبي الدرداء وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم2594، وقال صحيح في صحيح النسائي برقم3179، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح برقم21731.

[8] سورة الأعراف الآية 12.

وقال الحبيب ﷺ { بيْنَما رَجُلٌ يَتَبَخْتَرُ، يَمْشِي في بُرْدَيْهِ قدْ أعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ، فَخَسَفَ اللَّهُ به الأرْضَ، فَهو يَتَجَلْجَلُ فيها إلى يَومِ القِيامَةِ }.[1]

إحسان الظن بينهم

إسلامنا الجميل يدعونا لإحسان الظن بالآخرين، ويعلمنا أن تلقى أخاك بوجه طلق خال من الشك وسوء الظن، وتلقاه بكل ثقة واطمئنان.

وينبهنا قرآننا العظيم لهذه القضية الحساسة والتي تكون بداية لهدم العلاقة بين الآخوة، وسببا في هدم المجتمع ككل فيقول ربنا العليم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾.[2]

ويقول سبحانه ﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ﴾.[3]

وهو الذي يتتبع عورات الناس ويطعن فيهم ويتكلم في حقهم، وهو نموذج قد يكون في المجتمع المسلم فيحذرنا ربنا سبحانه وتعالى من هذا النموذج المدمر للأفراد والهدام للمجتمع.

وينصح الحبيب ﷺ معاوية بن أبى سفيان رضي الله عنه فيقول له { إنك إن اتبعتَ عوراتِ الناسِ أفسدتَهم أو كدتَ أن تفسدَهم }.[4]

وينصح الحبيب ﷺ كل أمير أو حاكم فيقول له { إنَّ الأميرَ إذا ابتغى الرِّيبةَ في النَّاسِ أفسَدهم }.[5]

وينصحنا الحبيب ﷺ كل الأمة فقال { لا تَحاسَدُوا، ولا تَناجَشُوا، ولا تَباغَضُوا، ولا تَدابَرُوا، ولا يَبِعْ بَعْضُكُمْ علَى بَيْعِ بَعْضٍ، وكُونُوا عِبادَ اللهِ إخْوانًا المُسْلِمُ أخُو المُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ ولا يَخْذُلُهُ، ولا يَحْقِرُهُ التقوى

[1] عن أبي هريرة الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم5789 نحوه، ومسلم في صحيحه برقم2088 واللفظ له.
[2] سورة الحجرات الآية 12.
[3] سورة الهمزة الآية 1.
[4] عن معاوية بن أبي سفيان وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم4888، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده صحيح برقم5760.
[5] عن المقدام بن معد يكرب وأبو أمامة الباهلي، وقال الألباني في صحيح أبي داود صحيح لغيره برقم4889، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله ثقات برقم5/218، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج مشكل الآثار إسناده حسن برقم88.

هاهُنا ويُشِيرُ إلى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ بحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أنْ يَحْقِرَ أخاهُ المُسْلِمَ، كُلُّ المُسْلِمِ علَى المُسْلِمِ حَرامٌ، دَمُهُ، ومالُهُ، وعِرْضُهُ }.[1]

وفي رواية آخرى يؤكد فيقول ﷺ { لا تَباغَضُوا، ولا تَحاسَدُوا، ولا تَدابَرُوا، وكُونُوا عِبادَ اللَّهِ إخْوانًا، ولا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أنْ يَهْجُرَ أخاهُ فَوْقَ ثَلاثَةِ أيَّامٍ }.[2]

وفي وراية ثالثة يحذر فيقول ﷺ { إيَّاكُمْ والظَّنَّ، فإنَّ الظَّنَّ أكْذَبُ الحَديثِ، ولا تَحَسَّسُوا، ولا تَجَسَّسُوا، ولا تَنافَسُوا، ولا تَحاسَدُوا، ولا تَباغَضُوا، ولا تَدابَرُوا، وكُونُوا عِبادَ اللهِ إخْوانًا }.[3]

العدل بينهم

فإسلامنا الجميل يأمر بالعدل بين كل طوائف ومكونات المجتمع المسلم سواء كان مسلما أو غير ذلك، فالعدل أساس لإقامة المجتمع العادل.

وأن تكون علاقة المسلم بأخيه المسلم تقوم على الحب والإيثار ثم إقامة العدل بينهم، وبالعدل تستقيم الأمور بن الناس ويطمئن كل فرد سواء كان حاكما أو محكوما بأن دستور العدل وقانون الإنصاف سيطبق على الجميع فيستقيم المجتمع ويتقدم.

فيقول ربنا سبحانه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾.[4]

ويقول سبحانه العادل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾.[5]

ويقول سبحانه وتعالى ﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾.[6]

ويقول سبحانه ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾.[1]

---

[1] عن أبي هريرة وأخرجه مسلم في صحيحه برقم2699، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم7242، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده جيد على شرط مسلم برقم8722.

[2] عن أنس بن مالك والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6065، ومسلم في صحيحه برقم2559.

[3] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6066، ومسلم في صحيحه برقم2536.

[4] سورة النحل الآية 90.

[5] سورة النساء الآية 58.

[6] سورة النحل الآية 126.

ويقول الحبيب ﷺ { إنَّ المُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ علَى مَنابِرَ مِن نُورٍ، عن يَمِينِ الرَّحْمَنِ عزَّ وجلَّ، وكِلْتا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ في حُكْمِهِمْ وأَهْلِيهِمْ وما وُلُّوا }.[2]

ويعطينا الحبيب ﷺ مثالا ناصعا في تحقيق العدل وتطبيقه على الجميع، فقد روى عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال { أنَّ امْرَأَةً سَرَقَتْ في عَهْدِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ في غَزْوَةِ الفَتْحِ، فَفَزِعَ قَوْمُها إلى أُسامَةَ بنِ زَيْدٍ يَسْتَشْفِعُونَهُ، قال عُرْوَةُ: فَلَمَّا كَلَّمَهُ أُسامَةُ فيها، تَلَوَّنَ وجْهُ رَسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال أتُكَلِّمُنِي في حَدٍّ مِن حُدُودِ اللَّهِ، قال أُسامَةُ: اسْتَغْفِرْ لي يا رَسولَ اللَّهِ، فَلَمَّا كانَ العَشِيُّ قامَ رَسولُ اللَّهِ خَطِيبًا، فأثْنَى علَى اللَّهِ بما هو أهْلُهُ، ثُمَّ قال أمَّا بَعْدُ، فإنَّما أهْلَكَ النَّاسَ قَبْلَكُمْ: أنَّهُمْ كانُوا إذا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وإذا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أقامُوا عليه الحَدَّ، والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ، لو أنَّ فاطِمَةَ بنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَها ثُمَّ أمَرَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ بتِلْكَ المَرْأَةِ فَقُطِعَتْ يَدُها، فَحَسُنَتْ تَوْبَتُها بَعْدَ ذلكَ وتَزَوَّجَتْ قالتْ عائِشَةُ: فَكانَتْ تَأْتي بَعْدَ ذلكَ فأرْفَعُ حاجَتَها إلى رَسولِ اللَّهِ ﷺ }.[3]

ويؤكده الله العادل الحكيم فيقول ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾.[4]

وآية آخرى يقول سبحانه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾.[5]

يدعو بعضهم لبعض بظاهر الغيب

إسلامنا الجميل يربط بين المسلمين برباط الأخوة التي هي أعلى درجات العلاقة الإنسانية، ودائما يربطهم برباط قوي مستمر، ولا تنفك هذه الرابطة بالتباعد المكاني أو الزماني، ومنها أن تدعو لأخيك ولو

---

[1] سورة الشورى الآية 40.

[2] عن عبد الله بن عمرو، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم1827 واللفظ له، وقال الألباني صحيح في صحيح النسائي برقم5394، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان صحيح برقم4484.

[3] عن عروة بن الزبير وعائشة، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم4304 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم1688.

[4] سورة النساء الآية 135.

[5] سورة المائدة الآية 8.

كان بعيدا عنك، فقد قال الحبيب محمد ﷺ { ما مِن عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لأَخِيهِ بظَهْرِ الغَيْبِ، إلَّا قال المَلَكُ: وَلَكَ بمِثْلٍ }.[1]

وقال الحبيب ﷺ { دَعْوَةُ المَرْءِ المُسْلِمِ لأَخِيهِ بظَهْرِ الغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّما دَعَا لأَخِيهِ بخَيْرٍ، قال المَلَكُ المُوَكَّلُ بهِ: آمِينَ وَلَكَ بمِثْلٍ }.[2]

وكان الحبيب ﷺ دائم الدعاء لمن أسدى إليه معروفا، فروى **عبدُ اللهِ بنُ أبي رَبيعةَ المَخزوميُّ رضِيَ اللهُ عنه أن الحبيب** ﷺ { استلفَ منْهُ حينَ غزا حُنينًا ثلاثينَ أو أربعينَ ألفًا فلمَّا قدِمَ قضاها إيَّاهُ ثمَّ قال لَهُ النَّبيُّ ﷺ بارَكَ اللَّهُ لَكَ في أَهلِكَ ومالِكَ إنَّما جزاءُ السَّلفِ الوفاءُ والحمدُ }.[3]

بل كان يدعو دائما لأمته في كل أحواله ويحث المسلمين على الدعاء لبعضهم البعض، ويقول { من استغفر للمؤمنين والمؤمناتِ ردَّ اللهُ عليه على كلِّ مؤمنٍ من مضَى من أوَّلِ الدَّهرِ أو هو كائنٌ إلى يومِ القيامةِ }.[4]

وقال الحبيب ﷺ في حديث آخر { مَن قال كلَّ يومٍ اللهمَّ اغفِرْ لي وللمؤمنين والمؤمناتِ أُتْحِفَ به مِن كلِّ مؤمنٍ حسنةً }.[5]

وقال الحبيب ﷺ { أيُّما رجُلٍ مُسلِمٍ لَمْ يكُنْ عندَه صدقةٌ فلْيقُلْ في دُعائِه: اللَّهمَّ صلِّ على مُحمَّدٍ عبدِكَ ورسولِكَ وصَلِّ على المُؤمِنينَ والمُؤمِناتِ والمُسلِمينَ والمُسلِماتِ فإنَّها زكاةٌ } وقال: { لا يشبَعُ المُؤمِنُ خيرًا حتَّى يكونَ منتهاه الجنَّةُ }.[6]

وكان عمر بن الخطاب أمير المؤمنين يستشعر ذلك فكان يدعو للمسلمين كلهم، فروى عبيد بن عمير قال: (أنَّ عمرَ بنِ الخطَّابِ رضِي اللَّهُ عنه قنَتَ بعدَ الرُّكوعِ فقال: اللَّهُمَّ اغفِرْ للمؤمنينَ والمؤمناتِ والمسلمينَ والمسلماتِ وألِّفْ بينَ قلوبِهم وأصلِحْ ذاتَ بينِهِم وانصُرهُم على عدوِّكَ وعدوِّهم).[1]

---

[1] عن أبي الدرداء، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم2732، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم6235، وقال صحيح في صحيح أبي داود برقم1543 باختلاف يسير.

[2] عن صفوان بن عبد الله بن صفوان وخيرة بنت أبي حدرد أم الدرداء الكبرى وأبي الدراداء، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم2733 واللفظ له، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم3380، وقال صحيح في صحيح الأدب المفرد برقم487.

[3] عن عبد الله بن أبي ربيعة، وقال الألباني حسن في صحيح ابن ماجه واللفظ له برقم1983، وقال صحيح في صحيح الترغيب برقم1757، وقال صحيح في صحيح النسائي برقم4697 بلفظ إنَّما جَزَاءُ السَّلَفِ الحمدُ والأَدَاءُ.

[4] عن أنس بن مالك، وقال العراقي في تخريج الإحياء إسناده ضعيف برقم1/424، وأخرجه البخاري في التاريخ الكبير برقم4/219.

[5] عن أم سلمة، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد فيه أبو أمية بن يعلى وهو ضعيف برقم10/213، وقال الشوكاني في تحفة الذاكرين فيه أبو أمية بن يعلى وهو ضعيف برقم414.

[6] عن أبي سعيد الخدري، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده ضعيف، لضعف دراج في روايته عن أبي الهيثم برقم903، وقال اللباني في ضعيف الموارد ضعيف برقم305، وضعيف في ضعيف الجامع برقم2239، وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد برقم10/170.

يشكر بعضهم بعضا على فعل الخير

إسلامنا الجميل يعلمنا دائما كيف تزيد المحبة والترابط بين المسلمين، ومنها إذا أدى إليك أخوك المسلم معروفا فكافئه عليه، وإذا لم تجد ما تقدمه له، فادع له بالخير.

فقد قال الحبيب ﷺ { من صُنع إليه معروفٌ فقال لفاعِلِه جزاك اللهُ خيرًا فقد أبلغ في الثَّناءِ وفي روايةٍ من أَولَى معروفًا أو أُسدِي إليه معروفٌ فقال للَّذي أسداه جزاك اللهُ خيرًا فقد أبلغ في الثَّناءِ }.[2]

وقال الحبيب ﷺ { إذا قال الرجلُ لِأَخِيهِ : جَزَاكَ اللهُ خيرًا، فقد أَبْلَغَ في الثَّناءِ }.[3]

وقال الحبيب ﷺ { أَثْنَى رَجُلٌ علَى رَجُلٍ عِنْدَ النبيِّ ﷺ ، فَقال ويْلَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ مِرَارًا، ثُمَّ قال مَن كانَ مِنكُم مَادِحًا أخَاهُ لا مَحَالَةَ، فَلْيَقُلْ أحْسِبُ فُلَانًا، واللَّهُ حَسِيبُهُ، ولَا أُزَكِّي علَى اللَّهِ أحَدًا أحْسِبُهُ كَذَا وكَذَا، إنْ كانَ يَعْلَمُ ذلكَ منه }.[4]

قلوبهم نقية ونفوسهم صفية

إسلامنا الجميل علم اتباعه أن تكون قلوبهم نقية طاهرة ونفوسهم صافية من الغل والحسد، يحب بعضهم بعضا ويدعو بعضه لبعض ويتمنى بعضهم لبعض الخير.

فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال { كنَّا جُلوسًا مع رسولِ اللهِ ﷺ فقال يَطلُعُ عليكم الآنَ رَجُلٌ من أهلِ الجَنَّةِ، فطَلَعَ رَجُلٌ من الأنصارِ، تَنطِفُ لحيَتُهُ من وَضوئِهِ، قد تَعَلَّقَ نَعْلَيهِ في يَدِه الشِّمالِ، فلمَّا كان الغدُ، قال النَّبيُّ ﷺ ، مِثْلَ ذلك، فطَلَعَ ذلك الرَّجُلُ مثلَ المرةِ الأولَى. فلمَّا كان اليومُ الثالثُ، قال النَّبيُّ ﷺ ، مِثْلَ مَقالتِهِ أيضًا، فطَلَعَ ذلك الرَّجُلُ على مِثْلِ حالِه الأولَى، فلمَّا قام النَّبيُّ ﷺ تَبِعَهُ عبدُ اللهِ بنُ عَمْرِو بنِ العاصِ فقال إنِّي لاحَيتُ أبي فأقسَمْتُ ألَّا أدخُلَ عليه ثلاثًا، فإنْ رَأيْتَ أنْ تُؤوِيَني إليكَ حتى تَمضيَ فَعَلتَ؟ قال نَعَمْ. قال أنَسٌ: وكان عبدُ اللهِ يُحَدِّثُ أنَّه باتَ معه تلك اللَّياليَ الثَّلاثَ، فلم يَرَهُ يقومُ من الليلِ شيئًا، غيرَ أنَّه إذا تَعارَّ وتَقَلَّبَ على فِراشِهِ ذَكَرَ اللهَ عزَّ وجَلَّ وكبَّرَ، حتى يقومَ لصلاةِ الفجرِ. قال عبدُ اللهِ: غيرَ أني لم أَسمَعْهُ يقولُ إلَّا خَيْرًا، فلمَّا مَضَتِ الثلاثُ ليالٍ وكِدْتُ أنْ أحقِرَ عمَلَهُ، قلتُ: يا عبدَ اللهِ، إنِّي لم يكن بَيْني

---

[1] قال بن حجر العسقلاني في نتاج الأفكار موقوف صحيح برقم2/158، وقال ابن الملقن في تحفة المحتاج صحيح أو حسن روي بعضه مرفوعا مرسلا برقم1/410، وقال البيهقي في السنن الكبرى صحيح موصول برقم2/211.

[2] عن أسامة بن زيد، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم6368، وقال صحيح في صحيح الترمذي برقم2035، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده صحيح على شرط مسلم برقم3413.

[3] عن عبد الله بن عمر وأبو هريرة، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم708، وقال في صحيح الترغيب صحيح لغيره برقم970.

[4] عن أبو بكرة نفيع بن الحارث، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2662، ومسلم في صحيحه برقم3000.

وبينَ أبي غَضَبٌ ولا هَجْرٌ ثَمَّ، ولكِنْ سَمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ لكَ ثلاثَ مِرارٍ: يَطلُعُ عليكم الآنَ رَجُلٌ من أهْلِ الجَنَّةِ فطَلَعتَ أنتَ الثلاثَ مِرارٍ، فأرَدْتُ أنْ آويَ إليكَ لِأنظُرَ ما عَمَلُكَ، فأقتَدِيَ به، فلم أرَكَ تَعمَلُ كثيرَ عَمَلٍ، فما الذي بَلَغَ بكَ ما قال رسولُ اللهِ ﷺ ، فقال ما هو إلَّا ما رَأيتَ. قال فلمَّا وَلَّيتُ دَعاني، فقال ما هو إلَّا ما رَأيتَ، غيرَ أنِّي لا أجِدُ في نَفْسي لِأحَدٍ من المسلمينَ غِشًّا، ولا أحسُدُ أحَدًا على خَيْرٍ أعطاهُ اللهُ إيَّاهُ. فقال عبدُ اللهِ: هذه التي بَلَغَتْ بكَ، وهي التي لا نُطيقُ }.[1]

ودائما تدعو لأخيك بالبركة والخير ولا تحسده على خير ساقه الله إليه، فقد قال الحبيب ﷺ { إذا رأي أحدُكم من نفسِه أو مالِه أو من أخيه ما يُعجبُه فلْيدعُ له بالبركةِ، فإنَّ العينَ حقٌّ }.[2]

يتسابقون في الصدقة والإنفاق

أمرنا إسلامنا الجميل بأن نتسابق في فعل الخيرات، وفعل الخيرات أبوابه كثيرة في إسلامنا الجميل، ومنها الإنفاق في سبيل الله، ومساعدة أفراد المجتمع بعضهم ببعض، والمساهمة في أعمال الخير في المجتمع، وغيرها، ليسود روح الطمأنينة والود، وسد أبواب الشر من الحسد والحقد والسرقة والجريمة.

وقرآننا الكريم ملئ بآيات الحث على الإنفاق في سبيل الله، فإنك إن انفقت فأنت تنفق من مال الله الذي رزقك، وهو في آخر المطاف سيعود إليه سبحانه، فهو الوارث سبحانه.

فقال الله سبحانه ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾.[3]

وقال تعالى الوارث ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾.[4]

ولذا دعانا ربنا الكريم للإنفاق وعدم الخوف من الفقر، ففي عدم الإنفاق هو الفقر بعينه، لأن كل ما أنفقته سيعود إليك أضعاف مضاعفة، فالله الكريم يضاعف على العمل الصالح أضعافا كثيرة، فالحسنة بعشر أمثالها أو تزيد حتى سبعمائة ضعف، والله يضاعف لمن يشاء.

فيقول الكريم ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾.[1]

---

[1] عن أنس بن مالك وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح على شرط الشيخين برقم12697،وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجال أحمد رجال الصحيح برقم8/81، ورواه النسائي في السنن الكبرى برقم10699.

[2] عن عامر بن ربيعة، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم556، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج مشكل الآثار فيه أمية بن هند، روى عن جمع، وروى عنه اثنان، وذكره ابن حبان في الثقات، وباقي رجاله رجال الصحيح، وقال في تخريج المسند إسناده ضعيف، مع وهم فيه وقوله: "العين حق" صحيح لغيره، كما رواه النسائي في السنن الكبرى برقم10872.

[3] سورة الحديد الآية 10.

[4] سورة الحجر الآية 23.

ويقول الكريم سبحانه ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾.[2]

ويقول الكريم سبحانه ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ ﴾.[3]

والله الكريم يقول في كتابه الكريم ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾.[4]

فسبحان الكريم الذي يفيض على عباده بكرمه وسعته وجوده، ومع أعمالهم القليلة يجزيهم بها حسنات كثيرة سبحانه فهو الكريم.

يقول أبو هريرة رضي الله عنه عن الحبيب ﷺ { إنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَناتِ والسَّيِّئاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذلكَ، فمَن هَمَّ بحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كَتَبَها اللَّهُ له عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً، فإنْ هو هَمَّ بها فَعَمِلَها كَتَبَها اللَّهُ له عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَناتٍ إلى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ إلى أضْعافٍ كَثِيرَةٍ، ومَن هَمَّ بسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كَتَبَها اللَّهُ له عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً، فإنْ هو هَمَّ بها فَعَمِلَها كَتَبَها اللَّهُ له سَيِّئَةً واحِدَةً }.[5]

وكان الحبيب ﷺ أجود الناس ينفق على الفقراء والمساكين، وكان في الإنفاق كالريح المرسلة من كثرة ما يتصدق، وسيرته ﷺ مليئة بالأحاديث الكثيرة عن إنفاقه وكرمه وجوده.

ومنها { كانَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ أجْوَدَ النَّاسِ، وكانَ أجْوَدُ ما يَكونُ في رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وكانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ في كُلِّ لَيْلَةٍ مِن رَمَضَانَ، فيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرَسولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أجْوَدُ بالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ }.[6]

ومنها { ما سُئِلَ رَسولُ اللهِ ﷺ علَى الإسْلَامِ شيئًا إلَّا أعْطَاهُ، قال فَجَاءَهُ رَجُلٌ فأعْطَاهُ غَنَمًا بيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إلى قَوْمِهِ، فَقال يا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فإنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لا يَخْشَى الفَاقَةَ }.[1]

---

[1] سورة البقرة الآية 245.
[2] سورة البقرة الآية 261.
[3] سورة محمد الآية 38.
[4] سورة آل عمران الآية 133 – 134.
[5] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6419 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم130.
[6] عن عبد الله بن عباس، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم3220، ومسلم في صحيحه برقم2308.

وقال الحبيب ﷺ { لَوْ كانَ لي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا ما يَسُرُّنِي أنْ لا يَمُرَّ عَلَيَّ ثَلاثٌ، وعِندِي منه شيءٌ إلَّا شيءٌ أُرْصِدُهُ لِدَيْنٍ }.[2]

وفي رواية آخرى { ما يَسُرُّنِي أنَّ عِندِي مِثْلَ أُحُدٍ هذا ذَهَبًا، تَمْضِي عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وعِندِي منه دِينَارٌ، إلَّا شيئًا أرْصُدُهُ لِدَيْنٍ، إلَّا أنْ أقُولَ به في عِبَادِ اللَّهِ هَكَذَا وهَكَذَا وهَكَذَا عن يَمِينِهِ، وعَنْ شِمَالِهِ، ومِنْ خَلْفِهِ، ثُمَّ مَشَى فَقال إنَّ الأكْثَرِينَ هُمُ الأقَلُّونَ يَومَ القِيَامَةِ، إلَّا مَن قال هَكَذَا وهَكَذَا وهَكَذَا - عن يَمِينِهِ وعَنْ شِمَالِهِ ومِنْ خَلْفِهِ - وقَلِيلٌ ما هُمْ }.[3]

فعن أبى عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه قال { سمِعتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يَقولُ: مَن أنفَقَ نَفَقةً فاضِلةً في سَبيلِ اللهِ، فبِسَبعِ مِئةٍ، ومَن أنفَقَ على نَفْسِهِ وأهلِهِ، أو عادَ مَريضًا، أو مازَ أذًى، فالحَسَنةُ بِعَشرِ أمثالِها، والصَّومُ جُنَّةٌ، ما لم يَخرِقْها، ومَنِ ابتَلاهُ اللهُ ببَلاءٍ في جَسَدِهِ، فهو له حِطَّةٌ }.[4]

وكان الصحابة سباقون في الخيرات والإنفاق في سبيل الله، فعن الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال { أمرَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ يومًا أن نتصدَّقَ، فوافقَ ذلِكَ مالًا عندي، فقلتُ: اليومَ أسبِقُ أبا بَكْرٍ إن سبقتُهُ يومًا، فَجِئْتُ بنصفِ مالي، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : ما أبقيتَ لأَهْلِكَ؟، قلتُ: مثلَهُ، قال: وأتى أبو بَكْرٍ رضيَ اللَّهُ عنهُ بِكُلِّ ما عندَهُ، فقال لَهُ رسولُ اللَّهِ ﷺ : ما أبقَيتَ لأَهْلِكَ؟ قال: أبقَيتُ لَهُمُ اللَّهَ ورسولَهُ، قلتُ: لا أسابِقُكَ إلى شيءٍ أبدًا }.[5]

وروى أنس رضي الله قال { كانَ أبو طَلْحَةَ أكْثَرَ الأنْصَارِ بالمَدِينَةِ مَالًا مِن نَخْلٍ، وكانَ أحَبُّ أمْوَالِهِ إلَيْهِ بَيْرُحَاءَ، وكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ المَسْجِدِ، وكانَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُهَا ويَشْرَبُ مِن مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، قال أنَسٌ: فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هذِه الآيَةُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حتَّى تُنْفِقُوا ممَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: 92] قَامَ أبو طَلْحَةَ إلى رَسولِ اللَّهِ ﷺ فَقال يا رَسولَ اللَّهِ، إنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وتَعَالَى يقولُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حتَّى تُنْفِقُوا ممَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: 92] وإنَّ أحَبَّ أمْوَالِي إلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وإنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ، أرْجُو برَّهَا وذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعْهَا يا رَسولَ اللَّهِ حَيْثُ

---

[1] عن أنس بن مالك، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم2312 واللفظ له، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده قوي برقم6373.
[2] عن أبي هريرة، الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2389 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم991.
[3] عن أبي ذر، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6444 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم94.
[4] عن أبي عبيدة عامر بن الجراح، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده حسن برقم1690، والبخاري في التاريخ الكبير برقم21/7 باختلاف يسير، والطيالسي في مسنده برقم224 مختصراً.
[5] عن عمر بن الخطاب وقال الألباني حسن في صحيح أبي داود برقم1678، وقال حسن في صحيح الترمذي برقم3675، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج زاد المعاد إسناده حسن برقم3/516.

أَرَاكَ اللَّهُ، قال فَقال رَسولُ اللهِ ﷺ : بَخٍ، ذلكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذلكَ مَالٌ رَابِحٌ، وقدْ سَمِعْتُ ما قُلْتَ، وإنِّي أرَى أنْ تَجْعَلَهَا في الأقْرَبِينَ فَقال أبو طَلْحَةَ: أفْعَلُ يا رَسولَ اللَّهِ، فَقَسَمَهَا أبو طَلْحَةَ في أقَارِبِهِ وبَنِي عَمِّهِ }.[1]

كلامهم طيب

إسلامنا الجميل يدعو أتباعه أن تكون ألسنتهم صادقة وقولهم حسن، وأن يردوا القول بأحسن منه، فتسود بينهم روح المحبة والتعاون.

فإن القول الحسن والكلم الطيب من أعظم أسباب كثرة الحسنات ورفعة الدرجات وحط الخطيئات، وعلو المنزلة عند رب الأرض والسماوات، وكذلك الكلمة الخبيثة من أعظم أسباب سخط الله وغضبه.

فقد قال الله سبحانه وتعالى ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾.[2]

ويقول سبحانه وتعالى ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾.[3]

وقال سبحانه وتعالى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ٢٤۝ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٢٥۝ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ٢٦۝﴾.[4]

الله أكبر سبحان الكريم الحليم الرؤوف بعباده، إذ يقول في حقهم وهو الغني عنهم ﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾.[5]

وقال ربنا الحليم ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ٣٣۝ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ٣٤۝ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ٣٥۝﴾.[6]

---

[1] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم1461 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم998.
[2] سورة البقرة الآية 83.
[3] سورة الإسراءالآية 53.
[4] سورة إبراهيم الآية 24 – 26.
[5] سورة الحج الآية 24.
[6] سورة فصلت الآية 33- 35.

ولعظم مسؤولية الكلمة عظَّمها ربنا سبحانه، فقال ربنا سبحانه ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾.[1]

ويقول ربنا الكريم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.[2]

والكلام الطيب أنواع، كلام بينك وبين الله سبحانه وتعالى، وهو ذكرك لله سبحانه على كل حال، وكلام بينك وبين الناس، فاختر أحسنه وأطيبه، فللكلمة الطيبة مفعول السحر على القلوب.

وأفضل الكلام هو ذكرك لله سبحانه، فقد قال الحبيب ﷺ { أَحَبُّ الكَلامِ إلى اللهِ أرْبَعٌ: سُبْحانَ اللهِ، والْحَمْدُ لِلَّهِ، ولا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، واللَّهُ أكْبَرُ. لا يَضُرُّكَ بأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ }.[3]

ويقول الحبيب ﷺ لأبى ذر العفاري رضي الله عنه { أَلَا أُخْبِرُكَ بأَحَبِّ الكَلَامِ إلى اللهِ؟ قُلتُ: يا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي بأَحَبِّ الكَلَامِ إلى اللهِ، فَقال إنَّ أَحَبَّ الكَلَامِ إلى اللهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ }.[4]

وفي رواية آخرى جميلة { أيُّ الكَلامِ أحبُّ إلى اللَّهِ قال ما اصطَفاهُ اللَّهُ لملائِكَتِهِ: سُبحانَ ربِّي وبحمدِهِ، سُبحانَ ربِّي وبحمدِهِ }.[5]

وإسلامنا الجميل ملئ بالأذكار التي بين العبد وربه في كل أحواله وأوقاته.

والكلمة الطيبة هي عنوان المؤمن، فهي كلام الحبيب ﷺ ووصيته الدائمة للمسلمين، فيقول ﷺ { الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ }.[6]

والحبيب ﷺ يقول { يُعْجِبُنِي الفَأْلُ: الكَلِمَةُ الحَسَنَةُ، الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ }.[7]

وقال الحبيب ﷺ هذا الحديث الجميل { مَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخر فلا يُؤْذِ جارَهُ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخر فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخر فَلْيَقُلْ خَيْرًا أوْ لِيَصْمُتْ }.[1]

---

[1] سورة النور الآية 15.
[2] سورة النور الآية 19.
[3] عن سمرة بن جندب، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم2137، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح على شرط مسلم برقم20244.
[4] أخرجه مسلم في صحيحه برقم2731، وقال الألباني صحيح في صحيح الترغيب برقم1538.
[5] عن أبي ذر، أخرجه مسلم في صحيحه برقم2731، وقال الألباني صحيح في صحيح الترمذي برقم3593، وقال شعيب الأرنؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح على شرط مسلم برقم 21529، والنسائي في سننه برقم10661.
[6] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2989، ومسلم فى صحيحه برقم1009.
[7] عن أنس بن مالك، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2223، ومسلم في صحيحه برقم2224 واللفظ له.

ويقول ﷺ { إنَّ في الجَنَّةِ غُرفةً يُرَى ظاهرُها مِن باطنِها، وباطنُها مِن ظاهرِها، فقال أبو موسى الأشعريُّ: لمَن هي يا رسولَ اللهِ؟ قال لمَن ألانَ الكلامَ، وأطعَمَ الطَّعامَ، وبات للهِ قائمًا والنَّاسُ نيامٌ }.[2]

وهذا الحديث الجميل رواه أكثر من صحابي، وهم عبد الله بن عمرو وأبو أمامة الباهلي وأبو مالك الأشعري وعبد الله بن عباس، رضي الله عنهم.

ولعظم مسؤولية الكلمة وأهميتها، جعلها الله سببا لدخول العبد الجنة أو النار.

فقال الحبيب ﷺ { إنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِن رِضْوانِ اللَّهِ، لا يُلْقِي لها بالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بها دَرَجاتٍ، وإنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِن سَخَطِ اللَّهِ، لا يُلْقِي لها بالًا، يَهْوِي بها في جَهَنَّمَ }.[3]

وفي رواية آخرى عن علقمةَ بنِ وقَّاصٍ رضي الله عنه (كنَّا معه جلوسًا في السُّوقِ فمرَّ به رجلٌ مِن أهلِ المدينةِ له شَرَفٌ فقال له: يا ابنَ أخي إنَّ لك حقًّا وإنَّك لتدخُلُ على هؤلاءِ الأمراءِ وتكَلَّمُ عندَهم وإنِّي سمِعْتُ بلالَ بنَ الحارثِ صاحبَ رسولِ اللهِ ﷺ يقولُ: سمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: { إنَّ العبدَ ليتكلَّمُ بالكلمةِ ولا يراها بلَغَت حيثُ بلَغَت فيكتُبُ اللهُ له بها رضاه إلى يومِ القيامةِ وإنَّ العبدَ ليتكلَّمُ بالكلمةِ لا يراها بلَغَت حيثُ بلَغَت يكتُبُ اللهُ بها سخَطَه إلى يومِ يلقاه } فانظُرْ يا ابنَ أخي ما تقولُ وما تكَلَّمُ فرُبَّ كلامٍ كثيرٍ قد منَعني ما سمِعْتُ مِن بلالِ بنِ الحارثِ).[4]

وقال الحبيب ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه { ألا أخبرُكَ بملاكِ ذلِكَ كلِّهِ ؟ قُلتُ: بلَى يا رسولَ اللَّهِ، قال: فأخذَ بلِسانِهِ قال: كُفَّ عليكَ هذا، فقُلتُ: يا نبيَّ اللَّهِ، وإنَّا لمؤاخَذونَ بما نتَكَلَّمُ بِهِ؟ فقال: ثَكِلَتكَ أمُّكَ يا معاذُ، وَهَل يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ على وجوهِهِم أو على مَنآخرِهِم إلَّا حَصائدُ ألسنتِهِم }.[5]

والكلمة الخبيثة أو السيئة أو الفاحشة نهي عنها إسلامنا الجميل، فحرمها على المسلم.

فيقول ربنا العليم ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ٢٦۝ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾.[1]

---

[1] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6018، ومسلم في صحيحه برقم47.
[2] عن عبد الله بن عمرو، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند حسن لغيره برقم6615، وقال الألباني صحيح في صحيح الترغيب برقم946.
[3] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6478 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم2988.
[4] قال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان صحيح برقم287 واللفظ له، وقال الألباني صحيح في صحيح ابن ماجه برقم3220.
[5] قال الألباني صحيح في صحيح الترمذي برقم2616، وقال صحيح في صحيح ابن ماجه برقم3224، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند صحيح بطرقه وشواهده برقم22016، كما رواه النسائي في السنن الكبرى برقم11394.

ويقول سبحانه وتعالى ﴿ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾.[2]

ولم يكن الحبيب محمد ﷺ فحاشا ولا لعانا ولا سبابا، وقد مدحه الله سبحانه فقال ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾.[3]

وقال الصحابي عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما { لَمْ يَكُنِ النبيُّ ﷺ فَاحِشًا ولَا مُتَفَحِّشًا، وكانَ يقولُ: إنَّ مِن خِيَارِكُمْ أحْسَنَكُمْ أخْلَاقًا }.[4]

ويروى أنس بن مالك خادم النبي ﷺ { لَمْ يَكُنِ النبيُّ ﷺ سَبَّابًا، ولَا فَحَّاشًا، ولَا لَعَّانًا، كانَ يقولُ لأحَدِنَا عِنْدَ المَعْتِبَةِ: ما له تَرِبَ جَبِينُهُ }.[5]

وروت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها { أنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ علَى النبيِّ ﷺ ، فَلَمَّا رَآهُ قال بِئْسَ أخُو العَشِيرَةِ، وبِئْسَ ابنُ العَشِيرَةِ فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النبيُّ ﷺ في وجْهِهِ وانْبَسَطَ إلَيْهِ، فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ قالتْ له عَائِشَةُ: يا رَسولَ اللَّهِ، حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ له كَذَا وكَذَا، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ في وجْهِهِ وانْبَسَطْتَ إلَيْهِ؟ فَقال رَسولُ اللَّهِ ﷺ : يا عَائِشَةُ، مَتَى عَهِدْتِنِي فَحَّاشًا، إنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَومَ القِيَامَةِ مَن تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ }.[6]

وفي رواية آخرى { يا عَائِشَةُ إنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ يَومَ القِيَامَةِ، مَن وَدَعَهُ، أَوْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ }.[7]

والحبيب ﷺ يقول { يا معشرَ من آمنَ بلسانِه ولم يدخلْ الإيمانُ قلبَه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتَّبعوا عوراتِهم، فإنه من اتَّبعَ عوراتِهم يتَّبعُ اللهُ عورتَه، ومن يتَّبعِ اللهُ عورتَه يفضحُه في بيتِه }.[8]

قضاء مصالح بعضهم بعض

---

[1] سورة إبراهيم الآية 26 – 27.
[2] سورة الحجرات الآية 11.
[3] سورة القلم الآية 4.
[4] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم3559 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم2321.
[5] أخرجه البخاري في صحيحه برقم6031، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده حسن برقم12463.
[6] عن عائشة، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6032 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم2591.
[7] عن عائشة، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6131 ، ومسلم في صحيحه برقم2591.
[8] عن أبو برزة الأسلمي نضلة بن عبيد، وقال الألباني حسن صحيح في صحيح أبي داود برقم4880، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند صحيح لغيره برقم4880.

وإسلامنا الجميل يدعونا إلى التعاون وقضاء مصالح بعضهم بعض، فتزيد المحبة بينهم وتقوي رابطة الأخوة بينهم، فقد قال الحبيب ﷺ { إنَّ للهِ أقوامًا اختصَّهم بالنِّعمِ لمنافعِ العبادِ، يُقرُّهم فيها ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم، فحوَّلها إلى غيرِهم }.[1]

ويقول الحبيب ﷺ { إنَّ للهِ تعالى عبادًا اخْتَصَّهُم بحَوائِجِ الناسِ، يَفْزَعُ الناسُ إليهِم في حَوَائِجِهِم، أولئكَ الآمِنُونَ من عذابِ اللهِ }.[2]

ويعدد لنا الحبيب ﷺ الأعمال التي تقوي هذه الرابطة القوية بين المسلمين فيقول { أحبُّ الناسِ إلى اللهِ أنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وأحبُّ الأعمالِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ سُرُورٌ يدْخِلُهُ على مسلمٍ، أوْ يكْشِفُ عنهُ كُرْبَةً، أوْ يقْضِي عنهُ دَيْنًا، أوْ تَطْرُدُ عنهُ جُوعًا، ولأنْ أَمْشِي مع أَخٍ لي في حاجَةٍ أحبُّ إلَيَّ من أنْ اعْتَكِفَ في هذا المسجدِ، يعني مسجدَ المدينةِ شهرًا، ومَنْ كَفَّ غضبَهُ سترَ اللهُ عَوْرَتَهُ، ومَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، ولَوْ شاءَ أنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلأَ اللهُ قلبَهُ رَجَاءً يومَ القيامةِ، ومَنْ مَشَى مع أَخِيهِ في حاجَةٍ حتى تتَهَيَّأَ لهُ أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يومَ تَزُولُ الأَقْدَامِ، وإنَّ سُوءَ الخُلُقِ يُفْسِدُ العَمَلَ، كما يُفْسِدُ الخَلُّ العَسَلَ }.[3]

ويُرسي الحبيب ﷺ قاعدة التعاون والبر فيقول { مَن كانَ معهُ فَضْلُ ظَهْرٍ، فَلْيَعُدْ به علَى مَن لا ظَهْرَ له، وَمَن كانَ له فَضْلٌ مِن زَادٍ، فَلْيَعُدْ به علَى مَن لا زَادَ له. قال فَذَكَرَ مِن أَصْنَافِ المَالِ ما ذَكَرَ حتَّى رَأَيْنَا أنَّهُ لا حَقَّ لأَحَدٍ مِنَّا في فَضْلٍ }.[4]

التكافل فيما بينهم

إسلامنا الجميل يدعونا إلى التكافل فيما بيننا ويحثنا عليه، وكان الحبيب محمدا ﷺ مثالا صادقا على ذلك، وتعلم منه الصحابة الكرام رضي الله عنهم وطبقوه في حياتهم، فكانوا القدوة الحسنة.

روى سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال { خَرَجْنَا مع رَسولِ اللهِ ﷺ في غَزْوَةٍ، فأصَابَنَا جَهْدٌ حتَّى هَمَمْنَا أَنْ نَنْحَرَ بَعْضَ ظَهْرِنَا، فأمَرَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ فَجَمَعْنَا مَزَاوِدَنَا، فَبَسَطْنَا له نِطَعًا، فَاجْتَمع زَادُ القَوْمِ علَى النِّطَعِ، قال فَتَطَاوَلْتُ لأَحْزِرَهُ كَمْ هُوَ؟ فَحَزَرْتُهُ كَرَبْضَةِ العَنْزِ، وَنَحْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِئَةً، قال فأكَلْنَا حتَّى شَبِعْنَا

[1] عن عبد الله بن عمر وقال الألباني حسن لغيره في صحيح الترغيب برقم2617، وقال ضعيف في السلسة الضعيفة برقم2627.
[2] عن عبد الله بن عمر، وقال الألباني ضعيف في ضعيف الجامع برقم1949، وقال ضعيف في ضعيف الترغيب برقم1569 باختلاف يسير، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد فيه أحمد بن طارق لم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح برقم8/195.
[3] عن عبد الله بن عمر، وأخرجه الطبراني في الأوسط برقم6026، وقال الألباني صحيح في السلسلة الصحيحه برقم906، وقال حسن في صحيح الجامع برقم176 باختلاف يسير، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج سير أعلام النبلاء حسن برقم14/124.
[4] عن أبي سعيد الخدري، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم1728، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده صحيح على شرط مسلم برقم5419، قال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم6497.

جَمِيعًا، ثُمَّ حَشَوْنَا جُرُبَنَا، فَقال نَبِيُّ اللهِ ﷺ : فَهلْ مِن وَضُوءٍ؟ قال فَجَاءَ رَجُلٌ بإِدَاوَةٍ له فِيهَا نُطْفَةٌ، فأفْرَغَهَا في قَدَحٍ، فَتَوَضَّأْنا كُلُّنَا نُدَغْفِقُهُ دَغْفَقَةً أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِئَةً. قال ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذلكَ ثَمَانِيَةٌ، فَقالوا: هلْ مِن طَهُورٍ؟ فَقال رَسولُ اللهِ ﷺ : فَرِغَ الوَضُوءُ }.[1]

وحديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال { خرَجْنا مع رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، حتَّى إذا كنَّا بعَينِ الرُّومِ الَّتي يُقال لها: غزوةُ تَبوكَ، أصابَنا جُوعٌ شَديدٌ، فقلْتُ: يا رسولَ اللهِ، إنَّا لَنَلْقى العدُوَّ غدًا وهم شِباعٌ ونحن جِياعٌ، فخطَبَ النَّاسَ، ثمَّ قال: مَن كان عنده فضْلُ طعامٍ فلْيأتِنا به، وبسَطَ نِطَعًا، فأُتِيَ ببَضعةٍ وعشْرين صاعًا، فجلَسَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ودعَا بالبركةِ، ثمَّ دعَا النَّاسَ، فقال: خُذوا، فأخَذوا حتَّى جعَلَ الرَّجلُ يَربِطُ كُمَّ قَميصِه ويأخُذُ فيه، ففضَلَ فضلةٌ، فقال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنِّي رسولُ اللهِ، لا يقولُها رجُلٌ مُحِقٌّ فيَدخُلُ النَّارَ}.[2]

وقد مدح الحبيب ﷺ الأشعريين الأنصار رضي الله عنهم في تكافلهم فيما بينهم، فقال { إنَّ الأشْعَرِيّينَ إذا أرْمَلُوا في الغَزْوِ، أوْ قَلَّ طَعامُ عِيالِهِمْ بالمَدِينَةِ جَمَعُوا ما كانَ عِنْدَهُمْ في ثَوْبٍ واحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بيْنَهُمْ في إناءٍ واحِدٍ بالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وأنا منهمْ }.[3]

يألف بعضهم بعضا

والمسلم الحقيقى في إسلامنا الجميل، من صفاته أنه يألفه الناس ويحبون التحدث إليه والجلوس معه، وهو كذلك يألف الناس ويحبهم ويحب التعاون معهم وقضاء حوائجهم وهو سعيد ويسعى لذلك، ولذا قال الجبيب ﷺ { المُؤْمِنُ يَأْلفُ ويُؤْلَفُ، ولا خيرَ فيمَن لا يَأْلفُ ولا يُؤْلَفُ، وخيرُهُمْ النَّاسِ أَنفَعُهُم للنَّاسِ }.[4]

ومن هؤلاء المسلمين من يكون فاعلا للخير فاتحا لأبوابه، فيقول الحبيب ﷺ { إن من الناس مفاتيح للخير، مغاليق للشر، وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطُوبَى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه }.[5]

---

[1] عن سلمة بن الأكوع، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم1729.

[2] قال البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة إسناده ضعيف برقم5/256.

[3] عن أبي موسى الأشعري، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2486، ومسلم في صحيحه برقم2500.

[4] عن جابر بن عبد الله، أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط برقم5787 مطولاً، وقال الألباني حسن في صحيح الجامع برقم6662، وقال حسن في السلسلة الصحيحة عن أبي هريرة برقم426، وقال فيها الهيثمي في مجمع الزوائد رجال أحمد رجال الصحيح برقم10/276، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده حسن برقم9198.

[5] عن أنس بن مالك، وقال الألباني حسن في صحيح ابن ماجه برقم195،وقال في السلسلة الصحيحة حسن بمجموع طرقه برقم1332.

وفي حديث آخر يقول الحبيب ﷺ { إنَّ هذا الخيرَ خزائنٌ، لتلكَ الخزائنِ مفاتيحُ، فطُوبى لعبدٍ جعلهُ اللهُ مفتاحًا للخيرِ مغلاقًا للشرِّ، وويلٌ لعبدٍ جعلهُ اللهُ مفتاحًا للشرِّ مغلاقًا للخيرِ }.[1]

وهذا الحديث الجميل روى بطرق آخرى قريبة، عن عدة رواه منهم عبد الله بن عباس وأبو أمامة الباهلي ومحمد بن جبير رضي الله عنهم أجمعين.

يتجاوزون ويمهلون بعضهم بعض

إسلامنا الجميل يربي في أفراده رباط الأخوة والمحبة، يدعوهم أن يساند بعضهم بعضا، ويؤازر بعضهم بعضا، فتقوي رابطة الأخوة ويقوي المجتمع.

ويدعوهم أن يقرض الغني المحتاج ولا يكنز ماله، ويمهله في السداد أو يخفض له من دينه أو يلغيه كاملا، ويرفع عن كاهله ثقل الدين، مما يقوي العلاقة بين بعضهم البعض ويحرص بعضهم على بعض، ويتحقق الأمان في المجتمع.

ورغم أن الله سبحانه وتعالى قد فرض أن يُسجل الدَين ويُشهد عليه، في أطول أية في القرآن، إلا أنه أمرنا أن نتجاوز عن المعسر.

فقال الله سبحانه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾ ، وَقال في الآية نفسها ﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾.[2]

وقال سبحانه تعالى ﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.[3]

ويمدح سبحانه الذين ييسرون على الناس فقال ﴿ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.[4]

وهذا الحديث الجميل الذي رواه بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه قال الحبيب ﷺ { مَن أنظَرَ مُعسِرًا، فله بكُلِّ يَومٍ مِثلُه صَدَقةٌ، قال ثم سَمِعتُه يقولُ: مَن أنظَرَ مُعسِرًا، فله بكُلِّ يَومٍ مِثلَيهِ صَدَقةٌ، قُلتُ: سَمِعتُك يا رسولَ اللهِ تقولُ: مَن أنظَرَ مُعسِرًا فله بكُلِّ يَومٍ مِثلُه صَدَقةٌ، ثم سَمِعتُك تقولُ: مَن أنظَرَ مُعسِرًا،

[1] عن سهل بن سعد الساعدي، وقال الألباني حسن في صحيح ابن ماجه برقم196، وقال إسناده ضعيف جداً ثم تراجع الشيخ وأورده في السلسلة الصحيحة برقم1332، وقال حسن لغيره في صحيح الترغيب برقم66.
[2] سورة البقرة الآية 282.
[3] سورة البقرة الآية 280.
[4] سورة البقرة الآية 280.

فله بكُلِّ يَومٍ مِثلَيهِ صَدَقَةٌ، قال له: بكُلِّ يَومٍ صَدَقَةٌ قَبلَ أنْ يَحِلَّ الدَّينُ، فإذا حلَّ الدَّينُ فأنْظَرَهُ، فله بكُلِّ يَومٍ مِثلَيهِ صَدَقَةٌ }.[1]

ويقول الحبيب ﷺ { مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ اللهُ فِي ظِلِّهِ }.[2]

وهذا الحديث الجميل رواه أكثر من صحابي هم أبو اليسر وأبو الدرداء وأبو هريرة وأبو قتادة الحارث بن ربعي رضي الله عنهم أجمعين.

والحديث بطوله جميل، يَحكِي عُبادَةُ بنُ الوَلِيدِ بنِ عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ أنَّه خَرَج هو وأبُوه في طَلَبِ العِلم فقال { خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي نَطْلُبُ العِلْمَ في هذا الحَيِّ مِنَ الأنْصَارِ، قَبْلَ أَنْ يَهْلِكُوا، فَكانَ أَوَّلُ مَن لَقِينَا أَبَا اليَسَرِ، صَاحِبَ رَسولِ اللهِ ﷺ ، وَمعهُ غُلَامٌ له، معهُ ضِمَامَةٌ مِن صُحُفٍ، وعلَى أَبِي اليَسَرِ بُرْدَةٌ وَمعافِرِيَّ، وعلَى غُلَامِهِ بُرْدَةٌ وَمعافِرِيَّ، فَقال له أَبِي: يا عَمِّ إنِّي أَرَى في وَجْهِكَ سَفْعَةً مِن غَضَبٍ، قال أَجَلْ، كانَ لي علَى فُلَانِ ابْنِ فُلَانٍ الحَرَامِيِّ مَالٌ، فأتَيْتُ أَهْلَهُ، فَسَلَّمْتُ، فَقُلتُ: ثَمَّ هُوَ؟ قالوا: لَا، فَخَرَجَ عَلَيَّ ابْنٌ له جَفْرٌ، فَقُلتُ له: أَيْنَ أَبُوكَ؟ قال سَمِعَ صَوْتَكَ فَدَخَلَ أَرِيكَةَ أُمِّي، فَقُلتُ: آخرجْ إلَيَّ، فقَدْ عَلِمْتُ أَيْنَ أَنْتَ، فَخَرَجَ، فَقُلتُ: ما حَمَلَكَ علَى أَنِ اخْتَبَأْتَ مِنِّي؟ قال أَنَا، وَاللَّهِ أُحَدِّثُكَ، ثُمَّ لا أَكْذِبُكَ، خَشِيتُ وَاللَّهِ أَنْ أُحَدِّثَكَ فأكْذِبَكَ، وَأَنْ أَعِدَكَ فَأُخْلِفَكَ، وَكُنْتَ صَاحِبَ رَسولَ اللهِ ﷺ ، وَكُنْتُ وَاللَّهِ مُعْسِرًا قال قُلتُ: آللَّهِ قال اللهِ قال اللهِ قُلتُ: آللَّهِ قال اللهِ قال فأتَى بصَحِيفَتِهِ فَمَحَاهَا بيَدِهِ، فَقال إنْ وَجَدْتَ قَضَاءً فَاقْضِنِي، وإلَّا، أَنْتَ في حِلٍّ، فأشْهَدُ بَصَرُ عَيْنَيَّ هَاتَيْنِ، وَوَضَعَ إصْبَعَيْهِ علَى عَيْنَيْهِ، وَسَمْعُ أُذُنَيَّ هَاتَيْنِ، وَوَعَاهُ قَلْبِي هذا، وَأَشَارَ إلى مَنَاطِ قَلْبِهِ، رَسولَ اللهِ ﷺ وَهو يقولُ: مَن أَنْظَرَ مُعْسِرًا، أَوْ وَضَعَ عنْه، أَظَلَّهُ اللَّهُ في ظِلِّهِ }.[3]

وعن عبد الله بن أبي قتادة رضي الله عنهما قال { أنَّ أَبَا قَتَادَةَ، طَلَبَ غَرِيمًا له، فَتَوَارَى عنْه ثُمَّ وَجَدَهُ، فَقال إنِّي مُعْسِرٌ، فَقال آللَّهِ؟ قال آللَّهِ؟ قال فإنِّي سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: مَن سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللَّهُ مِن كُرَبِ يَومِ القِيَامَةِ، فَلْيُنَفِّسْ عن مُعْسِرٍ، أَوْ يَضَعْ عنْه }.[4]

وروى حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال { سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: إنَّ رَجُلًا كانَ فِيمَن كانَ قَبْلَكُمْ، أتاهُ المَلَكُ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ، فقِيلَ له: هلْ عَمِلْتَ مِن خَيْرٍ؟ قال ما أعْلَمُ، قيلَ له: انْظُرْ، قال ما أعْلَمُ شيئًا غيرَ أنِّي كُنْتُ أُبايِعُ النَّاسَ في الدُّنْيا وأُجازِيهِمْ، فَأُنْظِرُ المُوسِرَ، وأَتَجاوَزُ عَنِ المُعْسِرِ، فأدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ }.[1]

---

[1] قال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح على شرط مسلم برقم 23046، وقال الألباني إسناده صحيح في السلسلة الصحيحة برقم1/170، وقال صحيح قى صحيح الجامع برقم6108، ورواه الترمذي مختصرا برقم2418.

[2] عن أبي اليسر كعب بن عمرو وأخرجه مسلم في صحيحه برقم3006، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم6106.

[3] عن أبي اليسر كعب بن عمرو وأخرجه مسلم في صحيحه برقم3006، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم6106.

[4] أخرجه مسلم في صحيحه برقم1563، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج مشكل الآثار إسناده صحيح على شرح مسلم برقم3814.

وفي رواية آخرى روى حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال { أُتِيَ اللَّهُ بعَبْدٍ مِن عِبَادِهِ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَقال له: مَاذَا عَمِلْتَ في الدُّنْيَا؟ قال وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا، قال يا رَبِّ آتَيْتَنِي مَالَكَ، فَكُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ، وَكانَ مِن خُلُقِي الجَوَازُ، فَكُنْتُ أَتَيَسَّرُ علَى المُوسِرِ، وَأُنْظِرُ المُعْسِرَ، فَقال اللَّهُ: أَنَا أَحَقُّ بذَا مِنْكَ، تَجَاوَزُوا عن عَبْدِي. . فَقال عُقْبَةُ بنُ عَامِرٍ الجُهَنِيُّ، وَأَبُو مَسْعُودٍ الأنْصَارِيُّ، هَكَذَا سَمِعْنَاهُ مِن في رَسولِ اللهِ ﷺ }.[2]

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن الحبيب ﷺ أنه قال { كان رجُلٌ يُداينُ الناسَ، كان يقولُ لِفَتاه: إذا أَتَيتَ مُعْسِرًا فتجاوَزْ عنه؛ لعلَّ اللهَ يَتجاوَزُ عنَّا، فلَقِيَ اللهَ، فتجاوَزَ عنه }.[3]

ويقول الحبيب ﷺ { مَن نَفَّسَ عن مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِن كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عنْه كُرْبَةً مِن كُرَبِ يَومِ القِيَامَةِ، وَمَن يَسَّرَ علَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عليه في الدُّنْيَا وَالآخرةِ، وَمَن سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ في الدُّنْيَا وَالآخرةِ، وَاللَّهُ في عَوْنِ العَبْدِ ما كانَ العَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ }.[4]

وليسدد الغني دينه في أجله ولا يؤخره، فإن ذلك مماطلة مكروهة، وليصبر صاحب الدين على المدين حتى يؤدي ما عليه، وليتجاوز عن دينه إذا كان المدين لا يقدر أو يخفف عنه ما استطاع، فقد قال الحبيب ﷺ { مَطْلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ، فإذا أُتْبِعَ أحَدُكُمْ علَى مَلِيٍّ فَلْيَتْبَعْ }.[5]

والْمَلِيُّ: الغنيُّ، والمعنى: أنَّه إذا كان لِأحدِكم دَينٌ على أحدٍ، وأحالَ هذا الْمَدينُ الدَّائنَ بِالدَّينِ على رَجلٍ غنيٍّ، فَلْيوافقِ الدائنُ ولْيقبَلْ هذه الحَوالةَ وتحويلَ الدَّينِ مِن على هذا الْمَدينِ إلى الرَّجلِ الغنيِّ؛ لَيَسُدَّ عنه الدَّينَ.

وقال الله تعالى محذرا المسلمين ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾.[6]

ويقول سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾.[7]

ويقول الحبيب ﷺ { أدِّ الأمانةَ إلى منِ ائتمنكَ ، ولا تخنْ من خانكَ }.[8]

---

[1] والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم3480واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم1562.
[2] أخرجه مسلم في صحيحه برقم1560، وقال الألباني صحيح في صحيح الترغيب برقم1751.
[3] والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم3450واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم1560.
[4] عن أبي هريرة وأخرجه مسلم في صحيحه برقم2699، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند صحيح برقم7942، وقال الألباني صحيح في صحيح الترمذي برقم1930، وصحيح في صحيح أبي داود برقم4946.
[5] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم69 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم1564.
[6] سورة البقرة الآية 188.
[7] سورة النساء الآية 58.
[8] عن يوسف بن ماهك المكي، وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم3534، ورواه الترمذي في سننه وقال حسن غريب برقم1264.

كما روى هذا الحديث (أبو هريرة وأنس بن مالك و أبي بن كعب وأبو أمامة الباهلي).[1]

والحبيب ﷺ يقول { مَن أخَذَ أمْوالَ النَّاسِ يُرِيدُ أداءَها أدَّى اللَّهُ عنْه، ومَن أخَذَ يُرِيدُ إتْلافَها أتْلَفَهُ اللَّهُ }.[2]

ويقول الحبيب ﷺ { ما من أحدٍ يدَّانِ دَيْنًا يعلمُ اللهُ منه أنه يريد قضاءَه، إلا أدَّاه اللهُ عنه في الدُّنيا }.[3]

وقال الحبيب ﷺ { أيُّما رجلٍ يَدَّينُ دَينًا وهو مجمعٌ أن لا يوفِّيه إيَّاه لقي اللهَ سارِقًا }.[4]

وفي رواية آخرى { وأيُّما رجلٍ اسْتَدَانَ دَيْنًا لا يُريدُ أنْ يُؤَدِّيَ إلى صاحِبِه حقَّهُ ؛ خَدْعَةً حتى أَخَذَ مالهُ، فماتَ ولمْ يَرُدَّ إليهِ دِينَهُ ؛ لَقِيَ اللهَ وهوَ سارِقٌ }.[5]

وكان الحبيب ﷺ أفضل الناس وأوفاهم قضاءً، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال { كانَ لِرَجُلٍ علَى النبيِّ ﷺ سِنٌّ مِنَ الإبِلِ، فَجَاءَهُ يَتَقَاضَاهُ، فَقال أَعْطُوهُ، فَطَلَبُوا سِنَّهُ، فَلَمْ يَجِدُوا له إلَّا سِنًّا فَوْقَهَا، فَقال أَعْطُوهُ، فَقال أَوْفَيْتَنِي أَوْفي اللَّهُ بكَ، قال النبيُّ ﷺ : إنَّ خِيَارَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً }.[6]

وروى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال { أَتَيْتُ النبيَّ ﷺ وهو في المَسْجِدِ - قال مِسْعَرٌ: أُرَاهُ قال ضُحًى - فَقال صَلِّ رَكْعَتَيْنِ، وكانَ لي عليه دَيْنٌ، فَقَضَانِي وزَادَنِي }.[7]

وكان يستعيذ من هَم الدين والمغرم، فقد روت السيدة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت { أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ كانَ يَدْعُو في الصَّلَاةِ ويقولُ: اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ مِنَ المَأْثَمِ والمَغْرَمِ، فَقال له قَائِلٌ: ما أكْثَرَ ما تَسْتَعِيذُ يا رَسولَ اللَّهِ مِنَ المَغْرَمِ؟ قال إنَّ الرَّجُلَ إذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ، ووَعَدَ فأخْلَفَ }.[8]

وكان ﷺ لا يصلي على من عليه دين في بادئ الأمر، وذلك حتى يحث على أداء الدين، وترغيبا لسرعة أدائه وترهيبا من التكاسل والهروب من أدائه، لأن تأخير سداد الدين ليس من صفات المسلم الصحيح، فإن حل سداد الدين وجب الوفاء به، إلا لعذر أو عدم قدرة.

---

[1] قال ابن حجر العسقلاني في التلخيص الحبير تفرد به طلق بن غنام عن شريك، واستشهد له الحاكم بحديث أبي التياح عن أنس، وفيه أيوب بن سويد مختلف فيه، ومن طريق أبي أمامة بسند ضعيف، ومن طريق الحسن مرسلا، قال الشافعي: هذا الحديث ليس بثابت، ونقل عن الإمام أحمد أنه قال: هذا حديث باطل لا أعرفه من وجه يصح برقم3/1089، وقال السخاوي في المقاصد الحسنة [له طرق] لكن بانضمامها يقوى الحديث برقم51.

[2] عن أبي هريرة، وأخرجه البخاري في صحيحه برقم2387، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند صحيح برقم9407.

[3] عن ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين، وقال الألباني صحيح دون قوله: "في الدنيا" في صحيح النسائي برقم4700، وقال صحيح دون قوله: "في الدنيا" في صحيح ابن ماجه برقم1967.

[4] عن صهيب بن سنان الرومي، وقال الألباني حسن صحيح في صحيح ابن ماجه برقم1969، وقال صحيح في صحيح الجامع برقم2720.

[5] عن أبو ميمون الكردي، وقال الألباني صحيح في صحيح الترغيب برقم1807، ورواه الطبراني في الأوسط برقم2/237.

[6] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2305، ومسلم في صحيحه برقم1601.

[7] والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2394، ومسلم في صحيحه برقم715.

[8] والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2397، ومسلم في صحيحه برقم589.

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال { مات ميّتٌ فمرُّوا على رسولِ اللهِ ﷺ فدعَوْه للصَّلاةِ عليه فقال على صاحبِكم دَيْنٌ قالوا نَعَمْ يا رسولَ اللهِ دِينارَيْنِ قالوا صلُّوا على صاحبِكم فقال رجُلٌ مِن قَرابتِه هو علَيَّ يا رسولَ اللهِ قال هو عليكَ وهو بريءٌ منها قال نَعَمْ فصلَّى عليه رسولُ اللهِ ﷺ فلقِيَه بعدُ فقال ما صنَعْتَ فقال ما فرَغْتُ قال بَرِّدْ على صاحبِكَ ثمَّ عجِّل قضاءَه ثمَّ لقِيَه فقال قد قضَيْتُه يا رسولَ اللهِ قال الآنَ حينَ برَّدْتَ على صاحبِكَ }.[1]

ولكنه ﷺ نسخ هذه السنة، وأصبح يصلي على من ترك دينا، وتكفل بأداء دينه بعد أن فتح الله عليه وأغناه ربه، فوسع على المسلمين بقضاء ديونهم، تكرما منه ﷺ .

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال { أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُؤْتَى بِالرَّجُلِ الْمُتَوَفي عَلَيْهِ الدَّيْنُ، فَيَسْأَلُ: هَلْ تَرَكَ لِدَيْنِهِ فَضْلًا، فَإِنْ حُدِّثَ أَنَّهُ تَرَكَ لِدَيْنِهِ وَفَاءً: صَلَّى؛ وَإِلَّا قال لِلْمُسْلِمِينَ: صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ ، فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْفُتُوحَ، قال أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؛ فَمَنْ تُوُفِّيَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ فَتَرَكَ دَيْنًا فَعَلَيَّ قَضَاؤُهُ، وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرَثَتِهِ }.[2]

ويحث إسلامنا الجميل على سرعة أداء الدين، وألا يتكاسل المدين عن أداء دينه في وقته، فقد يدركه الموت، فلا يسدد الورثة الدين، فيوفي دينه من حسناته.

فقد قال الحبيب ﷺ { من ماتَ وعليْهِ دينارٌ أو درْهمٌ قُضِيَ من حسناتِه، ليسَ ثمَّ دينارٌ ولا درْهمٌ }.[3]

وفي لفظ آخر { ومَن مات وعليه دَيْنٌ، أُخِذ لصاحِبِه مِن حسَناتِه، لا دِينارَ ثَمَّ ولا دِرهمَ }.[4]

ويحذر الحبيب ﷺ المدين المتخاذل فيقول له { نفسُ المؤمنِ معلَّقةٌ بِدَينِه حتَّى يُقضَى عنهُ }.[5]

وقال الحبيب ﷺ { الدَّينُ دَينانِ، فمن مات وهو ينوي قضاءَه، فأنا وليُّه، ومن مات ولا ينوي قضاءَه فذاك الذي يُؤخذُ من حسناتِه، ليس يومئذٍ دينارٌ ولا درهمٌ }.[6]

---

[1] رواه الطبراني في الأوسط برقم4/6، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد فيه حكيم بن نافع وبقية رجاله ثقات برقم3/34.

[2] الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2298، ومسلم في صحيحه برقم1619.

[3] عن عبد الله بن عمر، وقال الألباني صحيح في صحيح ابن ماجه برقم1973، صحيح في صحيح الجامع برقم6546، قال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده حسن في الشواهد برقم15/379، كما رواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم2921.

[4] عن عبد الله بن عمر، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند حسن برقم5544، ورواه أبو داود برقم35981، وابن ماجه برقم2320.

[5] عن أبي هريرة، وقال الألباني صحيح في صحيح الترمذي برقم1078، وقال صحيح في صحيح ابن ماجه برقم1972، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند صحيح برقم10599 باختلاف يسير.

[6] عن عبد الله بن عمر وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم3418، وقال في صحيح الترغيب صحيح لغيره برقم1803، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم13/336 ورقم14146، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد فيه محمد بن عبد الرحمن بن البيلماني وهو ضعيف برقم4/135.

يسروا وبشروا فيما بينكم

إسلامنا الجميل يدعونا أن يكون المسلم يسرا سهلا بين إخوانه، يبشرهم ولا ينفرهم، وييسر لهم ولا يعسر عليهم، كما أمره الحبيب ﷺ فيقول { يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا، وبَشِّرُوا، ولا تُنَفِّرُوا }.[1]

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال { كانَ رَسولُ اللهِ ﷺ إذَا بَعَثَ أَحَدًا مِن أَصْحَابِهِ في بَعْضِ أَمْرِهِ، قال بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا }.[2]

وفي رواية ابن عباس رضي الله عنهما { علّموا ويسّروا ولا تعسّروا، وبشّروا ولا تنفّروا، وإذا غضبَ أحدكُم فليسكُت }.[3]

يعين ويساعد بعضهم بعضا

ما أجمل إسلامنا فهو يدعونا لكل خير وينهانا عن كل شر، فيأمرنا أن يساعد بعضنا بعض ويعين بعضنا بعض، فمجتمع مثل هذا لهو المجتمع المثالي الذي يحلم به من يريدون أن يعيشوا عيشة رضية هنية مثالية.

يقول الحبيب ﷺ { ما مِن مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إلَّا كانَ ما أُكِلَ منه له صَدَقَةً، وما سُرِقَ منه له صَدَقَةٌ، وما أكَلَ السَّبُعُ منه فَهو له صَدَقَةٌ، وما أكَلَتِ الطَّيْرُ فَهو له صَدَقَةٌ، ولا يَرْزَؤُهُ أحَدٌ إلَّا كانَ له صَدَقَةٌ }.[4]

ما أجمل إسلامنا فالمسلم ينوى عن زراعة ثمره أو محصوله الخير والصدقة على كل شيء، حتى ما سرق منه فلن يضيع حقه فإن له صدقة، وما أخذ منه أو حتى اختطف أو انتزع منه فله صدقة، فيؤجر هو، ويؤثم من سرق أو انتزع أو اختطف.

ويقول الحبيب ﷺ { عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ قالوا: فإنْ لَمْ يَجِدْ؟ قال فَيَعْمَلُ بيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ ويَتَصَدَّقُ قالوا: فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أوْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قال فيُعِينُ ذا الحاجَةِ المَلْهُوفَ قالوا: فإنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قال فَيَأْمُرُ بالخَيْرِ أوْ قال بالمَعروفِ قال فإنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قال فيُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ فإنَّه له صَدَقَةٌ }.[5]

---

[1] عن أنس بن مالك، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2288، ومسلم في صحيحه برقم1734.
[2] وأخرجه مسلم في صحيحه برقم1732، وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم4835.
[3] عن عبدالله بن عباس، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة صحيح برقم1375، وقال صحيح في صحيح الجامع برقم4027، وقال أحمد شاكر في مسند أحمد إسناده صحيح برقم4/191، ورواه البزار في مسنده برقم4872.
[4] عن جابر بن عبد الله، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم1552، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم5768.
[5] عن أبي موسى الأشعري، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6022 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم1008.

عن أبى ذر الغفارى رضي الله عنه قال { قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ، ذهَبَ الأغنياءُ بالأجْرِ، يُصلُّونَ ويَصومونَ، ويَحُجُّونَ، قال وأنتُم تُصلُّونَ، وتَصومونَ، وتَحُجُّونَ، قُلْتُ: يَتصَدَّقونَ ولا نَتصَدَّقُ، قال وأنتَ فيكَ صَدقةٌ: رَفْعُكَ العَظمَ عنِ الطريقِ صَدَقةٌ، وهِدايتُكَ الطريقَ صَدَقةٌ، وعَونُكَ الضعيفَ بفَضلِ قُوَّتِكَ صَدَقةٌ، وبَيانُكَ عنِ الأرْثَمِ صَدَقةٌ، ومُباضَعَتُكَ امرأتَكَ صَدَقةٌ، قال قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ، نَأْتي شَهوتَنا ونُؤجَرُ؟ قال أرَأيْتَ لو جعَلْتَه في حَرامٍ، أكُنْتَ تَأثَمُ؟ قال قُلْتُ: نَعَمْ، قال فتَحتَسِبونَ بالشرِّ، ولا تَحتَسِبونَ بالخَيرِ }.[1]

ويدلنا الرسول الحبيب ﷺ على باب واسع من أبواب الخير، فكل من أعان مسلما ودله على الخير فله أجره وإن لم يفعله، فالدال على الخير كفاعله.

فقد { جَاءَ رَجُلٌ إلى النبيِّ ﷺ ، فَقال إنِّي أُبْدِعَ بي فَاحْمِلْنِي، فَقال ما عِندِي، فَقال رَجُلٌ: يا رَسولَ اللهِ، أَنَا أَدُلُّهُ علَى مَن يَحْمِلُهُ، فَقال رَسولُ اللهِ ﷺ : مَن دَلَّ علَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ }.[2]

إنِّي أُبْدِعَ بي، يَعنِي: انقَطَعَ بي السَّبيلُ؛ لأنَّ دابَّتي قد ماتتْ، فاحمِلْنِي.

نقي من النفاق

إسلامنا الجميل يريد بناء مجتمع يتميز بالصدق ويقوم على الوفاء، ليكون مجتمعا متماسكا قويا، ولكي يقوي على مواجهة الفتن الداخلية والخارجية، يجب أن يتمتع بصفات حميدة جعلها إسلامنا الجميل من مكارم الآخلاق، ومن أهمها ما يختص بالمعاملات مع الآخرين، وهي الصدق والوفاء بالوعد وعدم خيانة الأمانة، فبدونهم يتفكك المجتمع ويأكل بعضه بعضا.

والنفاق مرض خطير وجرم كبير وهو إظهار الإسلام وإبطان الكفر، وإظهار الخير وإبطان الشر، والنفاق أخطر من الكفر وعقوبته أشد وضرره أعظم على الإسلام والمجتمع الإسلامي، ولذلك جعل الله المنافقين في الدرك الأسفل من النار، كما قال سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾.[3]

ويقول سبحانه ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾.[4]

[1] قال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند صحيح برقم21363، ورواه الترمذي نحوه برقم1956.
[2] عن أبي مسعود عقبة بن عمرو، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم1893، وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم5129.
[3] سورة النساء الآية 145.
[4] سورة النساء الآية 138.

وكثير من الناس في هذا العصر لا يدرك مدى نفاقه، ويعتبر ذلك من النقد، ولكنه في حقيقته من الحقد، فيقدح في الإسلام و يشكك فيه، وهو من جلدتنا ويتكلم مثلنا ويعيش وسطنا، ولكنه في داخله ليس بمسلم ولم يقتنع به ولم يسلم له.

وخطره عظيم وأثره كبير إذا ترك يقدح ويشتم في الإسلام ويدعو إلى هدم أركانه والقدح في رسوله، ويشكك في قرآنه، ويستهزئ بعلمائه.

ففي المجتمع من يسمع لهم، ويقتنع بما يبثون من سم، إما لجهله، أو لعلمه، وتأييده لهم لأنهم على هواه ومعتقده.

فقال تعالى ﴿ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.[1]

(أَيْ: مُطِيعُونَ لَهُمْ وَمُسْتَحْسِنُونَ لِحَدِيثِهِمْ وَكَلَامِهِمْ، يَسْتَنْصِحُونَهُمْ وَإِنْ كَانُوا لَا يَعْلَمُونَ حَالَهُمْ، فَيُؤَدِّي هَذَا إِلَى وُقُوعِ شَرٍّ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَفَسَادٍ كَبِيرٍ).[2]

ويجب على المجتمع المسلم منع هؤلاء من نشر أفكارهم الهدامة، وتشكيكهم المستمر، فقد يتأثر به ضعيفو القلوب وقليلو العلم، فيفسد المجتمع ويهدم الأمة.

وحيث إن خطر الكفار والمنافقين على الأمة الإسلامية عظيم وأثرهم كبير، لذا أمر الله رسوله ﷺ بجهادهم، فقال سبحانه في قرآنه الكريم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾.[3]

ولذا امتلأ قرآننا الكريم بآيات كثيرة عن المنافقين، فيه وصفهم وصفاتهم، وأنزل سبحانه سورة باسمهم وهي سورة المنافقون.

فقال الله تعالى عنهم ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ١٤٣﴾.[1]

---

[1] سورة التوبة الآية 47.
[2] تفسير ابن كثير سورة التوبة الآية 47.
[3] سورة التوبة الآية 73.

فالله سبحانه وتعالى القدير العليم لا يخادع، فهو سبحانه يعلم ما يسرون وما يعلنون ﴿ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.[2]

فهذا ظنهم الباطل بالله سبحانه، فكفروا به.

ولهم صفات كثيرة لا يخيب مؤمن متفرس عنهم، فهم مذبذبون بين الحق والباطل وبين الكفر والإيمان، فهم لَيْسُوا بِمُؤْمِنِينَ مُخْلِصِينَ وَلَا مُشْرِكِينَ مُصَرِّحِينَ بِالشِّرْكِ، و(الْمُنَافِقِينَ مُحَيَّرِينَ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ، فَلَا هُمْ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَلَا مَعَ الْكَافِرِينَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، بَلْ ظَوَاهِرُهُمْ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، وَبَوَاطِنُهُمْ مَعَ الْكَافِرِينَ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْتَرِيهِ الشَّكُّ، فَتَارَةً يَمِيلُ إِلَى هَؤُلَاءِ، وَتَارَةً يَمِيلُ إِلَى أُولَئِكَ).[3]

ومن صفاتهم السيئة الكفر بالله سبحانه، فقال الله سبحانه فيهم ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قالوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.[4]

ومن صفاتهم السيئة العداوة للمؤمنين وحسدهم فقال تعالى ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴾.[5]

ومن صفاتهم الاستهزاء والاستهتار بآيات الله ورسوله، فقال الله سبحانه ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ٦٥ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴾.[6]

وفيها حديث عن ابن عمر رضي الله عنهما { أنه قال رجلٌ في غزوةِ تبوكَ: ما رأينا مثلَ قُرَّائِنا هؤلاءِ أرغبَ بطونًا ولا أكذبَ ألسُنًا ولا أجبَنَ عندَ اللقاءِ. فقال له عوفُ بنُ مالكٍ: كذَبتَ، ولكنك منافقٌ، لأُخبِرَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ. فذهب عوفٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ لِيخبِرَه، فوجد القرآنَ قد سبقه، فجاء ذلك الرجلُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ وقد ارتحلَ وركب ناقتَه، فقال: يا رسولَ اللهِ، إنما كنا نخوضُ ونتحدثُ حديثَ الركبِ نقطعُ به عنا الطريقَ. قال ابنُ عمرَ: كأني أنظرُ إليه متعلقًا بنسعةِ ناقةِ رسولِ اللهِ ﷺ ، وإن الحجارةَ تنكُبُ رجلَيه، وهو

---

[1] سورة النساء الآية 142 - 143.
[2] سورة هود الآية 5.
[3] تفسير ابن كثير ج1 تفسير سورة النساء الآية 142 – 143.
[4] سورة البقرة الآية 13.
[5] سورة التوبة الآية 50.
[6] سورة التوبة الآية 65 – 66.

يقولُ: إنما كنا نخوضُ ونلعبُ. فيقولُ له رسولُ اللهِ ﷺ : أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ما يلتفتُ إليه وما يزيدُه عليه يعني رسولَ اللهِ ﷺ وأصحابَه القراءَ }.[1]

ومن صفاتهم الفساد في الأرض بالكفر والنفاق والمعاصي، قال تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ١١ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ١٢﴾.[2]

ومن صفاتهم البهتان والكذب كما أخبر الله عنهم بقوله سبحانه ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾.[3]

وقد قال الله عنهم ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾.[4]

ومن صفاتهم الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف والبخل بالمال كما أخبر الله عنهم بقوله ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾.[5]

ومن صفاتهم الطمع والجشع، فقال سبحانه تعالى ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾.[6]

فقد قال الحبيب ﷺ { آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإِذَا وعَدَ أَخْلَفَ، وإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ }.[7]

وفي حدرث آخر عنهم قال الحبيب ﷺ { أَرْبَعٌ مَن كُنَّ فيه كانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، ومَن كَانَتْ فيه خَصْلَةٌ منهنَّ كَانَتْ فيه خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ }.[8]

---

[1] عن عبد الله بن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة، وقال ابن عثيمين في مجموع فتاواه الرواية عن ابن عمر مرفوعة وعن الثلاثة الآخرين[التابعيين] مرسلة برقم10/857.

[2] سورة البقرة الآية 11- 12.

[3] سورة التوبة الآية 56.

[4] سورة المنافقون الآية 2.

[5] سورة التوبة الآية 67.

[6] سورة التوبة الآية 58.

[7] عن أبي هريرة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم33، ومسلم في صحيحه برقم59.

[8] عن عبدالله بن عمرو، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم43 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم58.

وقال ابن كثير في تفسيره أَيِ: اتَّقَوُا النَّاسَ بِالْأَيْمَانِ الْكَاذِبَةِ والحَلْفات الْآثِمَةِ، لِيُصَدَّقُوا فِيمَا يَقُولُونَ، فَاغْتَرَّ بِهِمْ مَنْ لَا يَعْرِفُ جَلِيَّةَ أَمْرِهِمْ، فَاعْتَقَدُوا أَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ فَرُبَّمَا اقْتَدَى بِهِمْ فِيمَا يَفْعَلُونَ وَصَدَّقَهُمْ فِيمَا يَقُولُونَ.

ووصفهم الحبيب ﷺ فقال { مَثَلُ المُنافِقِ، كَمَثَلِ الشَّاةِ العائِرَةِ بيْنَ الغَنَمَيْنِ تَعِيرُ إلى هذِه مَرَّةً وإلَى هذِه مَرَّةً }.[1]

فهم الخطر الأعظم والعدو الأول والمعول الهدام في كيان المجتمع المسلم.

إلا أن الله الرحيم جعل لهم رجعة وتوبة، إذا أنابوا ورجعوا فهو التواب الرحيم، فقال تعالى ﴿ إِلا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾.[2]

ويقول لهم الرحمن الرحيم ﴿ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْۖ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.[3]

حسن الخلق فيما بينهم

لم يبنِ إسلامنا الجميل المجتمع على حسن الخلق بين المسلمين فقط، بل للناس كافة، وجعلها صفة أساسية للمسلم يعرف بها ويتميز بين الناس، وبها انتشر الإسلام وفُتحت بلاد كثيرة بهذا الخلق الكريم، والذي يدخل الإسلام وجب عليه أن يتخلق بهذا الخلق القويم والسلوك الحسن، والذي قام عليه المجتمع الإسلامي وتميز به بين الأمم.

فمنها ألا يتشاتما أويتلفظ كل منهم بألفظ يتأذى منها الآخر، ويدلنا الحبيب ﷺ أن من يبدأ بالسباب والشتم يقع عليه الإثم والوزر، حتى ولو رد عليه أخوه السباب فقال{ الْمُسْتَبَّانِ ما قالا فَعَلَى البادِئِ، ما لَمْ يَعْتَدِ المَظْلُومُ }.[4]

أي على البادئ الإثم ما لم يعتد المظلوم ويزيد في رد الشتائم فيتساويان في الإثم.

---

[1] عن عبد الله بن عمر، وأخرجه مسلم في صحيح برقم2784 واللفظ له، وقال الألباني صحيح في صحيح الجامع برقم5853، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح على شرط الشيخين برقم5790.

[2] سورة النساء الآية 146.

[3] سورة التوبة الآية 74.

[4] عن أبي هريرة وأخرجه مسلم في صحيحه برقم2587، وقال الألباني صحيح في صحيح الأدب المفرد برقم326، وقال صحيح في صحيح أبي داود برقم4894.

ويقول الحبيب ﷺ { سِبابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وقِتالُهُ كُفْرٌ }.[1]

ومنها أن يحفظ كل منهما لسانه ولا يتناول أخاه بما يكره، ويخشى لو عرف أخوه بما قال، فقد قال الحبيب ﷺ { أَتَدْرُونَ ما الغِيبَةُ؟ قالوا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قال ذِكْرُكَ أخاكَ بما يَكْرَهُ قيلَ أفَرَأَيْتَ إنْ كانَ في أخِي ما أقُولُ؟ قال إنْ كانَ فيه ما تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وإنْ لَمْ يَكُنْ فيه فقَدْ بَهَتَّهُ }.[2]

فقد كان الحبيب ﷺ أحسن الناس خلقا، وزكاه ربه فقال سبحانه ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾.[3]

وقال سبحانه مادحا الحبيب ﷺ ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾.[4]

ويضرب لنا الحبيب ﷺ المثل في حسن الخلق لنتأسى به، فقد قال الله سبحانه وتعالى ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾.[5]

فلم يكن فاحشا سبابا لعانا ﷺ ، ففي حوار مع زوجته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها { فَقال رَسولُ اللَّهِ ﷺ : يا عَائِشَةُ، مَتَى عَهِدْتِنِي فَحَّاشًا، إنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَومَ القِيَامَةِ مَن تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ }.[6]

وفي لفظ مسلم { مَن تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ }.

فبهذه الصفات الجميلة والأفعال الحميدة يتقوي المجتمع ويتماسك ويكون مجتمعا مثاليا، ينعم كل من عاش فيه بحياة آمنة مطمئنة وعيشة هنية رضية.

---

[1] عن عبد الله بن مسعود، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم48، ومسلم في صحيحه برقم64.
[2] عن أبي هريرة وأخرجه مسلم في صحيحه برقم2589، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان صحيح على شرط مسلم برقم5758.
[3] سورة القلم 4.
[4] سورة آل عمران الآية 159.
[5] سورة الأحزاب الآية 21.
[6] عن عائشة والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6032 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم2591.

الباب العاشر

إسلامنا الجميل

ومعاملة المسلم

لغير المسلم

إسلامنا الجميل ومعاملة المسلم لغير المسلم

في إسلامنا الجميل ينعم من عاش فيه بالحرية والكرامة والتسامح والعدل بين جميع أطيافه، سواء كان مسلما أو غير مسلم، وهذا من جمال وعدل الإسلام ومجتمعه الإسلامي .

ويحظى الكل في المجتمع الإسلامي بالطمأنينة، لأن نظامه قائم على تطبيق العدل على كل أطيافه، واحترام كل واحد منهم للآخر، ولما فيه من دستور قرآني منزل من رب العالمين، وقوانين وأحكام أثبتها وطبقها رسول الله الحبيب المصطفي محمد ﷺ صاحب الأسوة الطيبة والقدوة الحسنة.

ولم يترك إسلامنا الجميل لأهواء البشر أن يشرعوا لأنفسهم قوانين ظالمة جاحدة، بل جاء بشرع حكيم منزل من رب العالمين يطبق على الجميع، ليعدل بين الناس جميعا، ويبدل دساتيرهم الفاسدة وقوانينهم الظالمة، فأرسل الله سبحانه النبي الخاتم ﷺ ، وأنزل معه القرآن الحكيم ليعيد البشرية التائهة إلى طريقها القويم، ويعيد الحق للمظلومين وينصر المستضعفين.

ودائما ما يكون الآخر هو الطرف الأضعف في معادلة الأمم والشعوب، فيتم هضم حقه وأكل لحمه، والاستذئاب والتنمر عليه، ولكنه في المجتمع المسلم له احترامه وحريته وحقوقه كاملة مثل غيره من المسلمين.

ولقد حفظ إسلامنا الجميل كرامة الإنسان، فساوى بين الناس جميعا ورفع قدرهم، فالناس بنو آدم سواء المسلم أو غير المسلم، وقد كرمهم الله جميعًا، على اختلاف أجناسهم وألوانهم، فقال سبحانه في قرآنه العظيم ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴾.[1]

فالجميع لهم الحقوق الإنسانية كبشر أمام ربهم، وميزهم وفضلهم جميعا على كثير ممن خلق، وجعلهم جميعا خلفاء الله في الأرض.

وخلقهم جميعا بطريقة واحدة لا تمايز بينهم، فقد خلقهم من ذكر وأنثى، وإنما يتميز الناس عند ربهم بمدى إيمانهم وتقواهم.

[1] سورة الإسراء الآية 70.

فقد قال الله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾.[1]

وقال سبحانه مخاطبا الناس جميعا ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾.[2]

ولكنه سبحانه وتعالى أشهدهم على أنفسهم وشهدوا جميعا بأنه هو الله الواحد الأحد.

فقال سبحانه ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴾.[3]

وقال تعالى يدلهم عليه سبحانه ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾.[4]

وقال الحبيب ﷺ { ما مِن مَوْلُودٍ إلَّا يُولَدُ علَى الفِطْرَةِ، فأبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أوْ يُنَصِّرَانِهِ، أوْ يُمَجِّسَانِهِ }.[5]

في المجتمع الإسلامي، للآخر حقوق حفظها له إسلامنا الجميل، فلو ارتضى أن يعيش في هذا المجتمع المسلم، فله ما لهم وعليه ماعليهم.

من حقوقه ألا تكرهه على الإسلام

فيدعو إلى دين الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة بلا إكراه، وأن يجادل بالتي هي أحسن، وله حرية الاختيار غير مجبر، فإن الله سبحانه قال ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾.[6]

ويقول سبحانه ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.[7]

---

[1] سورة الحجرات 13.
[2] سورة يونس الآية 108.
[3] سورة الأعراف الآية 172.
[4] سورة فاطر الآية 3.
[5] عن أبي هريرة، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم1358، ومسلم في صحيحه برقم2658.
[6] سورة النحل الآية 125.
[7] سورة البقرة الآية 256.

(فعن ابنِ عبَّاسٍ في قولِه: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: 256] قال كانت المرأةُ مِن الأنصارِ لا يكادُ يعيشُ لها ولَدٌ فتحلِفُ: لئِنْ عاش لها ولدٌ لَتُهوِّدَنَّه فلمَّا أُجليَتْ بنو النَّضيرِ إذا فيهم ناسٌ مِن أبناءِ الأنصارِ فقالتِ الأنصارُ: يا رسولَ اللهِ أبناؤُنا فأنزَل اللهُ هذه الآيةَ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: 256] قال سعيدُ بنُ جُبيرٍ: فمَن شاء لحِق بهم ومَن شاء دخَل في الإسلامِ).[1]

له حق الجوار

ولقد عظم إسلامنا حق الجار المسلم وغير المسلم، فالجار أقرب الناس إليك، فقد قال الله تعالى ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴾.[2]

وقال كثير من المفسرين الجار ذو القربى هو الجار المسلم والجار الجنب هو الجار من أصحاب الكتاب اليهود والنصارى.

وقال الحبيب ﷺ { الجيرانُ ثلاثةٌ : جارٌ لهُ حقٌّ واحدٌ، وهو أدنى الجيرانِ حقًّا، وجارٌ لهُ حقانِ، وجارٌ لهُ ثلاثةُ حقوقٍ، وهو أفضلُ الجيرانِ ؛ قال. فأما الجارُ الذي لهُ حقٌّ واحدٌ؛ فالجارُ المشركُ لا رحمَ لهُ، لهُ حقُّ الجوارِ، وأما الذي لهُ حقَّانِ؛ فالجارُ المسلمُ لا رحمَ لهُ، لهُ حقُّ الإسلامِ وحقُّ الجوارِ، وأما الذي لهُ ثلاثةُ حقوقٍ؛ فجارٌ مسلمٌ ذو رحمٍ، لهُ حقُّ الإسلامِ، وحقُّ الجوارِ، وحقُّ الرحمِ . وأدنى حقِّ الجوارِ أن لا تُؤذيَ جارَكَ بقُتارِ قِدْرِكَ إلا أنْ تقدحَ لهُ منها }.[3]

وقال الحبيب ﷺ عن الجار{ ما زالَ يُوصِينِي جِبْرِيلُ بالجارِ، حتَّى ظَنَنْتُ أنَّه سَيُوَرِّثُهُ }.[4]

وقال الحبيب ﷺ نافيا الإيمان ووقوع الإثم على من لا يأمن جاره بوائقه، وهي أذاه وشروره، على كل الجيران مسلمهم وغير مسلمهم { واللَّهِ لا يُؤْمِنُ، واللَّهِ لا يُؤْمِنُ، واللَّهِ لا يُؤْمِنُ قيلَ: ومَن يا رَسولَ اللَّهِ؟ قال الذي لا يَأْمَنُ جارُهُ بَوايِقَهُ }.[5]

له حق أن تهدي له وتشاركه أفراحه وأتراحه وتزوره في مرضه وتعوده.

---

[1] وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده صحيح على شرطهما برقم140، في تخريج مشكل الآثار رجاله ثقات رجال الشيخين برقم4279، وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم2682 مختصرا.

[2] سورة النساء الآية 36.

[3] عن جابر بن عبد الله وعبد الله بن عمر، وقال الألباتى ضعيف في ضعيف الجامع برقم2674، وقال ضعيف في السلسلة الضعيفة برقم3493، ورواه الطبراني في مسند الشاميين برقم2458، والبزار في كشف الأستار برقم1896.

[4] عن عبد الله بن عمر، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم6014، ومسلم في صحيحه برقم2624.

[5] عن أبي شريح العدوي خويلد بن عمرو، وأخرجه البخاري في صحيحه برقم6016، وقال الألباني صحيح في صحيح الترغيب برقم2550.

وكان للحبيب محمدا ﷺ غلاما يهوديا يخدمه، فمرض هذا الغلام فعاده الحبيب ﷺ ودعاه إلى الإسلام قبل موته، ويروى أنس بن مالك رضي الله عنه ذلك فيقول { كانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النبيَّ ﷺ ، فَمَرِضَ، فأتَاهُ النبيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقال له: أسْلِمْ، فَنَظَرَ إلى أبِيهِ وهو عِنْدَهُ فَقال له: أطِعْ أبَا القَاسِمِ ﷺ ، فأسْلَمَ، فَخَرَجَ النبيُّ ﷺ وهو يقولُ: الحَمْدُ لِلَّهِ الذي أنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ }.[1]

{ وروى أنَّ عبدَ اللهِ بنَ عمرٍو رضِي اللهُ عنهما ذُبِحت له شاةٌ في أهلِه فلمَّا جاء قال أهدَيْتم لجارِنا اليهوديَّ أهديتم لجارِنا اليهوديَّ سمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ مازال جبريلُ يُوصيني بالجارِ حتَّى ظننتُ أنَّه سيُورِّثُه }.[2]

ولم يفرق بين جنازة المسلم واليهودي، فكلاهما نفس إنسانية، فقد روى { انَ سَهْلُ بنُ حُنَيْفٍ، وقَيْسُ بنُ سَعْدٍ قَاعِدَيْنِ بالقَادِسِيَّةِ، فَمَرُّوا عليهما بجَنَازَةٍ، فَقَامَا، فقِيلَ لهما إنَّهَا مِن أَهْلِ الأرْضِ أَيْ مِن أَهْلِ الذِّمَّةِ، فَقالا: إنَّ النبيَّ ﷺ مَرَّتْ به جِنَازَةٌ فَقَامَ، فقِيلَ له: إنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِيٍّ، فَقال أَلَيسَتْ نَفْسًا }.[3]

وحديث قيام الحبيب ﷺ لجنازة اليهودي رواه أكثر من صحابي وهم جابر بن عبد الله، وأبو هريرة، وسهل بن حنيف وقيس بن سعد، وأنس بن مالك.

وله حق العبادة وعدم التعرض له

وقد أوصى الحبيب ﷺ ألا يتعرض جيشه وجنوده لدور العبادة فقال { وستجدون فيها رجالًا في الصَّوامعِ معتزلين للنَّاسِ فلا تَعرِضوا لهم }.[4]

ووصى الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه جيش الشام ألا يهدموا دور العبادة لأهل الكتاب فقال { إنَّ اللهَ ناصرٌ دينَهُ، ولا تَغُلُّوا، ولا تَغْدِروا، ولا تَجْبُنوا، ولا تُفْسِدوا في الأرضِ، ولا تُغْرِقُنَّ نَخْلًا، ولا تُحَرِّقُنَّها، ولا تَعْقِروا بَهيمةً، ولا شجرةً تُثمِرُ، ولا تَهْدِموا بَيْعةً }.[5]

له حق البر والمساعدة

[1] أخرجه البخاري في صحيحه برقم1356، وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم3095.
[2] رواه المنذري في الترغيب والترهيب وقال روى هذا المتن من طرق كثيرة برقم3/326، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج سنن أبي داود إسناده صحيح برقم5152، وقال في تخريج مشكل الآثار إسناده صحيح على شرط مسلم برقم2792، وقال الألباني إسناده صحيح في مشكلة الفقر برقم101.
[3] عن سهل بن حنيف وقيس بن سعد، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم1312، ومسلم في صحيحه برقم 961.
[4] عن خالد بن زيد بن حارثة الأنصاري، وقال ابن عساكر في تاريخ دمشق إسناده مرسل والمحفوظ أن هذه وصية أبي بكر رضي الله عنه برقم2/9، وقال البيهقي في السنن الكبرى منقطع وضعيف برقم9/91.
[5] عن سعيد بن المسيب، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج مشكل الآثار رجاله ثقات رجال الشيخين، إلا أنه منقطع برقم3/144، وقال ابن الملقن في شرح البخاري مرسل برقم18/207.

وله حق البر والتصدق عليه وإعطاؤه من دار مال المسلمين لفقره وحاجته من غير الزكاة.

ولا يجوز إعطاء فقراء أهل الكتاب أو الكفار من الزكاة ، لأن الزكاة لا تعطى إلا للمسلمين في مصرف الفقراء والمساكين المذكورين في آية الزكاة، ولكن يمكن إعطاءهم من الصدقات والهبات.

فقد قال الله تعالى ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٩ ﴾.[1]

وروت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت { أنَّ يَهُودِيَّةً جَاءَتْ تَسْأَلُهَا، فَقالَتْ لَهَا: أعَاذَكِ اللَّهُ مِن عَذَابِ القَبْرِ}.[2]

وفي لفظ آخر { سألَتْها امرَأةٌ يَهوديَّةٌ فأعْطَتْها، فقالت لها: أعاذَكِ اللهُ مِن عَذابِ القَبرِ}.[3]

وفي رواية ثالثة { أنَّ يهوديَّةً كانَتْ تخدُمُها، فلا تصنَعُ عائشةُ إليْها شيئًا مِنَ المعروفِ إلَّا قالَتْ لها اليهوديَّةُ: وَقَاكِ اللهُ عذابَ القبرِ}.[4]

روت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها وعن أبيها قالت { قَدِمَتْ أُمِّي وهي مُشْرِكَةٌ، في عَهْدِ قُرَيْشٍ ومُدَّتِهِمْ إذْ عَاهَدُوا النبيَّ ﷺ ، مع ابْنِهَا، فَاسْتَفْتَيْتُ النبيَّ ﷺ فَقُلتُ: إنَّ أُمِّي قَدِمَتْ وهي رَاغِبَةٌ؟ أفَأَصِلُهَا؟ قال نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ }.[5]

ويروى في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ أن ناساً من المسلمين كانت لهم قرابة وأصهار في اليهود وكانوا ينفقون عليهم قبل أن يسلموا فلما أسلموا كرهوا أن ينفقوا عليهم وأرادوهم على أن يسلموا فنزلت الآية.

---

[1] سورة الممتحنة الآية 8 – 9.

[2] والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم1049، ومسلم في صحيحه برقم903.

[3] قال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند صحيح برقم26008، وقال ابن كثير في تفسير القرآن إسناده صحيح على شرط الشيخين برقم7/126.

[4] قال شعيب الأرناؤوط في تخريج شرح السنة إسناده على شرط البخاري برقم5/424، وقال ابن حجر العسقلاني فتح الباري لابن حجر إسناده على شرط البخاري برقم3/279، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح برقم3/57.

[5] والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم5979، ومسلم في صحيحه برقم1003.

(عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَرْضَخُوا لِأَنْسَابِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَسَأَلُوا، فَرَخَّصَ لَهُمْ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾).[1]

له حق المشاركة وتبادل المنفعة

فقد كان المسلمون يتبادلون مع يهود المدينة البيع والشراء، واشترى الحبيب محمد ﷺ طعاما من يهودي بالأجل وأعطاه درعه رهنا لذلك، فقد روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن أبيها قالت { اشترى من يَهوديٍّ طعامًا إلى أجلٍ ورَهنَه درعَهُ }.[2]

وفي رواية آخرى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال { تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ - وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ لأهلِه }.[3]

وقد اشترى أمير المؤمنين ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه بئر رومة من اليهودي في عهد الحبيب ﷺ وأعطاه حقه كاملا.[4]

فقد كان في المدينة سوق يتشارك فيه المسلمون واليهود وغيرهم، يتبادلون فيه البيع والشراء والمنافع بحرية وسلام ودون تعد على أحد.

ورغم أن اليهود في المدينة كانوا هم الطرف الأضعف، إلا أنهم كانوا يقاضون المسلمين ويرفعون شكواهم، بل ويتحاكمون فيما بينهم ليأخذوا حقوقهم كاملة أمام قائد الدولة وزعيمها، ثقة في عدل الإسلام ورسوله ﷺ .

فقد روى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال { كانَ بالمَدِينَةِ يَهُودِيٌّ، وكانَ يُسْلِفُنِي في تَمْرِي إلى الجِدَادِ، وكَانَتْ لِجَابِرٍ الأرْضُ الَّتي بطَرِيقِ رُومَةَ، فَجَلَسَتْ، فَخَلَا عَامًا، فَجَاءَنِي اليَهُودِيُّ عِنْدَ الجَدَادِ ولَمْ أجُدَّ منها شيئًا، فَجَعَلْتُ أسْتَنْظِرُهُ إلى قَابِلٍ فَيَأْبَى، فَأُخْبِرَ بذلكَ النبيُّ ﷺ ، فَقال لأصْحَابِهِ: امْشُوا نَسْتَنْظِرْ لِجَابِرٍ مِنَ اليَهُودِيِّ فَجَاؤُونِي في نَخْلِي، فَجَعَلَ النبيُّ ﷺ يُكَلِّمُ اليَهُودِيَّ، فيَقولُ: أبَا القَاسِمِ لا أُنْظِرُهُ، فَلَمَّا رَأي النبيُّ ﷺ قَامَ فَطَافَ في النَّخْلِ، ثُمَّ جَاءَهُ فَكَلَّمَهُ فأبَى، فَقُمْتُ فَجِئْتُ بقَلِيلِ رُطَبٍ، فَوَضَعْتُهُ بيْنَ يَدَيِ النبيِّ ﷺ

[1] رواه النسائي في سنن الكبرى برقم١١٠٥٢، وابن كثير في تفسير سورة البقرة الآية 272.
[2] والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2509 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم1603.
[3] عن عبد الله بن عباس، وقال الألباني صحيح في صحيح النسائي برقم4665 واللفظ له، وقال حسن صحيح في صحيح ابن ماجه برقم1993، ورواه أحمد برقم3409 باختلاف يسير، والترمذي نحوه برقم1214.
[4] القصة ذكرها ابن القيم في زاد المعاد 713/5، 714.

فأكَلَ، ثُمَّ قال أيْنَ عَرِيشُكَ يا جَابِرُ؟ فأخْبَرْتُهُ، فَقال افْرُشْ لي فيه فَفَرَشْتُهُ، فَدَخَلَ فَرَقَدَ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ، فَجِئْتُهُ بقَبْضَةٍ آخرى فأكَلَ منها، ثُمَّ قَامَ فَكَلَّمَ اليَهُودِيَّ فأبَى عليه، فَقَامَ في الرِّطَابِ في النَّخْلِ الثَّانِيَةَ، ثُمَّ قال يا جَابِرُ جُدَّ واقْضِ فَوَقَفَ في الجَدَادِ، فَجَدَدْتُ منها ما قَضَيْتُهُ، وفَضَلَ منه، فَخَرَجْتُ حتَّى جِئْتُ النبيَّ ﷺ فَبَشَّرْتُهُ، فَقال أشْهَدُ أنِّي رَسولُ اللَّهِ. عُرُوشٌ: وعَرِيشٌ: بنَاءٌ وقال ابنُ عَبَّاسٍ: { مَعْرُوشَاتٍ} [الأنعام: 141]: ما يُعَرَّشُ مِنَ الكُرُومِ وغَيْرِ ذلكَ يُقال { عُرُوشُهَا} [البقرة: 259]: أبْنِيَتُهَا }.[1]

الذمي والمستأمن والمعاهد لهم حق الأمان والعدل والمساواة

فلا تظلمه أو تأخذ ماله بغير حق، فإنه قَبِل ورضى أن يعيش في دولة الإسلام العادلة، فله الأمان ويحاسب بالعدل والمساواه، فقد نهي الحبيب ﷺ عن ظلم المعاهد فقال { ألا مَن ظلمَ مُعاهدًا، أوِ انتقصَهُ، أو كلَّفَهُ فوقَ طاقتِهِ، أو أخذَ منهُ شيئًا بغَيرِ طيبِ نفسٍ، فأَنا حَجيجُهُ يومَ القيامةِ }.[2]

ومن عدل الإسلام أن اليهود وغيرهم كانوا يحتكمون إلى الإسلام ورسوله ﷺ فيما بينهم، وفيما بينهم وبين المسلمين، واثقين في عدله وحكمه، ومنها قصة الزانية والزاني اليهوديان والتي احتكم اليهود فيها إلى النبي ﷺ فحكم الرسول الحبيب ﷺ بما في التوراة وتطابق مع حكم الإسلام في الرجم للمحصن، وأثبت أن آية الرجم موجودة في التوراة رغم حجب علماء اليهود لها.

ومنها أنه ﷺ عندما احتكم يهودي بالمدينة إلى الحبيب ﷺ ليعطيه حقه في نفسه ونبيه موسى عليه وعلى الحبيب الصلاة والسلام فأعطاه حقه وأرضاه في نبيه وفي نفسه، فرضي اليهودي بما قضى الحبيب ﷺ ، رغم أنه كان في دولة الإسلام وهو الطرف الأضعف ويحتكم إلى نبي المسلمين وقائدهم وحاكمهم ﷺ ، ولكنه في دولة الإسلام العادلة، والتي تحكم بالعدل على الجميع.

فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال { اسْتَبَّ رَجُلَانِ رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ ورَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ، قال المُسْلِمُ: والذي اصْطَفي مُحَمَّدًا علَى العَالَمِينَ، فَقال اليَهُودِيُّ: والذي اصْطَفي مُوسَى علَى العَالَمِينَ، فَرَفَعَ المُسْلِمُ يَدَهُ عِنْدَ ذلكَ، فَلَطَمَ وجْهَ اليَهُودِيِّ، فَذَهَبَ اليَهُودِيُّ إلى النبيِّ ﷺ ، فأخْبَرَهُ بما كانَ مِن أمْرِهِ، وأَمْرِ المُسْلِمِ، فَدَعَا النبيُّ ﷺ المُسْلِمَ، فَسَأَلَهُ عن ذلكَ، فأخْبَرَهُ، فَقال النبيُّ ﷺ : لا تُخَيِّرُونِي علَى مُوسَى، فإنَّ النَّاسَ

[1] أخرجه البخاري في صحيحه برقم5443 واللفظ له، وقال الألباني صحيح في صحيح النسائي برقم3641.
[2] عن عدة من أبناء أصحاب النبي، وقال الألباني صحيح في صحيح أبي داود برقم3052، وقال صحيح في صحيح الجامع برقم2655، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج شرح السنة إسناده قوي برقم11/180.

يَصْعَقُونَ يومَ القِيَامَةِ، فأصْعَقُ معهُمْ، فأكُونُ أوَّلَ مَن يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ جَانِبَ العَرْشِ، فلا أدْرِي أكانَ فِيمَن صَعِقَ، فأفَاقَ قَبْلِي أوْ كانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللَّهُ }،[1] باطِش جانِبَ العَرشِ، أي: قابِض علَيه بيَدِه.

وفي سبب نزول هذه الآية ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾،[2] ذكر ابن جرير في تفسيره لهذه الأية أنها نزلت في اتهام يهودي بسرق درع لأحد الصحابة فبرءه الله في قرآنه ورد الحبيب ﷺ لليهودي حقه.

وذكر ابن جرير في تفسيره قال (ذُكر لنا أن هؤلاء الآيات أنزلت في شأن طُعْمة بن أبيرق، وفيما همَّ به نبي الله ﷺ من عذره، وبين الله شأن طعمة بن أبيرق، ووعظ نبيَّه وحذّره أن يكون للخائنين خصيمًا.

وكان طعمة بن أبيرق رجلا من الأنصار، ثم أحد بني ظفر، سرق درعًا لعمّه كانت وديعة عنده، ثم قذفها على يهودي كان يغشاهم، يقال له:"زيد بن السمين". فجاء اليهودي إلى نبي الله ﷺ يُهْنِف، فلما رأي ذلك قومه بنو ظفر، جاؤوا إلى نبي الله ﷺ ليعذروا صاحبهم، وكان نبي الله عليه السلام قد همَّ بعُذْره، حتى أنزل الله في شأنه ما أنزل، فقال" وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ " إلى قوله:" هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ"، يعني بذلك قومه " وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا "، وكان طعمة قذَف بها بريئا. فلما بيَّن الله شأن طعمة، نافق ولحق بالمشركين بمكة).[3] وكلمة يُهْنِف معناها أي إذا تهيأ للبكاء وأجهش. ويقال للرجال: "أهنف الرجل"، إذا بكى بكاء الأطفال من شدة التذلل.

وروى عبد الله بن أبي حَدْرَدٍ الأسْلَمِيّ رضي الله عنه { أنه كان ليهوديٍّ عليه أربعةُ دراهمَ فاستعدَى عليه فقال يا محمدُ إنَّ لي على هذا أربعةَ دراهمَ وقد غلَبني عليها فقال أعطِه حقَّه قال والذي بعثك بالحقّ ما أقدرُ عليها قال أعطِهِ حقَّه قال والذي نفسي بيدِه ما أقدرُ عليها قد أخبرتُه أنك تبعثُنا إلى خيبرَ فأرجو أن تغنِّمَنا شيئًا فأرجعُ فأقضيه قال أعطِه حقَّه قال وكان النبيُّ ﷺ إذا قال ثلاثًا لم يراجعْ فخرج به ابن أبي حَدردَ إلى السُّوقِ وعلى رأسِه عِصابةٌ وهو مُتَّزِرٌ ببُردٍ فنزع العمامةَ عن رأسِه فاتَّزرَ بها ونزع البُردةَ فقال

[1] والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2411 واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم2373.
[2] سورة النساء الآية 105 – 106.
[3] جامع البيان { تفسير ابن جرير الطبرى } برقم ١٠٤١٢ تفسير الآية 105- 106 من سورة النساء.

اشترِ مِنِّي هذه البُردةَ فباعها بأربعةِ الدَّراهِمِ فمرَّتْ عجوزٌ فقالت ما لك يا صاحبَ رسولِ اللهِ ﷺ فأخبرَها فقالت ها دونَك هذا ببُردٍ طرحتُه عليه }.[1]

له حق أن تجب دعوته وتأكل من طعامه وتتزوج من نسائه.

إسلامنا الجميل لم ينهانا عن مخالطة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، والأكل من طعامهم وإجابة دعوتهم، بل وأجاز إسلامنا الجميل أن نترابط أسريا بالمصاهرة، بالزواج من نسائهم، وفي هذا تقوية للروابط بين الأسر وترابط المجتمع.

فيقول ربنا الكريم ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ ﴾.[2]

وكان الحبيب ﷺ يجيب دعوة اليهود إلى طعامهم، تقربا وودا لهم لعلهم يُسلمون أو يَسلم المجتمع من أذاهم وشرهم.

فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال { أنَّ يهوديًّا دَعا رسولَ اللهِ ﷺ إلى خُبزِ شَعيرٍ وإهالةِ سَنِخةٍ، فأجابَه }،[3] وإهالةٍ سَنِخةٍ"، أي: ما أُذيبَ من الشَّحمِ والأَلْيةِ.

وفي حديث آخر { أنَّهُ مَشَى إلى النبيِّ ﷺ بخُبْزِ شَعِيرٍ، وإهَالَةٍ سَنِخَةٍ، ولقَدْ رَهَنَ النبيُّ ﷺ دِرْعًا له بالمَدِينَةِ عِنْدَ يَهُودِيٍّ، وأَخَذَ منه شَعِيرًا لأهْلِهِ. وَلقَدْ سَمِعْتُهُ يقولُ: ما أمْسَى عِنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ صَاعُ بُرٍّ، ولَا صَاعُ حَبٍّ، وإنَّ عِنْدَهُ لَتِسْعَ نِسْوَةٍ }.[4]

ودعت امرأة اليهودية النبي وأصحابه إلى طعام فقبل الدعوة وأكل منها، رغم أنها كانت محاولة لقتله ﷺ ، فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال { أنَّ امْرَأَةً يَهُودِيَّةً أَتَتْ رَسولَ اللهِ ﷺ بشَاةٍ مَسْمُومَةٍ، فأكَلَ منها، فَجِيءَ بهَا إلى رَسولِ اللهِ ﷺ ، فَسَألَهَا عن ذلكَ؟ فَقالتْ: أَرَدْتُ لأَقْتُلَكَ، قال ما كانَ اللَّهُ لِيُسَلِّطَكِ علَى

[1] قال الألباني صحيح في السلسلة الصحيحة برقم 5/143، رواه أحمد برقم15528، والطبراني في الأوسط برقم4512، وكذلك في الصغير برقم655، وقال الهيثمي رجاله ثقات إلاَّ أن محمد بن أبي يحيى لم أجد له رواية عن الصحابة فيكون مرسلاً صحيحًا، في مجمع الزوائد برقم130/4.

[2] سورة المائدة الآية 5.

[3] قال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح على شرط الشيخين برقم14085، وقال الألباني إسناده صحيح على شرط الشيخين في إرواء الغليل برقم1/71.

[4] أخرجه البخاري في صحيحه برقم2069، وقال الألباني صحيح في صحيح النسائي برقم4624.

ذَاكِ قال أَوْ قال، عَلَيَّ قال قالوا: أَلَا نَقْتُلُهَا؟ قال لَا، قال فَما زِلْتُ أَعْرِفُهَا في لَهَوَاتِ رَسولِ اللهِ ﷺ . وفي روايةٍ : أنَّ يَهُودِيَّةً جَعَلَتْ سَمًّا في لَحْمٍ، ثُمَّ أَتَتْ به رَسولَ اللهِ ﷺ }.[1]

واللَّهَوَاتُ: جمعُ لَهَاةٍ، وهي اللَّحمةُ المُتدلِّية من الحنك الأعلى.

وفي رواية آخرى عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال { كانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يقبَلُ الهديَّةَ ولا يأكلُ الصَّدقةَ زادَ فأهدت لهُ يهوديَّةٌ بخيبرَ شاةً مَصليَّةً سمَّتْها فأكلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ منها وأكلَ القومُ فقال ارفعوا أيديَكُم فإنَّها أخبرتني أنَّها مسمومةٌ فماتَ بِشرُ بنُ البراءِ بنِ معرورٍ الأنصاريُّ فأرسلَ إلى اليهوديَّةِ ما حملكِ على الَّذي صنعتِ قالت إن كنتَ نبيًّا لم يضرَّكَ الَّذي صنعتُ وإن كنتَ ملِكًا أرحتُ النَّاسَ منكَ فأمرَ بها رسولُ اللَّهِ ﷺ فقُتلت ثمَّ قال في وجعِهِ الَّذي ماتَ فيهِ مازلتُ أجدُ منَ الأُكْلَةِ الَّتي أكلتُ بخيبرَ فهذا أوانُ قطعَت أبْهَري }.[2]

وقال شراح هذا الحديث { أَمَر بها رسولُ الله ﷺ فقُتِلَتْ بِبِشْرِ بن مَعْرُورٍ، وأسْلَمَها النَّبيُّ ﷺ لأَوْلِيَائِهِ فقَتَلُوها قِصَاصًا؛ لأنَّه لا يَنْتَقِمُ لنفْسِه ﷺ ، ثم قال في وَجَعِه الذي مات فيه، أي: مرَضِه الذي مات فيه: { ما زِلْتُ أجِدُ مِن الأَكْلَةِ الَّتي أَكَلْتُ بخَيْبَرَ، فهذَا أوَانُ قَطَعَتْ أَبْهُرِي}، وقد كان يجِدُ أثَرَ هذا السُّمِّ بين الحِينِ والحِينِ، حتى جاء مَوْتُه، فجَمَع اللهُ تعالى له بين النُّبُوَّةِ ومَقَامِ الشَّهَادَةِ؛ فمَات نبيًّا شَهيدًا ﷺ ، و"الأبْهُر" عِرْقٌ به الحَيَاةُ تَتَشَعَّبُ منه سائِرُ الشَّرَايينِ؛ إذا انقَطَع ماتَ صاحِبُه }.

وقد تزوج الحبيب ﷺ من أم المؤمنين صفيَّةَ بنتَ حُيَيِّ بنِ أخْطَبَ مِن بني النَّضيرِ وقد اعتقها من الأسر، وتزوجها وأسلمت رضي الله عنها، وكانت ماريةَ القبطيةَ من جواريه ﷺ فولدت له إبراهيمَ، واستسر ريحانةَ من بني قريظةَ ثم أعتقها فلحقَتْ بأهلها واحتجبَتْ وهي عند أهلِها.

له حق احترام العهود والمواثيق

إسلامنا الجميل أمرنا أن نحترم العهود والمواثيق المعقودة بين المسلمين وغيرهم، وألا ننقض عهدا ولا نهدم ميثاقا.

فعندما دخل الحبيب ﷺ المدينة كتب ميثاق وعقد معاهدة بينه وبين أطياف المدينة من المشركين واليهود، والتزم بهذا العهد حتى نقضه اليهود، وكان سببا في إجلائهم من المدينة.

[1] والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2617، ومسلم في صحيحه برقم2190 واللفظ له.
[2] قال الألباني حسن صحيح في صحيح أبي داود برقم4512، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج سنن أبي داود صحيح لغيره برقم4512.

وعقد معاهدة بينه وبين مشركي مكة، وحافظ له ولم ينقضه ونقضه مشركو مكة، وكان سببا في فتح مكة.

وعقد معاهدات مع نصارى الجزيرة العربية والشام، فقد عقد معاهدات مع نصارى نجران، ونصارى جرباء وأَذْرُح، ونصارى أيلة وما حولها.

فمن عاش بينهم له حق الأمان، ولا يتعرض له أحد، وإن قتله أحد غيلة وغدرا قتل بها وإن قتله خطأ فله الدية.

قال الحبيب ﷺ { مَن قَتَلَ مُعاهَدًا لَمْ يَرِحْ رائِحَةَ الجَنَّةِ، وإنَّ رِيحَها تُوجَدُ مِن مَسِيرَةِ أرْبَعِينَ عامًا }.[1]

وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه { مَن قتلَ مُعاهدًا لَه ذمَّةُ اللَّهِ وذمَّةُ رسولِهِ لم يَرَحْ رائحَةَ الجنَّةِ وإنَّ ريحَها ليوجدَ مِن مسيرةِ سبعينَ عامًا }.[2]

وفي رواية لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما { من قتلَ قتيلًا من أَهْلِ الذِّمَّةِ، لم يجِد ريحَ الجنَّةِ، وإنَّ ريحَها ليوجَدُ من مسيرةِ أربعينَ عامًا }.[3]

وفي رواية أبي بكرة نفيع بن الحارث { مَن قتَل مُعاهَدًا في عهدِه لَمْ يَرَحْ رائحةَ الجنَّةِ وإنَّ ريحَها لَيُوجَدُ مِن مسيرةِ خَمسِمِئةِ عامٍ }.[4]

وفي رواية عن رجل من الصحابة { سيَكونُ قَومٌ لهم عَهدٌ، فمَن قتَلَ رَجُلًا منهم لم يَرَحْ رائِحةَ الجَنَّةِ، وإنَّ ريحَها لَيوجَدُ مِن مَسيرةِ سَبعينَ عامًا }.[5]

وفي رواية آخرى عن رجل من الصحابة { من قَتَل رجلًا من أهلِ الذِّمَّةِ، لم يَجِدْ رِيحَ الجنةِ، وإن رِيحَها لَيُوجَدُ من مَسِيرةِ سبعين عامًا }.[6]

ومن أهم شروط معاهدته ﷺ مع اليهود في المدينة

---

[1] عن عبد الله بن عمرو، وأخرجه البخاري في صحيحه برقم3166، وقال الألباني صحيح في صحيح ابن ماجه برقم2192.
[2] قال الألباني صحيح في صحيح ابن ماجه برقم2193، وقال صحيح في صحيح الترغيب برقم3009.
[3] قال الألباني صحيح في صحيح النسائي برقم4764، وقال صحيح في صحيح الترغيب برقم2452، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح برقم6745..
[4] قال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان صحيح برقم7383، ورواه أبو داود في سننه برقم2760، والنسائي برقم4748، وأحمد برقم 20403 بنحوه
[5] قال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح برقم16590، والنسائي برقم4749.
[6] قال شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند إسناده صحيح برقم23128، والنسائي برقم4763.

إنَّ اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإنَّ يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم موالهيم وأنفسهم إلا من ظلم نفسه وأثم فإنه لا يُوْتغ إلا نفسه وأهل بيته، وإنَّ على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وإنَّ بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإنَّ بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم، وإنَّ ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث، أو شجار يُخاف فساده فإنّ مردَّه إلى الله وإلى محمد رسول الله وإنَّ الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبرّه، وإذا دُعُوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه، وإنهم إذا دُعُوا إلى مثل ذلك، فإنَّ لهم ما على المؤمنين إلا من حارب في الدين على كل أُناس حصَّتهم من جانبهم الذي قِبلهم، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وإن الله جار لمن برَّ واتقى، ومحمد رسول الله، وإنَّ بينهم النصر على من دهم يثرب.

وهكذا نجد في المعاهدة التزاما من المسلمين واليهود باحترام كل منهما الآخر، وتعاونهم جميعا في حفظ المدينة، ويكونون معا ضد من اعتدى عليهم، ولا يخونون العهد مع أعداء المسلمين.

وكتب معاهدة مع نصارى نجران وفيها { بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ لِلأسْقُف أَبِي الْحَارِثِ، وَأَسَاقِفَةِ نَجْرَانَ، وَكَهَنَتِهِمْ، وَرُهْبَانِهِمْ، وَكُلِّ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنْ قَلِيلٍ وَكَثِيرٍ جِوَارُ اللهِ وَرَسُولِهِ، لا يُغَيَّرُ أُسقفٌ مِنْ أسقفَتِهِ، وَلا رَاهِبٌ مِنْ رَهْبَانِيَّتِهِ، وَلا كَاهِنٌ مِنْ كَهَانَتِهِ، وَلا يُغَيَّرُ حَقٌّ مِنْ حُقُوقِهِمْ، وَلا سُلْطَانهُمْ، وَلا مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ، جِوَارُ اللهِ وَرَسُولِهِ أَبَدًا مَا أَصْلَحُوا وَنَصَحُوا عَلَيْهِمْ غَيْر مُبْتَلَيْنَ بِظُلْمٍ وَلا ظَالِمِينَ }.[1]

كما عاهد الحبيب محمد رسول الله ﷺ نصارى جرباء وأَذْرُح، الجرباء وأذرح: موضعان من أعمال عمان وهي الآن جزء من مملكة الأردن.

أمَّا معاهدته مع نصارى أيْلة فجاءت بعد عفو الحبيب ﷺ ومعاملته الكريمة لنصارى دومة الجندل؛ حيث قدم يُحَنَّة بن رؤبة ملك أَيْلة وما حولها وكان نصرانيًّا على رسول الله ﷺ وهو في تبوك، وهو ما رواه جابر رضي الله عنه فقال { رأيت يُحَنَّة بن رؤبة يوم أتى النبيَّ ﷺ وعليه صليب من ذهب وهو معقود الناصية، فلمَّا رأي النبيَّ كفَّر وأومأ برأسه، فأومأ إليه النبي " ارْفَعْ رَأْسَكَ ". وصالحه يومئذٍ، وكساه بُردًا يمانيًّا }.[2]

[1] ابن كثير في السيرة النبوية برقم4/106، والبداية والنهاية برقم5/55، وابن القيم في زاد المعاد برقم3/549.
[2] رواه البيهقي: السنن الكبرى برقم9/185 ، والصالحي الشامي في سبل الهدى والرشاد برقم5/460.

وكان من نص هذه المعاهدة { بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذِهِ أَمَنَةٌ مِنَ اللهِ، ومُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللهِ لِيُحَنَّةَ بْنِ رُؤْبَةَ وَأَهْلِ أَيْلَةَ، سُفُنُهُمْ وَسَيَّارَتُهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ لَهُمْ ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، وَأَهْلِ الْيَمَنِ، وَأَهْلِ الْبَحْرِ، فَمَنْ أَحْدَثَ مِنْهُمْ حَدَثًا فَإِنَّهُ لاَ يَحُولُ مَالُهُ دُونَ نَفْسِهِ.. وَإِنَّهُ طَيِّبٌ لِمَنْ أَخَذَهُ مِنَ النَّاسِ.. وَإِنَّهُ لاَ يَحِلُّ أَنْ يُمْنَعُوا مَاءً يَرِدُونَهُ، وَلاَ طَرِيقًا يُرِيدُونَهُ مِنْ بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ }.[1]

ومدينة أيلة الآن هي امتداد لمدينة العقبة الأردنية وقرية أم الرشراش المصرية والتي الآن مدينة إيلات في الكيان الصهيوني الإسرائيلي.

ومن عاش في وسط المسلمين والتزم بقوانينهم، فله مالهم وعليه ما عليهم، والمسلمون يحمونه كما يحمون أنفسهم وأعراضهم، ويتكفلون به وينفقون عليه من بيت مال المسلمين إذا عجز عن الكسب، والأمثلة كثيرة في سيرة الخلفاء الراشدين والتابعين.

وقد قال الحبيب ﷺ الحديث الجميل الشامل { كُلُّكُمْ رَاعٍ ومَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وهو مَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ في أَهْلِهِ رَاعٍ وهو مَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والمَرْأَةُ في بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وهي مَسْئُولَةٌ عن رَعِيَّتِهَا }.[2]

ففي هذا الحديث الجميل الإمام راع لكل من في الدولة الإسلامية، وفعله الحبيب ﷺ ، وفعله كل أمراء وملوك وسلاطين الدولة الإسلامية حتى اليوم.

فمَن سرق مال ذمي قُطعت يده، ومَن غصبه عُزِّر، وأعيد المال إلى صاحبه، ومَن استدان من ذمي فعليه أن يقضي دينه، فإن ماطله وهو غني حبسه الحاكم حتى يؤدي ما عليه، شأنه في ذلك شأن المسلم ولا فرق بينهم.

له حق التأمين عند العجز والشيخوخة والفقر

(وأكثر من ذلك أن الإسلام ضمن لغير المسلمين في ظل دولته، كفالة المعيشة الملائمة لهم ولمن يعولونه، لأنهم رعية للدولة المسلمة وهي مسئولة عن كل رعاياها، قال رسول الله - ﷺ -: "كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته". وهذا ما مضت به سُنَّة الراشدين ومَن بعدهم.

[1] السيرة النبوية لابن هشام 525/2، 526، عيون الأثر لابن سيد الناس 258/2، زاد المعاد لابن القيم 466/3.
[2] عن عبد الله بن عمر، والحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه برقم2409، ومسلم في صحيحه برقم1829.

ففي عقد الذمة الذي كتبه خالد بن الوليد لأهل الحيرة بالعراق، وكانوا من النصارى: "وجعلت لهم، أيما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنيًّا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت جزيته وعِيل من بيت مال المسلمين هو وعياله" . .(رواه أبو يوسف في "الخراج" ص 144) وكان هذا في عهد أبي بكر الصِّدِّيق، وبحضرة عدد كبير من الصحابة، وقد كتب خالد به إلى الصِّدِّيق ولم ينكر عليه أحد، ومثل هذا يُعَد إجماعًا، ورأي عمر بن الخطاب شيخًا يهوديًا يسأل الناس، فسأله عن ذلك، فعرف أن الشيخوخة والحاجة ألجأتاه إلى ذلك، فأخذه وذهب به إلى خازن بيت مال المسلمين، وأمره أن يفرض له ولأمثاله من بيت المال ما يكفيهم ويصلح شأنهم، وقال في ذلك: ما أنصفناه إذ أخذنا منه الجزية شابًا، ثم نخذله عند الهرم! (المصدر السابق ص 126).

وعند مقدمهِ "الجابية" من أرض دمشق مَرَّ في طريقه بقوم مجذومين من النصارى، فأمر أن يعطوا من الصدقات، وأن يجري عليهم القوت (البلاذري في فتوح البلدان ص 177 ط . بيروت) . - أي تتولى الدولة القيام بطعامهم ومؤونتهم بصفة منتظمة.

وبهذا تقرر الضمان الاجتماعي في الإسلام، باعتباره "مبدأً عامًا" يشمل أبناء المجتمع جميعًا، مسلمين وغير مسلمين، ولا يجوز أن يبقى في المجتمع المسلم إنسان محروم من الطعام أو الكسوة أو المأوى أو العلاج، فإن دفع الضرر عنه واجب ديني، مسلمًا كان أو ذميًا.

وذكر الإمام النووي في "المنهاج" أن من فروض الكفاية: دفع ضرر المسلمين ككسوة عار، أو إطعام جائع إذا لم يندفع بزكاة وبيت مال.

ووضح العلامة شمس الدين الرملي الشافعي في "نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج" أن أهل الذمة كالمسلمين في ذلك، فدفع الضرر عنهم واجب.

ثم بحث الشيخ الرملي رحمه الله في تحديد معنى دفع الضرر فقال "وهل المراد بدفع ضرر مَن ذكر، ما يسد الرمق أو الكفاية؟ قولان، أصحهما ثانيهما ؛ فيجب في الكسوة ما يستر كل البدن على حسب ما يليق بالحال من شتاء وصيف، ويلحق بالطعام والكسوة ما في معناهما، كأجرة طبيب، وثمن دواء، وخادم منقطع .. كما هو واضح".

قال "ومما يندفع به ضرر المسلمين والذميين فك أسراهم" . (نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج للرملي ج - 8 ص 46 كتاب "السير").[1]

له حق في حرية العبادة وممارسة شعائره

كان لليهود معابدهم في عهد رسول الله ﷺ وكانوا يمارسون شعائرهم دون ممانعة، ولما فتح الله على رسوله الجزيرة العربية وكان بها في الجنوب في اليمن والشمال على تخوم الجزيرة كنائس وأديرة، فأمنهم الرسول ﷺ على كنائسهم وأديرتهم فمارسوا شعائرهم بحرية.

بل عندما قدم وفد نصارى نجران إلى الحبيب ﷺ استقبلهم في المسجد وعندما حان وقت صلاتهم صلوا في المسجد ولم يمنعهم الحبيب ﷺ .

فقد روى محمد بن جعفر بن الزبير هذا الموقف فقال { لمَّا قَدِم وفدُ نَجْرانَ على رسولِ اللهِ ﷺ دخَلوا عليه مسجدَهُ بعد صلاةِ العصرِ، فحانت صلاتُهم، فقاموا يُصلُّون في مسجدِهِ، فأراد الناسُ مَنْعَهم، فقال رسولُ اللهِ - ﷺ : دعُوهم، فاستقبَلوا المشرِقَ، فصلَّوْا صلاتَهم }.[2]

وفي رواية آخرى له { فكان أولَ ما صنع أنِ اتَّجه إلى بيتِ المَقدِسِ يُصلِّي لِلَّه على ما تَقتضي به طُقوسُ المَسيحِيَّةِ، وأراد الناسُ منعَهم، فقال رسولُ اللهِ : دَعوهم }.[3]

وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أهل إيلياء (القدس) نص على حُريتهم الدينية، وحرمة معابدهم وشعائرهم "هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان: أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسائر ملَّتها، لا تُسكن كنائسهم، ولا تُهدم ولا ينتقص منها، ولا من حيزها، ولا من صليبها، ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم، ولا يُضار أحد منهم. ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود. " كما رواه الطبري . (تاريخ الطبري ط . دار المعارف بمصر ج - 3 ص 609).

وفي عهد خالد بن الوليد لأهل عانات: "ولهم أن يضربوا نواقيسهم في أي ساعة شاءوا من ليل أو نهار، إلا في أوقات الصلاة، وأن يخرجوا الصلبان في أيام عيدهم" .(الخراج لأبي يوسف ص 146).

---

[1] حقوق أهل الذمة في الشريعة الإسلامية https://forum.islamstory.com/18010

[2] قال شعيب الأرناؤوط في تخريج زاد المعاد رجاله ثقات، لكنه منقطع برقم3/550،

[3] قال الألباني في فقه السيرة ضعيف برقم426.

(على أن من فقهاء المسلمين مَن أجاز لأهل الذمة إنشاء الكنائس والبِيَع وغيرها من المعابد في الأمصار الإسلامية، وفي البلاد التي فتحها المسلمون عنوة، أي أن أهلها حاربوا المسلمين ولم يسلموا لهم إلا بحد السيف، إذا أذن لهم إمام المسلمين بذلك، بناء على مصلحة رآها، ما دام الإسلام يقرهم على عقائدهم.

وقد ذهب إلى ذلك الزيدية والإمام ابن القاسم من أصحاب مالك (انظر: أحكام الذميين والمستأمنين ص 96 – 99).

ويبدو أن العمل جرى على هذا في تاريخ المسلمين، وذلك منذ عهد مبكر، فقد بُنِيت في مصر عدة كنائس في القرن الأول الهجري، مثل كنيسة "مار مرقص" بالإسكندرية ما بين (39 - 56 هـ) .كما بُنِيت أول كنيسة بالفسطاط في حارة الروم، في ولاية مسلمة بن مخلد على مصر بين عامي (47 - 68 هـ) كما سمح عبد العزيز بن مروان حين أنشأ مدينة "حلوان" ببناء كنيسة فيها، وسمح كذلك لبعض الأساقفة ببناء ديرين.

وهناك أمثلة آخرى كثيرة، وقد ذكر المؤرخ المقريزي في كتابه "الخِطط" أمثلة عديدة، ثم ختم حديثه بقوله: وجميع كنائس القاهرة المذكورة محدَثة في الإسلام بلا خلاف (انظر: الإسلام وأهل الذمة للدكتور علي حسني الخربوطلي ص 139، وأيضاً: "الدعوة إلى الإسلام" تأليف توماس . و . أرنولد ص 84 - 86 ط . ثالثة . ترجمة د . حسن إبراهيم وزميليه).

أما في القرى والمواضع التي ليست من أمصار المسلمين فلا يُمنعون من إظهار شعائرهم الدينية وتجديد كنائسهم القديمة وبناء ما تدعو حاجتهم إلى بنائه، نظرًا لتكاثر عددهم.

وهذا التسامح مع المخالفين في الدين من قوم قامت حياتهم كلها على الدين، وتم لهم به النصر والغلبة، أمر لم يُعهد في تاريخ الديانات، وهذا ما شهد به الغربيون أنفسهم).[1]

وصية الرسول للمسلمين بالتعامل مع نصارى مصر

لنصارى مصر منزلة خاصة في قلب الحبيب ﷺ ، وقد تنبأ بفتح مصر، فقال الحبيب ﷺ { إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذْكَرُ فيها القِيراطُ، فاسْتَوْصُوا بأَهْلِها خَيْرًا، فإنَّ لهمْ ذِمَّةً ورَحِمًا أوْ قال ذِمَّةً وصِهْرًا }.[1]

[1] حقوق أهل الذمة في الشريعة الإسلامية https://forum.islamstory.com/18010

فإنَّ لهم "ذِمَّةً"، أي: حقًّا، "ورحِمًا"؛ وذلكَ لكونِ هَاجرَ أُمِّ إسماعيلَ بنِ إبراهيم عليهما السَّلامُ مِن مِصْرَ، وكذلك مارية رضي الله عنها أم إبراهيم ابن الحبيب ﷺ من مصر.

وقال الحبيب ﷺ في حق مصر والمصريين { اللهَ اللهَ في قبطِ مصرَ فإنَّكم ستَظهَرونَ عليهم ويكونونَ لكم عُدَّةً وأعوانًا في سبيلِ اللهِ }.[2]

وقال ﷺ { إنَّكم ستقدَمونَ على قومٍ جَعْدٍ رؤوسُهم فاستَوْصوا بهم فإنَّه قوَّةٌ لكم وبلاغٌ إلى عدوِّكم بإذنِ اللهِ } يعني قِبْطَ مِصْرَ.[3]

ولقد كان لأقباط مصر دور كبيرفي فتح مصر مع جيش عمرو بن العاص رضي الله عنه وعن جيشه، وكانوا عونا للمسلمين ضد الروم المسيحيين الذين أذاقوا المصريين سوء العذاب والاضطهاد في عقيدتهم، فخلصهم المسلمين من اضطهاد الروم، وأعاد لهم بطريركهم من ملتهم، ورد لهم كنائسهم وأديرتهم، ولم يجبروا أهل مصر على دخول الإسلام، وعندما وجدوا التسامح وأخلاق المسلمين العالية، دخل المصريون الإسلام أفواجا طواعية.

القرآن ينصف أهل الكتاب

ولقد مدح إسلامنا الجميل المسلمين من أهل الكتاب في قرآنه الكريم في أكثر من موضع، لأنهم امتداد للإسلام، دين البشرية من لدن آدم حتى يوم القيامة، وكل نبي جاء بالإسلام وتوحيد الله، فقال الله تعالى ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾.[4]

ويقول سبحانه ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ٨٣ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ٨٤ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ٨٥ ﴾.[5]

---

[1] عن أبي ذر، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم2543، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان إسناده صحيح على شرط مسلم برقم6676.

[2] عن أم سلمة وقال الألباني إسناده صحيح رجاله ثقات في السلسلة الصحيحة برقم3113، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح برقم10/66، ورواه الطبراني برقم23/256، 561.

[3] عن أبي عبدالرحمن الحبلي وعمرو بن حريث، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان رجاله ثقات رجال الصحيح إلا أنه مرسل برقم6677، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح برقم10/67.

[4] سورة آل عمران الآية 19.

[5] سورة آل عمران الآية 83 – 85.

ويقول ربنا سبحانه على لسان أبناء يعقوب عليه السلام، وهم بنو إسرائيل، ﴿ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾.[1]

وقال تعالى على لسان الحوارين أتباع نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٥٢ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾.[2]

وذكر قرآننا الكريم فرح الحبيب ﷺ والمسلمين بنصر الله، وقد نصر نصارى الروم على مجوس الفرس بعد بضع سنين.

فقال الله سبحانه ﴿ الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦ ﴾[3]

ولقد مدح أصحاب الكتب السابقة من اليهود والنصارى في مواقف كثيرة، منها قصة أصحاب الأخدود وحدثت في نصارى أهل نجران على قول كثير من المفسرين.

وقصة أهل الكهف، وحدثت في نصارى الأردن، على قول كثير من المفسرين.

وقصة نبي الله داود عليه السلام وطالوت ونصر الله لبني إسرائيل على جالوت وأهل العماليق الكافرين، وقصة نبي الله سليمان عليه السلام وملكة سبأ.

وأن ذكر نبي الله موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام شملت معظم سور القرآن سواء بسور قصيرة أم بسور كبيرة.

فنحن أمة مسلمة واحدة نعبد إلها واحدا، وامتداد لرسالة الله الواحدة رسالة الإسلام.

والحمد لله رب العالمين

[1] سورة البقرة الآية 133.
[2] سورة آل عمران الآية 52- 53.
[3] سورة الروم الآية 2 – 6.

الفهرس

إسلامنا الجميل والمجتمع.....1

مقدمة.....3

الباب الأول.....5

إسلامنا الجميل والأقارب.....6

إنها من صفات النبوة.....8

من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته.....8

الرحم معلقة بالعرش.....9

الرحم موسعة للرزق.....9

الرحم تطيل العمر.....9

الرحم تقي مصارع السوء.....9

الرحم تُدخِل الجنة.....10

الرحم علامة الإيمان.....10

الرحم تغفر الذنب العظيم.....10

الرحم من وصلها له عقبى الدار.....10

الرحم أن تصل من قطعك.....11

البر من وصل الرحم المقطوعة.....11

لن تدخل الجنة يا قاطع الأرحام.....11

الرحم كالشبكة فروعها متشابكة.....12

صل رحمك وإن كان غير مسلم.....12

صلة الرحم أفضل أخلاق الدنيا والآخرة.....12

صلة الرحم صدقة وصلة.....13

صلة الرحم لك فيها أجران.....13

صلهم واعف عنهم.....14
صلهم حتى لو اضمروا لك العداوة.....14
الباب الثاني.....16
إسلامنا الجميل واليتيم.....17
حقه في الكفالة.....18
حقه في الإحسان.....20
حقه في الإكرام.....21
حقه في ماله.....22
حقه في الإنفاق عليه.....25
حقه في الفيئ.....26
حق اليتيمة.....27
لها حق اختيار الزوج.....28
اتق الله في اليتيم.....30
اليتيم علاج لقسوة القلب.....31
اليتيم سبيل للنجاة من النار.....31
احفظ أولادك من محنة اليتم.....31
الباب الثالث.....33
إسلامنا الجميل والفقير والمسكين.....34
1. من أجلك أيها الفقير.....36
2. من أجلك أيها الفقير.....37
3. من أجلك أيها الفقير.....37
4. من أجلك أيها الفقير.....38
5. من أجلك أيها الفقير.....39
6. من أجلك أيها الفقير.....39
7. من أجلك أيها الفقير.....41

8. من أجلك أيها الفقير.....42
9. من أجلك أيها الفقير.....44
10. من أجلك أيها الفقير.....45
11. من أجلك أيها الفقير.....47
12. من أجلك أيها الفقير.....48
13. من أجلك أيها الفقير.....49
14. من أجلك أيها الفقير.....51
15. من أجلك أيها الفقير.....56

الباب الرابع.....58

إسلامنا الجميل والضعفاء (الخدم والعمال).....59

نحن أخوة.....59

جعلنا سبحانه طبقات.....61

أعطي الأجير حقه.....61

أكرمه ولا تهنه.....62

عامله معاملة حسنة.....63

أعنه إذا كلفته.....63

لا تظلمهم.....64

أحسن إليهم.....66

ارحمهم.....66

الباب الخامس.....68

إسلامنا الجميل والجار.....69

من السعادة الجار الصالح.....71

من التعاسة الجار السيئ.....71

تعوذ من جار السوء.....72

جارك يشهد لك يوم القيامة.....73

علاج لجار السوء.....73
لا يؤمن من آذى جاره.....74
أحسن إلى جارك.....74
حب لجارك ما تحبه لنفسك.....75
خير الجيران.....75
شارك جارك الخير.....76
أكرم جارك.....77
لا تؤذي جارك.....77
حقوق الجار الكثيرة.....77
اهدي لجارك واقبل منه هديته.....79
الجار أحق بالمنفعة والشفعة.....80
كاد الجار أن يرث في جاره.....82
لا تؤذي جارك في ممتلكاته.....83
لا تؤذي جارك في أهله وعرضه.....83
الجار أول المتخاصمين معك يوم القيامة.....84
علِّم جارك وتعلم منه.....84
تعهده واطمئن عليه.....85
جارك عده في مرضه وواسيه.....86
الباب السادس.....89
إسلامنا الجميل وإيمان المجتمع.....90
الإيمان بالله.....91
الله الواحد.....92
أسماء الله الحسنى.....93

ليس كمثله شيء سبحانه.....94
لا تشرك بالله.....94
الأخطاء والذنوب.....94
محمد رسول الله ﷺ.....95
إن الدين عند الله الإسلام.....96
قرآننا الكريم.....96
سُنّتنا النبوية.....97
الباب السابع.....100
إسلامنا الجميل وسلامة المجتمع.....101
إذا ارتكب المسلم ذنبا.....103
الخطأ والتوبة.....109
التدرج في الإحكام.....111
الباب الثامن.....118
إسلامنا الجميل والحدود.....119
الحدود والسجون.....122
الستر في إسلامنا الجميل.....128
إسلامنا الجميل وحد الزنى.....132
إسلامنا الجميل وحد قذف المحصنات.....162
إسلامنا الجميل وحد شارب الخمر.....164
إسلامنا الجميل والقصاص والديات.....166
كل جزء من الجسم له دية.....176
القتل العمد.....178
القتل الغير عمد.....180

القتل الخطأ.....181
أحكام جميلة عامة في القصاص.....182
شروط القصاص العادلة.....182
الأخذ بالثأر.....186
الديات في الكفار وأهل الذمة والمعاهدين.....187
أحكام جميلة وعادلة في الدية.....189
العفو والسماح.....191
هل للقاتل توبة؟.....192
إسلامنا الجميل وحد السرقة.....193
الشريف والضعيف وإقامة الحد.....201
إسلامنا الجميل وحد الحرابة وقطع الطريق والبغاة (البلطجية).....202
تحريم القتل بالحرق.....207
إسلامنا الجميل وحد الردة.....208
درء الحدود بالشبهات.....218
الباب التاسع.....220
إسلامنا الجميل وعلاقة المسلم بأخيه المسلم.....221
علاقة المسلم بأخيه المسلم.....222
الحب في الله.....222
تحيتهم السلام.....225
يؤثرون على أنفسهم.....227
لا فرق بينهم.....228
الأخوة العملية.....229
حقوق المسلم على أخيه.....230

انصر أخاك.....231
لا قتال بينهم.....232
لا قتل بينهم.....232
لا تخاصم بينهم.....233
لا تفاخر وتعالي بينهم.....235
إحسان الظن بينهم.....236
العدل بينهم.....238
يدعو بعضهم لبعض بظهر الغيب.....239
يشكر بعضهم بعض على فعل الخير.....240
قلوبهم نقية ونفوسهم صفية.....241
يتسابقون في الصدقة والإنفاق.....242
كلامهم طيب.....244
قضاء مصالح بعضهم بعض.....248
التكافل فيما بينهم.....249
يألف بعضهم بعض.....250
يتجاوزون ويمهلون بعضهم بعض.....250
يسروا وبشروا فيما بينكم.....255
يعين ويساعد بعضهم بعض.....256
نقي من النفاق.....257
حسن الخلق فيما بينهم.....261
الباب العاشر.....263
إسلامنا الجميل ومعاملة المسلم لغير المسلم.....264
من حقوقه ألا تكرهه على الإسلام.....266

له حق الجوار.....267
له حق أن تهدي له وتشاركه أفراحه وأتراحه وتزوره في مرضه وتعوده.....267
له حق العبادة وعدم التعرض له.....268
له حق البر والمساعدة.....268
له حق المشاركة وتبادل المنفعة.....270
الذمي والمستأمن والمعاهد لهم حق الأمان والعدل والمساواه.....271
لهم حق أن تجب دعوته وتأكل من طعامه وتتزوج من نسائه.....273
له حق احترام العهود والمواثيق.....274
له حق التأمين عند العجز والشيخوخة والفقر.....277
له حق في حرية العباده وممارسة شعائره.....279
وصية الرسول ﷺ للمسلمين بالتعامل مع نصارى مصر.....280
القرآن ينصف أهل الكتاب.....281

تم بحمد الله

وصلى الله على الحبيب محمد ﷺ